التاريخ السياسى للدولة العربية

عصر الخلفاء الأمويين

الجزء الثانى

تأليف

الدكتور عبد المنعم ماجد

أستاذ التاريخ الاسلامى
بكلية الآداب بجامعة عين شمس

مكتبة الأنجلو المصرية

التاريخ السياسي

للدولة العربية

عصر الخلفاء الأمويين

الجزء الثاني

تأليف

الدكتور عبد المنعم ماجد

أستاذ التاريخ الاسلامي

بكلية الآداب بجامعة عين شمس

مكتبة الأنجلو المصرية

وَمَا نقموا من بني أمية إلا
أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك فلا
تصلح إلا عليهم العرب

عبيد الله بن قيس الرقيات

فهرس الكتاب

إفتـــــتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تناول الجزء الأول التاريخ السياسي لعصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين . ويتناول هذا الجزء الثاني عصر الخلفاء الأمويين ونهاية الدولة العربية ؛ أي تاريخ الفترة من سنة ٦٦١/٤١ إلى سنة ٧٥٠/١٣٢ .

وتتبين أهمية هذه الفترة في أنها تعرض للفتوحات العربية ، التي بلغت أقصى ما عرفته حركة الفتح والاتساع في الإسلام ؛ فامتدت من قرب سور الصين حتى قرب باريس ؛ بحيث أن العباسيين الذين أتوا بعد الأمويين لم يستطيعوا أن يحتفظوا بكل ما فتح في عهد سابقيهم . وفوق ذلك تتميز هذه الفترة بأن الدولة العربية اتخذت فيها طابعها النهائي بالتعريب ، وأن الإسلام بدأ ينتشر في معظم البلاد المفتوحة ؛ ولا يزال التعريب والإسلام جزءين من تاريخ هذه البلاد حتى وقتنا الحاضر .

وإننا نذكر فضل المستشرق الأوربي لامنس « Lammens » ، الذي توفر على دراسة العصر الأموي ، وكرس له معظم مؤلفاته : فألقى على نواحيه المتعددة أضواء ساطعة . إلا أنه كان لا بد لهذا العصر من مؤرخ شرقي ،

ينظر إليه من وجهة نظره الشرقية ، ويعرضه فى القالب المنهجى الحديث . وإذا لم يكن فى هذا الكتاب شىء من جدة ، فأرجو ألا يعوزه الوضوح والصدق .

المؤلف(*)

(*) كل نسخة مبيعة لا تكون ممضاة من المؤلف ،

الجزء الثاني

الخلفاء الأمويون

٤١ - ١٣٢هـ = ٦٦١ - ٧٥٠م

	هجرية	ميلادية
معاوية بن أبي سفيان	٤١ — ٦٠	٦٦١ — ٦٨٠
يزيد بن معاوية	٦٠ — ٦٤	٦٨٠ — ٦٨٣
معاوية بن يزيد	٦٤	٦٨٣
مروان بن الحكم	٦٤ — ٦٥	٦٨٣ — ٦٨٥
عبد الملك بن مروان	٦٥ — ٨٦	٦٨٥ — ٧٠٥
الوليد بن عبد الملك	٨٦ — ٩٦	٧٠٥ — ٧١٥
سليمان بن عبد الملك	٩٦ — ٩٩	٧١٥ — ٧١٧
عمر بن عبد العزيز	٩٩ — ١٠١	٧١٧ — ٧٢٠
يزيد بن عبد الملك	١٠١ — ١٠٥	٧٢٠ — ٧٢٤
هشام بن عبد الملك	١٠٥ — ١٢٥	٧٢٤ — ٧٤٣
الوليد بن يزيد	١٢٥ — ١٢٦	٧٤٣ — ٧٤٤
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٤
إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٤
مروان بن محمد	١٢٧ — ١٣٢	٧٤٤ — ٧٥٠

الفصل الأول

عصر الخلفاء الأمويين

معاوية مؤسس الخلافة الأموية ـ حصار القسطنطينية الأول ـ فتح إفريقية ـ توريث يزيد الخلافة ـ وقوع الفتنة الثانية ـ مقتل الحسين ـ فتنة ابن الزبير ـ معاوية بن يزيد والنزاع بين اليمنية والقيسية ـ مروان ووقعة مرج راهط ـ تولية عبد الملك ـ عصبية اليمنية والقيسية ـ فتنة عمرو بن سعيد الأشدق ـ فتنة المختار ـ إخماد فتنة ابن الزبير ـ إخماد فتنة الخوارج ـ إخماد فتنة ابن الأشعث ـ التعريب ـ العودة إلى حرب الروم ـ فتح المغرب ـ تولية الوليد ـ المآثر الأموية ـ حرب الروم ـ فتح بلاد الأندلس ـ فتح بلاد ما وراء النهر ـ فتح بلاد السند ـ تولية سليمان ـ حصار القسطنطينية الثانى ـ فتح بلاد بحر قزوين ـ تولية عمر بن عبد العزيز ـ إسلام الشعوب المفتوحة ـ سياسته الخارجية ـ تولية يزيد بن عبد الملك ـ سياسته ـ تولية هشام ـ ثورة الولايات ـ تفاقم الخطر الخارجى .

كان مقتل على بن أبى طالب سبباً فى حدوث تحول هام فى رئاسة الدولة العربية ؛ إذ أعلن معاوية بن أبى سفيان الخلافة ، التى بقيت وراثية فى ذريته ، حتى سقوط هذه الدولة .

ويرجع طموح بيت معاوية إلى الرئاسة إلى أيام الجاهلية ، فهو من « بنى أمية »[1] ـ نسبة إلى « أمية[2] » ، جد معاوية لأبيه ـ الذى كان يعمل على

---

(١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، تحقيق Goitein ، طبعة القدس ١٩٣٦ ، ٥ ص ٢٢ س ٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل (طبعة مصر) ، ٣ ص ٢٧ س ١٣ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Umaiyades t4, p. 1052.

(٢) هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى . أنظر ، المقريزى ، النزاع والتخاصم =

السيطرة على وظائف الكعبة فى مكة[1] ، فدعا عمه هاشم — جد النبي لأبيه — إلى المنافرة على عادة العرب بالاحتكام إلى الكهان[2] ، فلما عجز عن الحصول عليها رحل إلى الشام ؛ فكانت هذه أول عداوة وقعت بين بيتى هاشم وأمية ، كما يلاحظ المؤرخون . وقد استمر النزاع بين حرب بن أمية وعبد المطلب ابن هاشم ، وتمادت المداوة بين البيتين[3] . وعلى العكس كان لأبى سفيان بن حرب[4] ، المسمى أيضاً صخراً — وهو أبو معاوية — الزعامة الفعلية فى مكة وقت ظهور الإسلام ؛ إذ كان يشرف على زمام تجارتها[5] ، وعنده اللواء[6] أو الراية — إحدى وظائف الكعبة الهامة — يأخذها من يُناط به قيادة قريش وحراسة قوافلها . فكان أبو سفيان من أشد المعارضين للنبي حتى لا تعود زعامة بنى هاشم[7] ، وقاد معظم الحملات المكية ضد النبي ، ولم يسلم إلا قبيل فتح النبي مكة[8] ،

= فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ، تحقيق Vos ، طبعة Leiden ، ١٨٨٨ ، ص ٨ وما بعدها ؛ ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبرى ، تحقيق Sachau ، ١/١ ص ٤٣ — ٤٤ ؛ انظر . Ency. de l'Isl. (art Umaiya) t4, 1049-1051.

(١) منها : ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق Wust ، ١ ص ٢٧١ ؛ انظر . قبله : ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، القاهرة ١٩٦٧ ، الطبعة الخامسة ، ١ ص ٨١ .

(٢) عن معنى هذه الكلمة ، انظر . لسان العرب ، ٧ ص ٨٤ .

(٣) النزاع والتخاصم ، ص ١١ ص ١٢ — ١٥ ؛ الكامل ، ٢ ص ٩ .

(٤) عن سيرته : ابن حجر ، كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة ، مصر ١٩٠٧ ، ٣ ص ٢٣٧ وما بعدها ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق Wust ، طبعة Gottingen ، ١٨٥٠ ، ص ١٧٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، مصر ١٢٨٥ هـ ، ٥ ص ٢١٦ ؛ انظر . Ency. de l'Isl. (art Abû Sufyân) t1,p.110 ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١١٢ وما بعدها .

(٥) الكامل ، ٢ ص ٨٠ .

(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، مصر ١٢٩٣ هـ ، ٢ ص ٤٥ ص ١٩ ؛ انظر . العقاد ، معاوية بن أبى سفيان فى الميزان ، الطبعة الأولى ، ص ٣٢ . يذكر الأزرق أن اللواء كان بيد أمية ؛ انظر . كتاب أخبار مكة ، تحقيق Wust ، طبعة Leipzig ، ١٨٥٨ ، ص ٧١ وما بعدها .

(٧) النزاع والتخاصم ، ص ٢ و ١٩ .

(٨) المعارف ، ص ١٧٥ ؛ ابن الطقطقى ، الفخرى فى الآداب السلطانية ، تحقيق Derenbourg ، طبعة Paris ، ١٨٩٥ ، ص ١٤٣ — ١٤٤ .

وأسلم ابنه معاوية[1] يوم الفتح ، كما أسلمت زوجته هند ، وهى التى مثلت بحمزة عم النبى فى وقعة أحد ، لأنه كان قد قتل رجالاً من أقاربها .

ومع أن النبى منذ فتح مكة قد ألغى وظيفـــة اللواء نهائياً[2] ؛ فقضى بذلك على سلطة بنى أمية الحربية إلا أنه وضع أساس تقريبهم[3] ؛ لينتزع من نفوسهم الحقد نحو بنى هاشم ويتقى عصبيتهم : فعامل أبا سفيان معاملة كريمة ، وأعلن أن من يدخل دار أبى سفيان فهو آمن[4] ، ثم استماله إليه ؛ ويبدو أنه قد « حسنُ إسلامه[5] » . كذلك أشركه فى بعض مغازيه ، وذهبت عينه فى إحداها[6] ، وتزوج ابنته أم حبيبــة[7] ، واستخدم ابنه معاوية فى الكتابة[8] ، واستعمل عدداً كبيراً من أفراد البيت الأموى على الصدقات، وولاهم بعض الأعمال[9] .

وقد جرى أبوبكر ومن بعده عمر على هذا التقليد فى تقريب بنى أمية : فاستعمل أبو بكر أبا سفيان عاملاً له على ما بين آخر حد الحجاز وآخر حد نجران[10] ،

---

(١) المعارف ، ص ١٧٧. لانعرف تاريخ ميلاده بسبب الإختلاف فى سنى عمره (الكامل، ٣ص٢٦٠)، كما لانعرف شيئاً يذكر عن سيرته قبل إسلامه. انظر. أسد الغابة، ٤ص٣٨٥؛ المعارف، ص ١٧٥، ١٧٧ وما بعدها؛ الفخرى، ص ١٤٣ وما بعدها ؛ انظر. Lammens: Etudes sur le règne du Calife Omaiyade Mo'âwia Ier. Leipzig, 1908: Ency. de l'Isl ,(art Mu'âwiya) t 3, p. 660 sqq؛ ومراجع أخرى وردت فى الهوامش .

(٢) ابن هشام ، ٢ ص ٩٦٨، انظر قبله : التاريخ السياسى، ١ ص ١٢٣ وهامش (٦).

(٣) النزاع والتخاصم ، ص ٣٣ — ٣٤ .

(٤) ابن حجر ، الإصابة ، ٣ ص ٢٣٨ ؛ ابن هشام ، ٢ ص ٨١٤ ؛ انظر . التاريخ السياسى ، ١ ص ١٢١ .

(٥) النزاع والتخاصم ، ص ١٧ س ١٥ .

(٦) نفسه ، ص ٤٨ ؛ المعارف ، ص ١٧٥ .

(٧) قد يكون أيضاً تزوجها قبل ذلك ، وهى توفيت عام ٤٤/٦٦٤ . أنظر . المعارف ص ١٧٥ ؛ ابن سعد ، ٨ ص ٦٨ — ٧٠ ؛ أسد الغابة ، ٥ ص ٥٧٣ — ٥٧٤ .

(٨) المعارف ، ص ١٧٧ ؛ الفخرى ص ١٤٣ .

(٩) النزاع والتخاصم ، ص ٣٢ — ٣٣ ؛ اليعقوبى ، تاريخ ، تحقيق Houtsma ، طبعة Lugd-Bat ، ٢ ص ٨١ .

(١٠) البلاذرى ، فتوح ، تحقيق De Goeje ، ص ١٠٢ (آخر الصفحة) .

وابنه يزيد على أحد الجيوش الرئيسية فى الشام[1]. ولما تولى عمر بعد أبى بكر أقرّ يزيد فى قيادة جيش الشام ، وولاه بعض أجزائها ، واستعمل معاوية على مكّة[2]، ثم على فلسطين[3]. وقد حارب يزيد فى مواقع الشام المعروفة ، وتحت قيادته أبوه الذى أبلى بلاءً حسناً ، حيث ذهبت فى اليرموك عينه الأخرى[4]، وافتتح معاوية بعض مدن ساحل الشام[5]. وعندما توفى قواد الفتوح ، ومنهم يزيد فى طاعون عَمَواس المشهور سنة ١٨ /٦٣٩[6]، جعل عمر معاوية أميراً على سائر الشام[7].

ويبدو أن نفوذ بنى أمية قد رجع قوياً منذ إسلامهم ، حتى أنهم تدخلوا فى إختيار عثمانْ بن عفان[8] — وهو واحد من كبرائهم — من بين أهل الشورى خلفاً لعمر ، واستبعاد علىّ بن أبى طالب من بنى هاشم . وعلى الرغم من أنه قد أخذت على عثمان المواثيق والعهود قبل توليتـــه الخلافة ، ألاّ يحمّل بنى أمية على رقاب الناس[9]؛ فإنه جعلهم أوتاد خلافته[10] : فأقرّ معاوية على

(١) المعارف ، ص ١٧٥ ؛ انظر ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٧٧ وما بعدها .

(٢) العقد ، ٢ص ٣٠٠ .

(٣) سعيد بن بطريق ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، تحقيق شيخو ، بيروت ١٩٠٥ ، ٢ ص ٢٠.

(٤) توفى أبو سفيان حوالى ٣٢ / ٦٥٢م ، فى خلافة عثمان . أنظر المصادر السابقة .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٢٧ ، ١٤٠ — ١٤٢. وبخاصة عسقلان وقيسارية .

(٦) نفسه ، ص ١٣٩ — ١٤٠ عن عمواس ، انظر . ياقوت، معجم البلدان ، طبعة الخانجى ، ٦ص ٢٢٦.

(٧) المعارف ، ص ١٧٥ . الأمير هو لقب عامل الخليفة . القلقشندى ، صبح الأعشى ، (طبعة دار الكتب) ، ٣ ص ٢٥٦ .

(٨) الكامل ، ٣ ص ٣٧ س ١٣ ؛ انظر ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٤٠ — ٢٤٢ . هو عثمان بن عفان بن أبى العاصى (أو العاص) بن أمية . أسد الغابة ، ٣ ص ٣٧٦ وما بعدها ؛ النزاع والتخاصم ، ص ٦٨ .

(٩) أنساب ، ٥ ص ٢٢ س ٨ — ٩ .

(١٠) النزاع والتخاصم ، ص ١٨ س ١٢ .

الشام، ثم جمع له الجزيرة فى سنة ٢٥/٦٤٥[١]، وعيّن فى بقية الأمصار أقرباءه[٢]. فلما ثار عرب الأمصار ضد عثمان بتحريض من بنى هاشم ، وأفضت الثورات إلى قتله فى سنة ٣٥/٦٥٦[٣] ؛ أتيحت الفرصة لمعاوية لينفرد بالشام[٤]، ويتزعم عصبة بنى أمية فى المطالبة بدم عثمان من علىّ الذى تولى بعد عثمان ؛ إذ يصف المؤرخون معاوية بشيمتى : « الحلم » ، و « الدهاء »[٥]، وهما أقصى ما ميّز ذوى الحنكة من رجال السياسة فى زمنه.

ومن المحقق أن حكم معاوية الطويل فى الشام طوال أيام الخلفاء الثلاثة ، أتاح له تأكيد سلطته ، حتى أنه لم يظهر فيها متمعض ضد حكمه[٦]، على نقيض ما حدث فى بقية الأمصار، ومكّنه ذلك من تكوين جيش قوى ناجز به عليًا فى صفّين[٧] وأرغمه على عقد صحيفة التحكيم فى أذرُح[٨] ؛ بقصد النظر فى لمّ شعث الأمة الإسلامية وإصلاحها ؛ على أساس ما ورد فى كتاب الله وسنة نبيه . فكان قبول علىّ للتحكيم هو أول الوهن ؛ اذ أعلن فى أذرُح سنة ٣٨/٦٥٨ ، خلعه من

---

(١) فتوح ، ص ١٧٨ س ٩ .

(٢) أنظر ماذكرناه فى كتابنا : التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(٣) نفسه ، ١ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٤) أسد الغابة ، ٤ ص ٣٨٩ .

(٥) أنظر أقوال المؤرخين : للمعارف ، ص ١٧٥ ؛ أسد الغابة ، ٤ ص ٤٠٧ س٢ ؛ أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، مصر ١٣٢٥ هـ ، ١ ص١٨٨ ؛ الفخرى ، ص ١٤٥ ؛ أنظر Lammens. Mo'â, 1er, p. 66sqq; 213 sqq.

(٦) الكامل ، ٣ ص ٧٥ س ١ .

(٧) الدينورى ، الأخبار الطوال (طبعة مصر ، ص ١٧٠ . عن صفين، انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٧٠ ؛ التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٦٤ وما بعدها .

(٨) الكامل ، ٣ ص ١٦٢ — ١٦٣ ؛ انظر . حيد الله ، مجموعة الوثائق السياسية ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ٢٨١ وما بعدها . عن أذرح ، انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٩ ص ١٦١ ؛ التاريخ السياسى، ١ ص ٢٦٦ .

الخلافة وتوليتها معاوية ، الذي استولى على مصر بعد ذلك ، وأثار ضد عليّ الاضطرابات في العراق والحجاز[1]. وأخيراً جاء مقتل عليّ غيلة في سنة ٤٠/[2] ٦٦١ ، متمماً لفوزه السياسي ؛ مما جعله يعلن الخلافة لنفسه في بيت المقدس[3] ؛ وإن كانت قد أعلنت له من قبل يوم إجتماع الحكمين[4].

ولم يكن قتل عليّ ليجعل باب الخلافة مفتوحاً على مصراعيه لمعاوية ؛ فقد ورث الحسن[5] بن عليّ مقام أبيه في العراق ؛ ولكن يبدو أنه لم يرث طموحه : فلم يحاول السير إلى معاوية ليفاجئه بالحرب . وإنما كتب طالباً إليه أن يبايعه[6]. ولعل الحسن لم يكن يثق في عسكره من أهل العراق لتلونهم[7] ؛ وخصوصاً أن معاوية كان يدس بينهم ، ويستميل قوادهم بالمال ، حتى أنهم تطاولوا عليه وهاجموا خيمته وجرحوه . فلما سار معاوية إلى العراق بجيش قويّ من أهل الشام ؛ فضّل الحسن طريق المفاوضات ، بقصد حقن دماء المسلمين ، وصلاح الأمة الإسلامية[8] — كما فعل أبوه من قبل — وذلك على الرغم من أن

---

(١) الكامل ، ٣ ص ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ١٩٨ ، ٢٠٢ .

(٣) نفسه ، ٣ ص ١٧٨ ، ٢٠٣ .

(٤) أبو الفدا ، المختصر ، ١ ص ١٨٤ .

(٥) لانعرف تاريخ ميلاده بالضبط ، وإنه في السنة الثالثة للهجرة . أنظر سيرته في : أسد الغابة ، ٢ ص ٩ وما بعدها ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، مقتل الطالبيين ، النجف ١٣٥٣ هـ ، ص ٣٣ وما بعدها ؛ النوبختي ، فرق الشيعة ، تحقيق صادق ، النجف ١٣٥٥ / ١٩٣٦ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ؛ المعارف ، ص ١٠٧ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ ص ١٦٤ ومابعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art al - Hasan) t2, p. 291.

(٦) مقاتل الطالبيين ، ص ٣٧ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٥ ؛ الأخبار الطوال ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ؛ انظر .
The Arab Kingdom and its Fall. Transl, : Wellhausen M. G. Weir. Calcutta, 1927, p. 104.

(٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٦ س ٣ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٠٥ س ١٨ .

أخاه الأصغر الحسين بن علىّ ناشده التمسك بالخلافة[١]. ولـكن الحسن خلع نفسه منها ووادع معاوية ، الذى دخل الـكوفة ونال بيعتها[٢]، وأصبح خليفة العراق ، كما كان فى الشام ومصر ، ثم ذهب إلى الحجاز ونال بيعتها ، ووعد بنى هاشم بأنه لن يتعرض لهم ، وأنه يصون دماءهم[٣]. فـكان العام الذى تنازل فيه الحسن عن حقه فى الخلافة يعرف بعام الجماعة[٤] ـ وهو عام ٤١/٦٦١ـ لأن معاوية نال فيه بيعة جميع الأمصار .

ومن المؤكد أن الحسن لم يكن مهيئاً لحمل عبء منصب الخلافة ؛ إذ يتبين من سيرته أنه كان يحب الحياة السهلة : فبعد تنازله سار حتى وافى المدينة[٥] ؛ لينعم فيها بحياة الحواضر . كذلك قَبِل من معاوية صحيفة بيضاء مختوماً فى أسفلها[٦]، ليكتب فيهـــا مايشاء من الشروط ؛ ولاسيا مايختص بالأموال والضياع[٧]، كما خصص معاوية للحسين بعض المال[٨]. وأختلف فى معرفة سبب وفاة الحسن وسنتها[٩]؛ وإن كانت الروايات الشيعية تحاول أن تجعل منه شهيداً[١٠]، وأن زوجته سمته بتحريض من معاوية ، الذى كان قد دس له السم عدة مرات . ولـكنّا نستبعد قيـــام معاوية بذلك ؛ فيقول

(١) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق أنطون صالحانى ، بيروت ١٨٩٠، ص ١٨٦ ؛ انظر . بعده .

(٢) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ ؛ العقد ، ٢ ص ١٧٠ .

(٣) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٦٤ — ٢٦٦ .

(٤) أسد الغابة ، ٤ ص ٣٨٧ ؛ الذهبى، دول الإسلام ، طبعة حيدر آباد ١٣٦٤هـ ، ١ ص ٢٠ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Mu'āwiya), t3, p. 659

(٥) الأخبار الطوال ، ص ٢٢٢ .

(٦) الـكامل ، ٣ ص ٢٠٣ ص ٣٠ .

(٧) ابن العبرى ، ص ١٨٦ . يقول الدينورى إنها مال الأهواز (الأخبار الطوال ، ص ٢٢٠) ، وهى الاسم العربى لخوزستان . معجم البلدان ، ١ ص ٣٨٠ وما بعدها .

(٨) الأخبار الطوال ، ص ٢٢٠ .

(٩) لدينا تواريخ مختلفة : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ . أسد الغابة، ٢ ص ١٠ ، ١٤، ١٥ ؛ النوبختى ، ص ٢٤ .

(١٠) مقاتل الطالبين ، ص ٥١ و٥٢ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, t2., p. 291

الدينورى[١]: « لم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءاً فى أنفسهما ولا مكروهاً ولاقطع عنهما شيئاً مما كان شرط لهما . . » . فلعل وفاة الحسن كانت بسبب إسرافه فى حياة اللهو : فقد تزوج كثيراً من النساء بلغن سبعين إمرأة[٢]، إذ لم يكن مثله أحد فى منظره[٣]، وعُرف بأنه كثير الطلاق « مِطلاق[٤] » . وكذلك قد تكون وفاته من أثر الجراحة[٥]، التى أصابته، حينما تنحى عن محاربة معاوية .

نستخلص إذن أن معاوية أخذ الخلافة بالسيف من غير مشاورة[٦]؛ وأنه لم يكن من الراشدين[٧]: أى صحابة النبى الذين تولوا الخلافة بعده ، وكانوا مرشدين من قبله للسير على سنته فى الحكم ؛ فلهذا لازم الخلافة فى عهده طابع سياسى أكثر منه دينى[٨] ، وأصبحت كلمة ملك — بمعنى الحاكم المطلق (أوتوقراطى) ـ يطلقها المؤرخون عليه وعلى خلفه[٩] ، وينسبون إليه قوله : « أنا أول الملوك[١٠] » . ولكننا لايجب أن نبالغ[١١] فى ماهية الطابع السياسى

---

(١) الأخبار الطوال ، ص ٢٢٦ .

(٢) الذهبى ، دول الإسلام ، ١ ص ٢٤ ؛ انظر . دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، مصر ١٩٤٦ ، ترجمة عربية ، ص ٩٨ .

(٣) الأصفهانى ، كتاب الأغانى (طبعة بولاق) ، ١١ ص ٥٦ .

(٤) أبو الفداء ، المختصر ، ١ ص ١٨٣ س ١٤ .

(٥) للنوبختى ، ص ٢٤ (آخر الصفحة) .

(٦) أبو الفدا ، المختصر ، ١ ص ١٨٦ س ١٢ .

(٧) الكامل ، ٣ص١٧٨ ، أنظر . لسان العرب ، ٤ص١٥٦؛ انظر . التاريخ السياسى ، ١ص٢٧٢ .

(٨) أنظر . Ency. de l'Isl, (art Khalîfa), t2, p. 934; Lammens : Mo'â, p. 191.

(٩) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ص٢٥٧ س١١ ؛ لسان ، ١٢ ص٣٨١ ومابعدها؛ السيوطى، حسن المحاضرة ، القاهرة ١٣٢٧ هـ . وهم لايطلقونه فقط على الخلفاء الأمويين ، بل حتى على ولاتهم . الأغانى ، ١٧ ص ١٦١ . أنظر أيضاً عن تسميتهم بالملوك . فتوح البلدان ، ص١٦٥ س٣؛ الأغانى ، ٤ ص ١٧٨ س ١٠ ؛ Ency. de l'Isl, t4 p. 1053

(١٠) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٧٦ س ١٣ .

(١١) أنظر . Ency. de l'Isl, t 4, p. 1052

للحكم الأموى ، فإنه من الثابت أن معاوية وإن طلب الملك إلا أنه كان يحرص على أن يبقى شيخ العرب أكثر من ملكهم ، وأن الصفة العامة للدولة بقيت دينية بحكم أن دستورها الإسلام ؛ الذى هو دين ودولة .

إلا أنه من المسلم به أن معاوية استحدث للخلافة أموراً لم تكن لها من قبل: فبنى لنفسه قصراً سماه الخضراء[1]، واتخذ فيه السرير للجلوس[2] ـ وهو المكان المرتفع ـ ووضع حوله الستار ، وأحاط نفسه بالحجاب[3]، وجعل الحراس تمشى بالحراب بين يديه[4]، وأوجد الشرطة[5] لحراسته. وكان إذا صلى فى المسجد جلس فى بيت منفرد بجدران عُرف : « بالمقصورة[6] » بقصد

(١) المسعودى ، التنبيه والإشراف ، تحقيق de Goejo ‹ (B. G. A.) طبعة Lugd. Bat ، ١٨٩٤ ، ص ٣٠٢. بناه فى دمشق .

(٢) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٧٦ . عنه ، انظر . ابن خلدون ، المقدمة ، مصر ١٣٢٢ هـ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٣) يعنى هذا اللقب فى الدولة الأموية من كان يحجب الخليفة عن العامة ، ويغلق بابه دونهم (المقدمة ص ١٩٠) ، ويضيف اليعقوبى أيضاً لفظة « البوابين » ، ولعلهم الحجاب . أنظر . تاريخ ، ٢ ص ٢٧١ .

(٤) يقصد بهم حرس الليل . الكامل ، ٣ ص ١٩٨ .

(٥) اليعقوبى، تاريخ، ٢ ص٢٧٤. الشرطة غير الحرس، أوجدها معاوية بقصد قيامها حوله إذا سجد(الكامل،٣ ص ١٩٨ س ٥)،ولعل عثمان هو الذى أوجدها (ابن سعد٤/١ ص٢٩ س ٢٧) ، وسيتسع نطاق عملها ، فتكون أداة القضاة لتنفيذ الأحكام (الكامل ، ٣ ص ٢٧٢) . ومع ذلك فيقول ابن خلدون إن أصل وضعها كان فى الدولة العباسية . المقدمة ص ١٩٨ ؛ وأيضاً : Ency. de l'Isl, (Art Shurta), t4, p. 408

(٦) جمعها « مقصورات » من « قصر » ، أى قصرت على الإمام دون الناس (لسان،٦ ص ٤١١) . وقد أختلف فى أول من عملها: لعله عثمان (المقريزى ، الخطط ،القاهرة ١٣٢٦هـ، ٤ ص٧ س ٥) أو معاوية (نفسه ، ٤ ص ١٢ س ١٣) ، أو حتى مروان بن الحكم (فتوح البلدان ، ص ١٦ ـ ١٧) ؛ وأنه يبدو أن الأمويين هم ـ على كل حال ـ أول من عملوها فى الإسلام . عن المقصورة ، انظر . ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١٢ و٢١٣ ؛
Early muslim Architecture 1, Umayyads. : Creswell
La Mosquée omeyyade de Médine,: Sauvaget:Oxford, 1932, p.33
Ency. de l'Isl, (art Masdjid), t3, p. 305 - 385 : Paris, 1947, p. 150.

حمايته أثناء الصلاة[1]، أو بمثابة مكان خاص للمشاورة[2]. وكانت هذه الأمور غير معروفة من العرب، ولكنها – على حسب ملاحظة ابن خلدون[3] – تعتبر من سنن الملوك قبل الإسلام في دول العجم؛ لتمييز السلطان عن الناس.

ولم يبق معاوية في الحجاز مثل الخلفاء الراشدين، بل أقام في «الشام[4]»، واتخذ «دمشق[5]» عاصمة لخلافته. فقد كانت الشام منذ فتحها في عهد عمر تعتبر في نظر العرب: الجنة[6] لغناها، وسرة الدنيا[7] لموقعها الممتاز، ومقدسة لوجود الصخرة[8]، التي هي معراج النبي إلى السماء، ومباركة لورود الرسل والأنبياء[9] إليها، حتى ظن الناس أن عمر حينما جاء الشام جاءها ليقيم بها[10]، وذاعت بين العرب أحاديث نبوية[11]، توصي بسكنى الشام وأهله. كذلك كان إختيار دمشق عاصمة للخلافة الأموية يتوافق مع العقلية العربية في سكنى

---

(١) الفخرى، ص ١٤٨.

(٢) الأغانى، ١٧ ص ١١٦ س ٦؛ انظر. Lammens: Mo'al èr, p. 203.

(٣) المقدمة، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٤) وتسمى أيضاً «سورية». أنظر. ياقوت، معجم البلدان، ٥، ص ١٧١. أو حتى «الشآم» نفسه، ٥، ص ٢١٧ وما بعدها.

(٥) وتسمى أيضاً: «دمشق الشام». نفسه، ٤ ص ٧٢؛ انظر. Ency. de l'Isl, (art Damas), t1, p. 926 sqq,

(٦) معجم البلدان، ٥، ص ١٧١ س ١٢.

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥١، ١ ص ١٧٨ وما بعدها.

(٨) الواقدى، فتوح الشام، تحقيق W. N. Lees، طبعة Calcutta، ١٨٥٤، ٢ ص ٢٧١؛ المعارف، ص ٧٥ س ١٥؛ انظر. التاريخ السياسى، ١ ص ١٠٢.

(٩) ابن عساكر، ١ ص ٩ – ١٣، ١٢٩ وما بعدها؛ معجم البلدان، ٤ ص ٧٢.

(١٠) الواقدى، فتوح الشام، ٢ ص ٣٧١.

(١١) ابن عساكر ٦١ وما بعدها؛ ياقوت، معجم البلدان، ٥ ص ٢١٩ وما بعدها.

المدن : فهذه المدينة القديمة[١]، التي كانت عاصمة الغساسنة[٢]، ومتجراً[٣] لقوافل الصيف التي تأتيها من الحجاز بقيادة سادة قريش من بني أمية قبل الإسلام، ثم معسكراً عند الفتح[٤]، كانت كمدن الأمصار لا تكون على الساحل حتى تهاجمها المراكب، وإنما في الداخل[٥]. فهي تقع على حافة بادية البلقاء[٦]، في واحة الغوطة[٧] الخصيبة، يغذيها نهر بردى[٨] المعروف، وتحيط بها من جميع جهاتها سلسلة جبال شاهقة، مثل جبل قاسيون[٩]. وهكذا تنازلت الحجاز والمدينة للشام ودمشق عن كل نفوذ سياسي حصلا عليه منذ ظهور الإسلام؛ كما أصبح تغيير العاصمة منذ ذلك الوقت، يعني في تاريخ المسلمين سقوط أسرة حاكمة وقيام أخرى.

بيد أن معاوية أبقى على نظام حكم الدولة الإسلامية الذي وضعه عمر[١٠]، دون تغيير: فأبقى في دواوين الشام الكتّاب النصارى من أهل البلاد لكثرتهم[١١]؛

---

(١) وجدت حتى قبل غزو الإسكندر. ابن عساكر، ص ٩ — ١٣.

(٢) كانت جلق - إحدى عواصمهم - هي دمشق. ياقوت، معجم، ٣ ص ١٣٦؛ انظر. Ency. de l'Isl. (art Djillik) tl, p. 1074 ؛ التاريخ السياسي، ١ ص ٨٩.

(٣) ياقوت، معجم، ٥ ص ٢١٨ س ٢١؛ انظر. العدوي، الأمويون والبيزنطيون، القاهرة ١٩٥٣، ص ١٢٥؛ التاريخ السياسي، الجزء الأول.

(٤) كانت الجابية معسكراً (الواقدي، فتوح الشام، ٢ ص ٢٧١)؛ وهي قرية من قرى دمشق. أنظر. ياقوت، معجم ٣ ص ٣٣.

(٥) أنظر. Sauvaget : Esquisse d'une Histoire de la ville de Damas. Paris, 1935. (Ext. R. E. I), p. 423.

(٦) عنها، انظر. ياقوت، معجم، ٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٧) نفسه، ٤ ص ٧٤، ٦ ص ٣١٤.

(٨) نفسه، ٢ ص ١١٨ — ١١٩.

(٩) نفسه، ٤ ص ٧٤.

(١٠) أنظر ما أوردناه في كتابنا التاريخ السياسي، ١ ص ٢٣٢ ومابعدها.

(١١) اليعقوبي، تاريخ، ٢ ص ٢٧٦. كتب سرجون بن منصور النصراني في أيام معاوية. الخطط، ١ ص ١٥٩.

يكتبون باليونانية أو السريانية[1]، وترك العملة السائدة من قبل عليها الصليب.[2]
ولكي يشرف على إدارة الدولة إشرافاً دقيقاً؛ أوجد « ديوان الخاتم[3] » ، وقد استمر فى عهد بنى العباس ، وكان عمله أنه يقوم بإنفاذ كتب الخليفة والختم عليها بعلامته ، وإثبات نسخها فيه. كذلك يُنسب إلى معاوية إبتكار نظام البريد[4]؛ لتسرع إليه أخبار البلاد من جميع أطرافها ومتجددات الأحوال ؛ فوضع الخيل المضمرات فى عدة أماكن ، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها ، وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً ، وكذلك يفعل فى المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة ، وفى بعض الأحيان إذا لم تتوافر الدواب ، كانت تؤخذ بالسخرة[5] . وقد أعطى عبد الملك لهذا النظام طابعه النهائى ؛ واستخدم الحمام الزاجل ، الذى عُرف للعرب بجناح المسلمين[6].

---

(١) يقول المقريزى : كان ديوان الشام يكتب بالرومية ، ولم ينقل العربية إلا فى عهد عبد الملك أو هشام بن عبد الملك . الخطط ، ١ ص١٥٨ — ١٥٩ ؛ انظر . بعده .

(٢) أنظر . بعده .

(٣) الفخرى ، ص ١٤٩ . عن هذا الديوان ، انظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٨ — ٢١٠ . قد يكون أصل هذا الديوان عربياً ، إذ أن لجميع الخلفاء منذ النبى خاتم، وهو الآلة التى تجعل فى الأصبع ؛ وإن كان لفظ ديوان أصبح يطلق على الكتب والكتاب ومكان جلوسهم .

(٤) الفخرى ، ص ١٤٨ ؛ صبح الأعشى (دار الكتب) ١٤ ص ٣٦٨ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Barîd) tI, p. 675.
هذا النظام أصله غامض ؛ كما أن كلمة بريد غامضة ، فلعلها من العربية « برد » ، أى ثبت بما تستقر عليه الأخبار ، أو من الفارسية « بريده دم » ، لأن أهل فارس كانت تستعمل البغال وتقص أذنابها (صبح ، ١٤ ص ٣٦٧) ، أو حتى من اللاتينية « Veredus » ، أى خيل .
أنظر .Ency. tI, p. 675 عن هذا النظام وتطوره ، انظر .
La Poste aux Chevaux. Paris, 1941. : Sauvaget

(٥) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧٦ س ١٠ .

(٦) صبح ، ١٤ ص ٣٧٠ .

ولكي يوطد معاوية دعائم خلافته؛ اصطنع في الأمصار عدة رجال دهاة مثله، حيث كانت تنتظرهم مهمة شاقة هي السيطرة على عرب الأمصار، الذين شاركوا في قتل عثمان وأيدوا عليًّا. ونلاحظ أن إختياره الموفق لأتباعه دليل على عبقريته، وفهمه لعقلية الرجال: فقد كان يبحث عنهم حتى بين من كانوا من أنصار عليّ وأشد مؤيديه. وقد جعلهم أشبه بملوك لهم المقصورة والحرس[1]؛ وأوجد في أيديهم سلطة رهيبة هي الشرطة[2]، التي كانت تنفذ أوامرهم، وتقوم على حمايتهم. لذلك تفانوا في الإخلاص له، وملأوا المحابس[3] بأعداء البيت الأموي، وأجبروا رعاياهم على لعن عليّ وسبه، في الخطب من على منابر المساجد في الأمصار[4].

وفوق ذلك اعتمد معاوية على أسرته العريقة، ووجد في تأييدها ما يوطد حكمه، ففتح لأقربائه وخاصته خزائن المال، ومنحهم الجوائز السنية والصلات السخية[5]؛ كما استعملهم في الأعمال؛ ولكنه لم يقع فيما وقع فيه عثمان، فرفض أن يكون حبيس أقربائه، أو الخليفة المستضعف[6].

فولى الكوفة[7] ـ مركز القاعدة الشيعية بالعراق، وعاصمة عليّ السابقة ـ

---

(١) الكامل، ٣ ص ٢٢٢، ٢٤٢.

(٢) نفسه، ٣ ص ٢١٢.

(٣) نفسه، ٣ ص ٢٦٣ س ٢١.

(٤) نفسه، ٣ ص ٢٠٧، ٢٣٤؛ الأغاني ١٦ س ٧ ص ١.

(٥) الفخري، ص ١٤٥ وما بعدها؛ انظر Lammens: Mo'â, p. 25.

(٦) هذا قول الخليفة عبد الملك عن عثمان. أنظر العقد، ٢ ص ٢١٧.

(٧) عنها، انظر. معجم البلدان، ٧ ص ٢٩٥ وما بعدها.

المغيرة بن شعبة[١] : وهو صحابى [٢] من قبيلة ثقيف ، اشتهر بجرأته فى الفتوح الفارسية والشامية، حتى أنه ذهبت عينه يوم اليرموك [٣] ؛ كما تولى عمل البصرة والكوفة عدة مرات [٤]، وكان عبده أبو لؤلؤة المجوسى هو الذى قتل الخليفة عمر ابن الخطاب [٥] . وعلى الرغم من أن المغيرة كان قد اعتزل الفتنة ؛ فإن معاوية عرف كيف يضمه إلى جانبه ؛ وخصوصاً أن المغيرة كان موصوفا بالدهاء ، فهو الذى كان قد نصح عليًا بأن يكتب لمعاوية بتولية الشام ، وأخذ البيعة له ، بدلاً من عزله ؛ إذا أراد أن يتفادى حربه [٦] . وقد بدأت خدمة المغيرة لمعاوية حينما أرسله إلى الحسن فى العراق ليسترضيه ، فنجح فى مهمته ، وقبل الحسن الموادعة ، وتنازل عن الخلافة لمعاوية [٧] . ولما تولى المغيرة عمل الكوفة سنة ٤٢ / ٦٦٢ ، حفظه على الرغم من وجود كثير من الشيعة والخوارج به [٨] ،فلم يفتش بين أهل الأهواء عن أهوائهم ، ماداموا لم ينتقلوا من الكلام إلى الأفعال[٩] ؛ كما استخدم فى سبيل ذلك كل الوسائل حتى غير المشروعة منها مثل بذل المال ، إذ أعتبر أول من رشا فى الإسلام [١٠] .

وأقام فى البصرة [١١] ـ وهى المصر الآخر بالعراق ومركز مقاومة الخوارج

---

(١) عن سيرته : أسد الغابة ، ٤ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ؛ المعارف ، ص ١٥٠ ؛ الأغانى ، ١٤ ص ١٤٠ وما بعدها ؛ الذهبى ، أعلام النبلاء ، ٣ ص ٥ وما بعدها ؛ انظر .
Lammens: Etudes sur le Siècle des Omeyyades. Beyrouth, 1930, : p. 27 sqq Ency. de l'Isl, (art al-Mughîra b. Shu'ba) t3, p. 683 ;

(٢) يذكر الذهبى أنه كان سياف النبى . أنظر . دول الإسلام ، ١ ص ٢٤ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٢٢٨ س٢٢ — ٢٣ .

(٤) عزل فى عهد عمر لأنه شهد عليه بالزنا . الأغانى ، ١٤ ص ١٤٢ — ١٤٥ ؛ أسد الغابة ، ٤ ص ٤٠٧ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ٢٦ س ٣ .

(٦) الأغانى ، ١٤ ص ١٤٣ و ١٤٤ .

(٧) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٥ .

(٨) الكامل ، ٣ ص ٢١٢ وما بعدها .

(٩) الطبرى ، ٢ ص ١٩ — ٢٠ .

(١٠) المعارف ، ص ٢٧٦ ؛ أسد الغابة ، ٤ ص ٤٠٧ .

(١١) عنها ، انظر ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٩٢ وما بعدها .

على الخصوص ـ عاملاً من قبيلة ثقيف أيضاً اسمه زياد [١] سنة ٤٥/ ٦٦٥، كان عليّ والحسن قد استعملاه على فارس . ويبدو أن معاوية كان يعرف قدر زياد، وأراد أن يتقوى به لاشتهاره بالرأى والدهاء [٢]، وأنه من الخطباء الفصحاء [٣]؛ فلعله استماله عن طريق المغيرة بن شعبة [٤]، الذى كان استكتبه فى البصرة من قبل. ولكى يحمله يترك العلويين وينضم إليه استلحقه بنسبه [٥]، لما قدم عليه بالشام سنة ٤٢ / ٦٦٢ ؛ فجعله أخاً له من ولد أبى سفيان ، مع أن زياداً لم يكن يُعرف له أب ، ويدعونه بزياد بن أبيه، أو بزياد بن سمية ، باسم أمه سمية [٦]، إحدى عاملات البغايا بالطائف ؛ كما أنه لم يطالبه بمال فارس أثناء ولايته لعليّ والحسن . ولما مات المغيرة بالطاعون فى سنة [٧] ٥٠ / ٦٧٠ ، أضاف معاوية لزياد ولاية الكوفة ، وبقى أميراً على العراق كله حتى وفاته سنة ٥٣ / ٦٧٢ ، ومايتبعه من إقليمى خُراسان وسِجِسْتان، وجمع له الهند والبحرين وعُمان [٨] ، وكاد أن يوليه أيضاً على الحجاز [٩] . ويتبيَّن حزم زيادة فى حكمه بالعراق من خطبته المعروفة : « بالبتراء [١٠]»، التى ألقاها فى البصرة أول ولايته ، أعلن فيها أنه يأخذ

(١) المعارف ، ص ١٤٧ ، ١٧٦ ؛ أسد الغابة، ٢ ص ٢١٥ — ٢١٦ ؛ العقد، ٣ ص ٢ — ٦ ؛ الفخرى، ص ١٥٢ وما بعدها؛ ابن خلدون، العبر، القاهرة ١٢٨٤ هـ ، ٣ ص ٧ وما بعدها ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ١ ص ١٨٤ — ١٨٥ ؛ انظر . Lammens: Etudes, p. 41 sqq.: Ency. de l'Isl, (art Ziyâd b. Abîbi) t4, p. 1302- 3. ؛ طه حسين ، على وبنوه ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٢٢٢ — ٢٣٢ .

([illegible]) الـ[illegible]ى ، ص ١٥٢ س ٤ .

([illegible]) أسد الغابة ، ٢ ص ٢١٥ .

(٤ [illegible]) ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٩ .

(٥) وهو كره العلويين كرهاً شديداً . أنظر . الأغانى ، ١٦ ص ٣ .

(٦) وهى جارية من ثقيف تعرف باسم بنت الأعور أو سمية أو مرجانة . النوبختى ، ص ٢٥. كذلك كان يسمى زياد بن عبيد الثقفى، الذى كان مملوكاً لرجل من ثقيف ، وتزوج سمية . أسد الغابة ، ٢ ص ٢١٥ .

(٧) تاريخ وفاته غير دقيق ، فلعله أيضاً سنة ٤٩ و ٥١ هـ . الكامل ، ٢ ص ٢٢٨ .

(٨) نفسه ، ٣ ص ٢٢٢ ص ١١ — ١٢ .

(٩) نفسه ، ٣ ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(١٠) نفسه ، ٣ ص ٢٢٢ — ٢٢٣؛ العقد ، ص ١٨٢ — ١٨٤ .

بالظنة ، ويعاقب بالشبهة ، مما جعل الناس تخافه خوفا شديداً [١] . وبذلك أكد زياد المُلك لمعاوية، وضبط ماتولاه [٢] ، وقضى على حركات الشيعة والخوارج فى المصرين ، فكان يقيم بالبصرة ستة أشهر ، وبالكوفة مثل ذلك [٣].

وولى معاوية مصر وما فى غربها عمرو بن العاص ؛ بناء على كتاب بينهما أن تكون له ما عاش [٤] ؛ بسبب أنه دبّر له التحكيم ، واسترد مصر . وقد كان معاوية يخاف عمراً لدهائه ، بل لعلهما كانا يتباغضان سراً [٥] ، وخصوصاً أن عمراً كان يرى أن ولاية مصر تعدل الخلافة ؛ فلما صارت هذه فى يد معاوية استكثر تولية مصر لعمرو ما عاش ؛ فأعيد كتابة الكتاب الذى بينهما ؛ على أن يتولاها عمرو سبع سنين فقط [٦] . ولكن عمراً لم يحكم مصر أكثر من سنتين ، وتوفى عام ٤٣ / ٦٦٣ ؛ فولاها معاوية لعبد الله بن عمرو [٧] ، ثم عزله وولاها أخاه عتبة بن أبى سفيان، فلما توفى ولاها لغيره من المخلصين له [٨].

---

(١) أبو الفدا ، المختصر ، ١ ص ١٨٥ .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٢٤ .

(٣) الأغانى ، ١٦ ص ٣ س ٢ ؛ الأخبار الطوال ، ص ٢٢٥ .

(٤) ابن سعد ٤/٢ ص ٢ — ٣ ؛ الأخبار الطوال ، ص ١٦٠ ؛ اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٣٦٣ . عن سيرته ، انظر . المعارف ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ؛ ابن سعد ٤/٢ ص ٢ وما بعدها ؛ أسد الغابة ، ٤ ص ١١٥ وما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl. (art'Amr B. al-'As) tI. p. 338-9. ؛
التاريخ السياسى ، الجزء الأول .

(٥) الفخرى ، ص ١٤٧ س ٥ .

(٦) ابن سعد ، ٤/٢ ص ٦ س ٤ .

(٧) المعارف ، ص ١٧٦ . كان عبد الله يكتب عن النبى ، وشهد مع أبيه فتح الشام ، كما شهد صفين وقاتل أنصار على ، وتوفى زمن معاوية أو بعده (عن سيرته . أسد الغابة ، ٣ ص ٢٣٣ — ٢٣٥) ؛ أما عتبة فقد شهد الجمل مع عائشة وذهبت عينه يومئذ ، كما شهد صفين مع أخيه ، وحضر التحكيم وكان له فيه أثر كبير . عن سيرته ، انظر . أسد الغابة ، ٣ ص ٣٦٠ — ٣٦١ .

(٨) فتلاً وليها معاوية بن خديج ، الذى قتل محمد بن أبى بكر واليها من قبل على (الكامل ، ٣ ص ٢٢٦) ؛ كما وليها بعد ذلك مسلمة بن مخلد (نفسه ، ٣ ص ٢٣٠) ؛ عنهما ، انظر بعده .

وجعل ولاية الحجاز — وهى التى كانت تقيم فيها عصبة بنى هاشم — لأفراد بيته من بنى أمية ؛ ليكون بنو هاشم تحت مراقبتهم. ولما كان معاوية لايريد أن يكون مثل عثمان حبيس أقاربه ، فإنه استعمل بنى عمه على التوالى[1]: مروان بن الحكم سنة ، وسعيد بن العاص سنة ؛ فكان يولى أحدهما إذا عزل الآخر ؛ كما استعمل على اليمن أحد أبناء الفرس الذين أسلموا[2] ، مثلما كان الحال فى عهد النبى . ومن المحقق أن سكان جزيرة العرب لم يكونوا وقتذاك — بعد إنتقال الخلافة إلى الشام — يهتمون بأمور السياسة ، بقدر اهتمامهم بدراسة الحديث[3] ، والتنعم بسماع قصائد الشعر[4] ؛ وبخاصة سماع الغناء ، حتى أعتبر أصل الغناء فى أمهات القرى من بلاد العرب[5] ؛ فمثلاً فى عهد ولاة معاوية على المدينة كانت تعقد مجالس للغناء يحضرها الأمير[6] .

ولما وطد معاوية دعائم ملكه اتجه بالعرب شطر الفتوح ، التى كانت قد توقفت بسبب الفتنة . ومن المؤكد أن معاوية[7] كان مثل عثمان يرى

---

(١) الكامل ، ٣ ص ٢٤٦ ؛ انظر . Mo'â, p.32 : Lammens . عن مروان، انظر بعده . أما سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، فهو أحد الذين كتبوا لعثمان ، واستعمله على الكوفة ، واعتزل الفتنة إلى أن ولاه معاوية ، وتوفى سنة ٥٩هـ/٦٧٨ . ابن سعد ، ٥ ص ١٩ — ٢٤ ؛ أسد الغابة ، ٢ ص ٣٠٩ — ٣١١ ؛ انظر .
Ency, de l'Isl, (art Sa'îd. B. al -'As) t4, p. 68.

(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٤٦ . هم الطبقة الأرستقراطية من الفرس المسلمين. البلاذرى ، فتوح ، ص ١٠٥ ؛ انظر . التاريخ السياسى ، ١ ص ١٥٥ .

(٣) الخطيب البغدادى ، تقييد العلم ، صوره وحققه وعلق عليه يوسف العش ، دمشق ١٩٤٩ ، ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٨٤ .

(٤) العقد ، ٣ ص ١٣٠ ؛ انظر . Mo'â, p. 373. : Lammens;
The Arab Civilization, transl, from the German by Khuda. Hell Bakhsh, Lahore, 1943, p. 85.

(٥) المقصود بها المدينة والطائف وخيبر ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة . العقد ، ٣ ص ٢٤١ ص ٢٣ — ٢٤ ؛ انظر . Mo'â, p. 373. : Lammens.

(٦) العقد ، ٣ ص ٢١١ .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٧٥ س ٨ ؛ انظر . التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٤٦ .

باستئناف الفتوح إلى شغل العرب عنه ؛ فأبقى على لقب : « أمير المؤمنين » ،[1] الذى كان عمر قد أوجده بمناسبة حركة الفتوح ؛ ليعبّر — دون أى لقب آخر — عن لقب الخلافة فى زمنه. ومن ناحية أخرى كان العرب أنفسهم تواقين إلى إنتهاء الفتنة ليعودوا إلى الجهاد ، الذى كان يعنى وقتذاك الدفاع عن الإسلام ، ومحاربة أعدائه ؛ كما يظهر من كلامهم[2] .

فنجد العرب فى عهد معاوية تقصد غزو بلاد آسية الصغرى الواسعة ، أو ما يُعرف للعرب: « بالرُوم[3] ». وهذه التسمية « بالروم »، تعنى جيلاً من الناس، أو أنها كلمة فارسية أو تركية ، وإن قصد العرب بها الدولة الكبرى الأخرى ، التى كانت تسيطر قبل الإسلام مع العجم[4] ؛ وقد ذكرها القرآن[5] . ومهما يكن ؛ فإن الروم كانت هى وارثة الرومان فى الشرق بعد أن قضى على دولتهم المتبربرون[6] فى أوربا. وقد كانت تُعرف للعرب أيضاً باسم : « بوزنطيا »[7]، نسبة إلى بوزنطية « Byzantium »[8] ، وهى البلد اليونانية القديمة التى اتخذها

---

(١) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٧ س ١٢ — ١٣ ؛ صبح الأعشى ، ٧ ص ٣٨٩ .

(٢) ابن سعد ، ٥ ص ٦٨ س ١٠ — ١١ .

(٣) ياقوت ، معجم، ٤ ص ٣٢٦ وما بعدها ؛ انظر. Le Strange: The Lands, of the Eastern Caliphate. Cambridge, 1930, p. 128. Ency. de l'Isl, (art Rûm) t3, p. 1255. ؛

(٤) المسعودى ، مروج الذهب (Prairies d'or) ، ٢ ص ٢٢٠ س ٥ .

(٥) القرآن ، ٣٠ : ١ ،

(٦) هى عناصر متعددة من الهون والقوط والوندال . أنظر . بعده .

(٧) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، تحقيق Reinaud و de Slane ، طبعة Paris ، ١٨٤٠ ، ص ٢١٢ . أو بيزنطية (اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٢٢) ، أو بزنطية . ياقوت ، معجم ، ٧ ص ٨٦ .

(٨) أنظر Procopius. Hist. of the wars, trnsl. Dewing, London, 1954, 2 : 14;8 (vol.I, p. 282-283) . أنشئت هذه المدينة فى ٦٥٧ ق . م ، قرب البوسفور . أنظر . Runciman "Runc" : La Civilisation byzantine 330—1448, trad. Lévy. Paris, 1952, p. 9—14 ؛ انظر . التاريخ السياسى ، ١ ص ١٦١ .

الأمبراطور قسطنطين الأكبر « Constantinus » ، عاصمة له فى سنة ٣٣٠م ، عند تأسيسه لهذه الدولة فى الشرق ، ولو أنه غلب على هذه المدينة اسمه : القُسْطَنْطِينِيَّة[١] « Constantinople » .

ولم تسكن الروم دولة رومانية إلا اسماً : « Romaioi[٢] » ، ذلك لأن آسية الصغرى منذ زمن بعيد كانت مجالاً لسكنى أجيال اليونان ، الذين ظهرت لهم مستعمرات عديدة أقدمها يرجع إلى عصر هومر . وقد زادت هجرة اليونان إليها تحت ضغط المتبربرين فى أوربا بحيث أصبحوا قبل الإسلام يكونون أغلبية سكانها[٣] ، فيتكلمون اليونانية[٤] الدارجة وليست اللاتينية ، وهم الذين عرفوا للعرب « بالروم » أو حتى « ببنى الأصفر[٥] » ، لكثرة الشقر فيهم . وكذلك وجدينهم خليط من : الحيثيين والميتانيين والإيرانيين والأرمن ، أو من عناصر جبلية لعلها من أصل سامى ، كانت تسكن المنطقة الجبلية الفاصلة لحدود الروم الشرقية ، وتمتد حتى البحر الأسود[٦] ، وتُعرف لسكان الشام باسم : الجراجمة[٧] .

---

(١) ياقوت ، معجم ، ٧ ص ٨٦ — ٨٧ ؛ انظر .
انظر . بعده ؛ Ency.de l'Isl, (art Constantinople) tl, p. 888 .
(٢) أنظر . Runc, p. 29 sqq.
(٣) أنظر . Ibid, p. 246
(٤) كانت لغة الدولة الرسمية اللاتينية إلى عهد جستنيان « Justsinianus » (٥٢٧هـ-٥٦٥م)
أنظر Le Monde Musulman et Byzantin, : Demombynes et Platanov.
Paris, 1931, p. 454-5.

(٥) ياقوت ، معجم ، ٤ ص ٣٢٧ (آخر الصفحة) .
(٦) أنظر . Rune, p. 160
(٧) أنظر . Chronique, Trad franc. par, : Michel le Syrien
فتوح البلدان ، ص ١٥٩ ؛ Chabot. Paris, 1899-1910, 2 fasc, p. 455 ؛
سعيد بن بطريق ، التاريخ المجموع ، ٢ ص ١٧س ١١ وما بعدها ؛ انظر . Ency.del'Isl,
Chronographia, : Theophanes وأيضاً ؛ (art Mardaites) t3, p. 288-289.
ed.de Boor, p. 397.

أو الجرامقة، نسبة إلى بلد تسمى اُلجُرْجُومة [1] « Germaniko-polis » ، قرب أنطاكية ، أو حتى باسم المردة [2] « Mardaïtes » ؛ أى العصاة .

وقد تحولت هذه الدولة منذ نشأتها فى الشرق إلى المسيحية وتعصبت لها ؛ حتى أن أهلها كانوا يكرهون أن يتسموا بالإغريق [3] — مع أنهم يونان — لأن هذا اللفظ مرادف لوثنى . ولكن الدين المسيحى كان سبباً فى اضطراب شؤونها ؛ فمنذ قيامها لم تهدأ فى البحث عن مخرج له فى المجامع الدينية التى كانت تعقدها ، مثل : مجمع نيقية « Nicaea » [4] فى ٣٢٥ م ، وأفسس [5] « Ephesus » فى ٤٣١ م ، وخلقيدونية [6] « Chalecdon » فى ٤٥١ م . وفى زمن هرقل « Heraclius » (٦١٠ — ٦٤١ م) — الذى عاصر ظهور الإسلام — ظهرت محاولة فاشلة لم تنجح إلا فى خلق هرطقة مهدت لانفصال كنيسة روما [7] ، التى بدأت تشعر بقوتها نتيجة لتحول المتبربرين فى أوروبا إلى المسيحية . وفى عهد خلفه قنسطانز الثانى « Konstans II » (٦٤١ — ٦٦٨ م) ، وُجد مجمع لعن [8] فيه اصحاب الطبيعة الواحدة للمسيح ؛ ذلك

(١) عن هذه البلدة : فتوح البلدان ، ص ١٥٩ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ٨٠ — ٨١ .

(٢) لعلها كلمة آرامية (أنظر . Michel. 2, Fasc 3, p. 455; N (4) ، أو حتى عربية . أنظر . Lammens : Mo'â ler, p. 16. ؛ العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٠٩ .

(٣) بتلر ، فتح العرب لمصر ، عربه محمد فريد أبو حديد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١٠٥ هامش (١) .

(٤) المسعودى ، مروج ، ٢ ص ٣١٣ — ٣١٤ ؛ ساويرس بن المقفع ، تاريخ المجامع (Pat. Or) ، حققه وترجمه Leroy ، ٦/٢ ص ٤٨٥ وما بعدها ؛ تاريخ النسطوريين (Pat. Or) ، نشره وترجمه إلى الفرنسية Scher ، ٤/١ ص ٢٧٦ [٦٦] ؛ سعيد ابن بطريق ، ١ ص ١٤٥ س ١٩ ، ١٤٦ .

(٥) ساويرس ، تاريخ المجامع ، ٦/٢ ص ٥١٢ [٤٨] ؛ سعيد بن بطريق ، ١ ص ١٥٥ س ٢٠ ، ١٥٧ س ٣ .

(٦) سعيد بن بطريق ، ١ ص ١٥٦ س ٧ .

(٧) نفسه ، ٢ ص ٢٨ — ٣٠ . أنظر رسالة بطريرك روما إلى هرقل .

(٨) نفسه ، ٢ ص ٣٥ س ١٠ .

لأن اعتقاد بيزنطة كان فى الطبيعتين الإلهية والبشرية [١]، أو ما عُرف لمؤرخى العرب بالمذهب الملكانى [٢]، نسبة إلى الملك أو الأمبراطور البيزنطى. وستتأثر عقيدة الدولة البيزنطية نفسها بدعوة الإسلام فى منع عبادة الصور، وهو ما عرف بالأيقونات [٣]. فكانت هذه المحاولات الدينية المتعددة تجر إلى الثورات والفتن والخراب، وقتل المخالفين للعقيدة أو هروبهم، وكان جنود الدولة يثورون على قوادهم، إذا كانوا على عقيدة مخالفة [٤].

ونحن نعرف أن العرب فى أيام الخلفاء الأوائل استولوا على أجزاء كثيرة من أملاك الروم فى البحر الأبيض [٥]، وأرجعوهم إلى بلادهم فى آسية الصغرى. ولعل الروم لم يستغلوا انشغال العرب بفتنة عثمان؛ بسبب الضربات القاضية التى كانوا قد تلقوها منهم، وبسبب أن حدود بلادهم الغربية كانت تحت ضغط هجرات العناصر السلافية من الصرب والكروات[٦]. ولكنهم خلال هذه الفتنة استولوا على بعض الأجزاء المجاورة لهم من أرمينية [٧]، وهو الصقع الكبير، الذى كان قد فتح فى عهد عثمان. وقد سعى العرب من جانبهم إلى استمالة

---

(١) نفسه، ١ ص ١٨٢ س ١٨؛ أنظر . قبله التاريخ السياسى، ١ ص ٢١٤.

(٢) نفسه، ١ ص ١٤٦؛ أنظر . بتلر . فتح العرب لمصر، ص ٣٤ هامش (٢). لعل هذه الكلمة أيضاً نسبة إلى شخص ظهر ببلاد الروم . الشهر ستانى، الملل والنحل، تحقيق Cureton، طبعة London، ١٨٤٦، ١ ص ١٧٣.

(٣) أنظر Gaud et Plat: Op. Cit., p.455.

(٤) Sêbêos: Histoire d'Héraclius. Trad. de l'arménien, et annotée par Macler. Paris, 1904., p. 130.

(٥) أنظر . قبله التاريخ السياسى .

(٦) أنظر عن هذه الشعوب وتنقلاتها O'hsson: Des Peuples du Caucase, Paris, 1828, p. 223 sqq; n 31 Runc, p. 40; 45; 296

(٧) أنظر . Sébêos,p.134;138 . عن أرمينية، انظر . معجم البلدان، ١ ص ٢٠٣ وما بعدها؛ فتوح البلدان، ص ١٩٧.

بعض العناصر المخلصة لهم ، وأرسلوا بعض الأمراء من الأرمن الأسرى فى دمشق ؛ ليحكموها لهم (١) . ولا ريب أن الفتنة جعلت أهل أرمينية أنفسهم يستقلون بأجزاء كثيرة منها ؛ وخصوصاً أن أغلب مناطقها كان يعتمد فى خضوعه للعرب على معاهدات الأمان (٢) ، أكثر من الاحتلال الفعلى . وفوق ذلك كان الروم يثيرون ضد العرب عناصر الجراجمة الجبلية الساكنة على حدود الشام (٣) ؛ مع أن العرب كانوا قد صالحوهم حينما فتحوا الشام فى عهد عمر ابن الخطاب ، على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ضد الروم ؛ على شريطة ألا يطلب منهم الجزية (٤) ، فكان نتيجة هذا التحريض أن قام الجراجمة بالسلب والنهب فى أراضى شمال الشام .

ومن المحقق أن معاوية أحس بنوايا الروم ؛ وإن كان قد اضطر أثناء الفتنة إلى عقد هدنة مع الأمبراطور قنسطانز الثانى قبل اشتباكه مع علىّ سنة ٣٦/٦٥٧ ؛ حتى لاينتهز الروم الفرصة فيهجمون على الشام التى كان أميراً عليها منذ عمر ؛ فرد أسراهم وسألهم الموادعة (٥) . وكذلك عقد صلحاً فى أول خلافته يُعتبر امتداداً للصلح الأول فى سنة ٤٢ (٦) / ٦٦٢ ؛ كما صالح الجراجمة ودفع لهم أتاوة (٧) ؛ ليتفرغ إلى المشكلات العاجلة التى نشأت من

---

(١) أنظر. Denys de Tell Mahré : Chroni que, publiée et traduite, par Chabot. Bibl, de l'école des Htes. Ets, 112, 4ème partie. Parie, 1895 p.XXXVII (الجدول الخاص بحكام أرمينية) ؛ انظر. Laurent: L'Arménie entre Byzance et les Arabes. Paris, 1919, p.90;92 ؛ Cheira: La lutte entre Byzance et les Arabes, Alex,1947,p.114.191

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ، ٢٠٤ ؛ انظر . حميدالله ، مجموعة الوثائق السياسة ، ص ٢٥٨ — ٢٦١ ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٤٩ .

(٤) فتوح البلدان ، ص ١٥٩ .

(٥) نفسه ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ؛ Sébêos, p. 139 ؛ الأخبار الطوال ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ؛ المسعودى ، مروج ، ٢ ص ٣٣٥ س ٣ — ٥ ؛ انظر . Cheira : La Lutte, p. 105 ; n (1) ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٦٤ . التاريخ هنا أورده البلاذرى .

(٦) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ؛ انظر . Cheira: La Lutte, p. 113.

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٦٠ س ٨ .

إعلانه الخلافة . ولكن ما أن انتهى من مشاغله ، حتى شنها حرباً عاتية على الروم فى بلادهم ذاتها ؛ بحيث أنه شغلهم بالدفاع عن أراضيهم طول مدة حكمه . حقاً إن العرب غزوا فى أرض الروم منذ فتح الشام [1] ، وأن معاوية إبان إمارته عليها غزاهم بنفسه فى سنتى ٢٥/٦٤٥ و ٦٥١/٣١ [2] ، ولكن هذه الغارات كانت بقصد الدفاع والاستطلاع ، ولم تكن من العمق والدوام مثلما حدث فى عهد خلافته ؛ فقد كان هدفها هذه المرة تحطيم حصون الروم ، والاستيلاء على عاصمتهم القسطنطينية ؛ وهذا ما لم يحدث من قبل .

وقد اشتهرت حرب العرب مع الروم باسم : «حرب الثغور» ، أى الحدود ؛ وهى لفظة مفردها «الثَّغْر» [3] ، تعنى كل موضع يكون فى أرض العدو ، فى بطن وادٍ أو فرجة جبل ، قرب أرض المسلمين . فقد كانت حدود الروم تتكون من سلاسل جبلية شاهقة ، منها جبل اللُّكَّام [4] الهائل «Ammanus» ، الممتد على طول الثغور من البحر الأبيض حتى بحر قزوين ؛ وتتميز بطرقها الكثيرة التى تُعرف «بالدروب» - مفردها «الدرب [5]» - وبمسالك أنهارها ، مثل: سَيْحَان [6] وجَيْحَان [7] والبَرَدَان [8] وقُوَيق [9] والأُرُنْد [10] ،

(١) نفسه ، ص ١٦٤ . فى عهد الأمير أبى عبيدة .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ١٧ س ٨ وما بعدها .

(٣) نفسه ، ٣ ص ١٦ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٣٤ س ١٤ — ١٥ ؛ لسان ، ص ١٧١ — ١٧٣ ؛ أنظر Ency. de l'Isl, (art Thughûr) t4, p. 777

(٤) معجم البلدان ، ٧ ص ٣٢٠ ، ٣٣٦ — ٣٣٧ ؛ Ency.de l'Isl, t3, p. 288

(٥) معجم البلدان ، ٣ ص ١٧ س ١ ، ٤ ص ٤٨ .

(٦) نهر كبير بالثغر الشامى ، يصب فى بحر الروم . نفسه ، ٥ ص ١٩١ .

(٧) نهر بالثغر الشامى ، يصب فى بحر الروم أيضاً . نفسه ، ٣ ص ١٨٦ .

(٨) نهر مدينة حلب . نفسه ، ٧ ص ١٨٨ .

(٩) نهر يصب فى بحر الروم . نفسه ، ٢ ص ١١٥ ، ٦ ص ٣٩ .

(١٠) نفسه ، ١ ص ٢٠٦ .

وهذا الأخير سماه العرب العاصي[1]؛ لأنه يخرج من بلاد الإسلام ليدخل في أرض العدو. وتميز من هذه الثغور جناحين[2]: أحدهما من ناحية الشام عُرف: بثغور الشام، والآخر من ناحية الجزيرة عُرف: بثغور الجزيرة؛ وهي حصون عديدة في الجبال؛ أو مسالح أي موضع للعسكر للمراقبة[3]، أو حتى مدن حصينة على ملتقى الطرق أشبه بالبلاد[4]، مثل: مَنبج[5] وأنطاكية[6] وطَرَسُوس[7] وأذَنه[8] والمَصِّيصة[9] وبيّاس[10] ومَرَعش[11] من ناحية الشام - وقد سميت المدن الداخلة منها في حدود الشام:

---

(١) نفسه؛ انظر. ناصر خسرو، سفر نامه، تحقيق الخشاب، ص ١٢.

(٢) فتوح البلدان، ص١٦٣ ومابعدها، ١٨٣ وما بعدها؛ قدامة، نبذ من كتاب الخراج،(B.G.A) تحقيق de Goeje، طبعة Lug-Bat ، ١٨٨٩ص٣٥٣؛الاصطخرى، مسالك، ص ٥٥؛انظر. The Lands of the Eastern Caliphate,:LeStrange p. 128.

(٣) فتوح البلدان، ص ١٦٣. المسالح جمع المسلحة، وهي قوم في عدة بموضع رصد، وكلوا به بازاء ثغر، وهو أيضاً كالثغر والمراقب. لسان العرب، ٣ ص ٣١٧.

(٤) معجم البلدان، ٣ ص ١٦ ص ٩، ٢٣٧؛ فتوح البلدان، ١٦٣.

(٥) معجم البلدان، ٨ ص ١٦٩ — ١٧١ . فتحت في عهد أبي عبيدة.

(٦) نفسه، ١ ص ٣٥٣ ومابعدها، فتحت على يد أبي عبيدة بن الجراح، الذى سار اليها من حلب.

(٧) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم؛ كانت في يد العرب منذ إمارة معاوية. نفسه، ٣ ص ١٧، ٦ ص ٣٨ وما بعدها؛ Ency. de l'Isl, (art Tarsùs) t4, p. 712-713.

(٨) بلد من الثغور قرب نهر سيحان، كان بيد العرب منذ إمارة معاوية. معجم البلدان، ١ ص ١٦٥ — ١٦٦، ٣ ص ١٧؛ انظر. Ency, de l'Isl, (art Adana) 2ed, tl, t4, p. 187 sqq.

(٩) مدينة قديمة من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم؛ كانت بيد العرب. معجم البلدان، ٨ ص ٨٠ — ٨١.

(١٠) مدينة صغيرة شرقي أنطاكية قرب البحر. المصدر الأخير، ٢ ص٣١٧ ـ ٣١٨.

(١١) نفسه، ٨ ص ٢٥؛ انظر. Ency. de l'Isl, (art Mar'ash t3, p. 284 sqq فتحت على يد خالد بن الوليد؛ بناها معاوية؛ وأسكنها جنداً في خلافته. فتوح البلدان، ص ١٨٨.

« بالعواصم »[1] فى العصر العباسى ، وبخاصة الموجودة منها حول أنطاكية ـ وزِبَطْرة[2] وسُمَيْساط[3] ومَلَطْيَة[4] ، من ناحية الجزيرة .

ولما كانت منطقة الثغور خالية من الناس إلا من الجراجمة النصارى ؛ لأن الروم نقلوا أهلها منذ فتح الشام[5] ،حتى أنها سُميت بالضواحى [6] لقلة سكانها ؛ فإن العرب منذ عهد عثمان عملوا على إنزال القبائل العربية بها : فأنزلت قيس وأسد من الحجاز فى ثغور الجزيرة بين مضر وربيعة[7] ، ونقلت جماعات من أهل الجزيرة وحمص وبعلبك ومن المصرين الكوفة والبصرة إلى نواحى أنطاكية[8] ؛ التى أسكنها معاوية أيضاً عناصر هندية من السند تُعرف : « بالزط[9] » ،

(١) المصدر الأخير ، ص ١٣٢ ، ١٦٣ ؛ معجم البلدان ، ص٢٣٧ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art al-'Aàwsim) t1, p.523-5.
هذه الكلمة جمع « عاصم » ، وترجع التسمية إلى وقت هارون الرشيد (فتوح البلدان ، ص ١٦٣) ، وربما دخل فى العواصم ثغور المصيصة وطرسوس . معجم البلدان ، ٦ ص٢٣٧ .

(٢) مدينة فى طرف بلاد الروم فتحها العرب (المصدر الأخير ، ٤ ص ٣٧٤ ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان،ص٢٣٤؛فتوح البلدان، ص٢٠٠)،واسمها مدينة «Germanikeia» أنظر Ency. t3, p.284.

(٣) مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم ، فتحت سنة ١٨/٦٣٩ . معجم البلدان ، ٥ ص ١٣٨ ؛ فتوح البلدان ، ص ١٩٢ ؛ انظر .
Ency de l'Isl, (art Sumaisât) t4, p.576.

(٤) كانت بلدة قديمة للروم، فتحت على يدمعاوية . معجم البلدان ، ٨ص ١٥٠؛ انظر.
Ency. de l'Isl, (art Malatys) t3. p. 208 sqq.

(٥) فتوح البلدن ، ص ١٦٣ س ٢ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٦ (آخر الصفحة) .

(٦) الطبرى (Annales) ، تحقيق de Goeje ، ٢ : ١٣١٧ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٧٨ س ١٢

(٨) نفسه ، ص ١٤٨ س ٦ . هو يقول الفرس ، واسكن فى (ص١٦٤ س ١٧)،يقول أهل الشام والجزيرة ، ويقول ياقوت انتقل إليها قوم من أهل حمص وبعلبك . معجم البلدان ١ ص ٣٥٧ س ٢١ .

(٩) فتوح البلدان ، ص ١٦٢ ، ٣٧٣ ومابعدها (يذكر أيضاً السيابجة وغيرها من الأسماء) . أنظر . عنهم De Goeje : Mémoire sur les Migrations de,
Tsiganes à travers l' Asie. Leyde, 1903. p. 17 sqq
Ency. de l'Isl, (art Zott) t4, p. 1305-1306 :
وهو أسكنهم فى بلدة بوقا (أو بوقاس) ، من قرى أنطاكية ، من بلاد الثغر . فتوح البلدان ، ص ١٦٢ .

كانت قد استقرت على الخليج العربى (الفارسى) ، ووجدهم العرب عند فتحهم فارس والعراق ، واعتنقوا الإسلام. ولقد سمى العرب سكان الثغور : « بالمرابطة »[1] ؛ لملازمتهم ثغر العدو للجهاد ؛ وهو « الرباط » جمع « ربط » أو « رابطة » ؛ فكانوا يعيشون مع نسائهم وأولادهم[2] ، على عادتهم فى الحرب ، وتقطعهم الخلافة القطائع ، وتمنحهم العطاء[3] . وبذلك أصبحت منطقة الثغور موطناً للعرب الصالحين[4] ، الذين كان بعضهم يحارب ومعه مصحف عثمان[5] ، ومدرسة[6] يتعلمون فيها الجهاد ؛ وخصوصاً قد ظهر جيل منهم ، أحب الحروب التى خاضها الآباء ، وأصبح يتندر بشجاعتهم وفروسيتهم .

وقد كان أن وضع العرب نظاماً لحرب الثغور : فكانت تخرج بانتظام حملات سنوية على بلاد الروم منذ سنة ٤٣/٦٦٣[7] ، فى الشتاء والصيف[8] ؛ عرفت بالشواتى جمع شاتية أو مشتى ، والصوائف جمع صائفة ؛ حيث أن حملات المشتى غالبا ما كانت تتكرر فى السنة الواحدة[9] فكانت هذه الحملات يقودها

---

(١) المصدر الأخير ، ص ١٤٧ (آخر الصفحة) ؛ معجم البلدان ، ١ ص ٣٥٧ س ٢١، ٨ س ٨ ؛ انظر Ency, de l'Isl, (art Ribât) t3, p.1230 sqq. وهى كلمة وردت فى القرآن (سورة ٨ آية ٦٠) ؛ وأصل الرباط أن يربط فيه الخيل (لسان ٩٠س ١٧٣ — ١٧٤) ؛ كذلك ربط النبى فى أحاديث كثيرة بين الخيل والجهاد. ابن هذيل الأندلسى ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق عبد الغنى ، طبعة دار المعارف ، ص ٤٣ ؛ انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ ، وهامش (١٣) .

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٦٧ س ١٢ — ١٣ .

(٣) نفسه ، ص ١٣٣ ، ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤) معجم البلدان ، ٨ ص ٨٠ .

(٥) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٢٩ .

(٦) أنظر . La lutte, p. 108: Cheira.

(٧) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٨ يحدد ابن سعد أول مشتى فى سنة ٤٢/٦٢٢ . طبقات ، ٥ ص ١٦٦ س ١٠ .

(٨) فتوح البلدان ، ص ١٦٣ س ١ ؛ قدامة ، الخراج ، ص ٢٥٩ . كذلك يذكر قدامة غزاة ربيعية ، وهى بعد أن يربعوا دوابهم ، أو أطلها لسكون فى الربيع .

(٩) الكامل ، ٣ ص ٢٢٦ . نسمع عن خروج حملات المشتى مرتين فى سنة ٤٧ / ٦٦٧ .

ولاة الشواتى والصوائف [1] من مشهورى قواد العرب ، أمثال : عبد الرحمن ابن خالد [2] ، وهو ابن البطل المغوار خالد بن الوليد — الذى لقبه النبى بسيف الله [3] — فكان عبد الرحمن كأبيه يغزو فى قوة وبأس من سنة ٤٤/٦٦٤ إلى سنة ٤٦/٦٦٦ . ويبدو أن معظم الهجوم كان من ثغر الشام ، أما ثغر الجزيرة فمظهره الحراسة [4] . وقد كان هدف العرب من غاراتهم المتكررة الاستيلاء على حصون للعدو جديدة ، يصلحونها أو يتعهدونها بالتحصين ، فيرتبون فيها المرابطة [5] ؛ أما الحصون القديمة المجاورة لهم ،وهدمها الروم من قبل ، فكانوا يضمون فيها جنداً كثيفاً لحفظ أعقابهم، وخصوصاً أن الروم من قبل كانوا يكمنون لهم عند بعضها ، وهم عائدون من الغزو [6] . ولعل أهم الحصون التى استولى عليها العرب فى عهد معاوية هو حصن مَلَطْيَة [7] ، الذى رتبت فيه حامية قوية ، وجُعل طريقاً للصوائف .

ومن ناحية أخرى كان للروم نظام للدفاع عن حدودهم،وخصوصاً أن بلادهم منذ عهد جستنيان (٥٢٧ — ٥٦٥ م) ؛ كانت مقسمة إلى إقسام حربية تسمى:

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٦٤ س ٣ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٦ (آخر الصفحة) .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٢١٨ ، ٢٢٥ ؛ الطبرى (Annales) ١ : ٢٠٩٣ ؛ أسد الغابة ، ٣ ص ٣٨٩ — ٣٩٠ ؛ انظر .
Ency de l'Isl, (art 'Abd al-Rahmàn B Khâlid B. al-Walid) 2ed
؛ انظر . سده . Mo'â ler, p.4 sqq. : Lammens : t I, p. 87—88.

(٣) الكامل ، ٣ ص ١٦٠ ؛ انظر . ماجد، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٤٩ .

(٤) أنظر هذه الملاحظة عند Cheira : La lutte, p. 109.

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٣٣ ، ١٦٧ ، ١٨٥ ، ١٨٨ س ١٤ ؛ انظر أيضاً . معجم البلدان ، ٣ ص ٢٣١ س ٧ .

(٦) نفسه ، ص ١٦٤ س ٢ ؛ نفسه ، ٣ ص ١٦ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٨٥ ؛ أغابيوس (Agabios) ، العنوان ، تحقيق وترجمة Vasiliev (P.O) ، طبعة Paris ، ٢/٨ ص ٤٨٤ [٢٢٤] . فتحت فى أثناء حكم عثمان على يد معاوية ، لما جمع له الشام والجزيرة .

« Themae » ، [1] وهى تقابل « الجند » [2] ، أو المناطق الحربية فى الشام . فبثوا فى هـــذه الأقسام ، وبخاصة المجاوره منها لأراضى المسلمين الجيوش المديدة [3] ، التى تقـدر بالآلاف ، كانت تقيم عادة فى حصون منيعة فى الجبال ، أو على الساحل . ولدينا أسماء متعدده يذكرها ياقوت لمن يشرفون على هذه الأقسام ، ويعتذر لقارئه عن تحقيقها وضبطها، منها : «الأصطرطغوس»، (ولعله Strategos)، وهو قائدالحصن وأعلامه مرتبة ، وما يسميه « كيليرج » (ولعله من Purgos أى حصن) ، بمعنى صاحب الدروب ، وغير ذلك من الأسماء المعقدة . فـكان هذا التنظيم الحربى فى رأى Theophanes [4] ـ المؤرخ اليونانى ـ هو السياج الذى يحمى بلاد الروم من المسلمين .

وبعد أن سبر العرب غور قوة الروم بغاراتهم الشتوية والصيفية تطاولوا

---

(١) أومان، الأمبراطورية البيزنطية ، تعريب طه بدر ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٣١ ــ ١٣٢
L'Origine du régime des thèmes dans l'empire byzan-: Diehl
: Diehl et Marçais : tin (Etudes Byzantines)1905, p. 276—292
Le Monde Orientale de 395 â 1081 2ed,p. 223;224 ;288.

(٢) جمعه أجناد ، والتجند التجمع (معجم البلدان ، ١ ص ١٢٥ — ١٧٦) ؛ كذلك هى كل ناحية لها جند (فتوح البلدان ، ص ١٣٢) . أنظر قبله: التاريخ السياسى ، ١ ص ١٧٤ ٢٣٢ وهامش .

(٣) معجم البلدان ، ٤ ص ٣٣٠ .

(٤) أنظر Op.Cit. p.244,: Diehl et Marçais : Chronog. p. 364.

على أخذ القُسطَنْطينيَة (١) — دار ملك الروم — التي طالما سموا عن تحضرها وغناها ،وكانت تلمع أمام أعينهم كالسراب ، وتُعرف لهم : « بالمدينة » . وقد كانت القسطنطينية منيعة : فهى تطل على بحر «الخَليج » (٢) (مرمرة) ، الذى يخرج من بحر « بنطُس » (٣) (الأسود) ، ويطيف بوجهيها الأوربى شمالاً والأسيوى جنوباً ؛ كما كانت تحيط بها من كل الجهات — حتى من ناحية البحر — عده أسوار متينة (٤) ، عرضها ثلاثون ذراعاً وأقصرها عشرة ، أقيم عليها أبراج عديدة ، بناها الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأكبر . وكان من الممكن غلق الخليج ، ومنع المراكب المعادية من دخوله ، إذا ألقيت السلسلة بين طرفى الأرض المعروف بالقرن الذهبى (٥) .

ولقد اغتنم العرب اضطراب شؤن دولة الروم الداخلية للهجوم على القسطنطينية: فقد قتل الأمبراطور قنسطانز الثانى (٦) « Konstans II » فى سنة ٤٨/٦٦٨ ، وثار صابو أو سابور « Saborius » (٧)، أحد حكام المناطق المجاورة لأرمينية ،

---

(١) عنها : ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٨٦ — ٨٧ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٣٩ ؛ انظر .Ency. de l'Isl, (art Constantinople)t I, p. 888 ؛وتبله.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٣ ص ٤١٦٠ ، ٤ ص ٣٢٨ ، ٧ص٨٧ ص ٢ ؛ الأصطخرى، مسالك، ص ٨ ؛ المسعودى ، مروج ، ٢ ص ٣١٦ — ٣١٧ .

(٣) هو خاص بالبحر الذى منه خليج قسطنطينية . ياقوت ، معجم ، ٢ ص ٢٩٣ .

(٤) المسعودى ، مروج ، ٢ ص ٣١٨ ٣٢٠ . يقول ياقوت إن سورها الكبير سمكه واحد وعشرون ذراعاً. معجم البلدان ، ٧ ص ٨٦ و٨٧ .

(٥) أنظر . Runc. : Op.Cit., p. 34

(٦) أنظر . Diehl et Marçais : Cheira ; Op. Cit. p. 2?? ; La lutte, p.128.

(٧) أغابيوس ، ٨ / ٢ ص ٤٨٩ [٢٢٩] ؛ ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص ١٨٧ ؛ انظر : Theophanes, p. 350 ; Michel le Syrien 2, Fasc 3,p.451. ; Well —: Die Kampfe der Araber mit den Römaern (Nachrichten der König-Gesellschaft der Wissensch. Phil. Hist. Klass=

وأرسل رسولاً إلى معاوية بغية التعاون معه. ومع أن صابور ما لبث أن توفى [١] . وأن ابن الأمبراطور المقتول قسطنطين الرابع « Constantinus IV » (٦٦٨ — ٦٨٨ م) ، بعث مندوباً للصلح [٢] ، فإن معاوية صمم على مهاجمة عاصمة الروم ؛ فسير جيشاً كثيفاً معه بعض أبناء الصحابة [٣] ، منهم ، ابن العباس وابن عمر وابن الزبير ، والصحابى أبو أيوب الأنصارى [٤] ؛ وجعل قيادته إلى ابنه يزيد ابن معاوية [٥] ، الذى لم يكن عمره يتجاوز ثمانية عشر عاماً ؛ فاشتهر بسبب ذلك : « بفتى العرب [٦] » . فأوغل هذا الجيش فى آسية الصغرى ، وخضعت له كل أهل البلاد سواء من سكان الجبال أو السهول [٧] ، وبعد عدة معارك وصل إلى القسطنطينية ، وضرب حولها الحصار .

Les Expeditions des Arabes, : Canard : Gottingen, 1901, p.422.
contre Constantinople dans l'Histoire et dans la légende. J.A.
اسم رسول.La Lutte,p. 117—118. : Cheira :Jan-Mars 1926, p.68
صابور ، هو سرجيوس .
(١) لعله سقط عن حصانه . أنظر المصادر السابقة وبخاصة أغابيوس و Theophanes
(٢) أنظر • Michel le Syrien; 2.p. 452 ؛ ابن العبرى ، ص ١٨٧ ؛
: Cheîra . أنظر . Andrêas اسم الرسول. Sébèos, p. 140
La lutte, p. 118,n(1)

(٣) الكامل ، ٣ ص ٢٢٧ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ١ ص ١٨٦ • عن سيرتهم ، انظر . بعده .

(٤) هو شخصية آوت النبى فى المدينة ، وحضر جميع مغازيه ، وكان من أنصار على ، واشترك معه فى معظم المواقع ، وهى : الجمل وصفين والنهروان ، ثم أنه غزا فى أيام معاوية أرض الروم عند مدينة القسطنطينية . أنظر . سيرته فى : أسد الغابة ، ٥ ص ١٤٣ — ١٤٤ ؛ ابن سعد ، طبقات ، ٣/٢ ص ٤٩ — ٥٠ ؛ انظر . بعده .

(٥) القيادة غير واضحة فهى أيضاً لسفيان بن عوف الأزدى • الكامل ، ٢ ص ٢٢٧. وهو استمر فى الخروج بالصوائف فى : ٥٠ و٥٢ و٥٥ ، وتوفى بأرض الروم . نفسه ، ٣ ص ٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ . .

(٦) نفسه ؛ الأغانى ، ١٦ ص ٣٣ .

(٧) أنظر . Sébêos, p. 140 ؛ Well : Die Kampfe, p. 423.

وليس فى أيدينا المعلومات الوافية عن هذه الحملة ومدى نجاحها ، كما أختلف المؤرخون فى مدتها وتاريخها ، وإن استقر مؤرخو العرب على أنها كانت صائفة هائلة فى سنة ٤٩/٦٦٩ أو ٥٠/٦٧٠[١] ، ثم تعددت بعدها الشواتى والصوائف سنة بعد سنة [٢] ، حتى نهاية حكم معاوية . ولكن من الجائز أن يكون حصار القسطنطينية قد دام أكثر من صائفة ، بسبب الإختلاف فى سنة استشهاد أبى أيوب الأنصارى ؛ فقيل سنة ٤٨ أو ٤٩ أو ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢ [٣] . وقد دفن أبو أيوب بالقرب من حصون القسطنطينية بأرض الروم [٤] ، حيث كشف قبره للترك العثمانيين فى عهد السلطان محمد الثانى .

وفوق ذلك لدينا مزيد من المعلومات عن نشاط العرب فى البحر ، فيتحدث المؤرخون عن غزوات البحر على أنها بين شاتية وصائفة[٥] ، كما هى فى البر . فمنذ أن تولى معاوية إمارة الشام وهو متحمس للغزو فى البحـــر : فهو الذى يرجع إليه الفضل فى تأسيس البحرية الإسلامية فى عهد عثمان ، وكان هو نفسه أول من غزا فى البحر[٦] ، فذهب فى المراكب للإغارة على قُبْرُس [٧] فى سنة

(١) العقد ، ٢ ص ٣٠١ — ٣٠٤ ؛ الـكامل ، ٣ ص ٢٢٧ .

(٢) عنها ، انظر . اليعقوبى ، تاريخ ، ٣ ص ٢٨٥ ؛ الـكامل ، ٣ ص ٢٢٨ — ٢٥٦

(٣) أبو الفدا يقول سنة ٤٨ (المختصر ، ١ ص ١٨٦) . وابن الأثير يقول سنة ٤٩ أو ٥٠ (الـكامل ، ٣ ص ٢٢٧) ، وفى مـكان آخر يقول سنة ٥٢ (نفسه ، ٣ ص ٢٤٤) . ونفس المؤرخ يقول فى مصدر آخر سنة ٥٠ أو ٥١ (أسد الغابة ، ٥ ص ٣٣) .
عن مناقشة هذه التواريخ ، انظر . Cheïra : n (1) : La lutte. p. 119

(٤) ابن سعد ، ٣/٢ ص ٥٠ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, tI, p. 889-890. : Canard : Les Expéd., p. 73. يقول ابن الأثير يستسقون به . الـكامل ، ٣ ص ٢٢٨ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٠٨ ص ٢٦ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ٣٠٨ ص ٢٣ — ٢٤ ؛ فتوح البلدان ، ص ١٥٢ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٥٢ ؛ الـكامل ، ٣ ص ٤٨ . عن قبرس ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ٢٦ .

٦٤٨/٢٨ أو ٦٤٩/٢٩ ، وإن لم يستول العرب عليها إلا حينما غزاها أسطول الشام في سنة ٣٣[١]/ ٦٥٤ . وقد يكون خوف قسطانز الثاني من أن يغزو أسطول معاوية القسطنطينية[٢] ؛ هو الذي دعاه إلى خوض موقعة ذات السوارى فى سنة ٣٤[٣]/٦٥٥ ، التى أنزل فيها الأسطول الإسلامى بمراكب الروم خسائر فادحة، حتى أنها شُبهت باليرموك[٤] . ومع ذلك فإن العرب لم يستفيدوا مباشرة من انتصارهم الباهر فى مهاجمة القسطنطينية التى كان من الممكن أن تسقط فى أيديهم[٥] .

وقد زاد نشاط العرب فى البحر زمن خلافة معاوية ، فقاموا بترتيب الروابط[٦] والحفظة[٧] على طول الساحل ، وإعداد المراكب[٨] العديدة ، التى كانت تُبنى من خشب غابات لبنان . ويظهر أن خطة غزو القسطنطينية كانت تقضى بتعاون الأسطول مع الجيش ؛ وإن ذكرت بعض المصادر العربية أن بعض مراكب العرب كانت قد وصلت إلى القسطنطينية سنة ٤٤[٩]/٦٦٤ ، حتى قبل وصول

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٥٣ ؛ انظر . قبله التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٤٤ .

(٢) أغابيوس ، ٨/٢ ص ٤٨٣ [٢٢٣] .

(٣) هكذا سميت لكثرة سوارى المراكب (الكامل ، ٣ ص ٥٨ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٠٩) . وهى تسمى أيضاً بموقعة فونيقية لوقوعها قرب فونيقية « Phoenicus » على ساحل آسية الصغرى . أنظر . أغابيوس ، ٨/٢ ص ٤٨٤ [٢٢٤] ؛ Theophanes,p.345؛ انظر . Canard ; Les Expéd, p. 64. ؛ التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٤٥ . وهى تكتب أحياناً الصوارى .

(٤) أنظر . Theophanes,p.332 ؛ Die Kampfe,p.420 ؛ Les Expéd, p.64

(٥) أنظر . Les Expéd, p. 67.

(٦) فتوح البلدان ، ص ١٤٢ (آخر الصفحة) . بلغت رابطة الإسكندرية وحدها فى عهد معاوية سبعة وعشرون ألفاً . ابن عبد الحكم ، كتاب فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق Torrey ، New—Haven ، ١٩٣٢ ، ص ١٩٢ س ١٢ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٦٣ س ٢ — ٣ .

(٨) نفسه .

(٩) الطبرى (Annales) ، ٢ ص ٨٦ ؛ انظر Ency, de l'Isl, tI, p. 889.

جيوشهم . ولكن المصادر المسيحية على الخصوص تصف لنا حملة بحرية أخرى على القسطنطينية بشيء من الإسهاب ، دون أن تحدد تاريخها ، وإن كان يبدو فى الغالب أنها أرسلت وقت إرسال الحملة البرية ، التى أختلف فى تاريخها أيضاً[1] . فقد أرسل معاوية ثلثمائة مركب ثقيلة عليها أسلحة الحصار من المنجنيقات تحمل الواحدة ألف رجل ، وخمسمائة مركب خفيفة تحمل الواحدة مائة[2] . ولقد أخضع هذا الأسطول فى طريقه سكان السواحل ، ووصل إلى القسطنطينية[3] ، واستمر محاصراً لها سبع سنوات[4] .

ومن ناحية أخرى تقدم المصادر العربية بعض المعلومات عن فتح العرب للجزر التى كان يسيطر عليها الروم فى البحر الأبيض ، مما هيأ لهم السيطرة على أجزاء كثيرة من سواحل آسية الصغرى إلى القسطنطينية . ولم يكن العرب إلى عهد خلافة معاوية يحتلون غير قبرص ، ولكنه بفضل غزوات الصحابى جنادة بن أبى أمية[5] ، تمكنوا من السيطرة على جزر أخرى هامة . وكان أول ما فتح جنادة جزيرة رودس فى سنة ٥٣/٦٧٢[6] — ٦٧٣ ، التى تقع قرب

---

(١) أنظر . قبله .

(٢) أنظر . Sébêos, p.140

(٣) أنظر Ibid, p.141 . يقول إنه اصطف أمام خلقيدونية ، وهى من العاصمة.

(٤) أنظر Ency, tl, p.889; Theophanes, p. 253 Suiv. . تاريخ الحصار ومدته غير محدودة : فالمؤرخ « Theophanes » يذكر أنه بدأ فى سنة ٦٦٦ م ، واستمر سبع سنوات ، أى أنه انتهى سنة ٦٧٢ م . ولكن مؤرخى العرب يذكرون وجود أسطولهم أمام القسطنطينية ابتداء من سنة ٥٤/٦٧٣ ، وأنهم انسحبوا فى آخر خلافة معاوية ، أو فى أوائل خلافة يزيد . أنظر . بعده .

(٥) هو أحد رواة الحديث ، مات فى سنة ٨٠/٦٩٩ فتوح البلدان ، ص ٢٣٦ س ١-٢.

(٦) الكامل ، ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٥٩ (يقول أيضاً سنة ٦٠) ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٣٦ (يقول سنة ٥٢) ؛ أغابيوس ، ٨/٢ ص ٤٨٢ [٢٢٢] ؛ انظر . Ency. del'Isl, (Rhodes) t3, p.1225 sqq ؛ انظر عنها أيضاً : ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٣٠٠ .

ساحل آسية الصغرى ، وكان الروم يغيرون منها على مراكب العرب ويأخذونها ، ويهاجون سواحلهم كما حدث بنزولهم على البرلس — بليدة[1] قرب البحر فى مصر — فى هذه السنة ذاتها. وحينما فتحت رودس أنزل معاوية فيها قوماً من المسلمين ، ورتب لهم العطاء ، وأصبحت قاعدة هامة للمسلمين مثل قبرس ، بحيث أخافت العدو ، وإن كان العرب أغاروا عليها منذ عهد عثمان[2] . وفتح جنادة أيضاً جزيرتين أخريين فى سنة ٥٥ / ٦٧٤ : إحداها أرواد[3] قرب القسطنطينية ، التى أقام فيها حامية ، والأخرى أقريطش[4] (كريت) ، وهى جزيرة كبيرة مقابلة للوبية ، غزاها بعد فتح أرواد . كذلك يذكر البلاذرى[5] أنه فى أيام معاوية غزيت جزيرة صقلية ، التى كانت تعد من أخصب الجزائر .

ولكن أجبر العرب على رفع هذا الحصار البحرى عن القسطنطينية وضاعت سيطرتهم على الجزر التى استولوا عليها ؛ بسبب ظهور إختراع حربى جديد

---

(١) الخطط ، ٣ ص ٣٠٩ . عن البرلس ، نظر . معجم البلدان ، ٢ ص ١٥٣ .

(٢) الكامل ٣ ص ٢٤٤ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٢٣٦ ؛ معجم البلدان ، ١ ص ٢٠٧ . لانعرف اسم هذه الجزيرة حالياً ، فلعلها إحدى جزر الخليج (مرمرة) ، مثل مرمرا ومصطكى (أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٨٩) . وقد تكون أرواد هى تسمية أخرى لرودس — كما يقول أستاذنا شعيرة — بسبب أن غزوها وغزو رودس كان على يد جنادة فى العام ذاته (أنظر . Theophanes التى ذكرها ، « Cyzique » أو هى (La Lutte, p.136, : Cheira وكان العرب يشنون غاراتهم منها، وإن لم يذكر العرب هذا الاسم أنظر .Chronog.p.345 ؛ Les Expéd, p. 78. : Canard ; Die Kampfe, p.419. : Weil

(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٣٦ ؛ معجم البلدان ، ١ ص ٣١١ — ٣١٢ . وقيل فتحت فى عهد العباسيين .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٢٣٥ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٣٧٣ ومابعدها .

على يد مهندس يونانى اسمه كالينيـكوس « Kallinikos »[1] ، يعرف بالنار الإغريقية أو اليونانية ، وهى عبارة عن مادة أساسها النفط « Naphta » ، تسير على الماء دون أن تنطفىء ، بل تزيد اشتعالاً ، حتى تصل إلى المراكب فتحرقها .
ولقد استفاد الروم من هذا الإختراع بحرق الأسطول العربى المحاصر للقسطنطينية[2] ، وساعد على زيادة اشتعال النار فيه هبوب عاصفة استمرت ستة أيام[3] . ومع أن المؤرخين المسلمين لم يشيروا اطلاقاً إلى حرق مراكبهم أمام القسطنطينية ، إلا أنهم ذكروا أن معاوية أو ابنه يزيد — الذى تولى الخلافة بعده — أمر بانسحاب العرب من جزيرتى رودس وأرواد[4] ، بعد أن بقوا فيها سبع سنوات ؛ وهى قد تكون مدة حصار القسطنطينية الأول . ولدينا تفاصيل أخرى تبين أنهم انسحبوا أيضاً من قبرص[5] ؛ وأن الأسطول اليونانى لم يعد يسمح بنشاط غيره فى البحر الأبيض ، بل هاجم صور وصيدا[6] على الساحل الشامى ، وأن معاوية أضطر من جديد إلى عقد هدنة[7] ، استمرت نافذة حتى بعد موته.

(١) أنظر. Theophanes : Michel le Syrien t2. fasc.3.,p. 455
p.353 : انظر. Well: Die Kampfe, p. 425 : Les Exped, p.98 :.
Ency. de l'Isl,tl,p. 889 ؛ عبادة ، سفن الأسطول الإسلامى ، القاهرة ١٩١٣ ،
ص ٠ ٢٣ . كان كالينيـكوس مخترع النار تجاراً هرب من الشام ، وإن كانت النار الإغريقية
على ما يبدو معروفة من قبل عند الرومان (Michel 2, fasc. 3, p. 455) . أما
تسميتها « Feu Gregeois » ، فهى حديثة ؛ أنظر. Gibbon: Decline andfall of the,
Roman Empire, ed Sméaton. London. 1950, 5,p.395. أنظر أيضاً عن هذا
الموضوع Reinand et Fave: Feu Grégois, Paris, 1845,p. 100—101.
(٢) أغابيوس ، ٨/٢ ص ٤٩٢ [٢٤٣] .
(٣) أنظر . Sébêos, p.l : Ghévond : Histoire des guerres et,
des conquêtes des Arabes en Arménie, trad par Chahnazarian
Paris, 1856, p.13.
(٤) الكامل ، ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ؛ فتوح البلدان ، ٢٣٦ . يقول ساويرس أنهم
أخذوا السواحل وجزائر كثيرة فى عهد يزيد . أنظر . سير البيعة ، تحقيق Seybold ،
١/٢ ص ١٤ — ١٥ .
(٥) فتوح البلدان ، ص ١٥٤ س ١ — ٢ .
(٦) أغابيوس ، ٨/٢ ص ٤٩٢ — ٤٩٣ [٢٣٢ — ٢٣٣] .
(٧) أنظر . Theophanes, p. 354 : Die Kamdfe, p. 425. :
Canard : Les Exped, p. 78. : Cheirs : La Lutte, p. 130

قصارى القول : إن العرب لم ينجحوا فى حصارهم للقسطنطينية براً وبحراً فى عهد معاوية ، كما لم ينجح الفرس من قبل فى عهد خسرو سنة ٦٢٣ م [١]. ولكن العرب بحصارهم الماصحة البيزنطية ، وبحملات الشواتى والصوائف ، شغلوا الروم بالدفاع عن أنفسهم .

•

كذلك فى عهد معاوية ، وجه العرب همهم إلى غزو البلاد التى تلاصق مصر من جهة الغرب ، وهى التى كانت تسمى قديماً : « لوبية [٢] : Libya » ، ويعرفها العرب : « بالمغرب [٣] » ، وهى بلاد واسعة تقع على ساحل البحر الأبيض ، وتتكون من جبال ورمال عظيمة متصلة من الشرق إلى الغرب ، وتمتد من برقة [٤] إلى المحيط [٥] ، كما تمتد جنوباً إلى مفاوز بلاد السودان المسماة : نيجر [٦] . وكان يسكن هذه البلاد جيل من الناس عرف للعرب . « بالبربر [٧] » .

(١) بتلر ، مصر ، ترجمة عواد وعبد اللطيف ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

(٢) معجم البلدان ، ٧ ص ٣٤١ ؛ The Geog. Trad. Jones. : Strabo London. 1949. I:2;25 (Books 1—2), p. 119.

(٣) معجم البلدان ، ٨ ص ١٠٣ . لعلها تسمية للاتجاه ضد الشرق .

(٤) نفسه ، ٢ ص ١٠٤ ؛ أبو الفدا ، تقويم ، ص ١٢٢ . فمثلاً قد تدخل الأندلس في حدود بلاد المغرب (معجم البلدان ، ٨ ص ١٠٣) ، أو تدخل فيه مصر وبرقة (ابن عذارى ، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، نشر وتحقيق كولان وليفى بروفنسال ، ط Leyden ، ١٩٤٨ ، ١ ص ٥) ، أو حتى لا تدخل فيه مصر أو برقة ، وإنما حده طرابلس وما بعدها (ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بولاق ١٢٨٤ هـ ، ٦ ص ١٠٠ س ٢٠ ؛ انظر أيضاً Ency. de l'Isl, (art Maghrib) t3, p 113—4.

(٥) يعرف أيضاً ببحر الظلمات أو الأخضر ، ويسميه الأعاجم بحر أوقيانوس . العبر ، ٦ ص ٩٨ س ١٣ — ١٤ .

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، القاهرة ١٣٢٢ هـ ، ص ٤٥ .

(٧) معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٤ وما بعدها ؛ العبر ، ٦ ص ٨٩ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Berbères) t 1, p. 716s qq.

وهى تسمية عربية ، وذلك لرطانتهم بلغة غير مفهومة : العبر ، ٦ ص ٨٩ . وقد تكون مشتقة من اللاتينية « Barbari » ، بمعنى غير متحضرين ، أو حتى من اسم سكان بربرة على ساحل البحر الأحمر (عن معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٦) ، الذين كانوا أصل سكان إفريقية . أنظر . Les Civilisations de l'Afrique du Nord. Paris, 1921, p. 39.Piqnet.

وبهم سميت البلاد، وللبيزنطيين باسم : « Maurousioi »[1] ، ومنه أخذت التسمية الأوربية فى العصور الوسطى : Mauri[2] . ولعل البربر ينتمون فى أصلهم إلى الجنس الحامى[3] ، أو إلى أجناس البحر الأبيض ، وإن كانو من نفس العنصر الليبى القديم الذى عرفه الفراعنة[4] . ويرجح بعض مؤرخى العرب أصلهم العربى السامى نتيجة لغزوات أو هجرات يمنية قديمة ؛ وخصوص أن أكثر البربر طول تاريخهم الإسلامى قد حاولوا أن يوجدوا لهم نسباً عربياً[5] ومن جهة أخرى يرجع البربر فى أصلهم إلى جذمين عظيمين : البرانس والبُتر وهما من أصل واحد كما يلاحظ ابن خلدون[6] . ولا نعرف أصل هذا التقسيم فقد ينسبان إلى جدّين بهذين الاسمين ، أو إلى نوع من الحياة : فالبرانس هم الذين يعيشون فى الساحل أو الريف ولهم الحواضر[7] ؛ أما البتر فهم الظواعن الذين يعيشون فى طور البداوة ، فيتخذون البيوت من الشَعر وينتجعون المراعى بين الوديان والصحارى ، وقد يكون أيضاً بسبب زى

---

(١) Procopius: Hist. of the Wars. Transl. Dewing. London., 1954, 2; 2:8 (p. 266—267).

(٢) أنظر. Brémond: Berbères et Arabes. Paris, 1942, p. 301.

(٣) أنظر. Seligman: Les Races de l'Afrique, trad. franc., Payot. Paris 1935, p. 86.

(٤) أنظر. Drioton et Vandier: Les Peuples de l'Orient Méditerranéen. Paris, 1946, p. 1[illegible]1.

(٥) العبر ، ٦ ص ٨٩ ، ٩١ ؛ معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٤ .

(٦) العبر ، ٦ ص ٨٩ س ٢١ وما بعدها .

(٧) نفسه ، ٦ ص ٨٩ ، ٩٨ س ٢٥ .

البرنس [1] ، الذى لا يزال المغاربة يلبسونه إلى الآن ، ولم يكن يعرف فى مصر والشرق إطلاقاً؛ فكان البرانس يتزيّون به ، من دون البتر الذين لا يتزيّون به. ويذكر ابن خلدون أنه عند الفتح العربى كان معظم البربر من نوع البتر فى طور البداوة [2]، يعيشون فى جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى [3] ؛ كما فى الجزيرة العربية ،وأغلبهم وثنى يضحون بالبشر [4]،ويؤمنون بالسحر والكهانة. وقليل منهم انتشرت بينهم النصرانية أو اليهودية أو حتى المجوسية ؛ فهذه الديانات قد جاءتهم مع الغزاة ممن غلبهم من الأمم ، أو عن طريق مصر [5] .

وكان وقوع بلاد المغرب على ساحل البحر الأبيض، مما جعلها مطمح الأمم المسيطرة فيه : فتوالى على احتلالها الفينيقيون ثم الرومان [6] . وفى بداية القرن الخامس الميلادى جاءتها غزوات طارئة من عناصر الشمال المعروفة بالوندال «Bandiloi»،الذين استولوا عليها من الرومان [7]، كذلك كان القوط [8] « Gothoi » ـ ويسميهم العرب بالفرنجة [9] ـ قد قضوا على دولة الرومان فى

---

(١) نفسه،٦،ص٨٩س١٣ـ١٤ ؛ أنظر . Brémond, Op.Cit, p. 308-30؛ مؤنس ، فتح العرب المغرب ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٨ — ٩ وهامش (٢) ؛ Ency de l'Isl, (art Berbère) tl, p. 716. البرنس هنا يبدو أنه لباس الرأس والجسد .

(٢) المقدمة ، ص ٣٩٤ ؛ انظر . مؤنس ، فتح ، ص ٨ — ٩ .

(٣) العبر ، ٦ ص ١٠٦ — ١٠٧ ؛ معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٤ س ٢ وما بعدها .

(٤) أنظر . Brémond : Op. Cit, p. 154

(٥) العبر،٦ص١٠٦؛ انظر. Bonet Maury : L'Islamisme et le, Christianisme en Afrique. Paris, 1906, p.8-9,63 ; Bel : Coup d'oei sur l'Islam en Berbérie. Paris, 1917.

(٦) أنظر . Ency. de l'Isl, t 1, p. 716 sqq

(٧) أنظر . Procopius : Hist. of the Wars 2:2;8-9(p.266-267).

(٨) أنظر . Id. ؛ العبر ، ٦ص ١٠٧س ١٠ .

(٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ؛ العبر ٦ ص١٠٧ . وهو الاسم الذى أطلق على الأوربيين طوال العصور الوسطى .

إيطاليا ، ونزلوا فى إسبانيا ، واحتلوا بعض أجزاء من شمال إفريقية ، وبخاصة سبتة « Ceuta » ، ومرساها الحصين [1] . ولما ورثت بيزنطة أمبراطورية الروم فى الشرق ، نجد أن أمبراطورها جستنيان « Justinianus » (٥٢٧-٥٦٥م) ، أرسل قائده بلزاريوس [2] « Belisarius » فى سنة ٥٣٣ م ، الذى استولى على الجزء الأكبر من بلاد البربر ، ولم يجد مقاومة من الوندال الذين كانوا قد تحولوا إلى المسيحية ، وغمرتهم الحضارة الرومانية [3] ؛ ولكنه قوبل بمقاومة من البربر استطاع التغلب عليها [4] ؛ فامتدت سيطرة بيزنطة حتى برقة [5] . ولكنه لم يتمكن من الإستيلاء على منطقة سبتة ، التى بقيت تبعث بطاعتها إلى القوط من وراء البحر فى إسبانيا [6] .

وكان البيزنطيون يحكمون البربر عن طريق حاميات تعيش فى مدن محصنة أو قصور « Castra » على الساحل ، أهمها قرطاجنة [7] ، المدينة القديمة الحصينة على ساحل البحر ، التى أصبحت مستقر سلطانهم ، ومقر الحاكم « Praefectus ».

(١) عنها ، انظر معجم البلدان ، ٥ ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢) أنظر : Hist. of Wars 2:2; 8-9 (p.2 6-267). : Procopius
أنظر : Hist. de l'Afrique du Nord. Paris, 1952, p.9.: Julien.

(٣) أنظر : Op. Cit, p. 126. : Brémond
Op. Cit, p. 34-35. : Piquet:

(٤) أنظر : Hist. of the Wars 2:2; 8-9 (p.266-267). : Procopius

(٥) أنظر . ماجد : التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٢١ . كانت برقة على ما يبدو خاضعة للبيزنطيين منذ فتح مصر ، على عكس طرابلس التى ألحقت بالإمبراطورية البيزنطية فى عهد موريس «Mauricius» (٥٨٢ — ٦٠٢ م) . أنظر ما أورده شعيرة عن ذلك والمصادر فى كتابه : La lutte, p.63.

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩١ س ٢ — ٣ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ س ١١ — ١٢ ؛ معجم البلدان ، ٧ ص ٥٢ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠ . أنظر أورده شعيرة عن كلمة "Castra" فى كتابه : La lutte, p. 64.n (١) . وهو يعتمد فى ذلك على كتاب Maspero:
Organisation militaire de l'Egypte byzantine (Bibl. de l'Ecole des Hautes Etudes. fasc. 201). Paris, 1912, p. 1-159.

ويبدو أنه كان يؤيد حكمهم فى المغرب أخلاط من سلالة أجنبيـــة تُعرف : بالأفارق أو الأفارقة[1] ، تعمل فى الزراعة والصناعة ، ويصفهم مؤرخو العرب بأنهم خدم الروم . ولما اضطربت شؤون الدولة البيزنطية بسبب الحروب الفارسية ، استقل بحكم المغرب البطريرك جريجوريوس « Gregorius » ، الذى يسميه العرب « جرجير » ؛[2] فقد كان يحقد على ابن أخيه هرقل[3] « Heraclius » (٦١٠ — ٦١٤ م) ، أن يصعد على عرش الأمبراطورية من دونه : فخلع هرقل وسك العملة باسمه[4] ، وربما أعلن نفسه أمبراطوراً بتشجيع بابوية رومية التى كانت تنافس الكنيسة اليونانية[5] ؛ إذ كان يُعرف للعرب بالملك الأكبر[6] . فكان جرجير يحكم منطقة واسعة فى بلاد المغرب ، امتدت من طرابلس إلى طنجة[7] ، وهى البلاد التى عُرفت للعرب فى العصر الأول باسم : « إفريقية[8] » . ولكن بسبب فتوح العرب فى بلاد البحر الأبيض فى عهدى

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٠ س ١٠ — ١١ ؛ الكامل ، ٣ ص ١٣ س ٩ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Ifrikiya) t 2, p. 482.

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ س ١٢ ؛ أنظر . Brémond : Op . Cit , p. 179–180 ؛ مؤنس ، فتح ، ص ٣٤ وما بعدها .

(٣) عن هذه القرابة ، انظر . مؤنس ، فتح ، ص ٣٨ وهامش (١) ؛ Tauxier : Grégoire d'Afrique. Rev. Afr. 1885.

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ س ١٣ — ١٤ .

(٥) أنظر Diehl st Marçais : Le Monde, p, 238.

(٦) الواقدى ، فتوح إفريقية ، تونس ١٣١٥ ، ١ ص ٥٧ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ س ١٣ . طرابلس هى البلاد المجاورة لبرقة (معجم البلدان ، ٦ ص ٣٤ — ٣٥) . وطنجة بلد على ساحل البحر الأبيض مقابل لإسبانيا . نفس المصدر الأخير ، ٦ ص ٦١ — ٦٢ .

(٨) العبر ، ٦ ص ١٠٧ . هى اسم آخر للمغرب (ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣) ؛ وإن اختلفت فى تحديدها : فيرى ياقوت أنها البلاد الواسعة الواقعة قبالة جزيرة صقلية وينتهى آخرها إلى قبالة الأندلس (معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٠) ، أما الأصطخرى فيدخل فيها برقة (مسالك ص ٣٦، ٤٥) . واسم إفريقية مجهول الأصل ؛ وإن كان العرب ينسبونه إلى شخص أو مدينة (معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٠) ، أو من الفعل فرق [المفرقة] (البكرى ، معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٤٥ ، ١ ص ١٧٦ — ١٧٧) ، أو لأنها فرقت بين مصر =

أبي بكر وعمر ، يبدو أنه وجد اتفاق بينه وبين بيزنطة ، فكان يحمل بعض المال إليها ؛ كما يذكر ابن الأثير [1] . أما بقية بلاد المغرب فلم تخضع في أي وقت للبيزنطيين أو لنفوذهم [2] ، مثل : قبائل البربر الساكنة في الجبال بأقاصي المغرب ، وفي الصحارى الواسعة وراء السواحل ، وفي بلاد السُّوس التي تجاه المحيط [3] ؛ فكان البربر يتمتعون في هذه الأماكن بحريتهم . وقد لاحظ ابن خلدون ذلك ، فقال [4] : إن وراء السواحل توجد للبربر قوة وملوك ورؤساء وأقيال وأمراء ؛ لا يستطيعون أن يصل إليهم الروم أو الفرنج .

← وبلاد المغرب (معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٠) . ولكن لعله مأخوذ من الاسم اللاتيني « Africa » الذي أطلقه الرومان على الدولة التي أقاموها حين محاربتهم قرطاجنة ، ثم أطلقوه على القارة كلها (Ency. de l'Isl, (art Ifrikiya) t 2, p. 481) ، أو لعله أخذ أيضاً من « Aphri » ، اسم معدل لقبيلة أو ربقة ، التي كانت تقيم بجوار قرطاجنة ، أطلقه الفينيقيون أو اليونان أو الرومان على سكان البلاد من حدود مصر إلى المحيط . أنظر .

André : L'Isl. et les Races, p. 105. ؛ مؤنس ، فتح ، ص ١ وهامش .

أو كما يقول ليون الإفريقي من اسم « Fricos » ، ملك اليمن السعيدة ، الذي كان أول من سكنها بعد طرده الآشوريين له أنظر . Description de l'Afrique., Jean-Lion l'Africain Nouvelle édition, traduite de l'Italien, par Epaulard. Paris, 1756 p. 3.

(١) الكامل ، ٣ ص ٤٦ . هو يسمي المال الخراج .

(٢) المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق مؤنس ، القاهرة ١٩٥١ ، ١ ص ١٤ ؛ انظر . Brémend : Op. Cit, p. 158.

(٣) عنه : معجم البلدان ، ٥ ص ١٢١ ـ ١٧٢ ، ٨ ص ١٠٤ ، انظر . Ency. de l'Isl, (art al-Sûs al-Aksà) t 4, p 596-8.

أختلف في تقسيم بلاد المغرب في العصور الوسطى ، الذي ربما كان يتبع الحالة السياسية (مؤنس ، فتح ص ٣) ففي عهد هشام قسم المغرب سياسياً إلى : إفريقية والمغرب الأقصى والسوس (العبر ، ٦ ص ١١٨ — ١١٩) . ويذكر أبو الفدا أنه يشمل ثلاث قطع : المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط ، وإفريقية (تقويم البلدان ، ص ١١٢) . ويذكر الأصطخري أنه ينقسم إلى قسمين : غربي وشرقي ، فالشرقي من برقة إلى البحر المحيط وأما الغربي فهو الأندلس (مسالك ، ص ٣٦ ـ ٣٧) . كذلك ابن عذاري يقسمها تقسيماً آخر (البيان ، ١ ص ٥) . أما التسميات الحديثة : تونس والجزائر ومراكش ، فهي نسبة إلى مدن إسلامية ظهرت في العصور الوسطى : فتونس مدينة محدثة (معجم البلدان ، ٢ ص ٤٣٢) ، والجزائر أنشئت في عهد الدولة الحمادية (نفسه ، ٣ ص ٩٣) ، ومراكش في عهد دولة المرابطين (نفسه ، ٨ ص ٧) .

(٤) العبر ، ٦ ص ١٠٧ س ٥ — ٦ .

ونحن نعرف أنه فى أيام عمر بن الخطاب فتح عمرو بن العاص برقة وطرابلس[1] ، وطرد منها حاميات الروم ، وأخضع قبائل البربر بهما ، مثل : لواتة وهوارة ونفوسة . ولكنه لما استأذن عمر فى فتح إفريقية لم يأذن له ، وتذكر الرواية العربية أنه رد عليه بقوله[2] : إنها المفرّقة ، أى التى تُغدر بغزاتها . ومن المرجح أن المغرب وقتئذ لم يكن يثير حماس الخليفة بسبب انشغاله بتمكين فتوحات الشرق وتنظيمها ، ولم يكن هدفه من فتح برقة وطرابلس إلا تأمين فتح مصر ، حتى أن العرب لم يبقوا فيهما العساكر[3] ، وإنما اكتفوا بفرض الجزية على سكانهما ، وأجازوا لهم بيع أبنائهم ليدفعوها ، فكانوا يبعثون بها دون أن يدخلها جابٍ من قبل العرب .

وفى عهد عثمان قام العرب بغارة هائلة فى إفريقية التى كان بها الروم ، فقد أراد الخليفة شغل عرب الأمصار بالجهاد وإرضاءهم بإيجاد مجال يحصلون فيه على الغنائم[4] ، حيث كانت إفريقية تعرف لهم بالأرض الخضراء[5] ؛ لكثرة مزروعاتها . وكذلك ربما أحست الخلافة بأطماع روم هذه البلاد ؛ فيذكر الواقدى أن أهل إفريقية كانوا يعتبرون أنفسهم أكثر قوة من أهل الشام والعراق ومصر[6] . ولكن ابن الأثير يذكر : أن غزوها جاء بناء على إقتراح من عبد الله بن سعد بن أبى سرح[7] ، والى مصر ، الذى تولاها بعد

(١) البلاذرى، فتوح، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ؛ انظر، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٢ — ١٧٣ ؛ معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، ٣ ص ٦ — ٧ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٢٢٤ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ط . مصر ١٣٢٧ هـ ، ١ ص ٦٣ .

(٤) الكامل ، ٣ ص ٧٥ س ٨ ؛ المالكى ، رياض النفوس ، ١ ص ٨ .

(٥) الواقدى ، فتوح إفريقية ، ١ ص ١٠٢ س ١ .

(٦) فتوح إفريقية ، ١ س ٦ س ٨ .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٤٤ — ٤٥ ؛ انظر . La lutte, p 82; n (2): Cheira هو أخو عثمان من الرضاعة ، وكان من جند غزاة مصر ، شهد مع معاوية صفين ، وتوفى بعسقلان أو بإفريقية سنة ٣٦ أو ٣٢ أو ٥٩ . عن سيرته : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣ ص ١٧٣ — ١٧٤ ؛ الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ٣ ص ٧٣ — ٧٥ ؛ انظر . Ecy de l'Isl, (art 'Abd Aallâh B. Sa'd) t 1, p. 30—31.

عمرو بن العاص . فلعل ابن أبي سرح طلب الجهاد ؛ ليكفّر عن ماضيه ، إذ أن النبي كان قد أهدر دمه ؛ بسبب تغييره في القرآن عند كتابة الوحي[١] ، أو أنه كان قد ارتد ولحق بالمشركين في مكة ؛ وإن شفع فيه عثمان[٢] .

وقد تحولت هذه الغارة إلى غزو حقيق ، حتى أن الخليفة عقد لها المشورة .[٣] فتوجه ابن أبي سرح على رأس جيش كبير من شجعان المسلمين في سنة ٢٦/ ٦٤٦ أو ٦٤٧/٢٧[٤] ؛ ليتقابل مع الروم يساعدهم البربر[٥] ، فتقهقر هؤلاء إلى سُبَيطِلَة[٦] « Sbeitla » وطلبوا النجدة من القسطنطينية رومية[٧] . ولعل إختيار سبيطلة للقتال من دون قرطاجنة هو رغبة الروم في إيقاع العرب بين القاعدتين ، أو حتى لا يهاجم العرب قرطاجنة ؛ عاصمتهم . ولكن ابن أبي سرح جاءه مدد به أبناء الصحابة[٨] ، وبعض أفراد البيت الأموى ، فهاجم سبيطلة وخربها ، كما تمكن عبد الله بن الزبير من قتل جُرجير . لذلك طلب الروم الصلح مع العرب على أن يؤدوا لهم المال[٩] ؛ فقبل ابن أبي سرح مصالحتهم ، وعاد إلى مصر ومعه كثير من المال والسبي والمواشي[١٠] ، وإن لم يول[١١] عليهم أحداً . ولقد كان قتل جُرجير ضربة قوية ضعضعت

(١) المعارف ، ص ١٥٣ ؛ انظر مؤنس ، فتح ، ص ٧٨ .

(٢) البيان المغرب ، ١ ص ٩ .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ س ٩ .

(٤) نفسه ، ص ١٨٧ ؛ الكامل ، ٣ ص ٤٤ — ٤٥ . وقيل سنة ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ . معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ س ١٥ . أنظر عن هذه الغزوة أيضاً : Theophanes, p. 285

(٥) الواقدى ، فتوح إفريقية ، ١ ص ١٥ .

(٦) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٣٢ .

(٧) الواقدى ، فتوح إفريقية ، ١ ص ٤ س ٥ .

(٨) مثل عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . أنظر . فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ . عن قتل جرجير ، انظر . الأغانى ، ٦ ص ٥٩ ؛ مصعب الزبيرى ، كتاب نسب قريش ، تحقيق Lévi—Provençal ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ؛ وأيضاً ما كتبه حسين مؤنس بصحيفة المعهد المصرى بمدريد ، المجلد الثانى ١٩٥٤ ، ص ٢٣٤ .

(٩) مثلاً : الكامل ، ٣ ص ٤٦ . أخذ منها ثلاثمائة قنطار من الذهب . فتوح ، ص ٢٥٧ .

(١٠) معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ س ١٦ . تكثر المواشى فى شمال إفريقية .

(١١) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ س ١٩ ؛ العبر ، ٦ ص ١٠٨ س ١٠ ومابعدها .

روم إفريقية وأذلّهم ، حتى أن الخليفة عثمان احتفل فى مسجد المدينة بعودة عبد الله بن الزبير[1] ، الذى أصبح اسمه منذ ذلك الوقت ، يتوافق مع اسم كبار الفاتحين مثل خالد وعمرو

وبعد أن استولى معاوية على مصر من علىّ ، كان ولاته يجردون منها الحملات على بلاد البربر للغارة[2] . ولم يكن هناك نظام الثغور كما فى آسية الصغرى ، وإنما كانت ترسل الحملات من الفسطاط ، فلا تلبث أن تعود إليها بعد إنهائها[3] . كذلك كان عقبة بن نافع[4] — أحد أصحاب النبي الصالحين — يقيم بصفة دائمة فى نواحى برقة[5] فى الشمال ، وزويلة[6] فى الجنوب ، منذ فتحهما على يد عمرو ؛ فكان يغزو البربر منهما ، ويعمل على تحويلهم إلى الإسلام.

وقد كان نجاح حملات العرب فى إفريقية سبباً جعل معاوية يسعى إلى إنشاء قاعدة للعسكر فيها ، ولم يحدث هذا من قبل قط . ويبدو لنا أن معاوية قرر ذلك ؛ لخوفه من بيزنطة ، التى أخذت تعمل على إسترداد نفوذها فى إفريقية . فبعد قتل جُرجير ، قام بأمرها رجل آخر من الروم[7] ، ولكن بيزنطة تمكنت من

---

(١) النويرى ، نهاية الأرب (مخطوط بدار الكتب) ٢٢ ورقة ١٦٦ ؛ انظر . Gibbon : Decline, 5, p. 355. عنه ، انظر ، بعده .

(٢) فمثلاً معاوية بن حديج غزا ثلاث مرات فى سنوات ٣٤ /٦٥٤ و ٤٠ /٦٦٠ و ٥٠ /٦٧٠ (ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ — ١٩٤) ، أو حتى أيضاً فى سنة ٤٥ /٦٦٥ (العبر ، ٦ ص ١٠٨ س ١٣). وهو معاوية بن حديج السكونى الذى قتل محمد بن أبى بكر والى مصر من قبل علىّ فى سنة ٣٨ /٦٥٨ ، بأمر من عمرو بن العاص ، ولعله ولى مصر بعده أو بعد عبد الله بن عمرو ؛ وقد توفى سنة ٥٢ /٦٧٢ . عن سيرته ، انظر . أسد الغابة ، ٤ ص ٣٨٣ — ٣٨٤ ؛ الذهبى ، دول الإسلام ، ١ ص ٢٥ ؛ ابن عذارى ، ١ ص ١٤ وما بعدها .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ س ١٦ ؛ انظر . Cheïra : La lutte, p.64.

(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٢٤ . هو ابن خالة عمرو ، ولد أيام النبى ، وغزا فى البربر ؛ سنة ٤١ /٦٦١ و ٤٢ /٦٦٢ و ٤٣ /٦٦٣ و ٤٦ /٦٦٦ . ابن عبد الحكم ، ص ١٩٤ ؛ أسد الغابة ، ٣ ص ٤٢٠ — ٤٢١ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art 'Ukba B Nâf), t 3, p 104 sqq.

(٥) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ١٣٣ وما بعدها .

(٦) نفسه ، ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٤٦ .

طرده ، فلجأ إلى معاوية يحضه على غزو إفريقية . كذلك كان قسطانز الثانى قد بعث بعساكره فى البحر من القسطنطينية ، ولكن العرب هزموهم[1] ، فذهب قسطانز الثانى بنفسه إلى صقلية ، ربما ليعد حملة على بلاد المغرب ، ولكنه مالبث أن قتل فيها سنة ٤٨ / ٦٦٨[2] ، كما أن أسطول العرب بقيادة معاوية بن حديج شن على صقلية غارة قوية[3] ، ونرجح أيضاً أن نجاح معاوية فى شغل الروم فى آسية الصغرى بالدفاع عن أنفسهم ، جعله يشعر بحرية العمل فى إفريقية .

وقد عهد معاوية إلى عقبة بن نافع القيام بإنشاء هذه القاعدة ، وهو الذى كان معروفاً بشجاعته ومثابرته فى حرب البربر . فذهب عقبة على رأس عشرة آلاف فى سنة ٥٠/[4] ٦٧٠ ؛ ليخضع القبائل الثائرة مثل مزاته فرع لواته ، وأعاد سيطرة المسلمين على المدن الساحلية فى طرابلس[5] ، ثم سار إلى فزان[6] ، ووصل حتى لامس بلاد السودان بفتح غدامس[7] ، ومنها اتجه إلى جنوب إفريقية . وهناك فى أحد الأودية البعيدة عن الساحل ، التى لا تدركها مراكب العدو ، اختط قاعدة سماها : « القيروان » ، أو « قيروان إفريقية »[8] :

---

(١) العبر ، ٦ص ١٠٨ س ١٤ . ربما تكون فى ولاية معاوية بن حديج .

(٢) أنظر. Diehl : Michel le Syrien 2, fasc, 3, p 450 sqq:
Diehl et Marçais: L'Afrique byzantine. Paris, 1896, p. 569-570:
La lutte, p. 126 : Cheïra. : Le Monde, p. 239 ؛ العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص٩٩ .

(٣) فتوح البلدان، ص٢٣٦ .لعلها فى سنة ٤٩/٦٦٩ . عن هذا التاريخ ،انظر. ماورد. فى كتابه :Cheïrio Lu lutte, p·127; n(2)

(٤) فتوح البلدان ،ص ٢٢٧ . لديا [illegible] سنة ٤٩ / ٦٦٩ . أنظر . أبو الفدا ، المختصر ،١ص ١٨٦ — ١٨٧

(٥) أنظر . قبله

(٦) عنها ، انظر . معجم البلدن . ٦ ص ٣٧٤ — ٣٧٥ .

(٧) عنها ، انظر . [illegible] ، ٦ ص ٣١٨ .

(٨) رياض النفوس ، ص٦ ؛ معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، ٧ص ١٩٣ وما بعدها؛ انظر. Ency. de l'Isl, (art Kaïrwân) t 2, p. 686 sqq ، ولعل كلمة « قيروان » معربة من الفارسية « كروان » ، بمعنى القافلة . لسان ، ٢٠ ص٣٦ .

فكانت مثل مدن الأمصار[1] الأخرى تشتمل على الخطط ودار الإمارة ، والمسجد الذى لا يزال يحمل اسمه . وبذلك أصبح للعرب معسكر متقدم فى إفريقية ، يقف كقلعة[2] حصينة أمام قبائل البربر العديدة ، التى عرفت بجرأتها[3] ، فى جبل أوراس[4] .

ونحن لا نعرف سبب عزل عقبة بعد ذلك ، فلعله جاء من قبل عامل الخليفة مصر ، الذى أصبحت إفريقية جزءاً من عمله : فقد عزل الخليفة معاوية عامله فى مصر معاوية بن حديج ، وولاها مسلمة بن مخلد سنة ٥١ / ٦٧١ ، فقام هذا الأخير بعزل عقبة عن إفريقية ، وولاها أبا المهاجر[5] . ويبدو لنا أن عزل عقبة جاء نتيجة للشدة ، التى سار عليها فى معاملة البربر ، مما جعلهم ينفرون من العرب[6] . وعلى النقيض كان أبو المهاجر يغزو البربر ، ولا يخرج من إفريقية ، ويقيم فيها الشتاء والصيف[7] ، إلا أنه كان يعمل على استمالتهم ومعاملتهم باللين ، فاستطاع إكتساب زعيم قبيلة أوربة الكبيرة إلى صفه ، وهو الذى كان يعرف تارة باسم كسيلة أو (كسيلة) ابن

---

(١) فيقال مصرت . أنظر . معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٤ س ٨ ؛ ابن عبد الحكم ، ١٩٠ — ١٩٧ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٣٠ . يبدو أن القيروان بنيت بجوار المعسكر ، الذى كان اختطه معاوية بن حديج فى إحدى غزواته ، واسمه القرن ، ولكن لم يعجب عقبة ، فبنى القيروان . أسد الغابة ، ٣ ص ٤٢١ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٩٣ س ١٣ .

(٢) أنظر . Op. Cit, p. 16: Julien

(٣) ... ، ٦ ص ١٠٧ س ٢٠ .

(٤) عنه ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ٢٧٠ .

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٦ — ١٩٧ . كان مولده حين قدم النبى المدينة مهاجراً وقد شهد بعد التى فتح مصر وسكنها ، وهو من أصحاب معاوية وشهد معه صفين ، واستعمله على مصر والمغرب ، وتوفى سنة ٦٢ / ٦٨١ . انظر . أسد الغابة ، ٤ ص ٣٦٤ـ٣٦٥ .

(٦) أبو الفدا ، ١ ص ١٨٦ — ١٨٧ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٣٠ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ س ١٧ .

لزم [1] ، أو بابن الكاهنة [2] ؛ وإن كان البلاذرى [3] لا يذكره إطلاقاً : فمع أن كسيلة كان قد خرج على عقبة [4] ، إلا أنه تحول على يد أبي المهاجر إلى الإسلام وانضم إليه [5] . وقد تبع إنضمام كسيلة ، وتحوله إلى الإسلام ؛ إسلام قبائل عديدة من البربر ؛ إذ يصفه المؤرخون بأنه كان على رأس القبائل البرنسية . وفوق ذلك نزل أبو المهاجر على قرطاجنة [6] ؛ ليحارب الروم مدة عامين من سنة ٥٩/٦٧٨ ؛ بحيث أنها كانت ملحمة عظمى كما يقول الذهبي ولكن العداء ضد الروم ربما يكون قد توقف في السنة الأخيرة من حكم معاوية ؛ بسبب عقد معاهدة صلح ، وإن لم يتوقف العرب عن ضم قبائل البربر إليهم .

من هذا نرى أن معاوية لم يكتف بإرسال السرايا من مصر للإغارة في إفريقية ، ولكنه أقام فيها قاعدة متقدمة ، مما مهد إلى فتح المغرب كله في عهد خلفه .

---

(١) العبر ، ٦ ص١٠٨ ص ١٧ — ١٨ ؛ المالكي ، رياض النفوس ، ١ ص ٢١ و ٢٥ — ٢٦ . يبدو أن كسيلة بصيغة التصغير من إختراع المؤرخين . أنظر مقالة Lèvi Provençal في صحيفة المعهد الإسلامي ، المجلد الثاني ١٩٥٤ ، تعريب حسين مؤنس ، بعنوان : نص جديد عن فتح العرب المغرب لعبد الله (وهو ابن أبي علي صالح ، الذي اعتمد عليه ابن عذارى) ، ترجمة ص ٢١٠ ، نص ص ٢٢٠

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٧٢ . سنسمع عن ملكة البربر اسمها الكاهنة في عهد عبد الملك ظهرت في جبل أوراس . العبر ، ٦ ص ١٠٧ ؛ وبعده .

(٣) أنظر أول Julien : Op. Cit, p. 26 2.

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٧٢ .

(٥) العبر ، ٦ ص ١٠٨ . لعله كان على دين النصرانية قبل ذلك ، إذ كان البرانس يختلطون بالروم .

(٦) الذهبي ، دول الإسلام ، ١ ص ٢٢ .

(٧) أنظر Theophanes, p 355. ؛ Diehl et Marçais : Le Moads, p 241 ؛ انظر . قبله .

إبان هذا كان معاوية يمهّد لتوريث ابنه يزيد الخلافة من بعده[١] ؛ وبذلك استحدث تقاليد جديدة . فقد رأينا أن النبي لم يستخلف ، وأن عليّاً لم يرض أن يذهب إليه ويسأله استخلافه[٢] . وبعد موت النبي اختار العرب أبا بكر[٣] — وهو من غير أسرة النبي — خليفة للمسلمين من بعده ، وإن وضعوا مبدأ أن تكون الخلافة في قريش[٤] . ثم كان لظروف الفتوح الأولى أن مرت مسألة الخلافة بدون ضجيج ، فتولاها عمر بعهد من أبي بكر[٥] . وعند قتل عمر كره أن يستخلف ابنه عبد الله[٦] ، وعيّن أهل الشورى وعددهم ستة ؛ ليختاروا للمسلمين واحداً منهم ، فاختاروا عثمان[٧] . فلما قتل عثمان ، قبل عليّ الخلافة من عرب الأمصار ، وكبار أهل المدينة لما عرضوها عليه[٨] . وعلى العكس كان المبدأ الوراثي في الحكم معروفاً عند البيزنطيين والفرس ؛ فكان ملوكهم يعينون أولياء عهودهم من بين أبنائهم[٩] . وقد لاحظ الجاحظ أن معاوية غيّر في سنة السلف ،

(١) كان لمعاوية ابن أكبر اسمه عبد الرحمن مات صغيراً ، وابن آخر أخ اسمه عبد الله لم يكن يصلح للخلافة . الكامل ، ٣ ص ٢٦١ . عن سيرة يزيد : المسعودي ، مروج (ط. Paris) ، ٥ ص ١٢٦ — ١٦٥ ؛ المعارف ، ص ١٧٨ — ١٧٩ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Yazîd B Mu'âwiya) t 4, p 1226— 7; Lammens: Mo'âwia Ier, p. 63 sqq ؛ وبعده .

(٢) ابن سعد ، ٤/١ ص ١٨ — ١٩ .

(٣) النويري ، نهاية الأرب (ط . دار الكتب) ، ٧ ص ٢٢٢ وما بعدها ؛ ماجد ، التاريخ السياسي ، ١ ص ١٤٠ وما بعدها .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٥) الكامل ، ٢ ص ٢٩٢ — ٣١٠ ؛ انظر ماجد ، التاريخ السياسي ، ١ ص ١٨١ وما بعدها .

(٦) الكامل ، ٣ ص ٣٤ .

(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٤ وما بعدها ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٦٦ .

(٨) أنساب ، ٥ ص ٧٠ ؛ انظر قبله التاريخ السياسي ، ١ ص ٢٦٢ .

(٩) أنظر Homo. Roman Political Institutions. London, 1929, p. 295.

وتشبه بملوك الفرس والبيزنطيين ؛ فقال إنه حوّل الخلافة إلى : « ملك كسرى وعصب قيصرى [1] » .

ويبدو لنا أن معاوية قصد من وراء توريث يزيد الخلافة القضاء على إفتراق كلمة الأمة الإسلامية ووقوع الفتنة ، مثلما حدث بعد عثمان [2] . ولعله أراد أيضاً أن يوجد حلاً للمسألة التى تركها النبى دون حل ، وهى إيجاد سلطة دائمة للإسلام . ومن المحقق أن معاوية لم يكن له مندوحة من أن يفعل غير ذلك ؛ خوفاً من غضب بنى أمية ، الذين لم يكونوا يرضون بتسليم الأمر إلى سواهم [3] .

ونأبى أن نقبل ما تذكره الرواية العربية من أن تولية يزيد جاءت بإيعاز من جانب المغيرة بن شعبة بالذات ، الذى حرّض يزيد ليطلبها من معاوية ، حتى يبقى فى عمله بالكوفة [4] . فما كان معاوية ليخفى عنه هذا القصد ، وهو الذى كان يعدّ ابنه منذ صغره ليجعله : من « فتيان قريش الذين ينتفع بهم » [5] : فأحسن تربيته [6] ، وأسكنه معه فى سقيفته [7] (أى فى بيته) ، ليكون تحت ملاحظته ؛ كما أشركه منذ عهد مبكر فى الصوائف ، وأرسله إلى حصار القسطنطينية ، فعرف : « بفتى العرب » [8] . وأرجح الرأى أن معاوية الداهية لم يرض أن يظهر بمظهر المتخذ لهـذا القرار ، لأنه كان يتخوّف نفرة

---

(١) رسالة فى معاوية والأمويين ، عنى بنشرها وصححها عزت العطار ، القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ ، ص ١٦ .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٤٩ س ١٣ ، ٢٥٠ س ١٤-١٥ ، ٢٥١ س ٢ ، ٢٥٢ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٦٣ س ١ — ٢ .

(٤) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٦١ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٤٩ .

(٥) الأغانى ، ٧ ص ١٠٤ س ٨-٩ ؛ انظر Lammens : Mo'â. ler, p. 442

(٦) الفخرى ، ص ١٤٦ ؛ انظر Lammens : Mo'â ler, p. 375.

(٧) الأغانى ، ٧ ص ١٠٤ س ٣ ؛ انظر Lammens : Mo'â ler, p. 36

(٨) اليعقوبى ، ٢ ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

الناس ويرجو طاعتهم(١) ؛ ولوجود كثير من المرشحين للخلافة بين الصحابة والتابعين(٢) . وعلى كل حال أعتبر المغيرة ثانى الذين أفسدا الأمة الإسلامية ، وهما : عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف ، أما المغيرة فبسبب أنه أشار ببيعة يزيد ؛ ولولا مشورته ، لـكانت الخلافة شورى إلى يوم القيامة(٣) .

وقد ابتدأ معاوية فأظهر تعيين يزيد دون أن يقرر البيعة(٤) ؛ ليرى وقعها فى الأعمال ، وكتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه(٥) ، وبذلك أراد أن يقضى على دعوى أعداء الأمويين فى وصف ابنه بالخلاعة وشرب الخمر وإيوائه المغنين(٦) ، حتى أنهم كانوا يسمونه : يزيد الخمور أو يزيد الخليع . ثم هيأ لهذا القرار مبـدأ الشورى(٧) : فجاءته الوفود من الأمصار إلى دمشق بإيعاز من عماله فى الأمصار ، كما أن بعضها أشترى بالمال . ولما كان أهل الشام يريدون إستخلاف عبد الرحمن ابن خالد ، وهو الذى اشتهر فى حرب الثغور ، وكان أبوه محبوباً لهم لفتحه الشام وبقائه فيه حتى بعد أن عزله عمر إلى أن مات ودفن بحمص ؛ فإن الرواية العربية تقول — كما قالت من قبل عن وفاة الحسن — إن معاوية دسَّ لعبد الرحمن فسقاه سماً فمـات(٨) . وكذلك راجت بين العرب أحاديث منقولة عن النبى صـدقاً أو كذباً ، تذكر أن الخلافة بعده ثلاثون سنة — أى حتى خلع الحسن لنفسه منها — ثم تعود ملـكاً عضوداً(٩) .

ولما مهَّـد معاوية الأرض وروَّض الناس(١٠) ، وقرر أخـــذ البيعة ليزيد

---

(٢) الـكامل ، ٣ ص ٢٥٠ س ٣ — ٤ ،
(٢) الأغانى . ١٨ ص ٧١ .
(٣) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٧٩ .
(٤) العقد ، ٢ص ٣٠٢ .
(٥) الـكامل ، ٣ ص ٢٥٠ س ٢٤ .
(٦) الأغانى ،١٦ص ٧٠ (آخر الصفحة) ؛ انظر . Mo'â, ler, p. 385:Lammens
(٧) الـكامل ، ٣ص ٤٢٩ — ٢٥٠ .
(٨) الأغانى ، ١٥ ص ١٣ س ٤ ؛ انظر Mo'â. ler, p.6,8.:Lammens
عن سيرة عبد الرحمن ، أسد الغابة ، ٣ص ٢٨٩ — ٢٩٠ ؛ وقبله .
(٩) أبو الفدا ، المختصر ، ١ ص ١٨٣ .
(١٠) العقد ، ٢ ص ٣٠٢ س ٩ .

فى سنة ٥٦ / ٦٧٥ — ٦٧٦[١] ؛ وتعنى هذه الكلمة فى القرآن عقداً بين الحاكم والمحكومين[٢] ، وتكون بضرب اليد على يد المبايع أو بسطها[٣] . فكان معاوية يأخذ بنفسه بيعة ابنه من وفود الأمصار[٤] ، فيأخذ يد البايع فى يده حتى وهو كاره[٥] . وقد أتاح مجىء الوفود إلى دمشق قيام إحتفالات أدبية اشترك فيها الخليفة والشعراء والخطباء[٦] . ومنذ معاوية أصبح كل خليفة يأخذ البيعة لخلفه فى حياته ، وهى لن تكون بالضرورة للأبناء ، وإنما أيضاً للأخوة وللأقارب .

ولكن الحجاز دون بقية الأعمال رفض المبايعة فى أول الأمر ، مما جعل معاوية يذهب بنفسه إليه ؛ وخصوصاً أن حصول بيعته ضرورية لأنه مهد الإسلام ، ولأن به الصحابة وأبناءهم ، وبخاصة ثلاثة من سادة العرب كان لا بد أن يكون لهم رأى فى الأمر[٧] ، هم : عبد الله بن عمر ، والحسين بن علىّ ، وعبد الله بن الزبير ؛ فالأول والثانى ابنا خليفتين ، والثالث كان والده قد قاتل فى سبيل الخلافة ، وله أنصار يبايعونه . وقد هدد معاوية بالسيف والضرب والسجن كل من لم يبايع ،

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٢٤٩ وما بعدها .

(٢) القرآن ٤٨ : ١٠ .

(٣) ابن هشام ، ص ٣٠٠ ص ٤ ، ٢ ص ١٠١٦ ص ١١ ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٤٣ — ١٤٤

(٤) الكامل ، ٢ ص ٢٥١ — ٢٥٠ ؛ ابن قتيبة ، كتاب الإمامة والسياسة ، صححه محمود الرافعى ، القاهرة ١٣٢٢ / ١٩٠٤ ، ١ ص ٢٦٣ .

(٥) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(٦) الكامل ، ٣ ص ٢٥١ ص ٧ ؛ انظر ديوان الأخطل ، عنى بطبعه الأب أنطون صالحانى ، بيروت ١٨٩١ ، ص ١٤٦ وما بعدها ، ص ١٦٧ وما بعدها .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٢٥١ — ٢٥٢ . يضاف إليهم عبد الرحمن بن أبى بكر ؛ ولكن يظهر أنه توفى قبل بيعة يزيد فى سنة ٥٣ / ٦٧٢ — ٦٧٣ (نفسه ، ٣ ص ٢٥٢ . فى آخر الصفحة) . كذلك لا يذكر ابن عبد ربه إلا الثلاثة (العقد ، ٢ ص ١٢٢) . كما يبدو أنه لم يكن عبد الرحمن يهتم بالخلافة إطلاقاً ، بقدر اهتمامه بالنساء واللهو . الكامل ، ٣ ص ٢٥٩ . أنظر عن آباء الثلاثة : التاريخ السياسى ، الجزء الأول .

وأوهم أهل الحجاز بأن هؤلاء الثلاثة بايعوا مع أنهم عارضوه[1] ، وأن عائشة طلبت منه أن يرفق بهم[2] . ولعل ابن عمر قد تردد[3] ، وأن معاوية قد نجح في أن يحصل على بيعته[4] ، وخصوصاً أنه كان زاهداً في الخلافة ، وأن أباه كان رفضها له[5] .

فالمحصل أن معاوية كان يهفو إلى السلطة ، فحوّل الخلافة إلى سلطة مطلقة (أوتقراطية) ؛ على أن تبقى وراثية في ذريته ، فاعتبر مؤسس الدولة الأموية . وقد كانت همته في توسيع أمبراطورية العرب وتنظيمها دليلاً على كفاءته ؛ إذ يوصف بأنه كأنما خُلق للملك[6] .



تولى يزيد الخلافة بعد موت أبيه ، الذى أكد له أنه أخضع[7] رقاب

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٢٥٢ س ٢٠ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٢٥١ (آخر الصفحة) . توفيت عائشة حوالى سنة ٥٨ / ٦٧٧ . (أنظر . نفسه ، ٢ ص ٢١٠) ، أو سنة ٥٧ / ٦٧٦ (أنظر . الذهبي ، دول الإسلام ، ١ ص ٢٨) .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٧١ . هو أكبر أبناء الخليفة عمر أسلم بمكة مع أبيه ، وهاجر إلى المدينة صغيراً ، ولم يشترك في بدر وأحد ، وحارب يوم الخندق ، وشهد فتوح الشام ومصر وفارس وآذربيجان ، واعتزل الفتنة ولم يبايع علياً ، ولم يشترك في حروب علي ، وحضر دومة الجندل ، وفي خلافة معاوية اشترك في حرب الصوائف مع يزيد ، وتوفي في سنة ٧٣ أو ٧٤/٦٩٢ — ٦٩٣ . عن سيرته : ابن سعد ، ٤/١ ص ١٠٥ — ١٣٧ ؛ أسد الغابة ، ٣ ص ٢٢٧ وما بعدها ؛ المعارف ، ص ٩٢ ؛ وفيات الأعيان ، بولاق ١٢٧٥ / ١٨٥٩ ، ١ ص ٣٤٩ — ٣٥٠ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art 'Abd Allâh B. 'Omar B. al-Khattâb) I, p. 29—30. وبعده .

(٤) روى المؤرخون أن معاوية أرسل إليه مائة ألف درهم . الكامل ، ٣ ص ٢٥٠ س ١٢ ؛ ابن سعد ، ٤/١ ص ١٣٤ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ٢٥٩ ؛ انظر . قبله .

(٦) الذهبي ، تاريخ الدول ، ١ ص ٢٢ .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٢٥٩ س ١٤ .

العرب ، وذلك فى سنة ٦٠/٦٨٠[١] . وقد كتب يزيد إلى سائر الأمصار بتوليته فبايعته[٢] ؛ إلا أنه امتنع عن مبايعته اثنان عظيمان : الحسين بن علىّ ، وعبدالله ابن الزبير ، وهما من النفر الذين رفضوا بيعته بولاية العهد[٣] ، وكان معاوية قد حذره منهما[٤] . وعلى الرغم من أن يزيد طلب من عامله على المدينة إلزامهما بمبايعته ، فإنهما رفضا وتمكنا من اللحاق بمكة[٥] — وهى البلد الحرام التى لا يقاتل فيها — مما جر إلى وقوع الفتنة من جديد بين المسلمين .

هذه الفتنة عرفت عند المؤرخين الحديثين بالفتنة الثانية ، ويقصد بها كالأولى — التى وقعت بعد مقتل عثمان — انقسام وحدة المسلمين السياسية واختلاف آرائهم[٦] ، وكانت هذه الوحدة قد تمت على يد معاوية منذ بايعه الحسن بن علىّ ، واستمرت أكثر من تسعة عشر عاماً[٧] . ولكن مزاجلها كانت أشد غلياناً من الأولى ، ودامت فترة أطول ؛ إذ استمرت طوال حكم ثلاثة خلفاء بعد معاوية ، واستطاع الرابع اخمادها والاحتفاظ بالخلافة فى أسرته ؛ لتبقى حتى سقوط الدول العربية .

---

(١) نفسه ؛ المعارف ، ص ١٧٨ .

(٢) أبو مخنف ، كتاب فى مقتل الحسين ، نشره الشيرازى ، بمباى ١٣٦١ هـ ، ص ٦ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٢٦٣ . يبدو أن عبد الله بن عمر بايع يزيداً ، وكان قد بايعه فى حياة معاوية ، وينسب إليه قوله : « إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاءً صبرنا » (ابن سعد ، ٤/١ ص ١٢٤) ، ولعله أيضاً لم يبايع ، وخصوصاً أن الأمويين لم يكونوا يتخوفونه (الكامل ، ٣ ص ٢٦٥ س ١٦) . أما عبد الرحمن بن أبى بكر ، فكان قد توفى قبل ولاية يزيد العهد . أنظر . قبله .

(٤) الكامل ، ٣ ص ٢٥٩ .

(٥) نفس المصدر ، ٣ ص ٢٦٣ ؛ ابو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٦ ؛ اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٨٧ .

(٦) الكامل ، ٣ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، عن معناها ، انظر . لسان ، ١٧ ص ١٩٣ ، ١٩٦ .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٢٦٠ س ٥ .

وكان أول الخارجين على خلافة يزيد الحسين بن علي[1] : وهو الابن الثاني لعلي وفاطمة ، ولد سنة أربع أو ثلاث ، وكان أشبه الناس بالنبي ، حتى عُرف هو وأخوه الحسن : « بسبطي رسول الله[2] » ، أي حفيديه ، ابني بنته . وقد شهد الحسين أحداث الفتنة الأولى مع أبيه ، وخلع أخيه من الخلافة ، ثم رحيلهما إلى الحجاز ، حيث خصص معاوية لهما بعض المال[3] . ولكن الحسين اختلف في سيرته عن أخيه ، فعرف لأهل الحجاز بتدينه وصرامته[4] ، ووصف بأنه شديد العزة[5] .

ولا نُكران أن الحسين كان أكثر تحمساً لحق أسرته في الخلافة ، فكان كارهاً لما فعله أخوه من تسليم الأمر لمعاوية[6] ؛ وإن لم ينقض بيعته لمعاوية لوجود أخيه ، ولأنه كان قد بايعه معه[7] . ولكنه رفض مبايعة يزيد ، واعتبر نفسه صاحب حق في الخلافة : فيروى المؤرخون من أقوال الشيعة بأن علياً نص[8]

(١) عن سيرته . أسد الغابة ، ٢ ص١٨ وما بعدها ؛ الخطط ، ٢ ص٢٨٥ ومابعدها ؛ مقاتل الطالبيين ، ص ٥٤ وما بعدها ؛ أبو مخنف ، في مقتل الحسين ؛ الخوارزمي (للموفق أحمد (ت ٥٦٨) ، مقتل الحسين ، في جزءين ، النجف ١٩٤٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ ص ١٨٨ وما بعدها ؛ انظر Ency, de l'Isl,(art al-Husaīn) t 2, p. 360 2 ed, t 2, p. 628 spp. ؛ دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ترجمة ص ٨٤ .

(٢) لسان العرب ، ٩ ص ١٨١ (آخر الصفحة) . كذلك الحسين يعرف بعترة رسول الله . اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٧ .

(٣) أبو مخنف ، في مقتل الحسين ، ص ٤ س ١٤ — ١٥ ؛ الأخبار الطوال ، ص ٢٢٠ ؛ انظر قبله .

(٤) الخطط ، ٢ ص ٢٨٥ ؛ أسد الغابة ، ٢ ص ٢٠ . كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٣ .

(٦) أسد الغابة ، ٢ ص ٢٠ ؛ انظر . قبله .

(٧) الأخبار الطوال ، ص ٢٢٦ س ١١ — ١٢ .

(٨) أنظر . Imaili-law of Wills. Bombay, 1933, p, 35. : Fyzee

يردد الشيعة أن النص — تولية الإمام لخلفه — مظهر لإرادة الله ، التي ظهرت بسبب أن النبي أوصى بالخلافة إلى علي ، لتكون في عقبه إلى يوم القيامة ؛ وذلك في أثناء حجة الوداع ، بقرب غدير خم بين مكة والمدينة . عن ذلك : النعمان ، دعائم الإسلام ، تحقيق فيظي ، ١ ص ٢٠ — ٢١ ؛ وانظر ماجاء في كتابنا : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ط ٢ ، ١ ص ٥١ وما بعدها .

فى وصيته على توليته بعد الحسن أو أنه كان قد ورد فى اتفاق الحسن مع معاوية أن تكون الخلافة للحسن بعده مما يجعله أولى بها من يزيد[١] . كذلك كان الحسين يرى نفسه أفضل بها من يزيد ربما لتجربته وكبر سنه[٢] ، فقد كان يُعرف بين العرب : « بالسيد[٣] » ، ولأن يزيد كان على حسب قوله يشرب الخمر[٤] . أضف إلى ذلك أن الحسين قد قدّر أنه إذا بقيت الخلافة فى بيت بنى أمية ، قُضى على نفوذ بنى هاشم .

ولكن أرجح الرأى أن تشوق الحسين إلى الخلافة راجع إلى تحريض أهل الكوفة له . فهذا المصر الذى أنشىء فى عهد عمر بن الخطاب لإنزال الجنود[٥] ، ما لبث أن اتسع بما ورد إليه من موالى الفرس[٦] ، ومن رجالات قريش ، الذين سمح لهم عثمان بالانطلاق فى البلاد ، بعد أن كان عمر قد حصرهم فى الحجاز[٧] . ولما تولى علىّ الخلافة اتخذ الكوفة مركزاً له ، وقاتل بأهل العراق أهل الشام قتالاً شديداً فى صفين ، حتى كره بعضهم البعض[٨] ؛ وأهاج العصبية القديمة بينهما . وقد امتلأت الكوفة فى عهده بشيعته ، الذين كانوا يؤمنون بحقه المقدس

---

(١) أسد الغابة، ٢ ص ١٣ .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٣٠١ .

(٣) نفسه، ٣ ص ٢٦١ ص ١٦ — ١٧ ، ٢٧٦ . أختلف فى سنه ، فهو تولى وكان عمره خمساً وخمسين أو إحدى وستين ، بينما يزيد كان عمره خمس وثلاثين أو ثمان وثلاثين أو تسع وثلاثين . الكامل ، ٣ ص ٣١٦ — ٣١٧ .

(٤) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٨ .

(٥) عن هذا المصر ، انظر • معجم البلدان ، ٧ ص ٢٩٥ وما بعدها . مى مصرت فى سنة ١٧ هـ ؛ انظر عنها: Ency. de l'Isl. (art al-Kûfa) t 2,p.1170

(٦) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٨ س ٢ .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٩١ س ١٣ ؛ انظر قبله. التاريخ السياسى، ١ ص ٢٥٤ .

(٨) ابن سعد، ٤ / ٢ ص ٣ س ٢٥ — ٢٦ . عن نزاعهما القديم، انظر قبله . التاريخ السياسى ، ١ ص ٨٧ وما بعدها .

فى الخلافة ؛ فقد رأينا السبئيــة وهى أول فرقة شيعية طعنت فى حـــكم الخلفاء الأوائل ، ودعت إلى ولاية أهل البيت[1] . وبعد قتل علىّ بايع أهل الـكوفة الحسن ؛ إلا أن الشيعة فيها امتعضوا من تسليمه الأمر لمعاوية[2] ؛ وإن شرط الحسن الأمان لهم[3] . وقد كان سوء معاملة ولاة الـكوفة لأهلها ، سبباً جعلهم يكرهون بنى أمية كرهاً شديداً[4] . فـكان المغيرة بن شعبة الذى ولى الـكوفة سنة ٤٢/٦٦٢ — وعُرف بالدهاء — يرشو أصحاب علىّ ليضمن سكوتهم[5] . وكان زياد بن أبى سفيان ، الذى وليها من بعده سنة ٥٠/٦٧٠ ، يستعمل الشدة مع أهل الـكوفة حتى خافه الناس خوفاً شديداً[6] ؛ فعمل على قتل حُجر بن عدى وأصحابه[7] ، الذين كانوا يرون أن الأمر لا يصلح إلا فى آل أبى طالب[8] . وهو نفسه كان يحقر الشيعة ويسميهم : « الترابية[9] » ، ويكنى علياً «أبا تراب»[10] ، حيث كان الأمويون يرمزون بذلك إلى جعله كقاطع

(١) النوبختى ، فرق الشيعة ، ص ٢٢ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art 'Abd Allāh b. Saba') t 1, p. 30 (art Shî'a) t4, p.363: تنسب الى عبد الله ابن سبأ ، كان يهودياً فأسلم ، وجاب عدة أقطار منها العراق .

(٢) مقاتل الطالبيين ، ص ٤٦ .

(٣) ابن العبرى ، ص ١٨٦ .

(٤) الفخرى ، ص ١٥٩ .

(٥) الأخبار الطوال ، ص ٢٢٤ ؛ انظر . قبله .

(٦) أبو الفدا ، المختصر ، ١ ص ١٨٥ ؛ انظر . قبله .

(٧) الـكامل ، ٣ ص ٢٣٣ وما بعدها ؛ انظر . Ency. de l'Isl, 2ed (art. Hudjr B 'Adî) t3, p. 564.

(٨) نفسه ، ٣ ص ٢٣٩ .

(٩) الأغانى ، ١٣ ص ١٦٨ س ٢٢ . مفردها ترابى .

(١٠) نفسه ، ١٦ ص ٦—٧ ؛ الـكامل ، ٣ ص ٢٣٦ ؛ انظر . Ency. de l'Isl (art Abû Turâb) t 1, p, 114. Mo'â ler, p. 184 ; n (7) : Lammens : يذكر الأصفهانى فى كتابه (مقتل الطالبيين ، ص ١٥) ؛ أن هذه تسمية النبى لعلىّ ، لأنه وجده فى المسجد راقداً وقد زال رداءه عنه ، وأصابه التراب ؛ وأنها كانت أحب التسميات لعلىّ !

طريق ، مع أن الشيعة أنفسهم لم يكونوا يعرفون هذا الاسم من قبل ، وكان يجبرهم على لعن علي [1] .

فلما تولى يزيد الخلافة جمع لعبيد الله بن زياد الكوفة [2] ، بالإضافة إلى البصرة ، التي وليها لمعاوية منذ سنة ٥٥/٦٧٤ ؛ وذلك لأن عامل الكوفة من قبل معاوية وهو النعمان بن بشير الأنصاري [3] ، أعتبر من المستضعفين ، الذين تركوا الحبل على الغارب للشيعة ، على عكس عبيد الله بن زياد الذي عرف كأبيه بأنه رجل قوي . ويبدو لنا أن عمال الأمويين في مصري : الكوفة والبصرة بجانب شدتهم ، كانوا يعتمدون أيضاً على استمالة طبقة تعرف : « بالأشراف [4] » ، لعلهم من الصحابة والتابعين [5] . الذين وفدو إليها أو من زعماء قبائلها. ومع هذا فلم يتمكن الأمويون من القضاء على تأييد شيعة الكوفة لحق آل أبي طالب ؛ فهؤلاء اعترفوا بالحسين خلفاً للحسن وراسلوه [6] ، حتى أن معاوية كتب إليه يحذره ، ولكن الحسين رد عليه مؤكداً أنه لا ينقض عهده [7] . وبعد موت معاوية بعثوا إليه بالرسل والكتب [9] ، وكتب

---

(١) الأغاني، ١٦ س ٧ س ١ .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ . تولى لمعاوية خراسان في ٥٤/ ٦٧٣ — ٦٧٤ . عن سيرته: المعارف ، ص ١٧٦ — ٢٧٧ ؛ انظر Ency. de l'Isl, (art 'Ubaid Allâh b. Ziyâd t 4, p. 1037 . عرف باسم أمه ، فكان يقال له أيضاً ابن مرجانة .

(٣) ولد بالمدينة ، وكان عثمانياً ، والعله هو الذي حمل قميص عثمان وأصابع نائلة إلى الشام، وتولى عمل الكوفة سنة ٥٩ /٦٧٨ — ٦٧٩ ؛ وقتل في خلافة مروان ،وربما معرة النعمان تنسب إليه . ابن سعد ، ٦ ص ٣٥ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٥٦ ، ٢٦٧ — ٢٨٦ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art al-Nu'mân B. Bachir) t 3, p. 1018-19.

(٤) الأخبار الطوال ، ص ٢٢٥ س ٦ ، ٢٣٩ س ١٢ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٦٨ س ٦ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ٢٢٤ . عن طبقات من نزل الكوفة من أصحاب رسول الله ، انظر . ابن سعد ، ٦ ص ١ وما بعدها .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

(٧) أبو مخنف ، في مقتل الحسين ، ص ٤ .

(٨) الكامل ، ٣ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

معهم الناس من غير الشيعة ، فبلغ ما كتبوه نحواً من مائة وخمسين صفحة ، يحرضونه على القدوم إليهم لبيعته .

والثابت أن الحسين قبل دعوة أهل الكوفة ، وهو ما كان قد توقعه معاوية: من أن أهل العراق لن يتركوه حتى يخرجوه[1] . وقد نصحه بعض أهل بيته وأنصاره بأن يبقى فى الحجاز[2] ، ويعوذ بمكة البلد الحرام ، وإذا أبى إلا أن يخرج فليشخص إلى اليمن لكونها أرضاً واسعة فيها الحصون والشعاب ؛ وذلك لأن الكوفة بلد مشئومة ، بها قُتل أبوه ، وخُذّل أخوه[3] ، وأن أهلها لم ينفوا عاملهم[4] ، الذى تحت يده بيت المال[5] . ولما كان الحسين لا يتمتع بمزية الدهاء — حتى أن معاوية وصفه بالرجل الخفيف[6] — فإن كل ما اتخذه الحسين من حيطة، هو أن بعث إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل ؛ ليمهّد له طريق البيعة[7] ، ولم ينتظر ما يفعله ، وإنما بادر بالسير وراءه فى عدد قليل ينيف على السبعين[8] ، معظمهم من أهل بيت النبى ، متخذاً سنة أبيه فى السير نحو العراق .

---

(١) الكامل ،٣ ص٢٥٩ س ٢١ .

(٢) نفسه، ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٧٦ . ممن نصحوه : أخوه محمد بن الحنفية ، وابن عمه عبد الله بن العباس . أنظر عن سيرتيهما فيما بعد .

(٣) نفسه ، ٣ ص٢٦٦ س ١٦ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٢٧٦ س ٧ .

(٥) نفسه ، ٣ ص ٢٧٥ س ١٤ .

(٦) نفسه، ٣ ص٢٥٩ س ٢١.

(٧) نفسه ، ٣ ص ٢٦٧ . توجد سيرته فى مقاتل الطالبيين ، ص ٥٥ ، ٦٨ وما بعدها ؛ ابن سعد، ٤/١ ص ٢٩ ؛ انظر Ency. de l'Isl. (art Muslim B. 'Akil) t 3, p. 807—8.

(٨) الذهبى ، تاريخ الدول ، ١ ص ٢٩ . أختلف فى العدد : فقيل ٦٢ (اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٨٩) ، أو ٧٢ منهم ٣٢ فارساً و ٤٠ راجلاً . الكامل ، ٣ ص ٢٨٦ س ١٤ .

ومن ناحية أخرى هال يزيد تآمر أهل الكوفة ضده ، فكتب إلى ابن زياد يأمره بطلب مسلم بن عقيل وقتله[1] ، ويذكره المؤرخون أنه هدده — إن لم يفعل — بالتبرؤ من إستلحاق معاوية لأبيه[2] . فأثبت ابن زياد علو همته : فبعد أن تأكد لزيد من طاعة أهل البصرة[3] ، الذين كان الحسين قد كتب إلى أشرافهم يدعوهم إلى نصرته[4] ؛ أسرع ووافى الكوفة ، وأخذ بدهائه وتهديده فى تثبيط همم أهلها ، ويبدو أنه نجح فى استمالة أشرافهم عن طريق رشوتهم بالمال[5] . ثم أطلق شرطته والعرفاء[6] — وهم مشايخ الأسواق — للبحث عن مسلم بن عقيل ، الذى كان قد أخذ البيعة للحسين من عدد كبير من أهل الكوفة[7] ، فخذل الناس عنه حتى لم يبق معه أحد ، وتمكن من أسره بالخديعة ، وضرب عنقه مع أنه منحه الأمان[8] ؛ فكان أول من قتله بنو أمية من بنى هاشم بعد إسلامهم . كذلك منع أهل الكوفة من النفوذ إلى ناحيــة الحجاز[9] ، وأرسل خيلاً لتمنع الحسين من دخول العراق[10] .

ويبدو لنا أن عامل يزيد على الحجاز ، لم يبذل محاولة جدية لمنع الحسين من الخروج إلى الكوفة ، بسبب وجود كثير من شيعته فى عمله ، بل لعله قدّر سهولة القضاء عليه فى الصحراء بعيداً عن أنصاره ؛ بحيث أن بنى هاشم فيما بعد اتهموا

---

(١) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ١٢ س ١٠ .

(٢) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٨٦ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٢٦٩ .

(٤) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ١٢ — ١٣ .

(٥) نفسه ، ص ٢٢ ؛ الأخبار الطوال ، ص ٢٣٤ ومابعدها .

(٦) الأخبار الطوال ، ص ٢٤٠ .

(٧) نفسه ، ص ٢٣٦ . يقول ثمانية عشر ألف رجل .

(٨) نفسه ، ص ٢٤٢ ؛ مقاتل الطالبيين ، ص ٧٨ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٦٩ — ٢٧١ .

(٩) الأخبار الطوال ، ص ٢٤٣ .

(١٠) نفسه ، ص ٢٤٧ .

يزيد بأنه هو الذى دس إليه الرجال ، حتى يخـــرج[1] . على كل حال أملت الحسين من مكة فى الصحراء ، ميمماً شطر الـكوفة[2] . وفى الطريق لقى الفرزدق الشاعر[3] ، الذى كان أول أمره يـكره الأمويين ، وحينما قال له الحسين كيف خلّفت الناس بالعراق ، قال خلفتهم وقلوبهم معك وسيوفهم عليك . وقد فهم الحسين مغزى قول الفرزدق وقدّر نتائجه ، حينما جاءه خبر قتل ابن عمه مسلم بن عقيل ؛ فنصح من يحب أن ينصرف بالانصراف ، فتفرقوا عنه ولم يبق معه إلا أهل بيته ومواليه ، من بينهم أولاد مسلم بن عقيل ، الذين أرادوا الأخذ بثأر أبيهم[4] . وزاد الموقف تأزماً للحسين حينما أدركته الخيل التى أرسلت من العراق بقيادة الحرّ بن يزيد ، وقد ظنهم الحسين فى أول الأمر من أهل الـكوفة ؛ جاءوا لنصرته[5] . فـكان الحرّ لا يفارقه لحظة ، حتى نزل الحسين سهلاً لا ماء فيه بالقرب من الفرات على مبعدة من الـكوفة ، سماه كرْبِلاَء[6] ، بسبب أنه أرض كرب وبلاء . وما لبث أن تصدت له فئة أخرى كبيرة من عسكر الـكوفة بقيادة عمر بن سعد بن أبى وقاص[7] ، ابن قائد فتح

(١) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٤ — ٢٩٧ . أنظر نص كتاب ابن العباس ليزيد .

(٢) الأخبار الطوال، ص ٢٤٤. كان أمير الحجاز وقتئذ هو عمرو بن سعيد بن العاص أنظر . بعده

(٣) نفسه، ص ٢٤٥؛ الـكامل، ٣ ص ٢٣١ — ٢٣٢ ، ٢٧٦ . الفرزدق لقب غلب عليه بمعنى الرغيف الضخم ، الذى تجففه النساء للفتوت ، واسمه همام بن غالب بن صعصعة ، وهو توفى سنة ١٠٤ / ٧٣٢ — ٧٣٣ .عنه : الأغانى ، ١٩ ص٢ وما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art al-Farazdak), t 2, p. 64—65.

(٤) أبو مخنف، فى مقتل الحسين، ص ٢١ ؛ الخطط ، ٢ ص ٢٨٦ .

(٥) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٢١ — ٢٢ .

(٦) نفسه ، ص ٢٤ . أختلفت فى معنى هذا الاسم . أنظر . معجم البلدان، ٧ ص ٢٩٩ .

(٧) أبو مخنف فى مقتل الحسين ، ص ٢٥ . أختلف فى عدد ما أرسله ابن زياد إلى الحسين ، فيقول أبو مخنف إنهم ثمانون ألفاً (نفسه) ، ويقول ابن الأثير أربعة آلاف . (الـكامل ، ٣ ص ٢٨٢)، ويقول الذهبى نحو ألفى فارس (تاريخ الدول، ١ ص ٢٩) . عن ابن سعد ، انظر . أسد الغابة ، ٢ ص ٢٩٠ وما بعدها .

فارس ، وأحد أنصار عثمان المعروفين ؛ حيث نزلت بإزائه أيضاً فى كربلاء .
فعرض الحسين على ابن سعد أن يرجع إلى المكان الذى أقبل منه ، أو يذهب إلى الثغور ، ولكن ابن زياد كان قد أصدر أمره بأن يسلّم الحسين أو يُقتل[1].

ولم يكن إذن بد من أن يقاتل الحسين وأصحابه ، فوضع حطباً وقصباً فى مكان منخفض من ورائهم ، وأضرم فيه النار ، لئلا يؤتوا من خلفهم[2] . وحاول الحسين أن يستميل أعداءه بخطبهم[3]، بما كان قد عُرف عنه من الفصاحة ، ولكن عسكر أعدائه لم يؤثر فيهم قوله . فلما عطش أرسل جماعة من أصحابه لتأتى بالماء من الفرات ، فقتلهم جند ابن سعد ، ورُشقت قرب الماء بالنبال[4] . كذلك أرسل ابن سعد رماة النبال فقضوا على خيل الحسين ، كما أحرقوا خيامه على من فيها من النساء ، ورشقوهن بالنبال والحجارة[5] . فكان أهل بيت النبى يقاتلون بشدة ، وهم يتقون الحسين بوجوههم ونحورهم ، ويتنافسون فى أن يُقتلوا بين يديه ، حتى أصبح أغلبهم ما بين قتيل وجريح[6] ، فقتل ولده وإخوته وبنو أخيه وبنو عمه ، وهم الذين يذكرهم الأصبهانى بأسمائهم فى كتابه : مقاتل الطالبيين[7]. ولكنّ الحرّ بن يزيد ـ الذى كان على الخيل ـ حرّكته النخوة ، فنزل عن ظهر جواده ، وجعل يقبـل يد الحسين ورجليه ، ووهب نفسه للقتال[8]

---

(١) الكامل ، ٣ ص٢٨٤ ؛ الخطط ، ٢ ص٢٨٧ .
(٢) الكامل ، ٣ص٢٨٦ س ١٦ — ١٧ .
(٣) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص٢٦ — ٢٧ .
(٤) نفسه ، ص ٢٧ — ٢٨ .
(٥) الكامل ، ٣ ص٢٩١ .
(٦) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٣١ .
(٧) مقاتل الطالبيين ، ص٥٥ وما بعدها.
(٨) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٣٦ .

معه؛ حتى قتل. وحينما أخذ الحسين طفلاً صغيراً فى حجره ؛ ليسكته من تلظيه بالعطش، رمى رجل الطفل بسهم فذبحه[1] ؛ وأخيراً لم يبق غير الحسين ، وابن مريض[2] ، وبعض النسوة[3] .

وقد تردد جنود ابن زياد فى أول الأمر فى قتل الحسين ، حتى أنهم كانوا يتفادونه[4] . ولكنه لما طلب الماء ؛ أرسل أحد الجنود نحوه سهماً اخترق صدغه . ثم نزل إليه رجل آخر ليضربه بالسيف ، وانتزع سيفه منه ، الذى هو سيف النبى المسمى بذى الفقار[5] ؛ فصار الحسين يضرب بسكين[6] . ولكن تكاثر الجند عليه ، وأخذوا فى ضربه حتى استسلم ؛ فكان يقوم ويكبو . فنزل إليه رجل نكرة من الحاقدين ، قبيح المنظر أبرص ، اسمه شمر بن ذى الجوشن[7] ، وركب صدره الشريف وجز رأسه ، ثم وطئت الخيل جسده . فكان قتله يوم الأثنين لعشر خلون من المحرم سنة ٦١/[8] ١٠ أكتوبر ٦٨٠ ؛ ووجد فيه أكثر من ثلاث وثلاثين طعنة ، وأربع وأربعين ضربة .

---

(١) نفسه ، ص ٣٩ .

(٢) كان للحسين ابنان اثنان باسم على ، وقتل الأكبر ، وأما الأصغر وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة ، فلم يقتل ، وعرف بزين العابدين . عن سيرته ، انظر . ابن سعد ، ص ١٥٦ وما بعدها ؛ Ency. de l'Isl, (art 'Alī B. al- Husain) t I, p. 290.

(٣) أنظر . بعده .

(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين ، ص ٤١ وما بعدها ؛ الخطط ٢ ص ٢٨٨ ؛ مقاتل الطالبيين ، ص ٨٦ .

(٥) كان هذا السيف قد غنمه النبى يوم بدر (ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، طبعة دار المعارف ، ص ١٨٥) ، وسمى بذى الفقار لأنه كان يشبه فى شكله فقرات الظهر (زكى ، كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٤) . وقد انتقل السيف إلى حيازة العباسيين ، ومن بعدهم إلى الفاطميين . النعمان ، المجالس والمسايرات ، مخطوطة بجامعة القاهرة برقم ٢٦٠٦٠ ، ١ ورقة ١٣٨ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٦٧ ـ ٦٨ وهامش (٤) .

(٦) الكامل ، ٣ ص ٢٩٥ س ٣٣ ـ ٢٤ .

(٧) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٨) النوبختى ، ص ٢٥ . يقول الأصبهانى فى يوم الأربعاء أول المحرم . مقاتل الطالبيين ، ص ٥٤ .

وقد حُملت رءوس الحسين وأصحابه والسبايا إلى الكوفة، فى موكب سارت فيه العسكر براياتها وبوقاتها ، وقد تعطلت الأسواق[1] . ويروى المؤرخون أن ابن زياد مد عصاه نحو الفم الملوث بالدماء يعبث به ، فقال أحد الحاضرين : « لقد رأيت شفتى رسول الله (صلعم) على هاتين الشفتين يقبلهما[2] » . وكان ابن زياد عزم على قتل علىّ بن الحسين ، ليخلّص الأمويين من هذا النسل ، لولا أن عمته زينب تعلقت به ، فتركه[3] . وقد أمر ابن زياد بأن يُطاف برأس الحسين فى الكوفة ، حيث كان المنادى يقول : « مات الكذاب بن الكذاب » ثم أرسل بالرءوس والسبايا إلى الشام[4] . ولكن الخليفة يزيد هالته الذبحة ، وحاول التملص منها، ولعله ندم على قتل الحسين، وخصوصاً أن أباه معاوية كان قد طلب منه أن يصفح عن الحسين، إذا خرج عليه وظفر به لقرابتهما[6] ؛ لذلك أمر يزيد بإطلاق سراح الأسرى ، وسمح لهم بالرجوع إلى الحجاز[7] .

---

(١) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٤٨ وما بعدها ؛ مقاتل الطالبيين ، ص ٨٧. الذين نجوا من هذه المذبحة: علىّ بن الحسين، وعمرو بن الحسن (وليس الحسين) - وكان صغيراً - وفاطمة وسكينة بنتا الحسين، وزينب بنت علىّ (الكامل ، ٣ ص ٢٩٩ ؛ انظر . دونلدسن، عقيدة الشيعة ، ص ١١٤) . ولكن أبا مخنف يضيف إليهم : أم كلثوم أخت الحسين، وبعض النسوة لعلهن من الجوارى، وهن : عاتكة وصفية ورقية ؛ ولا يذكر فاطمة أو عمرو (أنظر . فى مقتل الحسين ، ص ٦٧) . ويقول الدينورى لم ينج من أصحاب الحسين وولده وولد أخيه إلا ابناه علىّ الأصغر ، والأعمر ، وأحد أصحابه اسمه المرقع . وولده، هذا بالإضافة إلى نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه (الأخبار الطوال ، ص ٢٥٦) .

(٢) الكامل، ٣ ص٢٩٦ س ١٩ — ٢٠ . ورد أيضاً أن يزيد فعل ذلك. أنظر . نفسه ، ٣ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

(٣) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٥٠ ؛ ابن سعد، ٥ ص ١٥٧ ؛ مصعب الزبيرى، نسب قريش ، ص ٥٨ .

(٤) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٥٢ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ٣٠ س ٢ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ٢٥٩ .

(٧) ابن سعد ، ص ١٥٧ .

ولم تكن هذه الذرية تستطيع أن تعمل شيئاً ضد بنى أمية ، بعد أن قتل معظم أفرادها ، وبذلك تأكد إنتصار هؤلاء على بنى هاشم أكبر المنافسين لهم . ولكن هذه البقية من آل أبى طالب أصبحت مقدسة ، وظهر لها دعاة كثيرون بين الفرس على الخصوص ، الذين نظروا إليها نظرة كسروية ؛ لأن الحسين كان قد تزوج جهانشاه ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس ، وهى أم على ابن الحسين[١] . فاعتبر الفرس مقتل الحسين فى كربلاء مصيبة قومية عظمى[٢] ، فأقبلوا على الدعوة لآل البيت ، مما مهّد إلى سقوط دولة بنى أمية ، وقيام دولة بنى العباس .

وقد أعتبر سفك دم الحسين فى سهل كربلاء عند الشيعة ؛ ذا قيمة فى التضحية تشبه سفك دم المسيح عند المسيحيين ؛ واعتبر أنه لم يجر فى الإسلام أعظم خطأ منه[٣] . ولقد أصبحت التربة التى قتل فيها الحسين مقدسة عند الشيعة كماء زمزم ، حتى أن بعضهم يأكلها[٤] ؛ وإن حرّم بعض أئمة الشيعة ذلك . ولما سيطر ملوك البويهيين الشيعة على الخلفاء العباسيين فى العراق[٥] ، أقاموا لجسده الشريف مشهداً فخماً بكربلاء[٦] ، كما

---

(١) النوبختى ، فرق ، الشيعة ، ص ٥٣ (آخر الصفحة) . وعلى العكس يقول ابن سعد إن أمه اسمها غزالة . ابن سعد ، ص ١٥٦ ؛ انظر . بعده .

(٢) أنظر . دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص ١٠١ .

(٣) الفخرى ، ص ١٥٨ .

(٤) أنظر . دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص ١٠٤ .

(٥) هى أسرة فارسية ، ظهرت فى نواحى الديلم ، وسيطرت على خلفاء بغداد إلى مجىء طغرلبك ، سلطان السلاجقة . أنظر : Ency. de l'Isl, (art Bûyides) t 1, p. 827 sqq.

(٦) انظر Ency. de l'Isl (art Meshhed Husain) t 3, p. 543 sqq.

أقاموا لوالده علىّ مسجداً بالنجف بظهر الكوفة(1) ، وهي التي كان قد دفن فيها سراً عند قتله سنة ٤٠/٦٦١ ، خوفاً من أعدائه من بني أمية . أما رأس الحسين، فاختلفت الروايات فيما جرى بشأنها ، فدفنت بعسقلان من أعمال فلسطين بعد عرضها على يزيد ، فلما جاءت الدولة الفاطمية الشيعية إلى مصر ، وهاجم الصليبيون عسقلان ، نقل الفاطميون الرأس إلى القاهرة ، وأقاموا لها مشهداً في سنة ٥٤٩/١١٥٤ ، لا يزال يحمل اسمه إلى الآن(2) .

وقد جرت العادة عند الشيعة على الاحتفال بذكرى مقتل الحسين في اليوم العاشر من المحرم ، ويعرف باسم عاشوراء(3). وفي عهد الدولة الفاطمية في مصر ، كان يقام احتفال يناسب الذكرى الحزينة(4) . فتقفر الشوارع ، فلا يخرج منها أحد ، وتغلق الدكاكين ، وتعطل الأسواق ، وفي نهاية ذلك اليوم يذهب كبار رجال الدولة وأشياع المذهب ، ومعهم القرّاء إلى المشهد الحسيني ؛ ليستمعوا إلى القرآن ومراثي الشعراء. وبعض الأناشيد الدينية؛ ثم يدعى كبار الحاضرين إلى قصر الخليفة ، فيجلسون فيه على دكك خشبية أو حصر ، ويستمعون إلى القرّاء من جديد ، وتلقى كلمات مناسبة ، ثم يقام لهم سماط الحزن ، وتقدم المأكولات الخشنة، مثل العدس الأسود ، والخبز المتغير لونه، والأجبان والمخللات ، والألبان

---

(1) الأصطخري ، مسالك، ص ٨٢ — ٨٣ ؛ معجم البلدان ، ٨ ص٢٢٦ ؛ انظر . آل محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها ، صيدا ١٣٥٣ هـ ، ص ١٦ ومابعدها ؛ Ency. de l'Isl, (art al—Nadjaf) t 3, p. 871 sqq. ؛ ماجد ، التاريخ السياسي ، ١ ص ٢٧١

(2) الخطط، ٢ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ؛ أبوالفدا ، المختصر ، ٢ص١٩١. أختلف فيمن أحضر الرأس ، فلعله الوزير بدر الجمالي أو ابنه الأفضل، أما المشهد فقد أنشئ في عهد الوزير طلائع بن رزيك . عن عسقلان ، انظر. معجم البلدان ، ٦ ١٧٤ .

(3) الخطط ، ٢ ص ٢٨٩ وما بعدها . أختلف في أصل هذه التسمية ،فلعلها تعني عيداً يهودياً أوعيداً من أعياد الجاهلية؛ولئن كان يبدوأنها تعني هناالعاشرمن شهرالمحرم. أنظر. Ency. de l'Isl, (art 'Ashûra') t. I, p. 493.

(4) الخطط، ٢ص ٢٩٠ — ٢٩١؛ انظر. ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ٢ص ١٢٨ — ١٢٩ .

والعسل الأسود ، فكان البعض يأكل منه والبعض الآخر يمتنع ، وإن كان الحزن يظهر على وجوه جميع الحاضرين . ومنذ ذلك، وقد بدأ الشيعة يبكون ، وأصبح البكاء سمة الشيعة ، حتى قيل : « أرق من دمعة شيعية » . وعلى خلاف ذلك كان الأمويون يحتفلون بهذه الذكرى — كما يقول البيرونى[1] — وقد لبسوا ما تجدد وتزينوا .

وقد دل انتصار يزيد على الحسين ، على أنه من طراز أبيه ، وقرين بأستاذيته؛ فقد انتصر أبوه قبله على علىّ ؛ وإن كان من المسلم به أن الحسين قاتل كالبطل الشجاع . ولا نُلقى اللوم على أهل الكوفة لتقاعسهم ، إذا لم يكونوا يستطيعون شيئاً أمام الحكم الأموى القوى .

*

ولعل يزيد تخلص من منافسة بنى هاشم بقتل معظمهم فى كربلاء ، ولكن كان هناك عبدالله بن الزبير ، الذى لم يقبل هو الآخر مبايعته ، ولحق بالحسين فى مكة ، وأظهر أنه « عائذ بالبيت[2] » . ولما أرسل عامل المدينة نحوه أخاه عمرو ابن الزبير على رأس جيش أموى ، قاتله عبد الله خارج مكة، وهزمه وأسره[3] .

ونحن نعرف من سيرة[4] عبد الله أنه كان من أبناء المهاجرين ، وأول مولود منهم بالمدينة فى الإسلام ، إذ ولد فى السنة الأولى من الهجرة ، فأبوه

---

(١) البيرونى، الآثار الباقية ، تحقيق Sachau، طبعة Leipzig ، ١٩٢٣ ، ص ٣٢٩.

(٢) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٣ ؛ الكامل ، ٣ص ٢٦٥ ص ٢٠ ، ٣٠٥ .

(٣) الكامل ، ٣ص ٢٦٥ . مات عمرو تحت السياط .

(٤) أسد الغابة ، ٣ ص ١٦١ — ١٦٤ ؛ المطرف ، ص [illegible] ، ٥ ص ١٨٨ وما بعدها ؛ انظر. Quatremère : Mém. sur la Vie d'Abd Allah Ben Zobeir. Ext. J. A. Paris, 1852, 2 ed. séire IX, 289 suiv.; Ency. de l'Isl, (art 'Abd Allâh B. al-Zubair) t 1. p 33—34; 2 ed, I, p. 56—57.

هو الزبير أحد حوارىّ الرسول[1] ، الذى كان رابعاً أو خامساً فى الإسلام،وأحد العشرة الذين سماهم للجنة ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وخالته عائشة ، وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة النبى ، وعمته لأبيه خديجة بنت خويلد[2] ؛ فهو كريم الجدات والأمهات والخالات.وهو اشتهر منذ صغره بشجاعته،فعندما قدم عمر ابن الخطاب وهو يلعب ، فر الصبيان ووقف هو ، فقال له عمر : مالك لم تفر معهم ، فقال : لم أجرم فأخافك ، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك[3] . وقد شهد فتوحات الدولة الإسلامية فى مصر وفارس، وبخاصة فى إفريقية حينما غزاها مع عبد الله ابن سعد ، وقتل ملكها جرجير (جريجوريوس)[4] ؛ حتى أن الخليفة عثمان احتفل بعودته فى مسجد المدينة ، وأصبح اسمه يتوافق مع اسم كبار الغزاة أمثال خالد وعمرو[5] ، وأعتبر من أشجع قومه[6] . ونخال أنه شارك أطماع أبيه فى الخلافة، إذ كان أبوه أحد أصحاب الشورى[7]، فبايع عثمان مع معارضته ، وبايع عليًا ونكث بيعته[8]؛ وكان له أنصار فى البصرة يبايعونه[9]. ولكنه بعد قتل أبيه فى موقعة الجمل[10] ، اعتزل الفتنة ، إلى تولية معاوية الخلافة، فبايعه .

وكان ابن الزبير ذا طموح كأبيه ، يتباهى دائمًا فى مجالسه بأصله ، حتى خافه معاوية ، واتهمه بأنه يريد أن ينازعه خلافته[11] . ولما جاء معاوية الحجاز

---

(١) عن سيرة الزبير : أسد الغابة ، ٣ص ١٩٦ ومابعدها ؛ المعارف ، ص١١٣ ؛ انظر.
Die Familie el-Zubeir. Gottingen, 1878. p. 28 sqq. : Wüst

(٢) أسد الغابة ، ٣ ص ١٦١ ؛ المعارف ،ص ١١٢ ؛ الذهبى ، تاريخ الدول ، ١ص٢٩

(٣) الكامل ، ٤ ص٢٧ .

(٤) العبر ،٦ص ١٠٨ ؛ انظر . قبله .

(٥) أنظر · Decline, 5,p. 355. : Gilbbon

(٦) أسد الغابة ، ٣ ص١٦٢ س ٣ .

(٧) المعارف، ص١١٣ .

(٨) أسد الغابة ؛ الكامل ،٣ ص٩٩، ١١٠ .

(٩) نفسه ،٣ص ٨٠ س ٣ — ٤ .

(١٠) عنها ، انظر . نفسه،٣ ص١٠٥ وما بعدها ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٣٦٢ وما بعدها .

(١١) العقد ، ٢ص ١٣٨ .

للحصول على البيعة لابنه بولاية العهد ؛ رفض ابن الزبير مبايعته ؛ وخيّره بأن يصنع مثل النبي أو أبي بكر أو عمر ، وكلهم لم يول أحداً من ولده ، ولا من بني أبيه[1] ؛ حتى أن معاوية قبل موته حذر يزيد من ابن الزبير ، وشبهه بالثعلب في الروغان ، وبالأسد الذي ينتظر الانقضاض[2] . وحينما تولى يزيد ؛ لحق ابن الزبير بالحسين في مكّة ، وامتنع من بيعة يزيد[3] ، مع أن يزيد كان قد أرسل إليه الأمان[4] . وقد سعى ابن الزبير في أول الأمر إلى أن يوليه الحسين في الحجاز[5] ، وكان يتوق إلى أن يخلو له الجو فيه[6] ؛ إذ أنه لا يجرؤ على منافسة الحسين ، فلما دعا أهل العراق الحسين ، حرّضه على الخروج إلى الكوفة من غير إخلاص في ذلك .

وبعد مقتل الحسين اغتنم الفرصة ، وسيطر على مكّة ، وبويع له فيها[7] ، واتخذ لقب أمير المؤمنين[8] . ولم يكن عمرو بن سعيد الأشدق — عامل يزيد على الحجاز — يستطيع أن يفعل شيئاً ضده ، حتى أنه لما أمره يزيد بإرسال ابن الزبير مقيّداً ، أرسل عمرو إلى ابن الزبير سلسلة من فضه[9] ، واُضطر عمرو إلى ترك مكّة . ولعل أهل مكّة بايعوا ابن الزبير ؛ لأنهم وجدوه أحق بها من يزيد ، فهو كهل قد بلغ الستين من عمره[10] ، صوامٌ قوامٌ طويل الصلاة[11] ،

(١) الكامل ، ٣ص ٢٥٢ .
(٢) نفسه ، ٣ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ؛ الفخري ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .
(٣) أسد الغابة ، ٣ص ١٦٣ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٣ .
(٥) الكامل ، ٣ص ٢٧٥ (آخر الصفحة) .
(٦) نفسه ، ٣ص ٢٦٦ س ٢٠ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .
(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٠٥ س ١٠ .
(٨) مصنف مجهول ، ص ٣ .
(٩) الكامل ، ٣ ص ٣٠٥ .
١٠ نفسه ، ٣ ص ٢٦٥ ؛ اليعقوبي ، ٢ ص ٢٩٧ ؛ مصنف مجهول ، ص ٥٧ .
(١١) أسد الغابة ، ٣ص ١٦٢ س ٢ — ٣ .

على نقيض يزيد الذى كان صغير السن[1] ، ويوصف بالسكير الخمير[2] . وقد ظهر لابن الزبير من بينهم حزب يناصره ، يعرف بالزبيرية ، يتكون من مواليه ، وممن تألف إليه من أهل مكة وغيرهم[3] . هذا إلى أن أهل مكة كانوا يرون أن إرثية الخلافة لا تتفق وسنة السلف ؛ فكانت بيعتهم لابن الزبير على كتاب الله وسنة نبيه ، وسيرة الخلفاء الصالحين[4] . وكان ابن الزبير نفسه يتشبه بعمر ابن الخطاب ، ويحمل الدرة[5] .

ولما علم أهل المدينة — وهم الأنصار — بمقتل الحسين خلعوا طاعة يزيد[6] ، بعد أن كانوا قد بايعوه تحت التهديد ، حينما أرسل إلى عامله كتاباً يقول فيه بأنهم إن لم يبايعوا سيضعهم تحت قدميه ليطأهم ويفنيهم[7] ؛ كما أنهم اجتمعوا وأجبروا بنى أمية على الجلاء عن مدينتهم[8] . فقد كانوا يرون فى قتل الحسين إنتهاكاً لحرمة الإسلام[9] ، وكان يوم رجوع أبنائه ونسائه من دمشق ، أشبه الأيام بموت النبى[10] . كذلك لعلهم ثاروا على الأمويين بناء على تحريض ابن الزبير ؛ الذى كتب إليهم يدعوهم إلى معاضدته ، وإخراج عامل الأمويين[11] . هذا إلى أنهم كانوا يحقدون على الأمويين نقل الخلافة إلى دمشق، بحيث أصبحت مدينتهم لا تتعدى مصراً من الأمصار مثل الكوفة والبصرة ؛

---

(١) أنظر قبله .
(٢) المسعودى ، التنبيه والإشراف، ص ٤٠٤ س ٥ ؛ انظر قبله .
(٣) الأزرقى، أخبار مكة ، تحقيق Wüst ، ١٨٥٨، ص ١٣٩ س ١ — ٢ .
(٤) أنساب ، ٥ ص ١٨٨ س ٤ .
(٥) نفسه ، ٥ ص ١٨٩ س ٢١ — ٢٢ .
(٦) اليعقوبى، تاريخ، ٢ ص ٢٩٨ .
(٧) صبح الأعشى ، ٦ ص ٣٩٠ — ٣٩١ .
(٨) ابن سعد ، ٥ ص ٣٦ س ٢٦ — ٢٣ .
(٩) الكامل، ٣ ص ٢٧٧ س ١٧ .
(١٠) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٦٧ .
(١١) المسعودى، التنبيه والإشراف، ص ٤٠٢ س ٩ — ٧ .

وإن بقيت لها قداسة خاصة فى نظر المسلمين ، بسبب هجرة النبى إليها وبقائه فيها بعد فتح مكة ، فكانت تعرف هى ومكة : «بالحرمين[١]»

وعلى الرغم من بيعة معظم أهل الحجاز وتهامة لابن الزبير[٢] ، فقد امتنع عن بيعته بعض كبار القوم من أبناء الصحابة فى مكة والمدينة ، مع أنهم كانوا يحقدون على الأمويين ؛ ذلك لأنهم ربما أرادوا وقفها على إجماع الناس ، والتريث فى إعطائها ، حتى تنجلى الأمور . والثابت المعروف من سيرهم ، أنهم لم يكونوا راغبين فى الإنغماس فى الفتنة ، كما حدث إبان الفتنة الأولى ، حينما اعتزلها بعض صحابة النبى[٣] .

فيبدو من سيرة عبد الله بن العباس[٤] ، وهو أكبر ولد العباس عم النبى ، ويعرف بابن العباس ، أنه اعتزل هذه الفتنة ، على الرغم من أنه فى الفتنة الأولى حارب مع على ، وكان أحد أمرائه ؛ لأنه كان يبغى بقاء الخلافة فى بنى هاشم . ولكن لما تنازل الحسن ، بايع ابن العباس معاوية مع بنى هاشم ، واشترك مع ابنه يزيد فى الصوائف ، ولعله بايع يزيد بولاية العهد ، حيث لا يذكره معاوية من بين النفر الذين رفضوا مبايعته بها[٥] . ولكن بعد وفاة معاوية ، إعتزل الفتنة

---

(١) معجم البلدان ، ٣ ص ٤٥٢ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art al Madina), t 3, p. 89.

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٢٦٠ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ١٣١ س ٣٠ .

(٤) ولد والنبى فى شعب مكة ، ولعله أسلم قبل أبيه العباس ، واشترك فى الفتوح الإسلامية فى مصر وإفريقية ، وحارب مع على فى موقعتى الجمل وصفين ، واستعمله على البصرة ، وإن فارقها وعاد إلى الحجاز . وقد أراد على أن يجعله حكماً له فى دومة الجندل ، ولكن شيعته حرضته على اختيار أبى موسى ، وقد توفى ابن العباس فى سنة ٦٨ / ٦٧٨ — ٦٨٨ أو حتى فى ٧٠ / ٦٨٩ أو ٧٣ / ٦٩٢ . عن سيرته : أسد الغابة ، ٣ ص ١٩٢ وما بعدها ؛ المعارف ، ص ٥٩ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art. 'Abd, Allâh B. al. 'Abbâs) t l, p.19—20 ; 2 ed t l; p. 41 — 42.

(٥) الكامل ، ٣ ص ٢١٨ س ٦ ؛ انظر . قبله .

— وكان يقيم بمكة — وامتنع عن مبايعة يزيد ، وكتب له أنه بايع أباه على نفسه[1] ، ونصح الحسين بالبقاء في الحجاز ، ورفض مبايعة ابن الزبير أيضاً[2] . ونلاحظ أن موقفه من هذا الأخير جعل يزيد يكتب إليه ، ويحرضه على العصيان[3] . ونعتقد أن سبب اعتزال ابن العباس لهذه الفتنة ، مع أنه سيد كبير مركزاً وعلماً ، حتى عرف « بالبحر » لعلمه[4] ، هو أنه وجد ألا فائدة من هذه الفتنة لبني هاشم ، فلم يبايع هذا ولا ذاك[5] .

أما محمد بن عليّ ، الذي عرف بابن الحنفية[6] ؛ لأنه ليس من نسل فاطمة زوجة عليّ ؛ وإنما من زوجه الحنفية ؛ التي كانت من سبي اليمامة في حروب الردة وصارت إلى عليّ ؛ فإنه اعتزل هذه الفتنة[7] . وقد أعلن البيعة لمعاوية مع بني هاشم ، وربما أجبر على بيعة يزيد بولاية العهد حينما جاء معاوية إلى المدينة ؛ ولكنه ترك المدينة إلى مكة بعد تولية يزيد الخلافة ، وإرساله جيشاً لإخضاع الفتنة بها[8] . وقد نظر إليه بعض أهل مكة على أنه رجل الساعة ، إذ كان له حزب منهم يظاهره ؛ مما جعل ابن الزبير يخافه[9] . ولما طلب منه هذا الأخير أن يبايعه رفض ، وقال :

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٦ . يقول ابن الأثير إنه بايعه . الكامل ، ٣ ص ٢٦٥ .

(٢) المصدر الأخير ، ٣ص ٣١٨ س٦ .

(٣) نفسه ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .

(٤) أسد الغابة ، ٣ص ١٩٣ س ١ — ٢ .

(٥) اليعقوبي، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .

(٦) ولد سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ ، وهو الذي أول من سمي على اسم النبي محمد ، وكنيته أبو القاسم ، وقد اشترك مع أبيه في موقعتي الجمل وصفين ؛ وتوفي سنة ٧٢ / ٦٩١ أو ٨١ / ٧٠٠ أو ٨٣/ ٧٠٢ . ابن سعد ، ٥ص ٦٦ــ ٨٦ ؛ وفيات ، ١ص ٦٤٠ — ٦٤٢ ؛ المعارف ، ص ١١١ ؛ انظر . Ency.de l'Isl, (art Muhammad B. al-Hanafiya) t3,p.716 -717 ؛ انظر بعده

(٧) ابن سعد ، ٥ص ٨٢ س ١٢ .

(٨) نفسه ، ٥ص ٧٢س ٣ .

(٩) نفسه ، ٥ص ٦٨، ٦٩، ٧٥ ؛ انظر دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ص ١١٢ .

إذا انسقت لك الأمور[1] . وأكبر الظن أن إعتزال محمد بن الحنفية ، يرجع إلى ما وقع لأبيه وأخويه ، على يد بنى أميه .

أما عبد الله بن عمر[2] ، وهو ابن الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد اعتزل هذه الفتنة ، كما اعتزل الفتنة الأولى ، ، فلم يشهد مع علىّ شيئاً من حروبه[3] . وقد بايع معاوية بعد إجماع الناس عليه ، وبايع يزيد بولاية العهد بعد تردد ، وحينما خرج الحسين وابن الزبير إلى مكة ، طلب ابن عمر منهما ألاّ يفرقا جماعة المسلمين[4] . ولم يكن الأمويون يتخوفونه[5] ، فبايع ليزيد بالخلافة[6] ، وقال[7] : « إن كان خيراً رضينا ، وإن كان بلاءً صبرنا » . ومن ثمّة رفض أن يبايع ابن الزبير ، إذ كان من مبدئه ألاّ يبايع صاحب فتنة[8] ؛ ولعل ابن الزبير نفسه لم يجبره على بيعته[9] . أضف إلى ذلك أن ابن عمر لم تكن له أطماع فى الخلافة منذ أن رفضها له أبوه[10] ، فكان يرفض أن يُسلِّم أو يُسلَّم عليه بها[11] ،مع أنه كان هناك أناس يبايعون له ، ويعتبرونه سيداً للعرب وابن سيدها[12] . ولعله قنع بالتمتع بحياة الحواضر الحجازية كغيره من أبناء الصحابة : فكان يقتنى الغلمان والمماليك ، ويأكل البطيخ فى قيظ الحر ، ولا يشرب إلا فى قدح من عيدان ، ويدهن فى اليوم

---

(١) ابن سعد، ٥ ص٧٣ ؛ أنساب ٥، ص١٨٨ .

(٢) ابن سعد ، ٤/١ ص ١٠٥ - ١٣٨ ؛ انظر . قبله .

(٣) أسد الغابة ٣، ص ٢٢٨ .

(٤) الكامل ، ٣، ص ٢٦٥ س ١٨ .

(٥) نفسه ، ٣ص ٢٦٥ س ١٧ .

(٦) نفسه .

(٧) ابن سعد ، ٤/١ ص١٣٤ س١٩ـ ٢٠ ؛انظر .قبله .

(٨) نفسه ، ٤/١ ص١٢١ س ١٢٦،١ .

(٩) اليعقوبى، تاريخ،٢ص ٢٩٤ .

(١٠) الكامل ، ٣ص ٣٤ ؛ انظر . قبله وبعده .

(١١) ابن سعد ، ٤/١ ص١١٤ .

(١٢) نفسه ، ٤/١ص ١٢٤ـ١٢٥ .

مرتين ، ويصبغ لحيته بالزعفران والمسك ، ويتوضأ فى إناء مفضض[1] ؛ مما جعله يختلف فى معيشته كلية عن أبيه ، الذى كان يعيش على العيش الخشن ، وخبز الشعير ، والثوب الخام المرقوع ، مع القناعة باليسير[2] .

أما علىّ بن الحسين[3]،فإنه بقى على بيعته ليزيد[4]، ولم ينضم إلى ابن الزبير ؛ وهو الذى أصبح يُعرف بعلىّ الأصغر[5] ، ويُلقّب بزين العابدين[6] ، تمييزاً له عن أخيه علىّ الأكبر ، الذى قتل فى كربلاء . فلعل علىّ بن الحسين اتخذ جانب الأمويين ؛ لأنه لم ينس ما أصاب أفراد بيته على يد يزيد ، وكان يشبّه حال أسرته ببنى إسرائيل فى آل فرعون[7] ، فكان موقفه هذا من الأمويين سبباً فى رضاهم عنه[8] .

وعلى أية حال فقد وجه يزيد نحو أهل المدينة وابن الزبير جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة[9] ؛ وهو شيخ كبير كان فيه جفاء البداوة . وقد جاء إختياره بناء على توصية سابقة من معاوية[10] ، الذى كان يتوقع فتنة للمدينة بعده فأعده لقمعها ؛ حيث كان قد اشترك بجانبه فى صفين ، وتفانى فى الإخلاص له .

---

(١) نفسه ٤/١ ص ١٠٩ وما بعدها .

(٢) الكامل،٣ص٥٨؛إنظر.قبله ،التاريخ السياسى ،١ص٢٥٥ .

(٣) ابن سعد ،٥ص ١٥٦ـ١٦٤ ؛المعارف، ص١١٠ ؛انظر.قبله .

(٤) الكامل،٣ ص ٣١١ .

(٥) ابن سعد ، ٥ص ٨٦، ١٥٦ .كان مراهقاً .أنظر .الأخبار الطوال ، ص ٢٥٦ . أو أنه لم يتعد الثلاثة والعشرين . ابن سعد، ٥ ص١٥٦ .

(٦) قطب الدين ، كتاب الإعلام باعلام بيت الله الحرام ، تحقيق Wust ، طبعة Leipzig ، ١٨٥٧ ، ص٢٤ .

(٧) ابن سعد ، ٥ص ١٦٢س ١٤ — ١٦ .

(٨) الكامل ٣، ص ٣١٤ .

(٩) اليعقوبى تاريخ،٢ ص ٢٩٨ عن سيرته : أنساب ، ٥ ص ١٢٦ ؛ المعارف ؛ ص ١٧٨ ؛ الكامل ؛ ٣ ص ٣١١ ؛ انظر . Eacy. de l'Isl, (art Muslim B. U'kba) t3,p 809—810.

(١٠) الكامل ٣ ص ٣١١ .

فسار مسلم على رأس جيش سورى عظيم من أهل فلسطين والأردن سنة ٦٣/ ٦٨٣[١] ؛ فودعه يزيد ودعاه إلى محاربة أهل المدينة بشدة[٢] . وفى الطريق تقابل مسلم مع الأمويين المطرودين من المدينة ، فرجع بعضهم معه ، حتى نزل فى موضع بظاهرها ، عبارة عن أرض فيها حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت[٣] ، عرف : « بحرة واقم »[٤] ، على اسم أطم من آطام اليهود ؛ وإن سميت الوقعة باسم : « الحرة » فقط .

فاحتفر أهل المدينة لأنفسهم الخندق[٥] ، الذى كان النبى قد حفره حينما هاجمه كفار مكة وحلفاؤهم من البدو . ولكن الأمويين تمكنوا من دخول المدينة بمساعدة بعض العشائر ، وذلك بعد قتال شديد مع أهلها من الصحابة وأبنائهم ، الذين قتل منهم عدد كبير فى الخندق . وعندئذ لم يحجم مسلم عن إباحة المدينة لجنده ثلاثة أيام[٦] ، وأسرف فى القتل فسمى مسرفا لقبيح صنيعه[٧] . فقتل جنوده كثيراً من شباب الأنصار ، ونهبوا الأموال ، وسبوا الذرية ، وانتهكوا الأعراض . كذلك أجبر مسلم أهل المدينة على البيعة ليزيد على أنهم عبيد له لإذلالهم ، ومن تلكأ منهم كان يضرب عنقه . وبذلك نفذ وعده

---

(١) الكامل ، ٣ ص ٣١٠ — ٣١٤ ؛ اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص٢٩٩ ؛انظر بعده.

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٢٦٠ .

(٣) الخشنى ، شرح السيرة النبوية ، ١ ص ٨ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٢٦٢ . الآطام هى القصور والحصون أو الدور المسطحة السقوف . الأغانى (بولاق) ، ١ ص ١٥ ؛ انظر . Ency. de l'Isl. (art. al-Madina) t3, p. 86.

(٥) التنبيه والإشراف ، ص ٣٠٥ س ٣ — ٤

(٦) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٨ ؛ المعارف ، ص ١٧٨ .

(٧) الأغانى (دار الكتب) ، ١ ص ٢٦ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ٢٦٢ .

ليزيد بأن يجعل مدينة الرسول أسفلها أعلاها[1] ، وأخذ الأمويون بثأرهم من أهلها ، الذين حاربوهم وقت النبي ، وقتلوا عثمان[2] . ومن الحقق أن الذى عجل بانكسار أهل المدينة ، هو أنه لم يتزعمهم أحد من بنى هاشم ، الذين لزموا بيوتهم[3] ، أو أحد من سادة العرب المعروفين : فكان علي بن الحسين ينهى عن القتال[4] ، وأرسل إلى يزيد كتاباً يقول له فيه إنه ليس فى هذه الفتنة[5] ، وكان ابن عمر يؤنبهم على فتنتهم ضد يزيد[6] ، وابن الحنفية رحل إلى مكّة حينما سمع بقدوم جيش يزيد[7] ، وابن العباس كان يقيم بمكّة منذ تولية يزيد .

وبعد المدينة انصرف مسلم إلى مكّة وهو مريض « مدنف » : فمات بعد أيام ولم يصل إليها ، ودفن بُقَدَيْد[8] ، وهو وادٍ قريب من مكّة يطل عليه جبل المشلّل . فتولى بعده الحُصين بن نُمير السكونى[9] ، الذى كان صاحب شرطة ابن زياد بالكوفة وقت خروج الحسين[10] ، فمضى الحصين بالجيش الأموى إلى مكة سنة ٦٤ / ٦٨٣ ، وقد أخذ الحصين فى مناوشة ابن الزبير ،

(١) اليعقوبى ، تاريخ ، ص ٢٩٨ .
(٢) أنظر : Wellh. Arab, p. 160 .
(٣) ابن سعد ، ٥ ص ١٥٩ .
(٤) نفسه ، ٥ ص ١٦٠ س ١٤ — ١٥ .
(٥) الكامل ، ٣ ص ٣١١ س ١٦ .
(٦) ابن سعد ، ٤/١ ص ١٣٤ .
(٧) نفسه ، ٥ ص ٧٣ س ٢٣ .
(٨) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٩ ؛ المعارف ، ص ١٧٨ . عن الوادى (معجم البلدان ، ٧ ص ٣٨) ، أما عن الجبل (نفسه ، ٨ ص ٦٧) . أنظر أيضاً : Ency. de l'Isl, t 3, p. 1226.
(٩) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ ؛ انظر Ency. de l'Isl, (art. al-Husain B. Numair) t 2, p. 362; 2ed. t. 2, p. 641.
(١٠) الكامل ، ٣ ص ٢٧٧ س ٧ — ٨ .

ورمى الحرم بالمجانيق والنفط ، فتصدعت حيطان الكعبة[١] ، وتناثرت حجارتها[٢] ، واحترقت كسوتها وخشبها ، وإن قيل إن حرقها كان من نار أوقدها أصحاب ابن الزبير حول الكعبة ، فأقبلت شرارة فتعلقت بأستار الكعبة وخشبها ، فاحترقت جميعها[٣] . وفى أثناء ضرب المجانيق كان أصحاب ابن الزبير قد جعلوا حول البيت بيوتاً خشبية ، وخياماً يحتمون بها من الحجارة[٤] ؛ فكان كلما هُدم جزء من الكعبة أراه ابن الزبير لقريش[٥] ، كما لم يحاول إطفاء حريق الكعبة ، وإنما تركها ليراها الناس محترقة ؛ ليحرضهم على قتال جند الشام[٦] . وفى أثناء الحصار أتى الحصين الخبر بموت يزيد ، فتفاوض مع ابن الزبير على أن يفك الحصار[٧] ، ويذهب به إلى الشام ، حتى يقطع الطريق على الراغبين فى الخلافة من بنى أمية[٨] ، على شرط أن يتنازل عن المطالبة بدم قتلى أهل المدينة والحرة . ولكن ابن الزبير رفض أن يخرج من الحجاز ، وطلب من الحصين أن يبايع له هناك ، فعاد بدونه إلى الشام ومعه الأمويون .

ولما رَفع الحصار عن مكة عمل ابن الزبير على إعادة بناء الكعبة ؛ فهدمها

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٤٦ .

(٢) الأزرقى ، أخبار مكة ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(٣) نفسه ، ص ١٣٩ — ١٤٠ ؛ الكامل ، ٢ ص ٣١٦ ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٦ ؛ انظر . Gaud-Demombynes : La Voile de la Ka'ba. Stvdia, Islamica, 2,p. 10.

(٤) الأزرقى ، ص ١٢٧ ، ١٣٩ .

(٥) نفسه ، ص ١٥٠ .

(٦) نفسه ، ١٣٦ ، ١٣٩ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣١٦ .

(٧) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٩ ، ٣٠١ — ٣٠٢ ؛ المعارف ، ص ١٧٨ .

(٨) الكامل ، ٣ ص ٣١٩ س ١٤ — ١٥ .

من أساسها[1]، على الرغم من معارضة أكثر الناس [2] ، وتلكؤ العمال [3] ، حتى أنه خرج معظم أهل مكة خوفاً ؛ فما كان من ابن الزبير إلا أن بدأ هدمها بنفسه . وقد جلب ابن الزبير لبنائها كل ما تحتاج إليه من صنعاء باليمن ؛ فجعل بناءها على قواعدها الأولى التي وصفها الرسول[4] : فوسع الجوانب وأقام العمد ، ورد الركن الأسود موضعه بالداخل ، وزخرفها بالفسيفساء والرخام ، كما جعل لها بابين ليكون أحدهما للدخول والآخر للخروج . فلما فرغ من بنائها خلّق جدرانها من داخلها وخارجها بالمسك والعنبر ، وكساها بالديباج[5] . وفي أثناء الهدم لم يُبق ابن الزبير الناس بدون قِبلة أو مطاف ، وإنما نصب حول الكعبة الخشب ، وجعل عليها الستور ، أما الحجر الأسود فلفه في حرير ووضعه في بيته في صندوق إلى أن أعاده . فكان هذا الهدم للكعبة هو الثاني منذ عهد النبي على حسب روايات مؤرخي العرب[6] ؛ إذ أنها كانت قد

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .

(٢) الأزرقي ، ص ١٤١ .

(٣) قطب الدين ، ص ٨١ .

(٤) الأزرقي ، ص ١٤٢ — ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ؛ قطب الدين ، ص ٨١ — ٨٢ ؛ المسعودي ، مروج ، ٥ ص ١٩٢ — ١٠٣ ؛ انظر Ency. del'Isl, (art. Ka'ba). t 2, p. 624.

الفسيفساء ، فصوص من الزجاج الملون . أنظر . بعده .

(٥) يدل هذا الاسم على نوع من القماش اللامع . أنظر . Supplément.:Dozy tionnaires arabes, 2ed, I,p.421 وهامش (٥) .

(٦) ابن هشام ، ١ ص ١٢٢ وما بعدها . يبدو من أقوال الروايات العربية، وهي لا تخلو من الأساطير ، بأنها بنيت عدة مرات قبل الإسلام ، وقد أختلف في عدد مرات بنائها ، التي قد تبلغ العشر . أنظر . قطب الدين ، ص ٢٣ وما بعدها .

هدمت قبل مبعثه بخمس سنين ، بسبب السيول والحاجة إلى تسقيفها ورفعها ، واشترك النبي بنفسه فى رفع الحجر الأسود [١] .

ونخال تمسك ابن الزبير بالبقاء فى الحجاز لم يكن من السياسة فى شىء ، بحيث قال له الحصين [٢] : « قبّح الله من يعدك داهياً » . فمن الثابت أن الحجاز لم يكن يستطيع أن يحكم الخلافة العربية ؛ لخروج أكثر أهله إلى الأمصار فى الفتوحات . وثمة أمر آخر ؛ فإن بقاءه فى مكة كان سبباً فى إضعاف حركته ، لأنها بلد حرام لايقاتل فيها ، ولو أنه قاتل فيها فإنه يسىء إلى حرمة الكعبة .

* * *

توفى يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤/٦٨٣ [٣] ، بعد أن أثبت أنه كأبيه فى دهائه وحلمه [٤] ، وقد لجأ إلى المبايعة المبكرة لأكبر أبنائه ، الذى سماه معاوية [٥] ، على اسم أبيه ؛ فبايعه جميع الناس بالآفاق إلا ابن الزبير وأهل مكة [٦] . وقد كان معاوية بن يزيد صغير السن ، ولم يتجاوز عمره حينما استخلف سبع عشرة سنة [٧] .

وقد خلق موت يزيد مركزاً صعباً للخلافة الأموية ، وزاد من اشتعال الفتنة : فنجد ولايات الخلافة تسرع بإخراج عمال بنى أمية والمبايعة لابن الزبير [٨] ،

(١) أسد الغابة ، ٣ ص ١٦٣ س ٩ .

(٢) ابن سعد ، ٥ ص ٧٥ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٣١٦ — ٣١٧ .

(٤) أنظر . Etudes, p. 163.: Lammens

(٥) من سيرته : المعارف ، ص ١٧٨ — ١٧٩ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٢٧ ؛ انظر . Etudes, p. 163–210: Lammens.

(٦) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧ س ٦ .

(٧) المعارف ، ص ١٧٩ . وقيل إحدى وعشرون سنة أو أكثر . الكامل ، ٣ ص ٣١٩ .

(٨) أنساب ، ص ١٣١ س ١٤ . فمثلاً أخرج أهل البصرة عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان . أنظر . بعده .

الذى ظفر بمبايعة الحجاز والعراق واليمن ومصر[1] ، وولى عليها عمالاً من قبله[2] ، مع أن نفوذه لم يكن يتعدى مكة طول حياة يزيد . لذلك بايع ابن الزبير لنفسه بالخلافة ، ولم يكتف بلقب أمير المؤمنين ، الذى كان قد اتخذه من قبل[3] .

وزاد من تعقيد الأمور للخلافه الأموية ؛ أن الشام نفسها أصبحت مضطربة؛ لوجود عداء بين عنصرى سكانها العرب المعروفين بأهل الشام[4] ؛ وهما اليمنية والقيسية : فالأولى من سلالة هجرات قديمة وردت الشام قبل الإسلام ، واستقرت فيه ، وعرفوا أيضاً بقحطان[5] ، على اسم قحطان ، أبو اليمن كلها كما يقول ابن هشام[6] ؛ وإن غلب عليهم اسم اليمنية[7] أو اليمن[8] أو اليمانية[9] ؛ نسبة إلى موطنهم الأصلى . وهم قبائل عديدة أشهرهـا فى العصر الأموى قبيلة كلب[10] ، التنية بنوقها[11] ،

(١) المعارف ، ص ١٦٦ .

(٢) أنساب ، ٥ ص ٢٧٣ وما بعدها .

(٣) المعارف ، ص ١٨١ س ٢ ؛ ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص ١٩١ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ص ٣١٩ وما بعدها .

(٥) المقريزى ، النزاع والتخاصم ، ص ٦٥ .

(٦) ابن هشام ، سيرة ، ١ ص ٤ ؛ الهمدانى ، الإكليل ، تحقيق نبيه فارس ، ط . Princeton، ١٩٤٠ ، ٨ ، ص ١٧٧ . أو أنه اسم محرف عن اسم مملكة قتبان ، التى ظهرت باليمن، حوالى ماقبل ألف سنة قبل الإسلام . أنظر . التاريخ السياسى ، ١ص ٦٦ وما بعدها وهامش ؛ Ency. de l'Isl, (art Kahtân) t 2, p.666 - 67.

(٧) الأغانى ، ١٨ ص ٧٠ .

(٨) نفسه ، ١٨ ص ٦٩ .

(٩) الكامل ، ٣ ص ٢٥٨ س ٨ ؛ الأغانى ، ١٧ ص ١١١ س ١٣ .

(١٠) صبح الأعشى ، ١ ص ٣١٦ ؛ كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، دمشق ١٩٤٩ ، ٣ ص ٩٩٢ ؛ العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٤ ؛ Lammens : Arab, p 133. : Well : Mo'â ler, p.288; n (7) .

(١١) العقد ، ١ ص ١٥١ .

وكانت قد ورثت الغساسنة ، وتقيم فى المـــدر والبوادى فى الأراضى الواسعة بين نجد والعراق والشام[1] . أما الثانية فوردت قبائلهم أثناء الفتح الإسلامى من بدو الحجاز بخاصة ، واتخذوا أسماء متعددة ربما كانت على أسماء أجدادهم الأوائل ، مثل : الإسماعيليين والعدنانية والمضرية والنزارية[2] ، وإن غلب عليهم اسم القيسية أو قيس[3] ؛ بحيث أصبح هذا الاسم فى مقابل عرب اليمن قاطبة ، وقد أعتبروا أحدث هجرات العرب إلى الشام[4] .

ونحن لا نعرف سبب ظهور العداء بين اليمانية والقيسية بالشام ، فلعله قديم يرجع إلى عداوة أصيلة بينهما فى الجاهلية ، بسبب أنهما كانا من أصلين مختلفين ، وحدت بينهما طبيعة الجزيرة العربية ، فاعتبروا من سلالة واحدة[5] ، أو بسبب النزاع على السيطرة ؛ فربما كانت اليمانية فى وقت من الأوقات تملك الجزيرة العربية كلها ، حتى أن عرب الحجاز كانوا لهم رعية[6] ؛ فمثلاً خزاعة اليمانية كانت تسكن فى مـكـة قبل قريش ، والأوس والخزرج اليمانيتين بقيتا فى يثرب

---

(١) الأغانى ، ١٩ ص ٤٥ ؛ أنساب ، ٥ ص ٣٠٨ س ١٩ . مع أنها فى الجاهلية لم تكن تتعدى أطراف الشام . صبح الأعشى ، ١ص٣١٦ ؛ انظر. Lammens : Mo'â !er, p. 288.

(٢) النزاع والتخاصم ، ص ٦٥ ؛ صبح الأعشى ، ١ ص ٣٣٦ وما بعدها .

(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٩ س ١٤ ؛ انظر . Well : Arab, p. 170 ؛ كحالة ، معجم ،٣ص ٩٧٢ . ولعله اسم شخص أو إله ؛ فيقال عبد القيس.عن عبد القيس : الكامل، ٣ ص ٢٥٨ ؛ انظر Ency. de l'Isl, (al-Kais) t 2, p. 691—692.

(٤) أنظر . Lammens : Etudes, p. 165.

(٥) أنظر. Bertram. : Les Arabes,trad. Muret. Paris, 1946,p.25 ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٦٦–٦٧ . فرق مؤرخو العرب بينهما : فسموا القحطانية العرب العاربة ، والإسماعيليين العرب المستعربة (ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق Lévi-Provençal ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٨٦ ؛ للمسعودى ، مروج الذهب ، ٣ ص ٢٢٣–٢٢٤ ؛ انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٤٤–٤٥ وهامش (٧)) مما يدل على أنه تذكار لتطور خاص بسكان الجزيرة منذ زمن بعيد .

(٦) أنظر . على مظهر ، العصبية ، ص ١٣ ؛ Ency, 2, p. 670

إلى عهد النبي . وعلى العكس يرى المستشرق المنارى جولدتسيهر « Goldziher »[1] ، أن العداوة بينهما حديثة ، ولم تظهر إلا بظهور الإسلام ؛ فقد بدت بشكل خطير فى حروب الردة ، التى كانت فى واقع الأمر عداءً بين عرب الحجاز وقبائل يمانية فى أغلبها .

بيد أنه من الثابت المعروف أن العداء بينهما ازداد اشتعالاً فى الشام بمجىء الأمويين ، ونقلهم الخلافة إلى الشام ؛ مما أعاد ظهور العصبية العربية على الرغم من أن الإسلام حاول أن يقضى عليها بنصه على أن للمسلمين «أمة» تسودها «الوحدة» الدينية[2] ، وكلمة عصبية تعنى تجمع القوم للنصرة ظالمين أو مظلومين[3] . فكان الخلفاء الأمويون يعملون على تقريب إحدى الطائفتين على حساب الأخرى، حتى يتمكنوا من الاحتفاظ بسيادتهم[4] .

وقد بدأ الأمويون فى تقريب يمانية الشام من دون القيسية منذ عهد عثمان ، الذى تزوج نائلة بنت الفرافصة[5] ، وهى من قبيلة كلب اليمانية الكبرى على حدود الشام . ولما ولى معاوية الخلافة ارتبط أيضاً بوشائج القرابة مع هذه القبيلة ، فتزوج ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية[6] ، وهى أم يزيد ؛ بحيث أن اليمانية أصبحوا أخوال يزيد ، وفوق ذلك كان معاوية لا يفرض فى العطاء إلا لليمن[7]،

---

(١) أنظر · Goldziher, Muhammedanische Studien. 1ed. Halle, 1889, 1, p. 78. : Well : Arab, p. 180 ; n 13.

(٢) القرآن ١٠٠:٤٧؛ انظر. Ency. de l'Isl, (art Umma) t4, p. 1070 ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٤٠

(٣) أنظر · على مظهر ، ص ٦ — ٧ ؛ لسان ، ٢ ص ٩٦ .

(٤) أنظر . بعده .

(٥) أنساب ، ٥ ص ١٢ — ١٣ ؛ انظر · ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٦٠ .

(٦) الكامل ، ٣ ص ٢٦١ ؛ أنساب ، ٥ ص ٣٠١ س ٢٣ ؛ المعارف ، ص ١٧٨ ؛ انظر · Ency. de l'Isl, (art Maisûn) t 3, p. 104.

(٧) الأغانى ، ١٨ ص ٦٩ (آخر الصفحة) .

حتى كثرت فى عهده[١] ، وأصبحت بيدهم السلطة[٢] ؛ بل لعلهم سعوا أيضاً لديه فى ألا يدع فى الشام أحداً من مضر[٣] وقبل موته أوصى معاوية يزيد بهم ، وقال له : إنهم منك وأنت منهم[٤] ؛ فكان يزيد يعتمد عليهم كلية فى خلافته ، وكان كل جيشه الذى أرسله إلى الحجاز منهم[٥] .

وقد أدى التعصب الأموى لليمن على حساب قيس ، أن تضعضع نفوذ هؤلاء ، مع أنهم أصحاب الفتح ، وهم الذين كانوا يحاربون فى الثغور ضد البيزنطيين ، واشتهروا بسد الثغور[٦] ؛ مما جعلهم يبغضون بنى أمية . ومع ذلك لم يصل ، بغض القيسية إلى حد الفتنة فى زمن معاوية ؛ لأنه كان جيد السياسة حسن التدبير ، فاستطاع أن يمنع أى احتكاك بين اليمانية والقيسية ، وحارب بكليهما أهل العراق ، وكانت كل قبيلة فى جيشه فى صفين تكفيه أختها فى جيش على[٧] . وفى عهد يزيد لم تعلن القيسية عصيانها كذلك ؛ ربما بسبب وجود عامله القيسي على دمشق ، الضحاك بن قيس الفهرى[٨] ، الذى عرف بولائه لمعاوية وخلفه ،

---

(١) نفسه ، ١٨ ص ٧٠ س ١ .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٥٨ .

(٣) الأغانى ، ١٨ ص ٧٠ س ٢ .

(٤) أبو مخنف ، فى مقتل الحسين ، ص ٤ .

(٥) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٩ .

(٦) وفيات الأعيان ، ٢ ص ٥٤٠ س ١٩ .

(٧) الكامل ، ٣ ص ١٥١ .

(٨) الأغانى ، ١٧ ص ص ١١ س ١٢ . ولد قبيل وفاة النبى ، وكان على شرطة معاوية ، وأغار على سواد العراق ، ثم استعمله معاوية على الكوفة بعد موت زياد ، وعزله فى سنة ٥٧/ ٦٧٠ — ٦٧٧ ، وهو الذى عمل على بيعة يزيد بولاية العهد . عن سيرته ، انظر . أسد الغابة ، ٣ ص ٣٧ — ٣٨ ؛ المعارف ، ص ٢٩٠ ؛ الذهبى ، أعلام النبلاء ، ٢ ص ١٦١ — ١٦٤ ؛

انظر **Ency. de l'Isl. (art al - Dahâk B. Kais al Fihri) t. I. p.915.**

فهو ولاريب قد لعب دوراً هاماً فى الاحتفاظ بولاء القيسية ليزيد ، وإن كنا نعتقد أن شخصية يزيد القوية ، كانت أيضاً مانعة لثورة القيسية.

ولكن سنحت الفرصة أمام القيسية لتعلن غضبها بعد موت يزيد ، فمالت إلى ابن الزبير عدو بنى أمية ومنافسهم . وليس لدينا معلومات دقيقة عن موقف معاوية بن يزيد من القيسية ؛ فلعل الضحاك بن قيس احتفظ له أيضاً بولائهم ، وأخر من إنفجار غضبهم ؛ إذ كان يسود فى دولته[1] . أضف إلى ذلك أن هذا الخليفة كان صغير السن ، ويحب الإنعزال ولا يخرج للناس[2] ، فعرف بأبى ليلى لضعفه[3] ؛ وأن خلافته لم تدم أكثر من عشرين أو أربعين يوماً أو ثلاثة أشهر[4] ، كما أنه فقد الثقة فى أحقية أخوته وأفراد أسرته فى الخلافة[5] ؛ فكان يرى أن جده معاويه نازع الأمر علياً مع أنه لم يكن أولى به منه[6] ؛ وهو لم يعقب[7] ؛ ولم يرض أن يستخلف أحداً[8] ؛ ليعمل على تعاقب الأمويين وقد ضاعت سيرة هذا الخليفة الشبح[9] ؛ بين أصداء الفتن ، وربما مات مسموماً[10] ، أو مطعوناً[11] .



---

(١) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧ س ٨ ؛ انظر . Cesch; der. Chalifen : Well I. p , 245: 275.; 431 suiv.

(٢) ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص ١٩١ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ .

(٤) صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٥٦ .

(٥) ابن قتيبة ، الإمامة ، حققه محمد الرافعى ، مصر ١٣٢٢ هـ ٢ ص ١٨ — ١٩ .

(٦) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٣٠٢ — ٣٠٣ ؛ ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص ١٩١ .

(٧) المعارف ، ص ١٧٩ .

(٨) ابن سعد ، ٥ ص ١٧ .

(٩) فمثلا لايذكره بعض المؤرخين مثل « Denys » فى حولياته ، وإنما يذكر مباشرة ابن الحكم . أنظر . Chronique, p. 9 .

(١٠) الكامل، ٣ص ٢١٩.

(١١) ابن قتيبة ، الإمامة ، ٢ ص ١٨ . أى بالطاعون .

توفى معاوية بن يزيد فى نفس العام الذى توفى فيه أبوه ، فبادرت القيسية وعلى رأسها الضحاك بن قيس إلى مبايعة ابن الزبير[١] ، الذى كتب له عهداً بولاية الشام وقد دعا الضحاك القيسية وأمراءهم إلى التجمع معه فى دمشق ، فأتوه من جميع أجناد الشام ، مثل[٢] : حمص وقنسرين وفلسطين ، ما عدا الأردن . وأرجح الرأى أن قيسية الشام بايعوا ابن الزبير دون غيره ؛ لتبرمهم بسياسة بنى أمية فى تقريبهم اليمانية[٣] ، ولأنهم كانوا يرونه أولى أهل زمانه بالأمر ، لأنه ابن حوارى رسول الله ، ورجل له شجاعة وسن وفضل ، وأنه كان أيضاً من المطالبين بدم الخليفة عثمان[٤] ؛ إذ أن القيسية كانوا ضمن أهل الشام الذين أيدوا معاوية ضد علىّ ، وحاربوا معه .

وعلى العكس تزعم جند الأردن — وكان فيه معظم كلب[٥] — الفتنة ضد القيسية ، ورفضوا مبايعة ابن الزبير ؛ حتى لا يمكنوا الحجازيين من الخلافة ، بعد أن بقيت فى الشام منذ أن نقلها معاوية إليها . وقد سعى إلى ذلك رؤساء[٦]

---

(١) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧ .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٣٢٦ ؛ العقد ، ٢ ص ٣١٤ — ٣١٥ . كان النعمان بن بشير الأنصارى فى حمص ، وهو الذى كان قد ولى الكوفة ثم حمص ليزيد ، وزفر بن الحارث على قنسرين ، وناتل بن قيس فى فلسطين ، وهذا الأخير أخرج العامل الأموى منها .

(٣) أنظر ، قبله .

(٤) أنساب ، ٥ ص ١٢٨ .

(٥) العقد ، ٢ ص ٣١٤ . « انتبه إلى الخطأ المطبعى » .

(٦) نفسه ؛ التنبيه والإشراف ، ص ٣٠٨ ص ٤ .

اليمانية فى الشام ، ورجال بنى أمية من عمالها السابقين الذين تجمعوا فى الجابية[1]، مثل : حسان بن مالك بن بحدل الكلبي ، سيد قبيلة كلب وعامل معاوية وابنه يزيد على فلسطين[2] ، وروح بن زنباع سيد من جذام ونائب حسان على فلسطين[3] ، وعبيد الله بن زياد الذى أخرجه أهل العراق بعد موت يزيد فذهب إلى الشام[4] ، وعمرو بن سعيد وهو من البيت الأموى ، وكان كأبيه والياً على الحجاز[5] ، وخرج من مكة بعد فتنة ابن الزبير[6] ، والحصين ابن نمير السكونى الأمير الذى كان يتولى جيش يزيد فى الحجاز ، ورفض ابن الزبير أن يصحبه إلى الشام للبيعة له[7] (Faute de Mieux) ، حتى يقطع به الطريق على الراغبين فى الخلافة من بنى أمية . واختلف الأمويون وأشياعهم طويلاً قبل إختيار خليفة لمعاوية بن يزيد . فمال بعضهم إلى أخيه خالد بن يزيد ، ولكن أغلبيتهم كرهوه لصبوته إذ كان غلاماً ؛ وأخيراً وقع إختيارهم على مروان ابن الحكم لسنه وشيخوخته[8] ؛ فهو يوصف بأنه شيخ قريش وسيد بنى أمية[9] ؛ فبايعوه بالجابية فى ذى القعدة سنة ٦٤/ يونيو ٦٨٤[10] .

---

(١) هى قرية من أعمال دمشق . عنها ، انظر . معجم البلدان ٣ ص٢٣ .

(٢) ابن سعد ، ٥ ص ٢٨ ؛ أنساب ، ٥ ص ١٢٨ ؛ العقد ، ٢ ص ٣١٤ ، ٣ ص ص ٢٢٦ ص ١٦ .

(٣) العقد ، ٢ ص ٣١٤ ص ١٩ (آخر الصفحة) .

(٤) أنساب ، ٥ ص ١٣١ ؛ المعارف ، ١٧٧ ص ١ —

(٥) ابن سعد ، ٥ص ٢٨ . وليها سنة ٦٠ . الكامل ، ٣ ص ٢٦٥ ؛ انظر . بعده .

(٦) أنظر عنه قبله ؛ وبعده .

(٧) أنساب ، ٥ص ١٢٨ ؛ انظر . Arab, p·166–167.:Well ؛ وقبله .

(٨) الفخرى ، ص١٦٤؛ الكامل ، ٣ص٢٢٦—٢٢٧ ؛ التنبيه ،ص ٣٠٨؛ابن سعد ، ٥ ص ٢٨ ؛ الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ٣ ص ٣١٤ وما بعدها

(٩) ابن سعد ، ٥ ص ٢٨ ص ١ — ٢ ؛ التنبيه ، ص ٣٠٨ .

(١٠) ابن سعد ، ٥ ص ٢٩ ص ٣ — ٤ .

ونلاحظ أن الخليفة الأموى الجديد ينتمي إلى فرع آخر من البيت الأموى غير فرع بني حرب ، هو فرع بني أبي العَاص [1] أو أبي العاصي [2] ؛ وإن استمر نعت الخلافة بالأموية نسبة إلى جدهم أمية [3] ؛ فهو : مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية ويتبيّن من سيرته [4] : أن عمره كان ثماني سنين حينما توفى النبي ، والأرجح أنه رحل مع أبيه الحكم بن أبي العاص إلى المنفى ، حينما طرده النبي خارج المدينة ، بسبب أنه كان يفشى أسراره ولم يحسن إسلامه ، فكان يعرف : « بطريد النبي [5] » ؛ فبقى فى منفاه فى حياة النبي وخلافة أبي بكر وعمر ، إلى أن رده أخوه عثمان إلى المدينة . وقد تولى مروان المدينة لعثمان ، واشترك فى حملة ابن أبي سرح على إفريقية ، فكتب له الخليفة بخمس غنائمها ، مما جعل الناس ينكرون على عثمان تبذيره أموال المسلمين على أقربائه [6] . وبعدئذ نجد مروان يقاتل عن عثمان أثناء حصاره يوم الدار ، وكاد يُقتل فى سبيله . وبعد مبايعة علىّ خرج مروان من المدينة مع طلحة والزبير وعائشة مطالباً بدم عثمان ، فقاتل معهم فى موقعة الجمل وجرح أيضاً .

ثم أخذ مروان الأمان من علىّ وبايع له ، ورجع إلى المدينة ولم يزل بهـا

---

(١) المعارف ، ص ٣٥ ، ١٧٩ ؛

(٢) الأغانى (طبعة بولاق) ، ١ ص ١٥٣ س ٥ . هى خاصة بعبد الله بن عمر بن عمرو ابن عثمان بن عفان بن أبي العاصى بن أمية .

(٣) أنظر . Ency. de l'Isl, (art Umaiyades)' t 4, p. 1552

(٤) ابن سعد ، ٥ ص ٢٤ — ٣٠ ؛ أنساب ، ٥ ص ١٢٥ وما بعدها ؛ أسد الغابة ، ٤ ص ٤ ص ٣٤٨ — ٣٤٩ ، انظر . Ency. de l'Isl, (art Marwân B. al-Hakam) L'Avèuement des Marwânides et le, :Lammees : t3, p. 354-855 Califat de Marwân Ier. Beyrouth, 1957, p. I—147 (extrait de M.F.O-B. XII, fasc 2).

(٥) عن ذلك : المعارف ، ص ١٧٩ ؛ الفخرى ، ص ١٦٤ . مات فى خلافة عثمان .

(٦) أنساب ، ٥ ص ٢٥ ، عن إشتراكه فى الحملة ، انظر . فتوح البلدان ، ص ٢٢٦

حتى حصل معاوية على الخلافة . وقد تولى مروان لمعاوية عمل الحجاز عدة مرات[1] ، واتخذ فى المدينة دار العباس ، وجعلها دار إمارته ، فعُرفت لوقت طويل باسمه : « دار مروان[2] » . ولما خلع أهل المدينة بيعة يزيد ووثبوا ببنى أمية وأجلوهم ، خرج مروان معهم ، وإن عاد إليها عقب موقعة الحَرَّة مع جيش مسلم بن عقبة . ويظهر أن آل مروان كانوا خير عون لمسلم ، فكتب يزيد إليه يشكره على معاونته لجيشه ، ويدعوه إلى الشام لينتفع بنصحه ؛ فقدم مروان عليه ، ولم يزل بالشام إلى أن ولى الخلافة .

ولا ينبغى أن نغفل ذكر طموح مروان لمنصب الخلافة ، ونصدق ما أورده المؤرخون من أنه لم يفكر فيها إطلاقاً لوجود غيره من بنى أمية[3] ، حتى أنه همّ بالمسير إلى ابن الزبير ليبايعه ، ويأخذ منه أماناً لبنى أمية[4] ، أو أنه حض ابن عمر ليبايع لنفسه[5] . فنحن نرى أن أطماع مروان فى الخلافة ترجع إلى وقت مبكر ، منذ أن خرج مع عائشة وطلحة والزبير لقتال علىّ . وقد كان معاوية بن أبى سفيان — قريبه — يخافه ، ولكيلا يتيح له تحقيق أطماعه ، كان لا يتركه فى ولاية الحجاز فترة طويلة ، بحيث جعلها بينه وبين سعيد بن العاص ، فكان يوليها على التوالى[6] ، كما كان يوقع بينهما أحياناً[7] . ومن ناحية أخرى ؛ كان مروان يحقد على معاوية ، فيحرض عليه عمرو بن عثمان ، ويقول له[8] : « ما أخذ معاوية الخلافة إلا باسم

---

(١) لا نعرف عدد مرات تولية مروان الحجاز : فلعله تولاها سنة ٤٢/٦٦٢ ، وسنة ٤٩/٦٦٩ . ابن سعد ، ٥ص٢٤ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) ابن سعد ، ٥ص٢٤ س٧ .

(٣) أنساب ، ٥ ص ١٢٨ س١٧ — ١٨ .

(٤) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧ س٢٢ — ٢٤

(٥) أسد الغابة ، ٣ ص ٢٢٩ س٧ - ٨ .

(٦) أنظر قبله .

(٧) الكامل ، ٣ ص ٢٤٦ .

(٨) النزاع والتخاصم ، ص ٣٨ س ١٧ — ١٨ .

أبيك » ؛ كما عارض تولية يزيد فى ولاية العهد[1] . ويثبت طموح مروان للخلافة أيضاً ، أنه طالب معاوية بن يزيد أن يستخلف ، ويجعل الخلافة فى بنى أمية ؛ على أن تكون عمَرية أى بالشورى[2] .

ومهما يكن فإنه بعد بيعته فى الجابية ، خرج مروان ومعه قبائل اليمانية من : كلب وغسان والسكاسك والسكون ، ونزلوا مرج راهط ، وهو سهل شرقى دمشق[3] ؛ وعلى ميمنته عمرو بن سعيـد ، وعلى ميسرته ابن زياد . فخرج إليهم الضحاك من دمشق فى جمع كبير من القيسية ، ومعه رؤساء الأجناد فى الشام ، ونزلوا بإزائهم فى مرج راهط . فانتهزت اليمانية بدمشق خروج القيسية منها واستولت عليها ، وبايعت لمروان وأمدته بالأموال والرجال والسلاح ، فـكان هذا أول فتح على بنى أمية ، على حد تعبير ابن الأثير[4] . وقد تحارب الفريقان بعنف ، وقتل منهما مقتلة لم يُقتل مثلها فى موطن قط[5] ؛ ولـكن هزمت القيسية حينما قُتل زعيمها الضحاك بالخديعة[6] ؛ إذ أنه لما اشتد القتال طالبت اليمانية بالوداعة ، فلما آمن الضحاك شدت فرسانها عليه وقتلته . فعرفت الموقعة التى دارت بينهما بمرج راهط ، أو بالمرج فقط[7] ؛ وكانت فى المحرم سنه ٦٥/ يوليو ٦٨٤[8] .

---

(١) الأغانى ، ١٨ص ٧١ س٢١ .

(٢) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ص ٣٠٣ س ١٠ .

(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٩ ؛ العقد ، ٢ س ٣١٥ ؛ الـكامل ، ٣ ص٣٢٨ ؛ الأغانى ، ١٧ ص ١١١ ؛ انظر Ency' de l.Isl, (Mardj Râhit) t. 3, p. 293—4. Lammens: Arab, p. 181; n (1) Well; L'Avènement, p. 57—75. : عن مرج راهط ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٢١٧ ، ٨ ص ١٦ .

(٤) الـكامل ، ٣ ص ٣٢٨ س١٣ ١٦ .

(٥) تحاربا مدة عشرين ليلة .

(٦) العقد ، ٢ ص ٣١٥ .

(٧) الأغانى ، ١٧ص١١١ ؛ معجم البلدن ، ٤ص ٢١٧ ؛ انظر Ency. t3,p 355.

(٨) وإن قيل أيضاً إنها كانت فى آخر سنة أربع وستين . الـكامل ، ٣ ص ٣٢٨ .

وثمة نتائج على هذه الواقعة أهمها : — حسب قول المسعودى المؤرخ[1] — رد ملك بنى أمية ؛ فبعدها قدم مروان دمشق ، وأعلن بيعته من جديد فى رجب ٦٥/٦٨٥[2] ؛ كما أخرجت اليمانية فى الأجناد عمال القيسية وقتلتهم ، أو أجبرتهم على الهروب[3] ؛ وبذلك استوثق الشام لمروان ، الذى استعمل عليها عماله[4] . فلما أرسل ابن الزبير حملته إلى الشام بقيادة أخيه الأصغر مصعب ، جاء وصولها متأخراً فلم تجد عوناً من القيسية ؛ بحيث تمكن جيش مروان بقيادة عمرو بن سعيد من هزيمتها ، قبل أن تدخل الشام[5] .

وفوق ذلك ، أثار مروان الاضطرابات ضد ابن الزبير فى أرجاء الخلافة العربية ؛ كما فعل معاوية من قبل بعد فوزه على علىّ فى التحكيم . فذهب مروان بنفسه إلى مصر ، واستولى عليها من واليها القيسى بمساعدة شيعة الأمويين ، وولى عليها ابنه عبد العزيز[6] . وأرسل نحو الحجاز بعثاً كان فيه يوسف بن الحكم الثقفى وابنه الحجاج بن يوسف المعروف ؛ فدخل الأمويون المدينة[7] ؛ ولكن جيوش ابن الزبير التى أرسلت من البصرة والكوفة تمكنت من هزيمتهم فى الرَّبذَة[8] ، خارج المدينة ، وهرب الحجاج وأبوه ؛ مما دعا

---

(١) التنبيه ، ص ٣٠٩ س ٥ — ٦ .

(٢) صبح الأعشى ، ٣ ص ٦ ٢ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٣٢٩ س ٢ — ٣ ؛ انظر : Lammens : L'Avènement, p. 109.

(٥) الكامل ، ٣ ص ٣٣٠ . عن سيرة مصعب ، انظر . بعده .

(٦) الخطط ، ٢ ص ٨٤ ؛ انظر . سيدة كاشف ، مصر فى فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٣١ وما بعدها . اسم واليها من قبل ابن الزبير هو : عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهرى .

(٧) أنساب ، ٥ ص ١٥٠ وما بعدها . يقول ابن عبد ربه إن عبد الملك هو الذى أرسل هذا البعث . أنظر . العقد ، ٢ ص ٣١٨ .

(٨) أنساب ، ٥ ص ١٥٣ س ٩ ؛ المعارف ، ص ٢٠١ . لعل أبوه قتل فى هذه الموقعة . العقد ، ٢ ص ٣١٨ . عن الربذة ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٢٢١ — ٢٢٢ . عن سيرة الحجاج ، انظر . بعده .

إلى ابتهاج أهل المدينة[١] ، فعين عليها ابن الزبير أخاه مصعباً[٢] . وأرسل مروان بعثاً آخر عليه ابن زياد ضد القيسية في الجزيرة ، حتى إذا فرغ سار إلى العراق[٣].

ولكن مروان لم تتح له الفرصة للقضاء على الفتنة ؛ لموته المبكر بعد حكم قصير لم يدم أكثر من عشرة أشهر . وقد اختلف في سبب موته ، فلعله نتيجة لاصابته بالطاعون[٤] ، الذي كان منتشراً في الشام والعراق ، وتسبب من قبل في موت معاوية بن يزيد ، أو أنه مات مقتولاً[٥] ؛ بسبب أنه جعل ولاية عهده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز[٦] ، وترك ما كان قد أطمع فيه خالد ابن يزيد في الجابية تحت إلحاح ابن أخته حسان بن مالك بن بحدل زعيم كلب[٧] ، مع أن مروان كان قد تزوج بأم خالد بقصد الإبقاء على وحدة بني أمية[٨] ؛ فلعل أم خالد سمته أو خنقته[٩] ؛ إذ يبدو أنها هي الأخرى لم تتزوجه إلا لتبقى على الخلافة لابنها[١٠] .

---

(١) أنساب ، ٥ ص ١٥٣ س ١٩
(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٥٦ .
(٣) نفسه ، ٣ ص ٣٣٥ س ١٣ — ١٤ ، ٣٤٧ .
(٤) صبح الأعشى ، ٣ ص ٣٥٦ .
(٥) المعارف ، ص ١٨٠ س ٢ .
(٦) ابن سعد ، ٥ ص ٢٩ س ١٧ ؛ أنساب ، ٥ ص ١٤٥ س ١١ .
(٧) ابن سعد ، ٥ ص ٢٩ س ١٦
(٨) نفسه ، ص ٢٨ س ١٩
(٩) نفسه ، ٥ ص ٣٠ ؛ أنساب ، ٥ ص ١٤٥ ، ١٥٩ ؛ انظر . بركلمان ، تاريخ الشعوب ، ١ ص ١٥٨ .
(١٠) أنساب ، ٥ ، ١٥٦ س ١٣ .

فإلى مروان يرجع الفضل فى الاحتفاظ للأمويين بالخلافة ، بعد أن كادت تطيح بهم وبها الزعازع . كما أن تولية عهده لاثنين دليلاً قوياً على وفور رغبته فى تفادى ما وقع بعد معاوية الثانى ؛ مما جعل جميع خلفاء الأمويين بعده يسيرون على سنته، بتولية عهودهم لاثنين .

* * *

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٥ / ٦٨٥[1] ؛ كنتيجة من نتائج انتصار مروان فى مرج راهط ، إذ لولاها لما بويع له بها . وروى المؤرخون أن معاوية كان يعجب بعبد الملك ، كما تنبأ له غيره بالملك[2] ؛ فهو يوصف على أنه شخصية جبارة ، شديد السياسة[3] .

وقد ولد عبد الملك[4] ، فى زمن عثمان سنة ٢٦/٦٤٦ - ٦٤٧ ، وشهد يوم الدار وهو صغير . وبعد أن أخذ أبوه الأمان من على بقى فى المدينة ؛ فتميزت حياته فيها بحبه للفقهاء والعلماء ، وعرف بحمامة المسجد لمداومته على تلاوة القرآن[5] . وقد تولى ديوان المدينة لمعاوية ، ولم يزل به حتى كانت الفتنة الثانية[6] . فلما وثب أبناء المدينة ببنى أمية وأجلوهم ؛ خرج منها ، ولكنه

---

(١) صبح الأعشى، ٣ص٢٥٧ ؛ المعارف ، ص ١٨١.

(٢) مصنف مجهول، ص ١٦١ .

(٣) الفخرى ، ص ١٦٧ .

(٤) عنه : ابن سعد، ٥ ص١٦٥ — ١٧٥ ؛ مصنف مجهول، ص ١٦١ ومابعدها ؛ المعارف، ص ١٨٠–١٨٢ ؛ الفخرى ، ص ١٦٧وما بعدها ؛ انظر Ercy. de l'Isl, (aat 'Abd al-Malik B. Marwân) t I, p. 49–51; 2éd t 1, p. 75 sqq.

(٥) مصنف مجهول ، ص ١٦٣، الفخرى ، ص ١٦٧ .

(٦) مصنف مجهول ، ص٢٦١ س١١ — ١٣ ؛ المعارف ، ص١٨٠ .

ما لبث أن رجع إليها هو وأبوه مع جيش يزيد ، التى تمكن من دخولها بفضل المعلومات الدقيقة ، التى قدمها بنفسه للقائد مسلم بن عقبة[1] . وبعد إقامة قصيرة ، ارتحل إلى الشام مع أبيه ؛ بناء على دعوة يزيد ، وبقى فيها إلى أن أدت الحوادث إلى تولية مروان الخلافة ، ومن ثم جعله الخليفة من بعده .

*

وقد كان الشام يغلى بالعصبية من جراء موقعة مرج راهط [2] ، وزادها تأججاً قصائد الشعراء ، فكان اليمانية يفاخرون بانتصارهم فيها[3] ، والقيسية يبكون على قتلاهم[4] . ويبدو أن القيسية هى التى بدأت الحرب ، حينما استطاع أمير جند قنسرين : زفر بن الحارث ، الفرار بعد هزيمة المرج واتخاذ قَرقيسياء على الفرات لحرب كلب[5] ، فى المنطقة المعروفة بديار مُضر[6] . فاجتمعت إليه سائر قيس من كل مكان ، بخاصة من منطقة التنور الجزرية ، التى كان معاوية أنزلها بعض بنى تميم وأخلاط قيس وأسد وغيرهم [7] . فكانت القيسية تهاجم كلب البوادى والحضر على السواء[8] ، مما جعلهما يتحدان ضدها ؛ ويتخذان تدمر [9] الواقعة قرب حلب مكاناً لتجمعهما . ولم تكن

---

(١) الكامل ، ٣ ص ٣١٢ ؛ الفخرى ، ص ١٧٠

(١) أنساب ، ٥ ص ٣٠٨ س ٤ ؛ انظر L'Avènement, p. 109.: Lammens.

(٣) أنظر ما ورد فى كتاب : التنبيه ، ص ٣٠٩ وما بعدها .

(٤) أنظر قول زفر بن الحارث :

أتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... ويترك قتلى راهط هى ما هيا .

الأغانى ، ١٨ ص ١١٢ . قيل إنه من كندة وليس من قيس . أنساب ، ٥ ص ٣٠٣ س ١١ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ٢٢٦ س ١٥ ، ٣٢٩ س ٨ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٢٧ ؛ أنساب ، ٥ ص ٣٠١ . عن قرقيسياء ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ٥٩ — ٦٠ .

(٦) المصدر الأخير ، ٤ ص ١١٧ .

(٧) فتوح البلدان ، ٥ ص ١٧٨ .

(٨) أنساب ، ٥ ص ١٧٨ ،

(٩) الأغانى ، ١٧ ص ١١٢ . عن تدمر ، انظر معجم البلدان ، ٢ ص ٣٦٩ .

الحرب بين اليمانية والقيسية بقصد تولية خليفة كما حدث فى مرج راهط ، وإنما كانت حرب إبادة هدفها الثأر والتشفى لقتلاها[١] .

ومن ناحية أخرى كانت حرب قيس أشد مع قبيلة يمانية أخرى اسمها تغلب[٢] ، يسكنون الجزيرة فى المنطقة المعروفة بديار ربيعة[٣] غرب دجلة ، حيث كان معظمهم من البدو ، وليس بينهم إلا قليل من الحضر[٤] ، وأكثرهم نصارى لهم أسقف[٥] . فكانت تغلب من القبائل الحربية التى لا يهدأ لها بال إلا بالقتال والغـــارات والغزوات ؛ حتى أنهم كانوا يقولون إن تغلب تغلب[٦] ، وأن البلاذرى يصفهم بأنهم قوم شديدة نكايتهم[٧] : فنجدهم منذ أول الفتح يقاومون المسلمين مع الروم ، ثم انضموا إلى العرب وحاربوا معهم الروم ؛ كما رفضوا الإسلام ، وهموا باللحاق بأرض الروم لما طلب عمر منهم دفع الجزية ، ولكن عمر أعفاهم منها لما فيها من إذلال بحكم أنهم عرب ؛ فكان يأخذ بدلها صدقة ، وإن اشترط عليهم ألا يكرهوا أولادهم على التنصر . فانضمت هذه القبيلة إلى كلب فى قتال قيس دفاعاً عن بنى أمية[٨] ، ولعل

---

(١) الأغانى ، ١٧ ص ١١٢ ؛ انظر أيضاً . Ency,t3.p.294

(٢) الأغانى ، ١٧ ص ١١٣ ؛ أنساب ، ٥ ص ٣١٤ . عنها ، انظر . كحالة ، معجم قبائل العرب ، ١ ص ١٢٠ وما بعدها؛ معجم البلدان ، ٣ ص ٩٧ ، إذهم من قضاعة .

(٣) الأغانى ، ٢٠ ص ١٢٢ ؛ انظر . Lammens :Mo'a ler, p. 296. ديار ربيعة بلاد واسعة فى الجزيرة ، أنظر . معجم البلدان ، ٤ ص ١١٧ .

(٤) الأغانى ، ١١ ص ٦٢ .

(٥) نفسه ، ٧ ص ١٨٣ س ٨ .

(٦) الكامل ، ٤ ص ٦ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٨١ س ١٦ ، ١٨٢ — ١٧٣ ، أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٣ — ١٤٥ ؛ انظر . Ency. I,Isl, (art Djiziya) t 1, p. 1082.

(٨) الأغانى ، ١٧ ص ١١٢ ، ١١٤ ؛ الكامل ، ٤ ص ٣ وما بعدها .

ذلك يرجع إلى أنها كانت حليفة لهذا البيت منذ معاوية ، الذى أحسن معاملة النصارى ؛ فحاربوا معه فى موقعة صفين[١] ؛ أو للرغبة فى مساندة كلب لأنها يمانية مثلها إذ هم من قضاعة ، أو لأنه كان هناك عداء قديم مع مضر المجاورين لهم[٢] . وقد بدأت الثارات بين قيس وتغلب بعد مرج راهط[٣] ، وأجج الشعراء السياسيون اشتعال العصبية بينهما ، وبخاصة الشاعر جرير الذى كان يسب ربيعة[٤] ، والشاعر الأخطل الذى كان يعرف بابن النصرانية[٥] ، ويسب مضر ويصول عليهم بشعره[٦] ؛ مما أهاج ذكرى الجاهلية[٧] . وقد وقعت بين الفريقين عدة وقائع وأيام[٨] ، أغلبها كانت فى بلاد الجزيرة ، مثل : يوم الثَّرثار[٩] ويوم الكُحيل[١٠] ؛ حيث حارب كماة فرسان تغلب بسائر بطونهم[١١] .

---

(١) الطبرى (Annales) ٢ : ١٠٢٠ ؛ انظر . Mo,àlèr,:Lammens p. 400.

(٢) معجم البلدان ، ٤ص ٢١٧ س٥ ـ ٦ .

(٣) الأغانى ، ١١ص ٦١ (آخر الصفحة) .

(٤) نفسه ، ٧ص ١٧٣ س ٢٠ . وهو جرير بن عطية بن كليب من تميم ، توفى سنة ١١٠ / ٧٢٩ . عنه ، انظر . نفسه ٧ص ٣٨ ومابعدها؛ انظر . Ency.de l'Isl, (art Djarîr). t l,p. 1054.

(٥) الأغانى ، ٧ ص ١٨١ س ٧ . الأخطل لقب غلب عليه ، حيث اسمه غياث بن الصلت ابن الطارقة . عنه ، انظر . ديوان الأخطل ، حققه وعلق حواشيه صالحانى ، بيروت ١٨٩١ ؛ الأغانى ، ٧ س ١٦٩ ومابعدها ؛ Lammens :Etudes, p. 211 sqq.: Ency, de l'Isl, (art al-Akhtal) t I. p 238—239 ;

(٦) الأغانى ، ٧س ٧٣ ؛ س ٢٠ .

(٧) نفسه ، ٧ س ٣٨ .

(٨) أنساب ، ٥ ٣١٦ وما بعدها ٢ ؛ الكامل ، ٤ص ٣ وما بعدها . كانت القيسية يبقرون بطون النساء . المصدر الأخير ، ٤ س ٤ .

(٩) واد عظيم بالجزيرة . معجم البلدان ، ٣ص ١ .

(١٠) موضع بالجزيرة . نفسه ، ٧ص ٢٢٠ .

(١١) الأغانى ١ س ٦٢ س ٢٧ .

والثابت أن عبد الملك جعل نفسه فوق الأحزاب ، وعمد إلى التخفيف من حدة العصبية بين اليمانية وقيس ، ذلك لأنه كان من فرع أموى آخر ، وأنه كان يتمتع بصفات ذوى الحنكة السياسية فى عصره كالمروءة والحلم (١) ، وحب المشاورة (٢) ، والقدرة على الأخذ بقلوب الرجال (٣) . فكان يلتمس منع اشتباكهما (٤) ، ودفع الدية عن قتلاها (٥) ، ويجمع زعماءهم على الطعام (٦) ، وكذلك شعراءهم (٧) . وإذا كان عبد الملك فى أول خلافته قد حارب القيسية بكلب ، ورمى قرقيسياء — مركز تجمعهم — بالمجانيق (٨) ، فإن ذلك لم يكن بقصد التعصب لكلب ، وإنما لأن كلباً كانت وقتئذ مروانية ، وقيساً زبيرية (٩) . ولكنه بعد أن صالح زفر بن الحارث — زعيم القيسية — قربه هو وأبناءه ؛ وأصبحت القيسية قسماً فى جيشه (١٠) ، وبذل لهم العطاء الذى حرموا منه أثناء النزاع مع اليمنية ، كما أنه بعد أن كان لا يسمع من شعراء مضر ، ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زبيرية ، أذن لهم (١١) ، فمدحه جرير والفرزدق (١٢) ، وعبيد الله ابن قيس الرقيات (١٣) ، مثلما كان يمدحه الأخطل شاعر اليمانية ، الذى نقد تصرف الخليفة (١٤) .

---

(١) مصنف مجهول ، ص ١٦١ ، ١٦٨ .

(٢) فمن قوله : « إعلم أن لك نصف الرأى ولأخيك نصفه ، ولن يهلك امرؤ عن مشورة » . نفسه ، ص ٧٥ .

(٣) نفسه ، ص ١٦٢ .

(٤) أنساب ، ٥ ص ٣١١ س ٢ .

(٥) نفسه ، ٥ ص ٣١١ س ٥ ؛ الأغانى ، ١٧ ص ١١٥ ، ١١٦ س ٨ .

(٦) الأغانى ، ١٧ ص ١١٤ .

(٧) نفسه ، ٧ ص ٦٩ .

(٨) أنساب ، ٥ ص ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ .

(٩) نفسه ، ٥ ص ٣٠٨ س ٦ .

(١٠) نفسه ، ٥ ص ٣١٤ ؛ انظر . على مظهر ، العصبية ، ص ٥٩ .

(١١) الأغانى ، ٧ ص ٦٦ س ١٢ وما بعدها .

(١٢) نفسه ، ٧ ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(١٣) هو القائل : وما نقموا من بنى أمية إلا م — أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك فلا — تصلح إلا عليهم العرب
أنظر . ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٤٤ .

(١٤) أنساب ، ٥ ص ٣٠٦ س ٥ وما بعدها .

وكذلك تهدد عبد الملك خطر داهم ، حينما اشرأب أحد أفراد أهل بيته للحصول على منصب الخلافة . ولم يكن المنافس خالد بن يزيد ، الذى كان مروان قد رجع عمّا أطمعه فيه من ولاية العهد بتولية عبد الملك[١] ؛ لأن خالداً كان قد انشغل بعد تولية عبد الملك بحرب قيس مع أخواله من قبيلة كلب[٢] ، ولأنه عرف بزهده فى الخلافة ، وإقباله على العلم وبخاصة الكيمياء والطب ، حتى قيل إنه كان من أعلم قريش بفنون العلوم[٣] .

ولكن منافس عبد الملك كان ابن خالته : « عمرو بن سعيد[٤] » ، المعروف بالأشدق أو الشداق ، وهو وصف بأنه رجل عظيم الكبر[٥] . وقد تولى عمرو عمل الحجاز ليزيد[٦] ، مثل أبيه سعيد بن العاص ، الذين تولاه من قِبل معاوية بعد كل مرة كان يعزل فيها مروان بن الحكم . ويبدو أن عمراً كان كأبيه يكره يزيد[٧] ؛ فلما خرج الحسين وابن الزبير من المدينة ، لم يرسل عمرو وراءهما جيشاً قوياً أو قائداً أموياً ، وإنما أرسل جيشاً ضعيفاً عليه عمرو بن الزبير ، أخو عبد الله[٨] . كذلك لما طلب يزيد منه أن يبعث بابن الزبير مقيداً فى سلسلة ، بعث إلى ابن الزبير بسلسلة فضية ليقيد نفسه فيها[٩] ،

---

(١) أنظر . قبله .

(٢) أنساب ، ٥ص ٣٠١ — ٣٠٢ .

(٣) توفى خالد سنة ٨٥ / ٧٠٤ . عنه ، انظر . وفيات ١ ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ، المعارف ، ص ١٧٩ .

(٤) عنه . ابن سعد، ٥ص ١٦٧ — ١٧٧ ؛ انظر .

(٥) المسعودى ، مروج (Prairies) ، ٥ص ٢٥.

Ency de l'Isl, (Amr B Sa'id al-Ashdak) tl, p.340-341, 2ed, 1, p. 455-4.

(٦) العقد، ٢ص ٣٠٦ .

(٧) الأغانى ، ١٨ ص ٧١ . إمتنع عن بيعته بولاية العهد .

(٨) أنظر . قبله .

(٩) أنظر . الكامل ، ٣ ص ٣٠٥ ، وقبله.

مما جعل يزيد يعزله عن عمله ويحبس أولاده[1] ؛ كما أن عمراً رفض الاشتراك في موقعة الحرة[2] .

وعلى العكس شارك عمرو في حصول مروان على الخلافة ، فقد كان من المحرضين له على أن يبايع لنفسه[3] ، وقاتل على ميمنته في موقعة مرج راهط[4] ، وهزم جيش مصعب حينما توجه إلى فلسطين[5] ؛ حتى أن مروان بعد إعلان خلافته في دمشق اعترف لعمرو بما قام به ، وولاه أمرتها[6] .

ويجوز أن مروان كان قد أطمعه مع خالد في ولاية العهد[7] ، أو أنه لم يطمعه فيها ، وإنما هو الذي رجا تعيينه[8] . لذلك امتنع عمرو عن البيعة لعبد الملك بالخلافة[9] ، وصار أهل الشام فرقتين ؛ فرقة مع عبد الملك ، وفرقة مع عمرو ؛ إذ كان له أتباع كثيرون يفضلونه بالخلافة[10] . ولكن بني أمية دخلوا بينهما بالصلح ، حتى لا تضيع دولتهم ، فاصطلحا على أن يكونا مشتركين في الملك ؛ بأن يكون لكل منهما عمال من قبله ، على أن يكون اسم الخلافة لعبد الملك ، فإن مات فالخليفة من بعده عمرو بن سعيد[11] .

هذا ويبدو أن الحال بينهما استمر على ذلك حوالى خمس سنوات ، ولكن

---

(١) نفسه ، ٣ ص٢٠٦ .
(٢) الفخرى ، ص١٦١ .
(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٨ س١ وما بعدها .
(٤) نفسه ، ٥ ص ٢٩ ، انظر . قبله .
(٥) الكامل ، ٣ ص ٢٣٠ ، انظر قبله .
(٦) ابن سعد ، ٥ ص٢٩ .
(٧) نفسه ؛ انظر .قبله .
(٨) نفسه ، ٥ ص ٢٨ س ٤ .
(٩) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٠ س ٥ .
(١٠) ابن سعد ، ٥ ص٢٩ .
(١١) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٠ .

عمراً أحس بسوء نية عبد الملك وتغيره[1] عليه ، فانتهز خروجه من دمشق للسير على زُفَر بن الحارث كما ذكرنا ، في سنة ٧٠ / ٦٨٩ — ٦٩٠[2] . فأسرع عمرو بالرجوع إليها وأغلق أبوابها[3] ، ودعا الناس إلى بيعته[4] ، فكر عبد الملك راجعاً إلى دمشق ، واستدرجه حتى فتح له أبوابها ، بحجة أنه لا يحب أن يفسد أمر أهل بيته وابن الزبير موجود ، وأكد له ولاية الخلافة من بعده[5] . ولكن عبد الملك غدر به وقتله بنفسه[6] ، مع أن عمراً ناشده الرحم ، فأمر به فأضجع وذبح ذبحاً في بساط ، وألقى برأسه مع صرر المال ؛ كما قطعت رؤوس أصحابه[7] . وبذلك جعل عبد الملك قتل عمرو تهديداً لكل من يجرؤ على الخروج عليه من أهل بيته[8] ، وحقق ما قاله في أول خطبة له بعد توليته الخلافة[9] : « ما أنا بالخليفة المصانع ، ولا الخليفة المستضعف » : يعني أنه لا يصانع أقاربه كمعاوية ، أو يضعف لهم كعثمان .



وكان قد بايع عبد الملك بالخلافة الشام ومصر لكونهما في يد أبيه ، ولم

---

(١) نفسه .

(٢) المسعودي ، مروج (Prairies) ، ٥ ص ٢٤٤ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ١٦٠ .

(٤) المسعودي ، مروج ، ٥ ص ٢٣٤ .

(٥) مصنف مجهول ، ص ١٦٨ .

(٦) المسعودي ، مروج (Prairies) ، ٥ ص ٢٢٠ .

(٧) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

(٨) مصنف مجهول ، ص ١٨٠ س ٦ .

(٩) نفسه ، ص ١٦٨ .

يبايعه العراق والحجاز لكونهما كانا فى يد ابن الزبير[١] . ولكن ما أن سوى عبد الملك فتنة عمرو بن سعيد الأشدق ، وحصل على ولاء القيسية ، حتى أزمع السير إلى العراق ، مثلما فعل جده معاوية من قبل ؛ وخصوصاً أن العراق أصبح كالثمرة الدانية القطاف ؛ لكثرة إختلاف أهله[٢] .

فقد كان أهل العراق غاضبين على بنى أمية لقتلهم الحسين ؛ ولأن أغلبيتهم كانوا معادين للأمويين ؛ لأنهم من المضرية الذين هاجروا الى العراق من الحجاز ، وكان أنصار الأمويين من اليمنية فى العراق قليلين[٣] . فبعد موت يزيد أخرج أهل البصرة ابن زياد ، واضطروه إلى الرحيل إلى الشام على الرغم من تمسكه بالحكم فيها[٤] ، كما حصب أهل الكوفة أنصار الأمويين ، حتى أن ابن الزبير انتهز الفرصة وعين عمالاً من قبله فى الكوفة والبصرة ، وفى كل مكان فى العراق[٥] .

ولكن الفتنة بالعراق بلغت أشدها فى أيام مروان بمجيء شخص إلى الكوفة يعتبر من أكبر أنصار بنى هاشم ، كان يدعو إلى ابن الحنفية — أخى الحسن والحسين — وينادى بثأر آل البيت ، اسمه المختار بن أبى عبيد الثقفى[٦] ؛ فكان على عكس بقية الثقفيين الذين كانوا من أنصار بنى أمية ، بسبب صلة هؤلاء بثقيف فى الجاهلية[٧] . ويتبين من سيرة المختار أنه ولد فى العام ذاته الذى ولد فيه ابن الزبير من أسرة معروفة ، فهو ابن أبى عبيد بن مسعود ،

---

(١) ابن سعد ، ج٥ ص ٣٠ .
(٢) أنساب ، ٥ ص ٣٠٨ ؛ انظر Wall : Aral. p. 184.
(٣) مصنف مجهول ، ص ٣٠ .
(٤) الكامل ، ٢ص ٣٢٠ وما بعدها ؛ انظر . قبله .
(٥) نفسه ، ٣ص ٢٣٥ ، ابن سعد ، ٥ ص ٧٢ .
(٦) عنه ، انظر . أنساب ، ٥ ص ٢١٤ وما بعدها ، الكامل ، ٣ص ٢٢٧ وما بعدها ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ ص ٣٥٣ وما بعدها ،
انظر Van Gelder. Mohtar de Valsche Praefect. Leiden,1985,: Ency. de l'isl, (art al-Mukhtâr B.Abî'Ubaid al-Thakafi) t3, p.795 sqq.
(٧) أنظر . Well : Arab,p. 114.

التى قتل عند الهجوم على فارس فى موقعة الجسر سنة ١٣ / ٦٣٤[1] ؛ فتولى رعايته عمه سعد عامل علىّ والحسن على المدائن[2] ، مما يدل على أن المختار نشأ على حب آل طالب ؛ وكان يوصف بأنه غلام شاب[3] . فلذلك كان المختار دائماً ضمن الخارجين على عمال الأمويين بالعراق ، فحبسه زياد بن أبيه وابنه عبيد الله لتشيعه[4] ، وبخاصة لأنه عاون مسلم بن عقيل وأنزله داره[5] ؛ حينما أرسله الحسين إلى الكوفة ؛ ليجمع له الشيعة ، وشترت عينه وقتئذ[6] . ولكن أطلق سراحه بعد قتل الحسين ، وكان ذلك بناء على شفاعة ابن عمر ، وهو زوج أخت المختار ، فكتب إلى يزيد فى ذلك . وترك المختار العراق وعاد إلى بلده بالطائف ، وما لبث أن انضم إلى ابن الزبير وبايعه ، واعتبره رجل اليوم[7] . وحينما كان ابن الزبير يقاتل الحصين بن نمير ، قاتل المختار معه أشد قتال ، وكان أشد الناس على أهل الشام ، ومن الجائز أن حبل الوفاق لم يستمر ممدوداً بينهما ، فرجع المختار إلى الكوفة بعد أن بذل لابن الزبير الوعد بالدعوة له[8] ، وجمع الجند لقتال أهل الشام[9] ، حتى يتخلص

---

(١) الأخبار الطوال ، ص ١١٢ — ١١٣ ؛ انظر . ماجد، التاريخ السياسى، ١ص٢٠١.
(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٠٣ س ١٢ . للمدائن هى طيشفون القديمة عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ١٣٤ ، ٧ ص ٤١٢ وما بعدها ؛ وقبله .
(٣) الطبرى (Annales) ، ٢ : ٤٠٠ .
(٤) نفسه ، ٢ : ١٣٤ ، انظر . Ency. t3, p. 765
(٥) الكامل ، ٣ ص ٢٧٥ س ٥ .
(٦) نفسه، ٣ص ٢٦٧ ، ٣٣٧ .
(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٣٨ س ١٩ .
(٨) ابن سعد ، ٥ ص ٦٩ ، ٧٢ ؛ المعارف ، ص ١٨١ .
(٩) الكامل ، ٣ ص ٣٣٩ (آخر الصفحة) .

فتنة وبسود إلى العراق . فكان المختار بعد رجوعه إلى الكوفة ، يمر بنفسه على القبائل ، ويبشرها بقرب أخذ ثأر الحسين .

وقد سعى المختار في أن يضم صفوف شيعة الكوفة لزعامته ؛ لأنه كان يعرف أنها لم تكن مجمعة على رأى أو زعيم[1] ؛ حتى قال المسعودى إن هدف المختار من الرجوع إلى الكوفة أن يضم الشيعة[2] . وقد أطاعته طائفة منهم[3] ؛ إلا أن غالبيتهم وعظماءهم ظلوا مع شيخهم سليمان بن صرد[4] ، القبى كان أحد أصحاب النبي ، ومن أوائل من نزلوا الكوفة من المسلمين ، وشهد مع على معظم معاركه . وكان سليمان قد كتب إلى الحسين بن على بعد موت معاوية يسأله القدوم إلى الكوفة ، فلما قتل الحسين استشعر سليمان الندم ، فأخذ يدعو سراً بين عرب العراق للانتقام له[5] ، فعرف أنصاره بسبب ذلك باسم : « التوابين » ، أى الذين ندموا لترك نصرة الحسين ، ورأوا أن يغسلوا عار خذلانهم لابن بنت النبي بأن يقتلوا أو يقتلوا من قتله ، واتخذ سليمان لنفسه لقب : « أمير التوابين[6] » . وكان المختار يريد أن ينزع شيعة الكوفة، فأخذ يثبط[7] هممهم وينفرهم من زعامة سليمان، واصفاً له في أنه غير

---

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٢٨ س ٢٢ — ٢٣ .

(٢) مروج ، ٥ ص ١٧٠ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٣٣٥ س ٥ .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٣٣٣ س ٦ ، ٣٣٩ س ١٢ . عنه : أسد الغابة ، ٢ ص ٣٥١ ؛ ابن سعد، ص ١٥ — ١٦ ؛ اخار . Ency. de l'Isl, (art Sulaimân. B. Surad) t 4, p. 559 - 560

(٥) الكامل ، ٣ ص ٣٣٤ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ٣٣٢ س ١٨ . هذا الاسم مأخوذ من اسم قوم بنى إسرائيل ، الذين عبدوا العجل ، فتابوا بعد أعناقهم ، ذلك لأنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل ؛ وقد ورد ذلك في القرآن (٢ : ٥٤) . عن ذلك ، انظر . ما ورد في نفس المصدر ، ٣ ص ٣٣٣ .

(٧) مروج ، ٥ ص ٢١٤ .

بصيره بأمور الحرب ، وأنه إنما يريد أن يقضي عليهم ، ويقتل نفسه[1] .

ولكن غالبية الشيعة صمموا على الخروج ، وقاموا وراء سليمان في سنة ٦٥/٦٨٤[2] ؛ وشجعهم على ذلك أنصار ابن الزبير بالعراق ؛ حتى يتخلصوا منهم . وقبل أن يرحلوا ازدحموا على قبر الحسين ، وبكوا عنده بشدة ، وأعلنوا توبتهم من خذلانه[3] . وكان مروان بعد مرج راهط قد أرسل ابن زياد عاملاً له في الجزيرة ، على أن يسير بعدها إلى العراق[4] . فالتقى التوابون بجيش الأمويين في عين الوَرْدَة من أرض الجزيرة[5] ، حيث استبسلوا في القتال ، وكان شعارهم : « الجنة الجنة » ؛ فقتل منهم عدد كبير ، بما فيهم سليمان[6] . وقد سر عبد الملك الذي تولى الخلافة في الشام بعد مروان بهذا النصر[7] ، فأبقى ابن زياد في منصبه ، وولاه الكوفة على أمل أن يفتح له العراق[8] .

ومن ناحية أخرى تنبه عامل ابن الزبير بالكوفة وهو ابن المطيع إلى خطر دعوة المختار فحبسه[9] ، إلا أنه ما لبث أن أطلق سراحه بشفاعة[10] أصحاب

---

(١) الكامل ، ٣ ص ٣٣٩ س ٩ — ١٠ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ . يقول المسعودي سنة ٦٦/ ٦٨٥ . أنظر . مروج ، ٥ ص ٢٢١ .

(٣) الكامل ، ٣ص ٣٤١ .

(٤) نفسه ، ٣ص ٣٣٥ س١٣ ـ ١٤ .

(٥) أسد الغابة، ٢ ص ٣٥١ ؛ مروج ، ٥ص ٢١٦ عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ٢٥٨ .

(٦) الكامل ، ٣ ص ٣٤٣ .

(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٤٥ .

(٨) العقد ، ٢ص ٣١٩ .

(٩) الكامل ، ٣ص ٣٢٤ ، ٣٢٩ س ١٩ .

(١٠) نفسه ، ٣ ص ٣٥٦ . يروى ابن الأثير أن ابن عمر هو شفع له في هذه المرة أيضاً ، أنظر . نفسه .

سليمان بعد قدومهم من الجزيرة . ومع أن المختار أصبح زعيم الشيعة بموت سليمان ، فإنه وجد مقاومة شديدة ، من جانب أشراف أهل الكوفة ، وأغلبهم من زعماء قبائلها وأوائل مسلميها[1] ؛ الذين كانوا يطالبونه بإظهار عهد ابن الحنفية ، بل أرسلوا إلى ابن الحنفية ليتأكدوا من صحة دعوته[2] . وقد كان الشيعة بالكوفة يكرهون هؤلاء الأشراف ؛ لأنهم كانوا يرون أن قتلة الحسين فى واقع الأمر هم أشراف الكوفة[3] ، وأنهم أداة طيعة فى أيدى العمال . ولكن قوى أمر المختار بانضمام إبراهيم بن الأشتر إليه[4] ، وهو ابن زعيم سابق كان حارب مع على ، وقتله معاوية بالسم[5] ، وله عشيرة ذات عز وعدة . عندئذ وثب المختار على عامل ابن الزبير بالكوفة وطرده منها فى سنة ٦٦/٦٨٥[6] ، كما هرب بعض أشرافها إلى البصرة[7] ، أما من بقى منهم فإنهم بايعوه[8] ، واستجاب له بشر كثير من سكان المصر[9] ؛ وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية[10] . واستفحلت قوة المختار باستجابة عناصر فارسية كثيرة من أبناء العجم له[11] ، كانت قد أسلمت وأصبحت تعرف بالموالى[12] ،

---

(١) الكامل ، ٣ ص ٣٥٦ وما بعدها .

(٢) ابن سعد ، ٥ ص ٧٢ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٣٣٤ س ١١ .

(٤) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ١٧٨ ؛ انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٧١ وهامش.

(٦) الكامل ، ٣ ص ٣٥٦ .

(٧) الأخبار الطوال ، ص ٢٩٢ .

(٨) الكامل ، ٣ ص ٣٦٣ س ١٣ — ١٤ .

(٩) الاخبار الطوال ، ص ٢٨٢ .

(١٠) الكامل ، ٣ ص ٣٧٤ س ١٦ — ١٧ .

(١١) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٢ .

(١٢) أنساب ، ٥ ص ٢٤٦ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣٦٥ (آخر الصفحة) .

أو بنى الأحمر[1] — وهو اسم أطلقه العرب على الفرس عامة — حيث كان أغلبهم من ألوف الأسرى[2] ، الذين استقروا فى الكوفة والبصرة ، وكانت الدولة العربية تعاملهم معاملة سيئة ، حيث نسمع أن أول عصابة من الموالى خرجت على الدولة فى عهد معاوية أيام المغيرة[3] . كذلك انضمت إليه عناصر مسيحية من سكان العراق ، الذين عُرفوا بالعباد[4] .

وقد أورد المؤرخون روايات متباينة ترسم للمختار صورة الزعيم الدعا جوجى المتطفل ، الذى يزعم أنه يوالى بنى هاشم ، مع أنه يعمل لحسابه الخاص[5] ؛ فذكروا أنه فى شبابه حرض عمه عامل المدائن على خداع الحسن وتسليمه إلى معاوية[6] . وبعد موت يزيد كتب إلى علىّ بن الحسين ليبايع له ، فأبى ابن الحسين وتبرأ منه فى مسجد المدينة[7] ، فدعا المختار إلى محمد بن علىّ ، المشهور بابن الحنفية ، فتنكر له أيضاً[8] ؛ وأنه — أى المختار — كان كذاباً يزعم بأن جبريل يأتيه من عند الله[9] ، ونُعت بأنه دجال وسحار[10] .

ولكنا إذا ألقينا نظرة فاحصة على ماورد فى سيرته ، وجدناه على العكس مفرطاً فى إخلاصه لبنى هاشم ، مع أنه كانت لديه الفرصة للتقرب من الأمويين ، الذين كانوا يبحثون عن أنصار لهم من بين شيعة علىّ : فقد رفض أن يشهد[11]

(١) الأخبار الطوال، ص ٢٨٦ .

(٢) نفسه ، ص ٢٨٨ ، انظر . Wellhausen: Arab, p. 71—72; 278.

(٣) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٦٢ .

(٤) الطبرى (طبعة مصر) ، ٤ ص ٥١٨ . عنهم ، انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٩١ . ١٦٩ .

(٥) الأخبار الطوال، ص٢٩٢؛ انظر . Ency. de l'Isl, t 3, p. 766

(٦) أنساب ، ٥ ص ٢١٤ ؛ الكامل ، ٣ ص ٢٠٣ س ١٢ — ١٤ .

(٧) أنساب ، ٥ ص ٢٧٢ س ١٠ — ١١ ؛ انظر دونلدسن ، عقيدة الشيعة،ترجمة، ص١١٧ .

(٨) أنساب ، ٥ ص ٢١٨ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٧٨ س ٣ .

(٩) نفسه ، ٥ ص ٢٦٥ — ٢٦٦ ؛ نفسه ، ٥ ص ١٥٨ س٩ ؛ المعارف ، ص ٢٠٤ .

(١٠) الطبرى ، ٢ ص ٦٨٦ س ٧ ، ص٧٢٠س ١٣ .

(١١) نفسه (Annales)، ٢ص ١٣٤؛ انظر . Ency. t 3, p. 765

ضد حجر بن عدى ، الذى قتله زياد عامل معاوية بسبب دعوته لآل أبى طالب ، كما سجن المختار عدة مرات لتشيعه[1] . فما أن قتل الحسين حتى وضع المختار نصب عينيه الثأر له ممن سفكوا دمه ؛ فكان شعار دعوته : « يالثارات الحسين »[2] . وقد بقى المختار حريصاً على تحقيق هذا الثأر ؛ بحيث خصص أبو مخنف لذلك كتاباً سماه : « رسالة أخذ الثأر وانتصار المختار على الطغاة الفجار »[3] . ومن الرجح أن ابن الحنفية بعد هزيمة التوابين اصطنعه لنفسه ؛ ليأخذ له بثأر أخيه ، لما عرف من حماسه فى ذلك : فأمره بالطلب بدم الحسين والثأر له ، وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا ، وسماه كيسان لكياسته وإخلاصه لمذهبه[4] ؛ كما أنه أمر شيعة الكوفة بنصرته[5] . وقد كان المختار يحس بثقل عبء المهمة ؛ فيقول : « أنا ملاح السفينة[6] » . يضاف إلى ذلك أنه كان يصل آل البيت بالمال[7] ، وأن أغلبهم كانوا يثنون عليه[8] .

وتؤيد روايات شيعية كثيرة أن المختار كان من فريق الشيعة ، الذين يقولون بأحقية ابن الحنفية بالإمامة دون غيره من آل البيت . فبعد مقتل

---

(١) أنظر . قبله

(٢) أنساب ، ٥ ص ٢٥٥ س ١٦ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣٧٤ (آخر الصفحة) .

(٣) تحقيق الشيرازى ، بومباى ١٣٦١هـ . أنظر .

(٤) النوبختى ، ص ٢٧ . قيل فى تسميته بكيسان عدة أقوال منها : إن المختار كان له صاحب شرطة يكنى بأبى عمرة واسمه كيسان ، فتلقب المختار به (المصدر السابق ، ص ٢٣) ، أو أنه كان معه مولى لعلى اسمه كيسان ، الذى حمله على الطلب بدم الحسين ، ودله على قتلته (نفسه ، ص ٢٣ — ٢٤ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٧٢ س ٢٦) . ولكننا نفضل ما أورده النوبختى (ص ٢٧) ؛ خاصاً بهذا التلقيب . أنظر أيضاً . وفيات ، ١ ص ٦٤٢ س ٥ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ٣٥٨ س ٨ .

(٦) ابن سعد ، ٥ ص ٧١ س ٢٧ .

(٧) أنساب ، ٥ ص ٢٧٢ ، ابن سعد ، ٥ ص ١٥٨ .

(٨) ابن سعد ، ٥ ص ٧٥ .

الحسين انقسم الشيعة على أنفسهم : فبعضهم أراد مبايعة علىّ بن الحسين ، بحكم أنه وريث أبيه ، وبعضهم — ومنهم المختار — أراد مبايعة ابن الحنفية ، لأنه على حد قولهم لم يبق غيره أقرب إلى علىّ بعد الحسن والحسين ، ولأنه أولى الناس بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن من ولد الحسين[1] . وقد يكون هذا الإنقسام فى صفوف الشيعة قد حدث أيضاً قبل ذلك ، حينما سلّم الحسن بن علىّ الأمر إلى معاوية ، وترك مجاهدته مع أنه كان معه العـدد الـكثير ؛ فقامت الشيعة فى ستر و كتمان الدعوة إلى ابن الحنفية ، وبايعته على طلب الخلافة ، وولوا على شيعة كل بلد رجلاً منهم الدعوة له ؛ وجمعوا الزكاة ليوم الوثوب[2] . ويلوح لنا أن المختار بعد مقتل الحسين غدا من كبار أنصار الدعوة لابن الحنفية ؛ حتى أن هؤلاء تسموا باسمه : « المختارية » ، كما نُسبوا إليه فعرفوا : « بالـكيسانية[3] » ؛ إذ كان يُعتبر عندهم ثقة[4] . هـذا ويبدو أنه نابذ سليمان بن صرد لتشيعه لعلىّ بن الحسين دون ابن الحنفية[5] ؛ ولـكن شيعة الـكوفة بعد قتل سليمان وهزيمة التوابين دعـوا لابن الحنفية وحده[6] ، وسموه : « بالمهدى[7] » ، للدلالة على إمامته وإهتدائه من قبل الله ؛ وهو الاسم الذى أطلقوه من قبل على علىّ والحسين . بل كان المختار

(١) النوبختى ، ص ٢٦ .
(٢) نفسه ؛ ابن قتيبة ، الإمامة ، ٢ ص ٢٠٧ — ٣٠٨ .
(٣) النوبختى ، ص ٢٧ .
(٤) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٤ س ١ .
(٥) أنظر دونلدسن ، عقيدة الشيعة ، ترجمة ص ١١٧ . يعتمد على مصادر شيعية .
(٦) الـكامل ، ٣ ص ٣٧٤ س ١٦ — ١٧ ؛ انظر . قبله .
(٧) نفسه ، ٣ ص ٣٤١ س ١٧ — ١٨ ؛ وفيات ، ١ ص ٦٤٢ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٦٨ — ٦٩ . أطلق لقب المهدى أيضاً على الخلفاء أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، لأن الله هداهم إلى الحق ، وعلى كل من سار سيرتهم . أنظر . لسان ، ٢٠ ص ٢٢٩ (آخر الصفحة) . ولعل الشيعة أطلقتها على ابن الحنيفة بعد موته ، نقلاً عن تسمية علىّ له ، ولأنه — فى رأى بعضهم — لا يموت ، ويجيء فى آخر الزمان ، ويملك الأرض . النوبختى ، ص ٢٧ ؛ Lammens : L'Islam, Byrouth. 1941, p. 196-8. ; انظر Ency. de l'Isl, (art al-Mahdi) t 3, p. 116. sqq.

يرى أن ابن الزبير هـــو الآخر ، يجب أن يطلب الأمر لمحمد بن عليّ لا لنفسه[1] .

وعلى ذلك نميل إلى الرواية القائلة بأن أمر المختار كان عن رأى ابن الحنفية[2] ، وأنه كان رسوله إلى أهل الكوفة[3] ؛ لا سيما وأن ابن الحنفية من قبل كان قد نصح الحسين بألا يذهب بنفسه ويبعث برسله[4] ؛ فقد كان بنو عليّ لا يستطيعون الذهاب إلى العراق خوف القتل[5] ؛ فمأساة الحسين لم تكن بعيدة . وتتأكد رغبة ابن الحنفية في أن تكون الدعوة الشيعية له دون غيره ، في أنه امتنع عن مبايعة خلفاء الأمويين بعد معاوية أو ابن الزبير[6] ، وأنه كان عاليّ الهمة له لواء مثل بني أمية وابن الزبير وبعض الخوارج ؛ يحج في ظله أنصاره[7] . فكان بذلك على نقيض عليّ بن الحسين ، الذى لم يقم منذ مقتل أبيه مع الشيعة ، وبايع ليزيد قاتل أبيه خوفاً منه ؛ بحيث أرسل إلى يزيد كتاباً يذكر فيه أنه لم يشترك في فتنة أهل المدينة ضده . وربما أنكر ابن الحنفية صلته بالمختار ، لأنه كان هو وبنو هاشم تحت رحمة ابن الزبير بالحجاز ، الذى حبسهم وهددهم بالحرق بالنار ، فاضطروا إلى أن يعيشوا في شعاب الجبال[8] . وقد همّ ابن الحنفية بالرحيل إلى المختار ؛ وكتب اله يعلمه حاله ، فأرسل المختار إلى مكة بعثاً من جنده أخاف ابن الزبير ، وخفف من اضطهاده لآل البيت .

---

(١) ابن سعد ، ٥ ص ٧٢ .
(٢) أنساب ، ٥ ص ٢١٨ س ٨ .
(٣) النوبختي ، ص ٢٣ س ١٢ .
(٤) الكامل ، ٣ ص ٢٦٥ س ٤ .
(٥) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٢ — ١٦٣ .
(٦) أنظر . قبله . رفض مبايعة يزيد وعبد الملك وابن الزبير .
(٧) ابن سعد ، ٥ ص ٧٥ س ١٨ وما بعدها .
(٨) نفسه ، ٥ ص ٧٤ — ٧٥ .

وقد نظّم المختار أتباعه ، وعقد الرايات لقواده [1] ، فأرسل جيشاً مع إبراهيم بن الأشتر لقتال ابن زياد بالجزيرة [2] ، الذى كان يستعد للزحف على العراق بعد هزيمة التوابين [3] ، لولا انشغاله فيها بفتنة القيسية ؛ حيث يبدو أنه استمالهم فى النهاية كما ذكرنا [4] ، فتقابل جيش إبراهيم مع جيش ابن زياد عند نهر خازر [5] ، بقرب الموصل سنة ٦٨٦/٦٧ [6] ، ودارت بينهما معركة عنيفة تقاتلوا فيها بالسيوف والعمد ، ودارت الدائرة هذه المرة على جيش الأمويين ، لما انضمت القيسية فى جيش ابن زياد إلى إبراهيم [7] ؛ إذ كانوا لا يزالون يحقدون على الأمويين بسبب قتلاهم بالمرج . وقد تتبع إبراهيم أعداءه ، فتفرّق منهم أكثر ممن قتل [8] ، وتمكن من قتل ابن زياد نفسه ، فضربه ضربه قدته نصفين [9] ؛ كما أسر الحصين بن نمير ، فقتله المختار بعد أن قرضه بالمقاريض [10] . وحينما أرسل إبراهيم بشاره النصر ولاه المختار على الجزيرة ، فأقام بها ووجه عماله على مدنها [11] .

---

(١) الكامل ، ٣ ص ٣٦٤ .
(٢) نفسه ، ٣ ص ٣٦٥ س ٢١ .
(٣) نفسه ، ٣ ص ٣٣٥ ، ٣٤٧ .
(٤) نفسه ، ٣ ص ٣٦٤ .
(٥) نفسه ، ٣ ص ٣٧٩ . عن هذا النهر ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ٤٨٨ . اما الجازر الذى يذكره ابن عبد ربه (العقد ٢ ص ٣١٩) أو المسعودى (مروج ، ٥ ص ٢٢٢) ؛ فهى قرية فى الجزيرة قرب المدائن . عنه ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ٣٦ .
(٦) الكامل ، ٣ ص ٣٨١ . يقول المسعودى سنة ٦٨٥/٦٦ . مروج ، ٥ ص ٢٢١ — ٢٢٢ . أنظر أيضاً : معجم البلدان ، ٣ ص ٣٨٨ .
(٧) الكامل ، ٤ ص ٣ .
(٨) نفسه ، ٣ ص ٣٨١ .
(٩) نفسه ، ٣ ص ٣٨٠ (آخر الصفحة) ؛ الأخبار الطوال ، ص ٢٨٦ وما بعدها.
(١٠) أبو مخنف ، كتاب أخذ الثار ، ص ١٠٠ .
(١١) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٩ .

..إبان ذلك أخذ المختار يتعقب بلا هوادة من خرج إلى قتال الحسين وشرك في دمه واحداً واحداً [1] ، فكان يحرقهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويطعنهم بالرماح [2] ، ويتبعه الفعلة بالمعاول لهدم دورهم [3] ، حتى بلغ من عذب منهم عشرون ألفاً [4] ، وفوق ذلك تمكن من الإيقاع بالشخصين اللذين يعتبران مسئولين عن قتل الحسين ، وهما : شمر بن ذى الجوشن ، الذى ركب صدره الشريف وذبحه ، وكان هرب من الكوفة بعد وثوب المختار بها ؛ فأرسل إليه من قتله [5] ؛ وعمر بن سعد ، الذى كان قاد الجيش الأموى إلى كربلاء ، واختفى بالكوفة ؛ فظفر به وأحضره بين يديه فقتله صبراً : بأن أمر به فجرده من أطماره ، ولوى شفتيه وأذنيه كما يلوى فى البهيمة ، وشد لحيته ، وقلع أضراسه ، وسمل عقد أصابعه ، وقرض لحمه ، وقطع لسانه ، وغور عينيه ثلاث [6] ، وأخذ رأسه وبعث بها إلى بنى هاشم بالحجاز [7] . كذلك تمكن المختار من إخماد ثورة عرب الكوفة من غير الشيعة وعلى رأسهم أشرافهم من رؤساء القبائل ، بحجة أنه باعد العرب وقرب الأعاجم [8] ؛ بحيث هرب معظم الأشراف إلى البصرة . وبذلك استحق المختار إعجاب بنى هاشم وثناءهم ، حتى قال ابن العباس عنه : « إنه أصاب بثأرنا » [9] .

(١) الكامل ، ٣ ص ٣٦٤ وما بعدها .

(٢) أنساب ، ٥ ص ٢٣٦ وما بعدها .

(٣) الأخبار الطوال ، ص ٢٨٦ س ٢ — ٣ .

(٤) أبو مخنف ، كتاب أخذ الثار ، ص ٩٣ .

(٥) الأخبار الطوال ، ص ٢٩٦ .

(٦) أبو مخنف ، كتاب أخذ الثار ، ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٧) ابن سعد ، ٥ ص ٧٣ . يقول الدينورى إنه أرسل الرأس إلى المدينة إلى ابن الحنفية (الأخبار الطوال ، ص ٢٩٣) . ولكن ابن الحنفية كان قد رحل إلى مكة منذ أن سمع بدنو جيش يزيد (ابن سعد ، ٥ ص ٧٣ س ٢٢ — ٢٣) . ومع ذلك أجمعت أغلب النصوص على إرسالها إلى ابن الحنفية . الأخبار الطوال ، ص ٢٩٣ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣٧٠ (آخر الصفحة) ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٧٣ .

(٨) الأخبار الطوال ، ص ٢٩١ وما بعدها .

(٩) ابن سعد ، ٥ ص ٧٣ س ١١ — ١٢ ؛ أنساب ، ٥ ص ٢٧٢ س ١٥ .

ولكن هذا الانتصار على أعداء بنى هاشم سرعان ما تهاوى حينما هاجمه أهل البصرة : فهذا المصر الذى تنازعته قبائله بعد إخراج ابن زياد [1] ، خضع لمصعب أخى ابن الزبير ، لكره أهله للشيعة [2] ؛ إذ كان قبلئذ مركز مقاومة على على يد عائشة والزبير وطلحة [3] وقد كان المختار منذ وثوبه بالكوفة يوجس خيفة من أن يهاجمه أهل البصرة والشام فى وقت واحد ، فتظاهر بموادعة ابن الزبير [4] . ومن ناحية أخرى لم يبادره ابن الزبير بالعداء ، لأنه كان يسره أن يحارب ضد أهل الشام ، ولأن معظم فرسان أهل البصرة كانت تقاتل فى حرب ضد الخوارج الثائرين [5] ؛ مع قائد معروف اسمه المهلب بن أبى صفرة [6] .

ولكن لما استمكن المختار من البلاد بخضوع سائر مدن الجزيرة على يد إبراهيم ، وإخماد فتنة أشراف الكوفة ، قرر مصعب أن يهاجمه قبل استفحال أمره . فاستدعى المهلب من حرب الخوارج ، ووجهه فى جيش كبير إلى الكوفة [7] ؛ كما اصطنع إليه إبراهيم بالجزيرة ، الذى انضوى تحت إمرته [8] . فلما وصل جيش مصعب إلى الكوفة كان المختار فى قلة من أتباعه ؛ ولكنه قاتل بهم قتال الأبطال مدة أربعة أشهر [9] ؛ إلى أن قتل بقصر الإمارة فى

(١) الأخبار الطوال ، ص ٢٨١ .
(٢) الذهبى ، أخبار الدول ، ص ٣٤ .
(٣) أنساب ، ٥ ص ٢٤٦ س ٧ .
(٤) الكامل ، ٣ ص ٣٧٢ وما بعدها .
(٥) الأخبار الطوال ، ص ٢٩٥ .
(٦) يبدو من سيرته أنه كان غلاماً حينما أسر فى حروب الردة على يد عكرمة ، وأعتقه أبو بكر ، فنزل أبوه البصرة ؛ كما أنه اشتهر فى حروب الثغور فى أطراف الهند وسجستان وخراسان ، وتوفى عام ٨٢/٧٠١ . ع ، : وفيات ، ٢ ص وما بعدها ؛ انظر بعد .
(٧) الأخبار الطوال ، ص ٢٩٦ .
(٨) نفسه ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣٨٦ ؛ الطبرى (طبعة ... ٤ ص ٥٧٤ .
(٩) أنساب ، ٥ ص ٢٦٠ وما بعدها .

سنة ٦٨٧/٦٧(١). فأخذ مصعب رأسه ورءوس وجوه أصحابه وأرسلهم إلى أخيه بمكة(٢)، وقام باضطهاد أهل الكوفة، وسمى نفسه الجزار، وفعل بهم ما كان يفعله عمال بنى أمية(٣): فقتل منهم ستة آلاف (٤)؛ وأجبر حريم المختار على التبرؤ منه، فقبلن إلا واحدة قتلها هى عمرة بنت النعمان بن بشير، قالت: «إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين (٥)».

وبذلك عاد العراق إلى سلطان ابن الزبير، وأخمدت أكبر الحركات الثورية، التى رمت إلى نصرة عصبة بنى هاشم. فبعد مقتل المختار أصبح هؤلاء لاحول لهم ولاطول إزاء ابن الزبير؛ فتحول ابن العباس وابن الحنفية من مكة إلى الطائف هرباً منه(٦)، حيث توفى بهـا ابن العباس فى نفس العام (٧)، أما ابن الحنفية فبقى بها إلى أن قتل ابن الزبير فعاد إلى مكة(٨)، وتوفى بالمدينة عام ٨١/٧٠٠(٩). كذلك على بن الحسين أقام بالمدينة طيلة مدة الفتنة (١٠)، ويبدو أن ابن الزبير كان يعتقد أنه لاعلاقة له بأعمال المختار فلم يتعرض له؛ وهو توفى فى خلافة الوليد (١١)، حوالى عام ٧١٢/٩٤ ـ ٧١٣.

*

(١) ابن سعد، ٥ ص ٧٧ س ٢٤. لدينا تاريخ آخر فى ٦٨٦/٦٧. أنظر. أنساب، ٥ ص ٣٦٤ س ١٤.

(٢) ابن سعد، ٥ ص ٧٧، ١٣١؛ أنساب ٥ ص ٣٦٤ س ١٤.

(٣) الطبرى (طبعة مصر)، ٤ ص ٥٥٨.

(٤) الكامل، ٣ ص ٣٨٨ س ١. يقول المسعودى سبعة آلاف. مروج، ٥ ص ٢٧٧.

(٥) المصدر الأخير، ٥ ص ٢٢٩؛ الطبرى ٢: ٧٤٤ س ١. تناول عمر بن أبى ربيعة ذلك فى شعره، فقال:

إن من أعظم الكبائر عندى قتل غادة حسناء عطبول

قتلت باطلاً على غير ذنب إن لله درهـا من قتيـل

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

أنظر. ديوان، تحقيق Schwarz، طبعة Leipzig، ص ٤١٢؛ جبرائيل جبور، عمر بن أبى ربيعة، ١ ص ١٢.

(٦) ابن سعد، ٥ ص ٨٥ س ١١-١٢.

(٧) نفسه، ٥ ص ٨١؛ أسد الغابة، ٣ ص ١٩٤

(٨) أنظر. بعده.

(٩) ابن سعد، ٥ ص ٨٥ — ٨٦؛ المعارف ص ١١٠.

(١٠) أنظر. دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ١١٧.

(١١) ابن سعد، ٥ ص ١٦٤، قيل ومات فى سنة ٧١٠/٩٢ — ٧١١.

هذا الإنتصار على الشيعة تهاوى بدوره ؛ فقد قرر عبد الملك غزو العراق . وربما لم يحاول غزوه من قبل ، بسبب أنه كان مشغولاً بفتنة ابن الأشدق ؛ فلما صفا له الشام ، أجمع الرأى على السير إلى العراق[1] . وقد يكون قرار الخروج أيضاً راجعاً لحاجته إلى المال[2] ؛ ولا سيما أن إقليم العراق كان يخضع له المشرق كله . كذلك قد يكون راجعاً إلى خوفه من أن يبادره مصعب بالهجوم ، إذ يبدو أنه كان تهيأ له[3] ؛ حيث ولى مصعب على الجزيرة إبراهيم[4] ، الذى كان قد انتصر على الأمويين ، وقتل ابن زياد .

ومهما يكن فقد سار عبد الملك على رأس جيش كثيف[5] ، جعل على مقدمته أخاه محمد بن مروان ، الذى كان يعتبر من أشد ولد مروان وأشجعهم[6] . وكان لكثرة عدد الجيش تتخلف العسكر فى السير ؛ إذ كانت فرقه تغيب الواحدة عن نظر الأخرى . فدعا ذلك عبد الملك إلى البحث على رجل صارم ليسوقهم[7] ؛ فوقع إختياره على شخص اسمه الحجاج بن يوسف الثقفى[8]، الذى

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٠ .

(٢) نفسه ؛ أبو عبد الله الكاتب الدمشقى ، الموفقيات ، تحقيق Wust (Die Familie el Zubeir) ، طبعة Gottingen ، ١٨٧٨ ، ص ٧٤ .

(٣) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٨ س ٢ .

(٤) الكامل ، ٤ ص ١٠ ، انظر ، قبله .

(٥) المسعودى ، مروج ، ٥ ص ٢٤٢ .

(٦) أنساب ، ٥ ص ١٨٥ وما بعدها .

(٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١١ .

(٨) ولد الحجاج فى خلافة معاوية سنة ٤٢/٦٦٢ ، فى قبيلة ثقيف ، من قوم نجوا من ثمود (الأغانى ، ٤ ص ٧٤) ؛ فأبوه هو يوسف بن أبى عقيل ، وأمه مطلقة المغيرة بن شعبة (العقد ، ٣ ص ٦ - ٧) ؛ فكان الحجاج يسمى عبد ثقيف (الأغانى ، ٧ ص ١٧١ س ٢٤). ولقد كان منذ صغره يحب المراك ، ولذا عرف بكليب ، وكان هو وأبوه يعلمان الأطفال بالطائف (العقد ، ٣ ص ٦ - ٧ ؛ المعارف ، ص ٢٧١) . ولكنهما تركا الكلام ليأخذا السيف ، فاشتركا =

كان يتميز من بين رجال شرطة روح بن زنباع بالجفاء ، وأنه لا يقدر أحد على أن يخالفه[1] . وقد نجح الحجاج فى تسيير مؤخرة العسكر ؛ فجلد الكسالى منهم بالسياط ، واستخدم اللهب فى حرق فساطيطهم ، بما فيها فساطيط روح ابن زنباع – رئيس الشرطة – نفسه[2] ؛ واشتهر الحجاج بكلمته التى قالها لعبد الملك : « يدى يدك وسوطى سوطك »[3] .

وقد كان عبد الملك يعلم أن أهل العراق يحقدون على مصعب لأنه نكل بهم بعد قتل المختار ؛ فأخذ يكاتب قواد مصعب ويعدهم بالمال والأمان وتولية الأعمال[4] ، حتى أنه كاتب إبراهيم أيضاً ، الذى كان مصعب قد أحضره من الجزيرة وجعله على مقدمة جيشه[5] . وقد أراد إبراهيم ضرب أعناق من استلموا كتب عبد الملك أو إرسالهم فى الحديد إلى المدائن ؛ إذ أوجس خيفة من خيانتهم ، وشبههم بالمومس التى تريد كل يوم خليلاً ، وهم يريدون كل يوم أميراً[6] .

═ فى موقعة الحرة (الأغانى ، ١٦ ص ٤٢ س ٩) ، وفى موقعة الربذة . وقد عرض عبد الملك على الحجاج ولاية تبالة ، الواقعة فى أرض تهامة فى طريق اليمن ، ولكن لما رآها لم يرضها ؛ وقيل فى المثل : أهون من تبالة على الحجاج (المعارف ، ص ٢٠٢) . فلحق الحجاج بروح ابن زنباع ، فكان فى شرطته . عن سيرته : المسعودى ، مروج ، ٥ ص ٢٨٨ وما بعدها ؛ وفيات ، ١ ص ١٧٣ – ١٧٧ ؛ المعارف ، ص ٢٠١–٢٠٢ ؛ العقد ؛ ٣ص٦ ومابعدها؛ مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ص ١٠ –١١ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٣٢ – ١٣٣ .

؛ انظر .

La Vie, : Périer
d'al — Hadjdjādj iba Yousof. Paris, 1904.
Ency. de l'Isl, (art Hadjdādj) t 2, p 215 ; 2 ed t 3, p. 41 sqq:

(١) العقد ، ٣ ص ٧ .

(٢) نفسه ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١٢ ، ٢١٥ ؛ مروج ، ٥ ص ٢٤٢ .

(٣) العقد ، ٣ ص ٧ س ١٥ .

(٤) الأخبار الطوال ، ص ٣٠٢ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ١٠ س ١٧ –١٨ .

(٦) الوفيات ، ص ٧٤ ؛ الكامل ، ٤ص١٠–١١ .

كذلك عرض عبد الملك الأمان على مصعب ؛ ولكن مصعباً كان قد قرر أن يكون السيف وحده بينهما[١] .

وزحف عبد الملك على الجزيرة وهاجم قيسية الجزيرة التي كانت بزعامة زُفر بن الحارث ؛ لحاصره بقرقيسياء وهزمه وصالحه — كما ذكرنا[٢] — وبذلك ضمن ألاّ يحدث له ما حدث لابن زياد ؛ حينما غدرت به القيسية . بعد ذلك زحف عبد الملك على العراق ، ونزل بمكان الأخنونيّة[٣] ، قرب معسكر مصعب بجوار أوَانَا[٤] . فلما تدانى العسكران بمسكن بينهما[٥] ؛ غدر أهل العراق بمصعب فساروا ولحقوا بعبد الملك[٦] ؛ وقتل إبراهيم ، وبقي مصعب في نفر لا يتعدى سبعة من أنصاره . وقد رفض مصعب الفرار إلى أخيه بالحجاز[٧] ، واستمات في القتال هو وأبناؤه[٨] ، إلى أن قتل في سنة سنة ٧٢/٦٩١[٩] ؛ وهو ابن ست وثلاثين سنة[١٠] ؛ فاحتزت رأسه ، وطوّف بها بالكوفة ومصر ودمشق[١١] .

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١١ س ٩ .

(٢) نفسه ، ٤ ص ١٠ ؛ انظر قبله .

(٣) الموفقيات ، ص ٧٤ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ٥٤ .

(٤) نفسه . عنها ، انظر . نفسه ، ١ ص ٣٣٦ .

(٥) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٩ س ٩ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٨ ص ٥٤ — ٥٦ هي على نهر دجيل .

(٦) الأخبار الطوال ، ص ٣٠٣ ؛ الكامل ، ٤ ص ١١ .

(٧) مروج ، ٥ ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ؛ أنساب ، ٥ ص ٣٣٤ .

(٨) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٩ س ١٢ .

(٩) مصنف مجهول ، ص ٨ ؛ أنساب ، ٥ ص ٢٨٦ س ٢٠ ؛ المعارف ، ص ١٨٠ ، لدينا تاريخ آخر في سنة ٧١/ ٦٩٠ . أنظر . الكامل ، ٤ ص ٩ . عن الإختلاف في هذا التاريخ. أنظر. Périer, al-Hadj, p. 34; n (1) ;

(١٠) مصنف مجهول ، ص ٩٧ .

(١١) نفسه ، ص ٢٥ — ٦٦ .

وبعد هذا الانتصار الباهر على مصعب عسكر عبد الملك بجيشه فى الأُخَيْلة قرب الكوفة[1] ، ودعا إلى بيعته ؛ فجاءته قبائل عديدة ، منها القبائل اليمنية القليلة بالعراق ، مثل : قضاعة ومذحج وهمدان[2] . ولما دخل الكوفة خطَب الناس فى الجامع ، فعظّم عليهم حق السلطان ، وقال لهم إنه — أى الخليفة — ظل الله فى الأرض[3] . وقبل أن ينصرف إلى الشام أعطى أشراف الكوفة ما كان قد وعدهم به فى مكاتبته سراً ؛ وترك أخاه بشر بن مروان عاملاً له على العراق[4] . ولما سمع أهل البصرة ، الذين كانوا يقاتلون الخوارج دفعاً عن مصرهم ؛ بقتل مصعب بايعوا عبد الملك ، وبايع قائدهم المهلب بن أبى صفرة[5] ، ولا سيما أنه كان أزدياً من اليمن ؛ واليمنية كانت مع عبد الملك .



وقد كان سحق مصعب حافزاً لعبد الملك على أن يوجه جهوده الأخيرة للقضاء على فتنة ابن الزبير فى الحجاز ؛ بعد أن كانت الخلافة الأموية منذ موت يزيد لاتستطيع أن تفعل ضده شيئاً[6] . ويلوح أن ابن الزبير حتى وقت تولية عبدالملك،

---

(١) نفسه ، ص ١٨ ؛ الكامل، ٤ص١٣.عنها ،انظر.معجم البلدان ، ٨ ص ٢٧٦ .

(٢) مصنف مجهول ، ص ٣٠ ؛ الكامل ، ٤ص ١٣ — ١٤ .

(٣) مصنف مجهول ، ص ٣٣ س ٣ .

(٤) الكامل ، ٤ ص ١٤ ؛ مروج ،٥ص ٢٥٣ . وهو ابن مروان ، كان مع عبد العزيز ، فتركه وذهب إلى عبد الملك . ابن سعد ، ص ٢٤ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Bishr B. Marwàn) t 1, p. 749—750.

(٥) الكامل، ٤ ص ١٠ ، ١٥ ، ١٦ . الأزد من اليمن . أنظر . نفسه ،٣ ص٣٢١ ص ٣ — ٤ .

(٦) أنظر .
:Mekka. Haag, 2. ed, 1888-1889. I, p. 28. : Snouck-Hurgronje
al- Hadj, p. 21, n (2). : Périer

كانت له السيطرة فى كل الحجاز ، حتى أنه لما أرسل مروان حملته على المدينة سنة ٦٥/٦٨٤[١] ، تمكن جنود ابن الزبير من هزيمتها فى موقعة الرَّبذة[٢] ؛ بحيث هرب جند الأمويين بما فيهم الحجاج ، الذى ربما يكون يوسف أبوه قد قُتل فيها[٣] . ولكن منذ أن تولى عبد الملك ، وهو يرسل نحو الحجاز سراياه ، التى استولت على الأجزاء الشمالية منه ، وتغلبت على عمال ابن الزبير ، وقاتلت بجوار المدينة ؛ بحيث لم يبق ابن الزبير إلا فى المدينة ومكة[٤] .

لهذا أنفذ عبد الملك إلى ابن الزبير حملة من الكوفة بقيادة الحجاج ابن يوسف[٥] ، الذى ظهرت مهارته فى قيادة مؤخرة جيش العراق . ويبدو أن الحجاج كان متلهفاً على قتال ابن الزبير — ربما للثأر لمقتل والده — حتى أنه أقسم ألا يقرب النساء ولا الطيب ؛ إلا إذا قتل ابن الزبير[٦] . فسار الحجاج إلى الحجاز ، ولم يعرض للمدينة ، وعرج على الربذة حتى أتى بلدة الطائف[٧] ؛ وهى التى عُرفت مع مكة بالقريتين[٨] . فكان الحجاج يرسل من الطائف بعوثه إلى عرفة بجوار مكة ولا يقاتل فى الكعبة ؛ إذ منعه عبد الملك من انتهاك حرمتها ، وأمره أن لا ينفر أطيارها ، ولا يهتك

---

(١) أنظر . قبله .

(٢) الكامل ، ٢ ص ٣٤٧ ؛ وقبله .

(٣) عن قتله ، انظر . العقد ، ٢ ص ٣١٨ ؛ وقبله والهامش فى رواية أخرى تقرر أن أبا يوسف توفى والحجاج على المدينة سنة ٧٤/٦٩٣ . المعارف ، ص ١ ٢ .

(٤) مصنف مجهول ، ص ٣٤ — ٣٧ ؛ الكامل ، ٤ ص ٢٢ .

(٥) نفسه ، ص ٣٨ ؛ نفسه ، ٤ ص ٢٢ س ٢٢ .

(٦) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٩ س ٢٥ — ٢٦ ؛ الفاكهى ، كتاب المنتقى فى أخبار أم القرى ، تحقيق Wust ، Leipzig ، ١٨٥٩ . (الكتاب الثانى فى السلسلة) ص ٢٥ .

(٧) مصنف مجهول ، ص ٣٨ ؛ أنساب ، ٥ ص ٣٥٧ ؛ الفاكهى ، ص ٢٤ .

(٨) القرآن ٤٣ : ٣١ ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٧ س ١٥ ؛ معجم البلدان ، ٧ ص ٧٠ .

أستارها ، ولا يرى أحجارها ، وأن يأخذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها ، حتى يموت جوعاً أو يخرج عنها[1] .

ولكن الحجاج أراد أن يعاجل ابن الزبير ، فلا يمهله حتى يجمع أشتاته[2] ، فاستأذن عبد الملك فى قتاله بمكّة ؛ فإذن له وأرسل مدداً استولى على المدينة[3] ؛ فحفظ له مؤخرته . كذلك وجه عبد العزيز — أخو الخليفة وعامل الأمويين على مصر منذ مروان — حملة بحرية من قِبله على ساحل الحجاز[4] . فسار الحجاج من الطائف ودخل مكّة فى ذى القعدة سنة ٧٢/٦٩٢[5] ، ونصب المنجنيق على جبل أبى قبيس[6] ، وأخذ فى رميها ، فلما كسرت صاعقة المنجنيق ، عاد الحجاج بمنجنيق آخر . وكان هذا هو الحصار الثانى لمكّة منذ تولية الأمويين ، وأحدث رنة فرح كبرى عند الخليفة وأهل دمشق ، حتى أن الخليفة كبّر ، وكبّر الناس فى الدور والأسواق والجوامع . فسمى الحجاج بالمحِل[7] ، أو حتى بالمحجاج[8] تشبها ؛ بسبب إحلاله ضرب الكعبة ، قِبلة الحُجاج .

---

(١) مصنف مجهول ، ص ٣٨ ؛ الفاكهى ، ٢ ص ٢٤ ؛ انظر . Al-Hadj, p. 37. : Périer

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٣٠٤ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ٢٢ ؛ مصنف مجهول ، ص ٤٢ .

(٤) الخطط ، ٢ ص ٨٥ ؛ انظر . سيدة كاشف ، مصر فجر الإسلام ، ص ١٣٤ .

(٥) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٩ ص ٢٧ ؛ مصنف مجهول ، ص ٤٢ .

(٦) مصنف مجهول ، ص ٣٩ ، ٤٧ — ٤٨ . عن هذا الجبل : معجم البلدان ، ١ ص ٩٤ — ٩٥ .

(٧) مروج ، ٥ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٨) الأغانى ، ٦ ص ٣١ . كان أهل الشام يسمون ابن الزبير بالمحل أيضاً . أنظر . Al-Hadj, p. 2; n (5) : Périer.

ومن ناحيته طلب ابن الزبير من أصحابه الاستيلاء على هذا الجبل ، ولكن في كل مرة كانوا يهجمون عليه ، يرميهم أصحاب الحجاج في الأبطح قبل أن يصلوا[1]. وفي أيام الموسم توقف الحجاج عن رمي الكعبة ، ليقضي الناس مناسك الحج ، فما أن انصرفوا حتى عاد إلى مقاتلة ابن الزبير[2]. ولما اشتد بأصحاب ابن الزبير الجوع ، باستمرار الحصار أكثر من ستة أشهر[3] ؛ أخذوا يهجرونه ويرتحلون إلى الحجاج ، الذي بسط لهم الأمان[4] ، حتى بلغ عدد تاركي ابن الزبير عشرة آلاف ، منهم بعض أبنائه[5] . فبينما كانت العير تحمل الكعك والدقيق إلى أهل الشام ، كان أهل مكة لا يجدون شيئاً[6] . لذلك تمكن جند الحجاج من غشيان مسجد الكعبة من كل مكان ؛ فكان ابن الزبير يقاتلهم بنفسه فيه ؛ إذ كان شديد القوى ، مع أنه كهل بلغ ثلاثاً وسبعين سنة[7] .

عندئذ أدرك ابن الزبير أنه مقتول على كل حال ؛ إلا أنه رفض أن يطلب الأمان من الحجاج[8] ؛ ودخل على أمه أسماء بنت أبي بكر يودعها ، وكانت عجوزاً عمياء ، بلغت من السن مائة عام[9] ؛ فقال لها : « يا أمة إني أخاف

(١) الفاكهي ، ص ٢٢ .

(٢) مصنف مجهول ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(٣) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٩ س ١٢ .

(٤) أنساب ، ٥ ص ٢٦٤ س ١٥ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ٢٣ .

(٦) مصنف مجهول ، ص ٤٣ .

(٧) وفيات ، ١ ص ٦٤١ س ٤ .

(٨) مصنف مجهول ، ص ٥٣ .

(٩) أسد الغابة ، ٥ ص ٢٩٣ . وهي أخت عائشة لأبيها ، عرفت بذات النطاقين ، لأنها شدت أكل النبي بنصف نطاقها « حزامها » ، فسماها النبي بذلك ؛ وهي لم تلبث أن ماتت بعد مقتل ابن الزبير ، بحوالي عشرة أيام أو أكثر . عنها ، انظر . نفسه ، ٥ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(١٠) مصنف مجهول ، ص ٥٠ — ٥٣ ؛ أنساب ، ص ٢٦٤ ؛ الكامل ، ٤ ص ٢٣ — ٢٤ ؛ العقد ، ٢ ص ١٨٢ .

إن قتلنى أهل الشام أن يمثّلوا بى ويصلبونى » ، فقالت : « يا بنى ! إنّ الشاة إذا ذُبحت لم تألم بالسلخ » ، فقال « هذا رأيى » ؛ وقبّل يديها ، وتطيّب بالمسك ، ووضع درعه حتى لا يثقله ، وخرج لأعدائه وكأنه أسد هائج[1] . فكان ابن الزبير يهاجم ويرجع للصلاة فى الكعبة ؛ وقاتل حتى قُتل بالمسجد الحرام فى جمادى الآخرة سنة ٧٣[2] / أكتوبر ٦٩٢ ، كما قُتل من معه ممن تعلق بأستار الكعبة . وبقتل ابن الزبير انتهت الفتنة الثانية ، وعاد المسلمون جماعة واحدة، تحكمهم الخلافة الأموية ؛ بحيث سُمى عام قتل ابن الزبير بعام الجماعة[3] — وهو الثانى — لأن عبد الملك نال بيعة جميع الأمصار .

فلما دخل الحجاج مكّة طاف بالبيت وذبح عنده[4] ، وطلب جثة ابن الزبير وصلبها ، وبعث برأسه إلى عبد الملك[5] ، ومعه السيف الذى غنمه منه[6] . ولم يحجم الحجاج حينئذ عن التنكيل ببنى هاشم ؛ لولا أن عبد الملك كتب إليه يأمره بأن لا يبالغ فى سفك دمائهم ، التى ليس فيها شفاء[7] . فتوعد ابن الحنفية الذى كان قد رفض مبايعة ابن الزبير أو يزيد ، ونزح عن مكّة إلى الطائف ، فأجبره الحجاج على دخول مكّة معه والمبايعة[8] . كذلك هدد الحجاج بضرب عنق ابن عمر[9] ، الذى كان قد اعتزل الفتنة ،

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٢٤ .

(٢) وفيات ، ١ ص ٦٤١ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ١٦٩ ؛ الفاكهى ، ص ٢٣ ؛

(٣) العقد ، ٣ ص ١٦ ؛ انظر. Encу. I2, p. 215.

(٤) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٩ س ٢٦ .

(٥) مصنف مجهول ، ص ٥٨ ؛ أنساب ، ٥ ص ٣٦٨ وما بعدها . قيل إنه صلبه منكسا ، وعلق معه كلباً ميتاً ، وأن عبد الملك لامه على صلبه . مصنف مجهول ، ص ٥٩ .

(٦) ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ص ١٩٠ .

(٧) العقد ، ٢ ص ٣١٧ (آخر الصفحة)

(٨) ابن سعد ، ٥ ص ٨١ س ٢٠ — ٢١ ، ص ٨٢ — ٨٣ .

(٩) نفسه ، ٤/١ ص ١٣٥ . توفى بمكة عام ٧٣ أو ٧٤ . أنظر . نفسه ، ٤/١ ص ١٣٧ .

ولم يبايع أحداً بعد يزيد ، فأقر ابن عمر لعبد الملك بالسمع والطاعة ، وكتب بنفسه إليه يخبره أن بنيه أقرّوا بالطاعة أيضاً . وبعد مكّة جاء الحجاج للمدينة ، وأساء إلى أهلها أيضاً واستخف بهم ؛ إذ كان يرى أن قتلة عثمان لم يُعاقبوا كما يجب ، فكان يختم على أيديهم بالرصاص [1] . ولم يتردد الحجاج في التعرض حتى لأنس بن مالك خادم رسول الله والمحدث المشهور ، ووضع على رقبته علامة من الرصاص [2] ؛ فكتب إليه عبد الملك يلومه على فعل ذلك [3] . وحينما وفد الحجاج إلى الشام أخذ معه أبناء أهل الشورى والصحابة ؛ ليقدموا ولاءهم لعبد الملك بأنفسهم [4] .

وقد أراد الحجاج إعادة بناء الكعبة على ما كانت عليه ، قبل أن يعيد ابن الزبير بناءها ، بعد ضرب الحصين لها [5] . فكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها ، فأمره عبد الملك بتعديلها [6] . فنقض الحجاج بناءها ، وأعادها إلى قواعدها الأولى ، وسد الباب الذى أحدثه ابن الزبير [7] ، وجعل الحجر الأسود من الخارج ، بعد أن كان من الداخل [8] . فكان بناء الحجاج للكعبة هو الثاني منذ الإسلام ، وهو البناء القائم ليومنا [9] .

---

(١) مصنف مجهول ، ص ٦٧ .

(٢) أسد الغابة ، ١ ص ١٢٨ . كان أنس صغيراً لما قدم النبي المدينة ، وتوفي وعمره أكثر من مائة عام في سنة ٩٠/٧٠٨ . عنه ، انظر نفسه ، ١ ص ١٢٧ — ١٢٩ .

(٣) صبح الأعشى ، ٦ ص ٣٨١ — ٣٩٠ .

(٤) مصنف مجهول، ص ١٦٦ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٧٩ .

(٦) قطب الدين ، ص ٨٣ ؛ الأزرقي ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٧) الأزرقي ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ؛ المقدمة ، ص ٢٧٩ .

(٨) مروج ، ٥ ص ١٩٣ .

(٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٧٩ .

فلما فرغ منها ، أرسل إليه عبد الملك كسوتها من الحرير (الديباج[1]) ، ثم وفد للحج[2] .

وبعد ؛ فإن ابن الزبير أثبت مقدرة هائلة ، فقد نافس خلافة الأمويين تسع سنين[3] ، حتى وصفه أحد قواد الحجاج ، بقوله : توفى رجل شجاع ، حارب سبعة أشهر ، وليس حوله خندق أو قلعة[4] . وقد ولّى عبد الملك الحجاج قائده للظفر ، عاملاً له على الحجاز وما يتبعها ؛ ليمنع حدوث أى فتنة أخرى فيه .

ولكن الفتنة ما لبثت أن عادت إلى العراق ، ولم تأت هذه المرة من جانب الشيعة ، فهؤلاء كانوا قد ضعفوا ، وإنما أتت من قبل جماعة أخرى كانت مع علىّ فى صفين ، وأنكرت عليه جعل حقه المقدس فى الخلافة موضع التحكيم بين الناس ، وقالت : « لا حكم إلا لله[5] » ؛ أى أنها كانت ترغب فى استمرار المعركة ؛ لتكون وحدها الفيصل فى نزاعه مع معاوية ، وأنه

---

(١) انظر : صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٧٩ ؛

La voile de la Ka'ba. Stvdia, : Gaudefroy—Demombynes Islamica 2, p. 10—11.

هذه الكسوة كانت فى الجاهلية من الجلد ، ومنذ عهد عثمان أصبحت من القماش (فتوح البلدان ، ص ٤٧) ، ولكن عبد الملك أول من كساها بالديباج . صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٧٩ .

(٢) ابن سعد ، ٥ ص ١٧٠ وما بعدها ؛ قطب الدين ، ٢ ص ٨٤ . حج فى سنة ٧٥هـ. أنظر أيضا : المقريزى ، الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٨ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ٢٧ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ١٧٥ .

(٤) الطبرى ٢ : ٨٥١ .

(٥) الأخبار الطوال ؛ ص ٢٠٥ .

لا يجوز العدول عن حكم الله إلى حكم الرجال ، وعُرفوا بسبب قولهم هـــذا : « بالمحكِّمة »[1] ؛ فلما انحازوا إلى قرية حَرُورَاء — مكان قريب من الكوفة — عُرفوا أيضا : « بالحرورية »[2] .

وقد بدأت تختمر بين هذه الجماعة المنفصلة ، التى كان أغلبهـا من بدو تميم باليمامة ، فكرة الخروج على نظام الخلافة القـائم ؛ فجعلوها جائزة فى غـير قريش ، وأنها يجب أن تعود إلى أفضل الناس مهما يكن أصله او جنسه ، ما دام عارفاً بالكتاب والسنة[3] . فكانت هذه الدعوة إلى نظام خلافة جـديد ، تعبر عن رغبة العرب من غير أهل الحجاز فى عدم التقيد بالخضوع لقريش[4] . ولما أخذت هذه الجماعة تتجمع بعيـــداً عن البصرة والكوفة فى أرض جُوخى[5] والنهروان ، عند وسط الدجـــلة ؛ اختـاروا لهم أميراً أو إماماً

---

(١) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ضبطه وعلق عليه محمد بدر ، القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ ، ص ٥٦ ، ٦١ .

(٢) نفسه ، ص ٥٧ س ٢ . يقول النوبختى : إنها وقعة (ص ٦ س ٥) . عن حروراء ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ٢٥٦ .

(٣) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، مصر ١٣٢٠ هـ ، الطبعة الأولى ، ٢ ص ١١٣ ؛ النوبختى ، ص ١٠ .

(٤) أنظر . Lewis :

,Some observations on the Significance of Heresy in the History of Islam. Stvdia Islamica. Paris, 1953, 1, p. 47.

كان أغلب المنفصلين من قبيلة تميم البدوية . الكامل ، ٣ ص ٣٣٦ .

(٥) الأخبار الطوال ، ص ٢٠٨ . لعلها جوخا ؛ فهكذا يكتبها ياقوت . معجم ٣، ص ١٦١ أما عن النهروان ، أنظر . نفس المعجم ، ٨ ص ٣٤٧ .

اسمه عبدالله بن وهب الراسبي الأزدي[1]. وبسبب هـذا الخروج عـرفوا أيضاً: « بالخوارج »[2]، وهو الاسم الذي غلب عليهم.

وما لبثوا أن أصبحوا عقلية متعصبة، ذات آراء دينيـة متطرفة، تنـاولت إيمان الناس وأعمالهم فكفروا علياً ومعاوية وعثمان وأصحاب الجمل؛ وكل من رضي بتحكيم الحكمين[3]. وكذلك كفروا مرتكبي الذنوب حتى الصغيرة منها؛ أي أخرجوهم من الإسلام؛ ممتثلين بقول القرآن (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ٥:٤٧) فكانوا على نقيض المرجئة[4] — وهي فرقة ظهرت في وقتهم — قالت بإرجاء الإختلاف في تكفير الناس في إيمانهم وأعمالهم إلى الله. وقد جرهم تكفير المسلمين في إيمانهم وأعمالهم إلى اعتراضهم المخالفين وقتلهم غيلة: بحيث كانوا لا يبالون بمن قتلوه أو من أي وجه، فعرفوا بسبب ذلك: « بالمستعرضـة »، أي من يدينـون بالاستعراض[5]. ويبدو تعصبهم الشديد من تسميتهم أنفسهم: « شراة »[6]، مفردها « شاري » أي الذين اشتراو الجنة وطلبوا الشهادة.

ومع أن علياً بذل جهده لاستمالتهم[7] — وقد عاد بعد التحكيم إلى

---

(١) الأخبار الطوال، ص ٢٠٤.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٤٦١؛ انظر.

Ency de l'Isl, (art Khâridjites) t2, p. 958 sqq.

أصبح للخروج معان أخرى فيما بعد.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ٥٥؛ النوبختي، ص ١٥ — ١٦.

(٤) الفرق بين الفرق، ص ١٩.

(٥) الكامل، ٣ ص ٢٥٥ س ١٦؛ لسان، ١ ص ٣٩؛ انظر.

Ency. t2, p. 960

(٦) الفرق بين الفرق، ص ٥٦.

(٧) الأخبار الطوال، ص ٢١٠ وما بعدها.

القتال – فأرسل إليهم ابن العباس ليفنعهم[1] ؛ إلا أنهم رفضوا الانضمام إليه ، فحاربهم عند جسر النهروان ، وكان يقول كلمته المشهورة : « الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل[2] » ؛ فأنزل بهم هزيمة منكرة ، وقتل زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وذلك في أواخر سنة ٣٧/٦٥٨ ولكن الخوارج انتقمت منه بأن دبرت قتله على يد أحدهم ، وهو عبد الرحمن بن ملجم ، الذي كان قد تزوج امرأة قتل أبوها وأخوها يوم النهروان على يد علي[3] .

فمن غير قصد ، ساعد الخوارج معاوية في تولي الخلافة ؛ مع أنهم كانوا دبروا قتله أيضاً ، ولكنه نجا[4] . كذلك عادوا الحسن بن علي وكفروه[5] ، كما فعلوا مع أبيه ، حتى أن الحسن كان يحرض شيعته عليهم ، ويقول : « لا يتأثم من قتل الحروري المستعرض »[6] . وبينما كان الحسن يستعد لقتال معاوية ، الذي زحف على العراق ، هاجمه الخوارج وجرحوه وكادوا يقتلونه أيضاً[7] ، مما كان سبباً في تنازله عن الخلافة لمعاوية .

ومع ذلك كان موقف الخوارج من الأمويين موقف الأعداء الألداء؛ فحينما هم معاوية بدخول الكوفة ؛ لينال بيعتها هاجموه ، لولا أنه أرسل نحوهم خيلاً ؛ وحاربهم بأهل الكوفة[8] . كذلك كانوا يهاجمون عماله في الكوفة والبصرة

---

(١) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مصر ١٣٦٥ هـ ، ٢ ص ١٠٦ .
(٢) الكامل ، ٣ ص ١٦٩ س ١٢ — ١٣ .
(٣) نفسه ، ٣ ص ١٩٥ .
(٤) نفسه ، ٣ ص ١٩٧ - ١٩٨ .
(٥) الأخبار الطوال ، ص ٢١٩ س ٤ وما بعدها .
(٦) لسان ، ٩ ص ٣٩ .
(٧) الأخبار الطوال ، ص ٢١٩ .
(٨) الفرق بين الفرق ، ص ٦٢ .

باستمرار ، واعتبروا من أسرع الفرق فيهما إلى الفتنة[١] . فنجد المغيرة وزياد ابن أبيه ومن بعده ابنه عبيد الله قد شغلوا بالخوارج وألحوا فى طلبهم ، وبخاصة هذا الأخير الذى ملأ بهم السجون ، وقتل جماعة كثيرة منهم رجالاً ونساءً ، وكان همه ألا يدع أحداً منهم فى البصرة[٢] ، أما الكوفة ، فقد كان خوارجها قليلين ، لأنها شيعية .

عند ذلك هرب الخوارج إلى بلاد الأهواز الواسعة[٣] ، وهى البلاد التى تقع بين البصرة وفارس ، وكانت عبارة عن أرض بها مناقع مياه وصخور وجبال . وقد كثر عددهم فيها بمن جاءهم من أهل البصره ممن استهوتهم آراؤهم فى الإمامة[٤] ؛ فكانوا يشنون منها بلا ملل أو كلال حرب عصابات حامية على البصرة؛ مما أكسبهم عناداً فى القتال . كذلك استطاع رئيسهم أبو بلال ابن أدَية[٥] — الذى عُرف بأنه رأس كل حرورى — أن يتغلب على كل الجيوش الجرارة التى وجهها إليه ابن زياد ؛ مع قلة عدده . ولم يتمكن ابن زياد من هزيمتهم إلا بالخديعة ، حينما شدت عليهم جنده بتوَّج فى فارس[٦] ، وهم بين قائم وراكع وساجد ، فلم يتغير منهم أحد ، فقتلوهم عن آخرهم .

---

(١) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٦٠ .

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٢٦٥ ؛ الكامل، ٣ص ٢٥٥ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٢٥٦ ، عنها ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ٣٨٠ وما بعدها .

(٤) الأخبار الطوال ، ص ٢٦٥ .

(٥) الكامل ، ٣ ص ٢٥٦ ، ٣٠٣ — ٣٠٤ ؛ المعارف ، ص٣٠٩ . هو نسب إلى أمه أدية ، من قبيلة تميم.

(٦) المعارف ، ص ٢٠٩. فتحت هذه البلدة فى أيام عمر بن الخطاب سنة ١٨ أو١٩. معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٦ — ٤٢٧ .

ولكن الخوارج التفت من جديد حول رئيس آخر اسمه : نافع ، وهو غير ابن الأزرق ، الذى كان حداداً من رقيق الروم ؛ واعتقه النبى عند غزو الطائف فى سنة ٨ / ٦٢٩ ، ولكنه ابن الأزرق ، الذى كان يقيم مع قبيلة بنى حنيفة باليمامة[١] . ونحن لا نعرف عن حياة نافع الأولى شيئاً يذكر ، إلا أنه كان يكنى بأبى راشد[٢] ، وأنه كان فى حبس الخوارج فى عهد زياد[٣] ، الذى حبسه لأنه كان يأخذ الناس بالظنة ، ثم أنه أقام مع الخوارج بالأهوار[٤] ، وأصبح بعد أبى بلال رئيسهم[٥] .

وكان من الممكن أن تكون فتنة الخوارج فى أيام نافع أشد خطورة على الأمويين ؛ لأنصار على رأسهم لمساعده ابن الزبير ، لما قام الحصين بن نمير بحصار مكة ، وقاتلوا معه[٦] . كذلك فى الولايات الأخرى مثل مصر ، مهد الخوارج لابن الزبير وكثروا بها ؛ مما جعل جندها يعلنون البيعة لابن الزبير[٧] . ولكن بعد انسحاب أهل الشام من الحجاز بعد موت يزيد ، تبين للخوارج أن ابن الزبير يعمل لحسابه ، ولذلك تركوه وعادوا إلى العراق[٨] . فكان من نتائج ذلك عدم تأكد سلطان ابن الزبير لا فى الجزيره العربية ولا فى العراق ، وأنهم شاركوه فى ملكه طول مده الفتنة[٩] .

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٥٥ — ٥٦ ؛ مصنف مجهول ، ص ٧٨ وما بعدها ؛ انظر . Périer : al-Hadj, p. 24. ؛ Ency. de l'Isl, (art Nafi ' B.al-Azrak) t3, p. 882.

(٢) الفرق بين الفرق ، ص ٦٢ .

(٣) مصنف مجهول ، ص ٧٨ — ٧٩ .

(٤) نفسه ، ص ٨٣ .

(٥) معجم البلدان ، ٤ص ١٠٤ .

(٦) الكامل ، ٣ ص ٣٣٦ .

(٧) الخطط ، ٤ ص ١٥١ ؛ انظر . سيدة كاشف ، مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٣٢ .

(٨) الكامل ، ٣ ص ٣٣٦ .

(٩) أنظر . Ency. t2 p. 958.

إبان ذلك كان أهل البصرة قد وثبوا بابن زياد ، وأخذت قبائلهم من الأزد وربيعة وتميم تتنافس على السيطرة فيها[1] . وقد أتاح هذا الانقسام للخوارج إعادة تنظيم صفوفهم بعد عودتهم إلى المرلق ، حتى أن المسجونين منهم فى حبوس البصرة تمكنوا من الإفلات ؛ فسيطروا على أرباض البصرة ، ونشروا الرعب فيها[2] . إزاء تلك الحالة الخطرة ، خاف أهل البصرة على مصرهم ؛ فاختاروا جماعة منهم ووجهوهم لقتال الخوارج ؛ مما جعل هؤلاء يرحلون من جديد إلى الأهواز ، وذلك فى أواخر سنة ٦٤/٦٨٤ .

على أن رحيل الخوارج إلى الأهواز من جديد كان أيضاً بسبب إنشقاقهم على أنفسهم ؛ فقد أنكرت جماعة منهم على نافع إحداث أمور فى مبدأ الخوورج لم يكن عليها السلف من أهل النهروان ؛ وهو الانشقاق الذى عرف عندهم : « بالمحنة[3] ». فكان من نتائجه ظهور فرق متعددة للخوارج ، نُسبت أغلبها إلى أسماء المنشقين على نافع . وبعد أن كان الخوارج فى مكان واحد ، أصبحوا بعد المحنة فى كل مكان ، فى : آذربيجان وسِجستان وخُراسان ومُكران وكَرمان وفَارس[4] ؛ بحيث بلغ عدد فرقهم العشرين[5] . وثمة

(١) الكامل ، ٣ ص ٣٣٦ .
(٢) مصنف مجهول ، ص ٩٣
(٣) نفسه ، ص ٧٨ .
(٤) المسعودى ، مروج ، ٥ص ٢٣١ ؛ انظر . Ency. t2, 958.
(٥) الفرق بين الفرق ، ص٥٤ .

أمر آخر فقد انتقلت فرق الخوارج أيضاً إلى بلاد المسلمين بالمغرب[1] ، فى أواخر حكم الدولة العربية ؛ بعد أن كانت فى المشرق وحده .

ومن البديهى أن أهم فرق الخوارج هى التى بقيت مع نافع ، ونسبت إلى أبيه الأزرق ، فعرفت : « بالأزارقة »[2] . فهؤلاء غلوا فى مبادىء الخوارج الأولى ، إذ كان نافع نفسه من الفقهاء[3] . فبالغوا فى « الاستعراض » [4] ، بقتل النساء والأطفال وأخذ المال ، واستحلال « السباء »[5] . كذلك تشددوا فى تكفير المسلمين ، وطالبوا النقاء فى « الإيمان » [6] ؛ واعتبروا المؤمن بقلبه ولسانه فى النار ؛ فكأنهم أقاموا المسلمين من غير الخوارج مع المشركين سواء بسواء [7] ؛ مع أن المحكمة الأولى يقولون إنهم كفرة لا مشركون[8] . وفوق ذلك كانوا يرون « البراء [9] » من مخالفيهم فى مذهبهم ، وسموهم « بالقعدة » ، أى الذين لم يخرجوا للقتال معهم ؛ فلا يحل مناكحتهم ، ولا

---

(١) أنظر . Brünnow : Die Charidschiten unter den ersten, Périer : al. Omayyaden. Leyde, 1884, p 325 al-Hadj, p. 16,n (1)

(٢) فتوح البلدان ، ص ٥٦ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٦٢ وما بعدها ؛ انظر . Ency. l'Isl, (art Azrakites) tI, p. 552 — 3.

(٣) المبرد ، الكامل ، ٢ ص ١١٩ .

(٤) العقد ، ١ ص ٨٣ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣٢٧ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٦٣ . احتجوا بهذه الآية : (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ٧١ : ٢٧) .

(٥) مصنف مجهول ، ص ٨٣ .

(٦) ابن حزم ، الفصل فى الملل والنحل ، ٢ ص ١١٣ . حتى أنهم أرادوا حذف سورة يوسف ، لما ورد فيها من فتنة وإغراء . Ency, I2, p. 960.

(٧) الكامل ، ٣ ص ٣٢٧ ؛ العقد ، ١ ص ٨٣ .

(٨) الفرق بين الفرق ، ص ٦٢ — ٦٣ .

(٩) نفسه ، ص ٦٣ ؛ انظر . Brünnow : Op. Cit, p. 275.

أكل ذبائحهم ، ولا قبول شهادتهم ، ولا ميراثهم . كذلك كان لهم رأى فى الحدود ، فأنكروا الرجم ، وقطعوا يد السارق[1] . وقد كانوا يحلقون الرءوس اقتداءً بأهل النهروان[2] .

أما فرق الخوارج الأخرى ، وهى التى نسبت أغلبها إلى أسماء آباء المخالفين لنافع من أصحابه ، فعرفوا : « بأهل الوقوف[3] » ، لوقوفهم عند الشبهة ؛ فقد كانوا أكثر مسالمة وأقل تعصباً ؛ حتى أنهم يرون « التقية » ، ويجوزون التستر فى بعض الأحيان ، وعدم خوض القتال باستمرار ضد الجماعة . ولكن حين ينشب القتال ويشتركون فيه ، كانوا يظهرون من الجرأة وعدم الاحتياط مالا يقل عمّا كانت تفعله الأزارقة[4] . ومع ذلك فإنه من العسير أن نميز بعضهم عن بعض ، لتشابه آرائهم . فالنجدية أو النجدات[5] ، أصحاب نجدة ابن عامر الحنفى — وكان رأساً ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج[6] — أخذوا على ابن الأزرق البراء من مخالفيه ؛ كما أنهم كانوا يرون من دون فرق الخوارج الأخرى ، أن الأمة غير محتاجة إلى إمام ؛ وإنما على الناس أن تقيم كتاب الله فيما بينها[7] . والبيهسية أصحاب بيهس[8] ، فإنهم رأوا أن الأزارقة غلوا فى دينهم ، وإن أباحوا الاستعراض ، وقالوا إذا أصيب الأطفال عفواً ، فلا حرج على من أصابهم[9] . والأباضية[10] ، أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضى

(١) الفرق بين الفرق ، ص ٦٤ .

(٢) هذا كان عند أزارقة الأندلس أيضا . أنظر . أخبار مجموعة ، تحقيق وترجمة La fuentey alcantara ، ط . Madrid ، ١٨٦٧ ، ص ٣٢ س ٤ .

(٣) مصنف مجهول ، ص ٧٨ .

(٤) نفسه ، ص ١٤٢ س ٤ ؛ انظر . فلهوزن ، الخوارج ، ترجمة بدوى ، ص ٧٤-٧٥ .

(٥) الفرق بين الفرق ، ص ٦٦ - ٦٧ ؛ المبرد ، الكامل ، ٢ ص ١١٨ .

(٦) المبرد ، الكامل ، ٢ ص ١١٨ . (٧) النوبختى ، ص ١٠ .

(٨) لعله حنظلة بن بيهس صاحب نافع . الكامل ، ٣ ص ٣٣٦ س ٢٢ ؛ الأخبار الطوال ، ص ٢٦٥ . أو بيهس هيصم بن جابر الضبعى . مصنف مجهول ، ص ٨٢ .

(٩) أنظر هذا المصدر الأخير السابق .

(١٠) أبن حزم ، الفصل ، ٢ ص ١١٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٨٢ - ٨٣ ؛ العقد ، ١ ص ٨٣ ؛ مصنف مجهول ، ص ٨٣ ؛ انظر .

أو هو عبد الله بن أباض . الكامل ، ٣ ص ٣٣٦ - ٣٢٧ .

Encv. de l'Isl, (art Abâdites) t1, p. 3sqq; (art 'Abd. Allâh B. Ibâd) t1, p. 25.

الفزارى الكوفى ، كانوا يرون أيضاً أن نافعاً غلا ، وأن المسلمين براء من الشرك طالما تمسكوا بالدعوة الإسلامية ، وإنما هم كفار للنعم ، وتستحل مناكحتهم والإقامة معهم ؛ فكانوا بذلك أقرب فرق الخوارج إلى السنة . والصُّفرية أصحاب عبد الله بن صفار التميمى[1] ، فإنهم كانوا من رأى الأباضية ، وقالوا لا يحل قتل الأطفال ، ولا الإستعراض ، ورأوا القعود وعدم القتال ، وربما كانت تسميتهم صُفرية بسبب قعودهم وإصفرار وجوههم[2] . هذه الفرق الأربعة تُعتبر أهم فرق الخوارج ، التى انشقت على نافع بن الأزرق ، أما غيرها فإنها فرق منها .

ولكن لم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد شوكة من فرقة الأزارقة بالأهواز[3] ، بعد أن انضم إليهم خوارج كثيرون من عُمان واليمامة ؛ بحيث أنهم مدوا سيطرتهم إلى أرض فارس وكرمان[4] ، التى بقيت قاعدة لهم زمناً طويلاً . وبعد المحنة كان الأزارقة قد بايعوا رئيسهم نافعاً وسموه : « أمير المؤمنين » ، إذ كانوا لا يعترفون إلا بخلافة الشيخين الأولين أبو بكر وعمر ؛ فأخذ نافع فى جباية خراج أملاكه الواسعة .

قلنا إن أهل البصرة كانوا قد أرسلوا إلى حرب الخوارج بعض أبطالهم ومعهم القرّاء من المحافظين برئاسة أمير منهم[5] ؛ ولكن الأزارقة تمكنوا من

---

(١) مصنف مجهول ، ص ٨٢ — ٨٣ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣٣٦-٣٣٧ . أو لعلهم أتباع زياد بن الأصفر . الفرق بين الفرق ، ص ٧٠ .

(٢) أنظر المصدر الأخير .

(٣) نفسه ، ص ٦٢ .

(٤) نفسه ، ص ٦٤ ، تقع ولاية كرمان بين فارس ومكران وسجستان . معجم البلدان ، ٧ ص ٢٤١ وما بعدها ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٣٤ .

(٥) مصنف مجهول ، ص ٩٣ .

هزيمتهم بدولاب قرب الأهواز[1] ، وقتل أميرهم . فولى أهل البصرة أميراً آخر عليهم ، فاستدرجه الأزارقة إلى أرض فارس وقتلوه أيضاً[2] ؛ وبعدها أقبلوا بجموع كثيرة على البصرة الخالية من المقاتلة[3] ، حتى فزع أهلها ، وجلا أغلبهم عنها[4] .

وعندئذ كاتب أهل البصرة ابن الزبير وسألوه المبايعة ، وإرسال قائد من قبله لحرب الخوارج[5] فاختار لهم عاملاً من قبيلة مخزوم ، وكتب إلى عامله على خراسان المهلب بن أبي صفرة بالتوجه إلى حرب الخوارج[6] . ويبدو أن ابن الزبير اختار المهلب بالذات ، لما عرف من شجاعته فى حرب الثغور ، حتى أنه كان أصيب فى عينه أيام معاوية[7] ، ولأنه من البصرة نفسها ، وبها قبيلته الأزد . فلما جاء المهلب البصرة أتى بديوان الجند ، واختار معظم عسكره من الأزد ، وقليلاً من سائر العرب ، وسار بهم إلى الخوارج[8] .

ولقد أبدى المهلب معرفة هائلة بشئون الحرب ، فكان يكذب ويؤيد أن

---

(١) لا يذكر البغدادى (ص ٦٤ ـ ٦٥) أو الدينورى (ص٢٦٥) قتل نافع بهذه الموقعة ، على عكس ابن الأثير الذى يذكر قتله فيها . وقتل أمير البصرة ابن عبيس : الكامل ، ٣ ص ٣٤٩) ؛ وحتى المستشرق صاحب ترجمة نافع فى دائرة المعارف الإسلامية يؤيد ذلك . أنظر . Encv. de l'Isl, (art Nâfi') t3, p. 882.
عن دولاب ، أنظر . معجم البلدن ، ٤ ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٢٦٦ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٣٤٩ س ١٦ .

(٤) المعارف ، ص ٢٠٣ ؛ المبرد ، الكامل ، ٢ ص ١١٩ .

(٥) الأخبار الطوال . ص ٢٦٦ .

(٦) نفسه ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ؛ البغدادى ، الفرق ، ص ٦٥ . وتذكر رواية أخرى أن فى عهده قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان ؛ ولكن أشراف البصرة استبقوه وانتحلوا كتاباً عن ابن الزبير بولاية البصرة . الكامل ، ٣ ص ٣٤٩ ؛ مصنف مجهول ، ص ١٠٢ .

(٧) قاتل فى بلاد ما وراء النهر . أنظر . وفيات ، ٢ ص ٢١٥ ؛ انظر . بعده .

(٨) الأخبار الطوال ، ص ٢٦٧ .

الحرب خدعة[1] ، حتى أنه ربما صنع الحديث النبوى ليشد به أمر المقاتلين ، ويضعف من أمر الخوارج ؛ أو أنه يأمر بضرب خيل العدو بالحجارة حتى يجعلها تضطرب[2] . ونجده يخترع أشياء للحرب ؛ فجعل ركاب الخيل من الحديد وليس من الخشب[3] . وبفضل قيادته الساهرة تمكن أهل البصرة من دفع الخوارج إلى الأهواز بعد أن كاد الخوارج يهزمونهم ، وقتلوا رئيسهم نافعاً عند جبل سلى[4] . فلما سمع ابن الزبير بنصر المهلب ، أرسل أخاه مصعباً عاملاً له على البصرة بدلاً من عاملها المخزومى ، وأصبحت البصرة تسمى بصرة المهلب[5] ؛ إعترافاً بجميله عليها ؛ لأنه حماها من الشراة .

وبعد هزيمة الخوارج أقام المهلب فى الأهواز[6] ، واستطاع أن يجبى خراج الفرات وغيره[7] ، ثم سار إلى الخوارج فى فارس ، وأجبرهم على الهروب إلى صحارى كرمان[8] . وقد تصدى لزعمائهم بعد نافع ، وأغلبهم من أسرة

(١) وفيات ، ٢ ص ٢١٥ ، أصبحت سيرته أشبه بملحمة ذكرت فى سيرة السيد القنبطور. أنظر ... Cronica Generale: Alfonso el Sabio.

(٢) مصنف مجهول ، ص ١٠٩ .

(٣) وفيات ، ٢ ص ٢١٥ .

(٤) الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ — ٢٧٠ ؛ الفرق بين الفرق ص ٦٥ . هذه رواية الدينورى . ويرى البغدادى أن قتل نافع كان على يد المهلب ، وليس على يد غيره . أما عن اسم الموقعة فيقول ياقوت اسمها سلى وسلبرى معاً (أنظر : معجم البلدان ، ٥ ص ١٠٠ — ١٠١) ؛ وإن الذى قتله المهلب فى هذه الموقعة هو عبيد الله بن الماحوز ؛ ولكننا نفضل رواية الدينورى والبغدادى .

(٥) المعارف ، ص ٢٠٣ ؛ وفيات ، ٢ ص ٢١٥ .

(٦) المبرد ، الكامل ، ٢ ص ١١٩ ؛ الكامل ٣ ص ٣٥٢ .

(٧) مصنف مجهول ، ص ١٠٤ .

(٨) الأخبار الطوال ، ص ٢٧٠ .

بنى الماحوز من تميم ، فهزمهم جيماً فى أماكن متفرقة [1] . ولكن الخوارج بعد بنى الماحوز ولوا عليهم زعيماً لا يقل فى جرأته وعناده عن نافع ، اسمه قطرى ابن الفُجَاءة [2] ، يعتبر بحق آخر رؤسائهم الأقوياء ، وهو من تميم أيضاً ، ومن الطريف أن نذكر أن قطرياً والمهلب كانا معاً ، فى خدمة عامل معاوية على بلاد سجستان [3] . وكان قطرى خطيباً وفارساً [4] ، يتمتع بصفات السيد ، ويسلم عليه الخوارج بالخلافة ، ولقبوه بأمير المؤمنين [5] ؛ كما كان يتكنى مثل رؤساء الخوارج ؛ فعرف بأبى نعامة [6] . فنظم قطرى صفوف الخوارج بعد هزائمهم المتتالية ، وجعل سابور [7] من أرض فارس دار هجرتهم ؛ حتى كثر أتباعه فيها.

---

(١) هم : عبد الله ، وعبيد الله ، والزبير (الكامل ، ٣ ص ٢٣٦ ؟ ص ٢٢) . إختلف المؤرخون فى كتابة أسمائهم ـ ولعله خطأ مطبعى ـ مثل : الماخور (معجم البلدان ، ٤ ص ١٠٤)، أو حتى الماحون (مصنف مجهول ، ص ٨٠) . كذلك أختلفوا فى ترتيب زعامتهم وتواريخ قتلهم ، وعلى يد من ؟ فيجعل ياقوت عبدالله ومن بعده عثمان يموتان قبل المهلب (معجم البلدان، ٤ ص ١٠٤) ، وعبيد الله على يد المهلب (نفسه ، ٥ ص ١٠١) ؛ كما أن البغدادى لا يذكر عبد الله ، وإنما عبيد الله بن ملمون، وعثمان بن مأمون ، ويقتلهما المهلب (الفرق بين الفرق، ص ٦٥) . ويذكر ابن الأثير فى مكان آخر أن عبدالله جاء بعده الزبير، وقتلهما المهلب (الكامل، ٣ ص ٢٥١) ، أو أن والى أصبهان هو الذى قتل الزبير ، (مصنف مجهول ، ص ١٢٠ــ١٢١)؛ كما أن الدينورى يذكر بعد نافع ، عبد الله ، وقبل قطرى ، عبيد الله أيضاً . الأخبار الطوال، ص ٢٧٠. ولكنا نميل إلى الترتيب الذى أوردناه .

(٢) المعارف ، ص ٢١٠ ؛ مصنف مجهور ، ص ١١٢ — ١٢٥ ؛ انظر :

:Ency. de l'Isl. (art Katari B. al-Fudjâ' a) t2, p. 866—867 Op. Cit, p. 44—6· : Brünnow.

هو ينسب إلى أمه . مروج ٥ ص ٤١٤ .

(٣) كان يعمل مع عبد الرحمن بن سمرة . فتوح البلدان ، ص ٣٩٦ .

(٤) الجاحظ ، البيان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣١٣ هـ ، ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢ ص ١٢٦ .

(٥) الفرق بين الفرق، ص ٦٥.

(٦) كان يتكنى بأبى محمد وقت الحرب ، وأبى نعامة وقت السلم ، الجاحظ ، البيان ١ ص ١٣١ .

(٧) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٤ — ٥ .

إبان ذلك اشتد ساعد المختار فى الكوفة بعد هزيمة الأمويين فى الجزيرة ؛ ولانشغال أهل البصرة بحرب الخوارج ؛ فكتب مصعب إلى المهلب أن يأتيه بجنده . فكتب المهلب إلى قطرىّ يطلب المهادنة ، فقبل قطرىّ ، وكتب بينهما كتاباً على أن تكون بينهما هدنة مدتها ثمانية عشر شهراً [1] . فتمكن مصعب بجند البصرة من هزيمة المختار وقتله ، ثم رُد المهلب بعد ذلك إلى قتال الخوارج [2] ؛ ولا سيما أنهم انتهزوا فتنة المختار ، وتفرقوا فى أماكن كثيرة من بلاد دجلة ، حتى وصلوا قرب الكوفة [3] . فحاربهم المهلب مع إبراهيم ابن الأشتر ودفعهم إلى الجزيرة ؛ واستمر يطاردهم من بلد إلى بلد ؛ إلى الوقت الذى هاجم فيه عبد الملك العراق [4] .

وما أن سمع المهلب ومن معه من جند البصرة — وكانوا يقاتلون الخوارج — بقتل مصعب ، حتى بايعوا لعبد الملك إذ كان أغلبهم يمنية [5] . وقبل أن يغادر عبد الملك العراق ترك — كما ذكرنا — أخاه بشر بن مروان عاملاً له فيه [6] سنة ٦٩١/٧٢ ؛ ولكن بشراً كان يكره المهلب ، بحيث استخدم معه قائداً آخر ، استبد بالأمر دونه وعرقل نشاطه ، مع أن المفروض أن يكون نجدة له كما طلب عبد الملك ؛ فلم يفعل المهلب شيئاً [7] . وزاد الطين بلة أن جند

(١) الأخبار الطوال ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

(٢) نفسه ، ص ٣٠١ .

(٣) الطبرى (طبعة مصر) ، ٤ ص ٥٢٩ .

(٤) نفسه ، ٥ ص ٥٨٦ .

(٥) أنظر . قبله .

(٦) أنساب ، ٥، ص ١٩٦ وما بعدها . تولى البصرة أيضاً فى سنة ٦٩٢/٧٣ . الكامل ، ٤ ، ص ٢٨ .

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٩ ص ٣ ؛ الكامل ، ٤ ، ص ٢٩ — ٣٠ . اسم القائد الآخر هو عبد الرحمن بن مخنف .

المهلب أقبلت على البصرة تختفي فيها مع أهلها وعائلاتها ؛ ولا تريد القتال(1) . وقد أصبح العراق في محنة عسراء ، حتى أن أهل الكوفة أصبحوا في الفتنة هم أيضاً(2) . فكان من نتائج هذا الاضطراب أن وصل الخوارج إلى دجلة وركبوه(3) ، وسك قطري العملة باسمه في سنة ٧٥/٦٩٤(4) ؛ إذ كان الخوارج الأزارقة يعتبرون عبد الملك أمير المشركين وليس أمير المؤمنين(5) . فأرسل المهلب إلى الخليفة كتاباً يقول فيه : « إني ليس عندي رجال أقاتل بهم ، فإما بعثت إلي بالرجال ، وإما خليت بينهم وبين البصرة »(6) .

لذلك لما توفي بشر في سنة ٧٤/٦٩٣(7) ، وجه عبد الملك إلى العراق قائده الحجاج ، الذي كان قد ولى له مكة والمدينة واليمامة ثلاث سنين(8) ، فضبطها له تماماً ؛ فضلا عما اشتهر عنه من شدته وقسوته وشهامته . فولاه عبد الملك(9)

---

(١) مروج ، ٤ ص ٢٩٢ .

(٢) ابن كثير ، البداية ، ٩ ص ٩ — ١٠ .

(٣) مروج ، ٥ ص ٢٩١ .

(٤) أنظر Encyc. de l'Isl. t2, p. 867.

(٥) العقد ، ٣ ص ١٤٣ ص ٦ .

(٦) مروج ، ٥ ص ٢٩١ .

(٧) أنظر الطبري (Annales) ٢ : ٨٥٧ .

(٨) ابن كثير البداية ، ٩ ص ٣ ؛ المعارف ، ص ٢٠٢ ، انظر : Périer, al - Hadj. p 65; n (2).

(٩) إذ أن المشرق كله كان يخضع للعراق . معجم البلدان ، ٦ ص ١٣٥ . ومع ذلك فلم يعول على خراسان وسجستان في أول الأمر . مصنف مجهول ، ص ٢٦٦ ؛ الكامل ، ٤ ص ٣٢ .

البصرة والكوفة ، وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار ، وأمره أن يحشر الناس إلى المهلب فى حرب الخوارج (١) . فشخص الحجاج إلى العراق من الشام (٢) ، فوصل إلى الكوفة بغتة ؛ وصعد المنبر متلثماً بعمامة حمراء ، متنكباً قوسه ، فجلس واضعاً إبهامه على فيه ، ولما طال سكوته ظنه الحاضرون ضعيفاً مثل عاملهم السابق بشر ، وأخذ أحدهم حصاة ليحصبه بها (٣) ؛ فقام الحجاج وكشف عن وجهه ، وقال خطبته المخيفة التى مطلعها (٤) :

أنا ابن جلا وطلاعُ الثّنايا متى أضع العمامة تعرفونى .

فكانت هذه الخطبة بمثابة برنامج له يتلخص فى أنه لن يضرب أو يحبس من لا يخرج لقتال الخوارج ، ولكنه يقطع رقبته بالسيف ؛ حيث كان يرى فى هذا المصر رءوساً أينعت وحان قطافها ، ودماءً تجرى بين العمائم واللحى . وبعد ذلك قرأ عليهم كتاباً بنفس المعنى من الخليفة عبد الملك ، يحضهم فيه على قتال الخوارج (٥) . ولكى يحرضهم على ذلك ؛ كان يسبهم أيضاً ، ويصفهم بأنهم أهل شقاق ونفاق (٦) .

---

(١) العقد ، ٣ ص ٨ص ١١ — ١٢ .

(٢) مصنف مجهول ، ص ٦٩ .

(٣) العقد ، ٣ ص ٨ ؛ الكامل ، ٤ ص ٣٣ ؛ انظر .

al-Hadj, p. 70.:Périer.

(٤) مصنف مجهول ، ص ٢٦٢ وما بعدها ؛ مروج ،٥ ص ٢٩٤ وما بعدها ؛ المبرد، الكامل ، ص ٢٢٤ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل ، ٤ ص ٣٣ وما بعدها .

(٥) مروج ، ٥ ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٦) العقد ، ٢ ص ١٨٥ .

وفعلاً جدّد الحجاج أهل العراق عن طريق عرفاء المصر وجرائد الديوان[1]، وأجبرهم على السير إلى المهلب ؛ إذ اعتبر حرب الخوارج كحرب الثغور والمغازى[2] . وقد أصدر الحجاج أمره إلى رئيس شرطته، بضرب عنق من يبطىء فى الخروج سواء أكان من الشبان أم من الشيوخ ، وأعطاهم مهلة ثلاثة أيام[3] . فتدفق القوم نحو المهلب يعبرون الجسر حتى سقط بهم ، فأقام الحجاج جسرين[4] . وقد قسا الحجاج على أهل المصرين، حتى بلغ به الأمر أن أنقص العطاء ، فانتهز بعض اليمنية فى البصرة ، وعلى رأسهم عبد الله ابن الجارود[5] — وهو من أشرافهم — فرصة خروج أغلب الجند مع المهلب ، وثاروا عليه ، وزاد موقفه حرجاً باستيلائهم على خزائن السلاح ، وإن لم يتمكنوا من الاستيلاء على بيت المال . فلم يتردد الحجاج فى محاربتهم بشرطته ، وبعدد قليل جداً من القيسية جاءوا لنصرته ، وتغلب عليهم بقتل عبد الله ابن الجارود ، وأرسل رءوس القتلى إلى عسكر المهلب . كذلك هاجم الحجاج الزنج العبيد ، الذين جاءوا من الصومال ، وكثروا بالعراق منذ أيام مصعب وأقلقوا مضاجع سكانه ، فقاتلهم وهزمهم[6] . وقد وصف المهلب الحجاج — وهو الوالى الجديد — بالوالى الذكر[7] .

---

(١) مصنف مجهول، ص ٢٧١ .

(٢) نفسه ، ص ٢٧٤ س ١١ — ١٢ .

(٣) نفسه ، ٢ ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .

(٤) مروج ، ٥ ص ٣٠٠ .

(٥) مصنف مجهول ، ص ٢٨٠ وما بعدها ؛ الكامل ، ٤ ص ٣٦ وما بعدها ؛ انظر : Périer
al-Hadj.p. 81 sqq.

(٦) الكامل ، ٤ ص ٤ ؛ مصنف مجهول ص ٣٠٣ ومابعدها ؛ Périer :
al-Hadj, p, 86 sqq.

(٧) مصنف مجهول، ص٢٧٧ ؛ انظر. Périer : al-Hadj. p. 79.

وبفضل من جاءه من الجند ، تمكن المهلب من حرب الأزارقة كراً وفراً فيما بين فارس والأهواز [1] ، إلى أن وقع بينهم الخلاف ، فتركهم يقتتلون . ويبدو أن الأزارقة كانوا قد أخذوا على قطرى بعض أمور منها هربه الكثير أمام المهلب [2] ، مما جعله يفارقهم إلى فارس ؛ وإن بقيت أغلبيتهم مع زعيم آخر غامض اسمه عبد ربه الكبير . وعلى الرغم من أن الحجاج أمر المهلب بقتالهم وهم مختلفون [3] ؛ فإن المهلب تركهم يقتتلون دون أن يستعجل مهاجمتهم ؛ ليستفيد من هذا الوقف بإضعافهم . ولكن المهلب بعد ذلك نشط فى طلبهم ، فحاصرهم بوادى جِيرفت بأرض كَرمان [4] ، وقتل زعيمهم عبد ربه الكبير . كذلك بعث الحجاج من جانبه جيشاً كثيفاً إلى قطرى ، الذى التجأ إلى طبرستان ، وتمكن من قتله أيضاً [5] . وبذلك تم على يد الحجاج بمهارة قائده المهلب إخماد فتنة قطرى أكبر زعماء الخوارج ، الذى استمر يقاتل عشرين سنة ، ويسلَّم عليه بالخلافة ، ويقول البغدادى عن هزيمتهم : « طهرت الأرض من الأزارقة ، والحمد لله [6] » .

إزاء هذا النصر العظيم ، أضاف عبد الملك إلى عمل الحجاج بالعراق خراسان وسجستان فى ٧٨/٦٩٧ [7] ، فكان هذا أقصى ماوصل إليه الحجاج من سلطان . ومن ناحية أخرى نجد الحجاج من جانبه يستدعى قائده المهلب ؛ ليكافئه على نجاحه

---

(١) الفرق بين الفرق ، ص ٦٥ - ٦٦ . كان هناك عبد ربه الصغير ، الذى فارقه أيضاً .
(٢) الأخبار الطوال ، ص ٢٧٢ ؛ انظر .

Ency. t2, p. 867.

(٣) الكامل ، ٤ ، ص ٦٤ .
(٤) الأخبار الطوال ، ص ٢٧٣ . من هذه البلدة ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ، ص ١٨٩ — ١٩٠ .
(٥) الأخبار الطوال ، ص ٢٧٤ .
(٦) الفرق بين الفرق ، ص ٦٦ .
(٧) الكامل ، ٤ ص ٧١ ؛ مصنف مجهول ، ص ٣١٠ - ٣١١

فى حرب الخوارج ، فيكرمه حين قدومه عليه[١] ، ويوليه على خراسان نيابة عنه ؛ وهى البلاد ، التى كان واليها من قبل ابن الزبير أيضاً ؛ حيث بقى المهلب فيها إلى وقت وفاته فى سنة ٨٣/٧٠٢ [٢] .

ومع أن الخوارج أبعدوا عن العراق ، فإن خطرهم عاد من جديد هذه المرة فى بلاد الجزيرة ، وبخاصة حينما تزعمهم شبيب بن يزيد الخارجى ، الذى يكنى بأبى الصحارى ، وزوجته غزالة فى سنة ٧٦/٦٩٥ [٣] . ولا يعرف لهؤلاء الخوارج فرقة معينة ، فهم صفرية فى الأصل ، مع أن شبيباً نفسه يبدو أزرقياً[٤] ؛ وإن كان أغلبهم من قبيلة ربيعة الساكنة فى نواحى الموصل . وفى كل مرة كان يهزم شبيب جيوش الحجاج مع قلة عدده ، حتى بلغ عدد من قتلهم خمسة قواد .

وقد ظهر شبيب فى العراق فجأة ، وكان دخوله فيه وقت خروج الحجاج من البصرة يريد الكوفة ؛ واستفحل أمره ، وجبى خرج العراق . وإزاء هذا الخطر الدائم اضطر الحجاج إلى طلب المدد من السوريين ، إذ أن العراقيين كانوا غير راغبين فى القتال مع الأمويين . فلما جاء الحجاج المدد حارب به الخوارج فردهم إلى الأهواز ؛ ولم ينقذه من عودتهم إلا غرق شبيب فى نهر دُجيل فى سنة ٧٧/٦٩٧ ؛ وهروب أتباعه إلى كرمان .

وهناك مكان آخر لنشاط الخوارج هو بلاد الجزيرة العربية وذلك منذ سنة ٦٥/٦٨٤ — ٥ ؛ حينما فارق نجدة بن عامر زعيمه السابق نافع بن الأزرق[٥] ،

---

(١) الأخبار الطوال ، ص ٢٧٤ ؛ مصنف مجهول ، ص ٣١٠ .

(٢) المعارف ، ص ٢٠٤ .

(٣) نفسه ، ص ٢٠٩ ؛ مروج ، ٥ ص ٣٢٠ — ٣٢٢ ؛ الكامل ، ٤ ص ٤٢ وما بعدها ؛ انظر Ency. de l'Isl, (art Shabib) t4, p. 253 .

(٤) الكامل ، ٤ ص ٤١ وما بعدها ؛ مروج ، ٥ ص ٣٢١ ؛ ابن كثير ، البداية ، ٩ ص ١٤ ؛ المعارف ، ص ٢٠٩ .

(٥) المعارف ، ص ٢٠٩ ؛ مروج ، ٥ ص ٣٢١ — ٣٢٢ . عن دجيل ، انظر معجم البلدان ، ٤ ص ٤٢ .

لإحداثه أموراً فى مذهب الخوارج لم يوافق عليها[1] .فذهب نجدة إلى اليمامة بجوار العراق وبايعته بنو حنيفة بدل شيخها — ولكنه لم يتخذ لقب أمير المؤمنين — وكان نجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة ، وإن اشترط على من بايعوه أنهم إذا وجدوا لهم خيراً منه فليبايعوه ويبايع معهم[2] ؛ فعرف أتباعه بالنجدات أو النجدية . ثم سار نجدة إلى البحرين وعُمان واستولى عليهما ، ومد سيطرته إلى صنعاء باليمن ، وإلى حضرموت ؛ فملك بذلك نصف الجزيرة العربية . وكان يأخذ صدقة أهل البوادى ، ويعين عماله على النواحى ، حتى التى حول مكة ؛وكان له أسطول فى الخليج العربى (الفارسى)[3] .

وقد كان نجدة أكثر مسالمة من نافع لابن الزبير ، فقد قاتل معه الحصين غضباً لانتهاك حرمة الكعبة ، ولما فارق نافعاً ،صالح ابن الزبير وصلى وراءه[4] ، وكان له لواء للحج[5] ، وظن الناس أنه سيبايعه ، ولكنه لم يبايعه[6] . ومع أن نجدة شارك ابن الزبير ملكه فى الجزيرة العربية ، فقد كان كل همّ ابن الزبير ألاّ يهاجم نجدة الحجاز ، أو يتحالف مع الأزارقة ، الذين كان يحاربهم أخوه مصعب دفاعاً عن العراق[7] ؛ وإن سمعنا أن مصعباً عند توليته البصرة أرسل جيشاً هزمه نجدة فى سنة ٦٩/٦٨٨ .

ولما هاجم الحجاج الحجاز تحالف نجدة هذه المرة مع الأمويين فقطع الميرة عن مكـة[8] ؛ مما كان سبباً فى مجاعتها . لذلك دعاه[9] عبد الملك إلى

---

(١) أنظر . الكامل ، ٣ ص ٣٥٢ وما بعدها .
(٢) مصنف مجهول ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .
(٣) نفسه ، ص ١٤٢ .
(٤) الكامل ، ٣ص ٣١٦ ، ٣٦٣ ؛ مصنف مجهول ، ص١٣٧ .
(٥) الكامل ، ٣ ص ٣٠٦ .
(٦) نفسه ، ٣ ص ٣٠٧ (آخر الصفحة) .
(٧) نفسه ، ٣ ص٣٥٢ ؛ مصنف مجهول ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .
(٨) مصنف مجهول ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .
(٩) نفسه ، ص ١٤٣ .

طاعته على أن يوليه اليمامة وما حولها ، وأن يهدر له ما أصاب من أموال ودماء . ومن الجائز أن يكون نجدة قد وافق على ذلك ، إذ أخذ عليه بعض أتباعه قبوله مداهنة عبد الملك وفارقوه برئاسة أحدهم واسمه عطية إلى عُمان ، ومنها إلى كَرمان ، فعرفوا بالعَطَوِيّة ، وقد حاربهم المهلب [1] . وكذلك ما لبث أن نقم على نجدة بقية أنصاره لخروجه على مبادئهم ، وتفرقته في العطاء بينهم ، وانحازوا إلى زعيم غيره اسمه أبي فديك عبدالله ، وتربصوا لنجدة وهو يهمّ بالسير إلى عبد الملك ، وقتلوه في سنة ٧٢/٦٩١ . وقد كان قتل نجدة سبباً في تفرق الخوارج النجدية ، وبعث عبد الملك جنداً من أهل الكوفة قتلوا أبا فديك في سنة ٧٣/٦٩٢ ، وأرسلوا برأسه إلى عبد الملك .

والنتيجة أن عبد الملك أخمد أخطر فتن الخوارج بالمشرق ؛ مما مهّد لخلافته ومن جاء من الخلفاء بعده الاستقرار . ومن المحقق أن سبب نجاحه عليهم ، يرجع إلى تفرقهم ، وكره الناس لهم لما صاحب حركتهم من تعصب وتخريب ودمار [2] .

ولكن الحجاج لم يكد يفيق من خطر الخوارج حتى دهمته فتنة عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى في سنة ٨١/٧٠٠ [3] ، عامله على إقليم

---

(١) نفسه ، ص ١٣٥ ، ١٤٣ – ١٤٥ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٦٧ – ٦٩ ؛ الكامل ، ٣ ص ٣٥٤ ، ٤ ص ٢٨ .

(٢) أنظر . Ency. t2, p. 959

(٣) مصنف مجهول ، ص ٣٠٨ ومابعدها ؛ الأخبار الطوال ، ص ٣٠٦ ومابعدها ؛ انظر . Ency. de l'Isl (art'Abd al-Rahmân B. Muhammed B. al-Ash'ath) tI,p. 57—58.

يقول ابن قتيبة إن فتنته بدأت في سنة ٨٢/٧٠١ . أنظر . المعارف ، ص ١٨١ .

سجستان (١) ، المجاور لثغر الهند . فقد كان هذا الإقليم من قبل وكراً دائماً للخوارج (٢) ، ولم يلعن فيه عليّ بن أبي طالب ، مع أنه لعن على منابر جميع أعمال خلافة الأمويين ، حتى على منابر الحرمين : مكة والمدينة (٣) .

وليس أعسر من معرفة سيرة هذا العامل الثائر ، فليس لدينا عنه غير نزر يسير من المعلومات ؛ فهو من سلالة ملوك كندة بحضرموت ؛ حيث نال أفرادها قبل الإسلام وبعده الشرف الرفيع ، وتميّزوا بالاعتداد بشخصياتهم . فكان جده الأشعث بن قيس (٤) (ت ٦٦٠/٤٠) ، ممن وفدوا على النبي مع وفد كندة من حضرموت ، ثم ارتد بعد النبي وأسر وبعث به إلى أبي بكر الذى قبل توبته وزوّجه أخته أم فروة ، جدة عبد الرحمن . وقد شهد الأشعث معارك المسلمين الأولى ، وفقئت عينه فى إحداها باليرموك ، وأصبح زعيم كندة بالكوفة ، وشهد صفين مع على ، وكان ممن ألزمه بالتحكيم ، ثم سكن الكوفة . كذلك تزوج الحسن بن عليّ ابنة الأشعث ، وقيل إنها هى التى سقته السم فمات منه . أما أبوه محمد بن الأشعث (٥) ، فقد ولد على عهد رسول الله ، واستعمله ابن الزبير على الموصل ، وكان ضمن أشراف الكوفة ، الذين ثاروا على المختار لتقريبه الأعاجم ؛ فوفـــد على مصعب يحثه على المسير ضد المختار ؛ فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه ، وأرسله إلى المهلب ليأتيه بنفسه بعسكره ؛ فسار محمد بن الأشعث على خيل مصعب ، فقتل فى المعركة .

أما عبد الرحمن نفسه ، فنلمس اعتداده بنفسه ، لما عارض مصعب وهدد

---

(١) عنها ، انظر معجم البلدان ، ٥ص٣٧ وما بعدها ؛ أبو الفداء ص٣٤٠ . عاصمتها زرنج عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٢٨٥ . وهى فتحت فى عهد عمر بن الخطاب .

(٢) مصنف مجهول ، ص ٣٢٢ .

(٣) معجم البلدان ، ٥ص ٣٧ .

(٤) المعارف ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ ؛ أسد الغابة،١ ص٩٧ ؛ فتوح البلدان ، ص١٠٤ ؛ انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ص ١٥٦ ؛ Eacy. de l,lsl (art.al- Ash'ath B. Kais) t1, p 488—9.

(٥) الكامل ، ٣ ص٣٨٢ ومابعدها ؛ أسد الغابة ، ٤ص ٣١١ــ ٣١٢.

بالانفصال عنه [1] ، حينما أراد أن يعفو عن الأسرى ، الذين كانوا مع المختار ومنهم قتلة أبيه . وفى زمن الحجاج يحارب الخوارج بكرمان [2] ، وشبيباً بالعراق فى سنة ٧٦/٦٩٦ [3] . وبعد إخماد فتنة الخوارج ولاه الحجاج سجستان [4] ، وكلفه بمحاربة رُتبيل أحد ملوك الترك على بلاد زابُل [5] الواسعة ـ زا بُلستان [6] أيضاً ـ التى تقع فى طرف خراسان عند السند ، لأن هذا الملك كان يرفض دفع الأتاوة ، ويقاتل عمال العرب ويهزمهم . ففى سنة ٧٤/٦٩٣ ، ملَك السبل على الأمير عبدالله بن أمية عامل سجستان وكاد يفتك به ، وأخلى سبيله على شريطة أن يمتنع عن مقاتلته ولا يغزوه ما كان أميراً [7] ؛ مما جعل عبد الملك يعزل عبد الله . كذلك غدر رُتبيل بابن أبى بكرة الذى أرسله الحجاج على سجستان قبل عبد الرحمن ، وجعل رتبيل يتوغل فى بلاد سجستان الواسعة ، وأخذ على ابن أبى بكرة الشعاب ، ثم حاربه وهزمه ، ودس السم فى مياه الآبار ، حتى لم ينج أحد ممن كان معه ، وغمّ الحجاج غماً شديداً [8] . ولذلك اختار الحجاج عبد الرحمن لمحاربة هذا الملك وهو يبغض عبد الرحمن لزهوه [9] ؛ حتى أنه سمى الجيش الذى أرسله معه جيش الطواويس [10] ؛ ولعله اختاره لأن

---

(١) الكامل ، ٢ ص ٣٨٥ .

(٢) مصنف مجهول ، ص ٣١٨ .

(٣) الكامل . ٤ ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٤) مصنف مجهول ، ص ٣١٨ ، ٣٢٠ ؛ انظر . Ency. 1, p. 57.

(٥) الأخبار الطوال ، ص ٣٠٩ . يسميهم المسعودى الفوز . مروج ، ٥ ص ٣٠٢ .

(٦) عنها ، انظر معجم البلدان ، ٤ ص ٣٦٥ ؛ التنبيه ، ص ٣١٤ ، ص ١٠١ . ويقول المسعودى أنهم من الترك .

(٧) الكامل ، ٤ ص ٣١ .

(٨) نفسه ، ٤ ص ٧٢ . كان يقول ما رأيته قط إلا أردت قتله . نفسه ، ٤ ص ٧٤ .

(٩) مصنف مجهول ، ص ٣١٨ .

(١٠) نفسه ، ص ٣٢٠ .

عبد الرحمن نفسه كان زوج أخته [1] ؛ أو لشجاعته ونخوته .

ونحن لا نعرف سبباً لفتنة ابن الأشعث سوى الحقد على الحجاج لظلمه أهل العراق — بنى جلدته — وإهانتهم . وينقل المؤرخون ما يؤيد ذلك ، من أنه لما توغل ابن الأشعث فى بلاد رتبيل ، وأخذ الحصون والغنائم ، أظهر مكراً ، مع أن رتبيل كان قصده الإيقاع به كما أوقع بسلفه ، فأرسل للحجاج يخبره بذلك ، وأبدى رأيه فى ترك التوغل فى بلاده أكثر مما توغل ، خوفاً من أن يهلك المسلمون ؛ ولكن الحجاج أرسل إليه يتهدده ويتهمه بالجبن ؛ وإلا فليترك الإمارة إلى أخيه ليحاربه [2] . فأغضب ذلك ابن الأشعث ، ومن معه من جند الكوفة والبصرة ، الذين فاض بغضهم للحجاج لقسوته وسوء معاملته وسموه فرعون [3] ؛ حتى أن عاملاً آخر للحجاج على الدان اسمه مطرف بن المغيرة ابن شعبة فكر أيضاً فى خلعه لقسوته [4] . وتحت تحريض الجند خلع ابن الأشعث الحجاج ؛ وبايعه الجند على كتاب الله والسير إلى العراق لخلع أئمة الضلال ، ولكنه لم يخلع عبد الملك [5] . كذلك حاول ابن الأشعث أن يستميل المهلب عامل الحجاج على خراسان ، وسأله الخلع معه ، فقال المهلب : ما كنت لأغدر ، ولم يجبه عن كتابه ، وبعث إلى الحجاج يحذره من شر هذه الفتنة [6] ؛ التى ولا ريب يتعطش لها أهل العراق .

وقبل أن يسير ابن الأشعث إلى العراق وادع رتبيل وكتب بينه وبينه

---

(١) نفسه ، ص ٢٥٨ .
(٢) نفسه ، ص ٣٢٣ — ٣٢٤ ؛ الكامل ، ٤ ص ٧٧ — ٧٨ .
(٣) مصنف مجهول ، ص ٣٢٦ .
(٤) الكامل ، ٤ ص ٦٢ — ٦٣ .
(٥) مصنف مجهول ، ص ٣٢٦ .
(٦) نفسه ، ص ٣٢٩ ؛ الكامل ، ٤ ص ٧٩ .

كتاباً ، وعاهده ألا يسأله خراجاً أبداً ، وإن قوىّ عليه الحجاج لجأ ومن معه إليه[1] . ثم انتقل ابن الأشعث إلى كَرْمان ، وطرد عامل الحجاج عليها[2] ، وسار إلى فارس وخلع فيها عبد الملك أيضاً ، وسمى نفسه ناصر المؤمنين ، ودخل الأهواز[3] . فخرج الحجاج من البصرة لمقابلته ، ولكن مقدمته انهزمت عند نهر دُجيل ، فرجع الحجاج إلى البصرة ، وتحصن بمكان قريب منها اسمه الزاوية[4] . فدخل ابن الأشعث البصرة ، وانضم إليه معظم أهلها وقراؤها وكهولها ، ولا سيما مواليها لقتال أهل الشام ، وذلك لثقل وطأة الحجاج عليهم[5] . فوقع فى الزاوية التحام شديد ، تم فيه النصر لابن الأشعث ، على الرغم من أن الحجاج قطع الجسور والقناطر ، وقتل من الطرفين خلق كثير[6] . وبقى الحجاج محاصراً فى أحد أرباض البصرة إلى أن جاءه مدد من أهل الشام أنقذه[7] . كذلك وثب أهل الكوفة بعامل الحجاج[8] ، مما ترتب على ذلك حرق الناس للديوان فى سنة ٨٢/٧٠١[9] ؛ فدخل ابن الأشعث الكوفة ، وحشد أهلها معه ؛ بحيث لم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له نباهة إلا خرج معه[10] .

---

(١) مصنف مجهول ، ص ٣٢٧ .

(٢) نفسه ، ص٣٣٢ .

(٣) التنبيه والأشراف ، ص٣١٤ . يقول المسعودى إن خلعه كان باصطخر .

(٤) مصنف مجهول ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ ؛ الكامل ، ٤ ص ٧٩ ، مروج ، ٥ ص ٣٠٦ . عن هذا المكان ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٣٧١ .

(٥) الكامل ، ٤ ص٧٩ ؛ العقد ، ٢ص٩٢ ؛ انظر . Kulturges—; Von: Kremer, Arab, p. 243—4. : Well : chichte des Orients (1875) I, p. 172.

(٦) مصنف مجهول ، ص ٣٤٠ ومابعدها ؛ مروج ، ٥ ص ٣٠٦ . أختلف فى تاريخ هذه الموقعة ، فقيل سنة ٨١ / ٧٠٠ (مصنف مجهول ، ص ٣٤٢) ، وقيل ٨٢ / ٧٠١ . (الكامل ، ٤ ص ٨٠) ، وقيل ٨٣/٧٠٢ (المعارف . ص ١٨١) .

(٧) مصنف مجهول ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٨) نفسه ، ص ٣٥٥ وما بعدها ؛ الكامل ، ٤ ص ٨٠ ؛ مروج ، ٥ ص ٣٠٤ .

(٩) أبو يوسف ، الخراج ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ص ٦٨ ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ .

(١٠) الأغانى ، ٥ص ١٥٣ س ٣ ؛ مصنف مجهول ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، ٣٥٧ .

وعلى الرغم من ذلك لم يهرب الحجاج أو يسلّم ، مع أن الخليفة أرسل أخاه محمد بن مروان وابنه عبدالله ليعرضا على أهل العراق عزل الحجاج ، على أن يتولاها مكانه محمد بن مروان ، وأن ينزل ابن الأشعث والياً على أى بلد شاء[1] . ولكن أهل العراق كانوا قد صمموا على خلع عبد الملك ؛ كما أن الحجاج بيّن لخليفته أن قصد أهل العراق من فتنتهم خلع الخلافة الأموية . لذلك أبقى عبد الملك الحجاج عاملاً له فى العراق يطاولهم ؛ فبنى الحجاج فى كرش من الأرض بين البصرة والكوفة معسكراً ثابتاً لجنده السوريين ، أحاطه بالخنادق والأسوار ، وبنى فيه المسجد وقصر الأمارة ، سماه واسطاً ؛ وذلك حوالى سنة ٨٣/٧٠٢ [2] ؛ ليقف أمام المصرين العراقيين الثائرين . فوقعت بينه وبين ابن الأشعث عدة وقائع بلغت نحواً من ثمانين وقعة [3] ، وضمت بعد وقائع صفين ، أهمها على الإطلاق وقعة دير الجماجم بظاهر الكوفة [4]، التى انكسر فيها ابن الأشعث ، وقتل عدد كبير من القراء . وبعدها هرب ابن الأشعث إلى رتبيل الذى أحسن وفادته فى أول الأمر ، وكان ابن الأشعث ينوى أن يدخل خراسان ، ولكن يزيد بن المهلب ـ الذى تولى بعد أبيه ـ رفض دخوله[5]

(١) الكامل ، ٤ص ٨١ — ٨٢ .

(٢) أختلف فى تاريخ إنشائها ، ويبدو أن هذه الإختلاف بسبب أن بناءها استمر عدة سنوات : فلعله بناها فى سنة ٧٥/٦٩٤ ؛ وإن كنا نستبعد هذا التاريخ (وفيات، ١ص١٧٥)؛ ولكنا نرجع بناءها من سنة ٨٣/٧٠٢ إلى ٨٦/٧٠٥ . أنظر . معجم البلدان ، ٨ص٣٧٨ — ٣٨٧ ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٩٠ ؛ انظر .

Die alte,Streck : Ency. de l'Isl, (art Wâsit) t 4, p. 1188 sqq- Landschaft Babylonien nach den arabishen Geographen Leide, 1900, p. 318—19

(٣) التنبيه ، ص ٣١٥ س ٩ـ ١٠ . يقول ابن قتيبة إن عدد الوقائع أربعة : وقعة الأهواز ، والزاوية ، ودير الجماجم ، ووقعة دجيل . المعارف ،ص ١٨٢ .

(٤) اختلف فى تاريخها ؛ وإن أجمعت المصادر على أنها بعد الزاوية .مصنف مجهول ،ص ٢٥٧ ؛ المعارف ، ص ١٨١ . أختلف أيضاً فى تسميتها هكذا : لعله لأنه كان يعمل فيها أقداح من الخشب ؛ كما أن الجمجمة تعنى البئر أيضا ، أوبسبب مواقع قديمة كثر فيها القتلى ، وبنى بجماجمهم بناء ، أو غير ذلك . أنظر معجم البلدان ، ٤ ص ١٣١ — ١٣٢ ؛ المعارف ، ص ١٨٢ .

(٥) الكامل ، ٤ص ١٨٨ .

ولم يزل الحجاج يحتال على قتل ابن الأشعث ، فعرض على أتباع ابن الأشعث الأمان [١] ؛ ولعل ابن الاشعث مات بالسل [٢] ، أو أن رتبيل غدر به وسلمه فانتحر [٣] ؛ وذلك حوالى سنه ٨٤ — ٧٠٣/٨٥ — ٧٠٤[٤] .

فكانت هذه هى آخر الحركات الخطيرة ، التى هددت ملك عبد الملك فى العراق . وبعدها أخذ الحجاج فى ترويض أهله على الطاعة ، فأسرف فى قتلهم ، وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء [٥] ، وأحصى من قتله منهم فبلغوا مائة وعشرين ألفا [٦] ؛ حتى أن عبد الملك كاتبه يدعوه أن يكف عن الإسراف فى القتل [٧] . وأشهر من قتله الحجاج أيوب ابن القرية صاحب الامثال المسجوعة ، التى منها : لكل جواد كبوة ، ولكل حليم هفوة ، ولكل شجاع نبوة ، فقتله بنفسه بحربة أدخلها فى حلقه ، بعد أن أمسك به أربعة رجال [٨] . كذلك كان يقتل كل من اشتبه فى أنه خارجى ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ويصلبهم [٩] ؛ مما جعلهم يهربون من الشرق إلى أطراف الدولة . وتبدو قسوة الحجاج أيضاً ، مما يذكره المؤرخون بأنه توفى فى محابسه خمسون ألف رجل، وعشرون ألف امرأة [١٠]، غير الذين قتلهم.

---

(١) نفسه ، ٤ص ٩٢ .
(٢) نفسه ، ٤ ص ٩٥ .
(٣) مروج ، ٥ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ؛ التنبيه ، ٣١٦ .
(٤) نفسه ، ٥ ص ٣٠٨ ؛ نفسه .
(٥) وفيات ، ١ ص ١٧٣ ص ٢٨ .
(٦) معجم البلدان ، ٨ ص ٣٨١ .
(٧) مروج ، ٥ ص ٣٠٨ .
(٨) الأخبار الطوال ، ص ٣٠٧ — ٣١١ .
(٩) مصنف مجهول ، ص ٩٢ .
(١٠) العيون والحدائق فى أخبار الحقائق، تحقيق de Geoje ، طبعة Ludg-Bat ، ١٨٧١ ، ص١٠؛ التنبيه ، ص ٣١٨ .

لا حرج فإن شخصية الحجاج قد أثبتت أنها خشنة اللمس ، صعبة الشكيمة ؛ بحيث أن أهل العراق كانوا يشمتون فيه إذا مرض ، ويطلبون موته [1]. ولقد قورن الحجاج بزياد بن أبيه ، وإن كان زياد يفضله — على حسب قول مؤرخي العصر — لأنه ضبط العراق بأهل العراق ، أما الحجاج فضبطه بأهل الشام [2].

ولكن عمل الحجاج فى العراق لم يقف عند حفظه من الفتن ، بل عمل على إصلاحه مما أصابه بسببها . فهذه البلاد الواسعة التى كان العرب يسمونها أيضاً بالسواد لكثرة زروعها [3] ؛ قد آل معظمها للعرب بعد فرار ملاكها أو قتلهم ، أو أنها كانت من أرض كسرى [4] ، أو بحكم أنها فتحت عنوة . وكان المفروض أنها لا تقسم ؛ لتكون فيئاً للمسلمين عامة [5] ، ولكن عمر أقطع بعضها [6] ، كما قسمها عثمان إلى قطائع [7] ؛ بحيث أصبح للسواد ملاك كثيرون من العرب . وكانت هذه المنطقة قد أهملت منذ آخر عهد عثمان بسبب الفتنة الأولى ، وأصلحها زياد فى عهد معاوية وحفر بها القنوات [8] . كذلك قام الحجاج بإصلاحها ، بسبب ما أصابها من قسوة فتن الخوارج وغيرها ؛ فكان يستخدم العلوج وهم الفلاحون غير العرب فى إصلاحها [9] ؛ كما كان

(١) العقد ، ٣ ص ٢١٥ وما بعدها .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٤ ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) معجم البلدان ، ٥ ص ١٥٩ .

(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ س ٣ — ٤ ؛ أبو يوسف ، ص ٦٨ .

(٥) معجم البلدان ، ٥ ص ١٦٣ .

(٦) أبو يوسف ، ص ٦٩ . الفيء هو مال المسلمين عامة . أنظر . قبله .

(٧) فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ (آخر الصفحة) ؛ Lammens Etudes, p. 89.

(٨) فتوح البلدان ، ص ٣٥٨ .

(٩) أبو يوسف ، ص ٢٩ — ٣٠ .

(م ١١ — التاريخ السياسى)

يستذل الوالى بأن يُنقش على يد كل مـولى اسم بلده[1] ، فغرس فى أهالى السواد الحقد الأبدى ضد الأمويين . ولعل الحجاج أعاد توزيع أغلب أراضى السـواد ، بسبب حرق الناس الديوان بالـكوفة[2] .

وبذلك برزت شخصية الحجاج القوية فى تاريخ دولة بنى أمية ، فهو — على حسب قول الخليفة عبد الملك[3] — بفضله وطأ لهم المنابر ، ودوّخ البلاد ، وأذل الأعداء . ولـما تولى الوليد بعد عبد الملك ، أقرّه على ما ولاه من قبل ، واستمر عامله على المشرق كله ، حتى وفاته فى سنة ٧١٤/٩٥[4] . وبعد موته ولى الوليد يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج[5] ؛ لتبقى سياسة الحجاج فى العراق من غير تغيير .

وفى الوقت ذاته كان الخليفة عبد الملك يعمل على تقوية الحـكم العربى بعد أن فسد كل شىء بسبب الفتن : فعمل على تحويل كل شىء فى جهاز الدولة إلى العربية ؛ وهو ما عُرف : « بالتعريب[6] » . وقد كانت خطوة عبد الملك فى هذا الصدد هامة ؛ إذ أن أجزاء كثيرة من الأمبراطورية العربية لا زالت إلى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لمجهوده .

فنحن نعرف أن عمر بن الخطاب ترك إدارة البلاد المفتوحة أجنبية كما هى ، مع تعديل بسيط ؛ وذلك لأن العرب لم تـكن لديهم مؤهلات حضارية :

---

(١) العقد ، ٢ ص ٩٢ .
(٢) فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ .
(٣) مصنف مجهول ، ص ٢٦٢ .
(٤) وفيات ، ١ ص ١٧٥ .
(٥) العقد ، ٣ ص ٢٥ . عنه ،انظر . وفيات ، ٢ ص ٤١٠ ـ ٤١٢ .
(٦) عن معنى هذه الـكلمة ، انظر . لسان العرب ، ٢ص ٧٧ ومابعدها .

فأبقى على الدواوين (جمع ديوان)، وهى كلمة تبدو فارسية يقصد بها الكتّاب أو أماكن عملهم أو السجلات لإحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق[1].

فكانت هذه الدواوين تحرر بلغة الإدارة السابقة: فديوان الشام بالرومية (باليونانية)، وديوان العراق وفارس بالفارسية، وديوان مصر بالقبطية[2] ولا يعنى هذا أن الدواوين لم تكتب إطلاقاً بالعربية؛ فقد كان ديوان العساكر الإسلامية بالمدينة يحرر بالعربية منذ عمر[3]؛ وإنما كان ديوان المال والجباية هما اللذان يكتبان بلغة أهل البلاد المفتوحة.

ولكن عبد الملك بعد أن استتب له الأمر أمر أن تكون اللغة العربية وحدها هى لغة الدواوين جميعها[4]، بقصد إيجاد الانسجام فى إدارة الأمبراطورية الإسلامية: ففى عهده نقل ديوان الشام من اليونانية للعربية[5]؛ كما أن الحجاج نقل الديوان بالعراق من الفارسية للعربية؛ أما ديوان مصر فتأخر نقله إلى أوائل عهد الوليد[6]. ومن الجائز أن يكون سبب سرعة نقل ديوانى الشام والعراق

---

(١) عن معنى الدواوين: ابن خلدون، المقدمة، ص ١٩٢؛ انظر.
Ency. de l'Isl, (art Dīwân) t 1, p. 1006.

(٢) الخطط، ١ ص ١٥٨ س ١٠ — ١١.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٩٢ (آخر الصفحة).

(٤) نفسه، ص ١٩٣.

(٥) لدينا نص آخر يقول إنه نقل إما فى عهد عبد الملك أو هشام بن عبد الملك (الخطط، ١ ص ١٣٩ س ٢ — ٣) أو حتى فى عهد الوليد (أغانيوس ٣/٨ (القسم الثانى) ص ٤٩٨ [٢٣٨]؛ كما قد يكون نقل الدواوين تم فى الكوفة أولاً. البلاذرى، فتوح، ص ٣٠٠؛ انظر: Well.

Das Arabische Reich und sein Struz. pp. 135 - 137; Essays indian and Islamic. London. : Kkuda Bukhsh 1912, p. 69

(٦) الخطط، ١ ص ١٥٨ س ١٢.

دون ديوان مصر ؛ هو أن البلدين الأولين ، كانا عربيين منذ القدم .

ويرى ابن خلدون أن سبب تعريب عبد الملك للدواوين هو أن العرب فى زمنه كانوا قد انطلقوا من طور البداوة ، وأقبلوا على تعلم القراءة والكتابة [1]. ويرى أيضاً أن الذى ساعد على اتخاذ خطوة التعريب ؛ هو أن اللغة العربية أصبحت فى متناول كثير من الكتاب فى البلاد المفتوحة — وهم الذين كانوا يملأون الدواوين — وبخاصة الموالى الذين أسلموا ؛ فمنذ عهد على ظهر بعض الموالى المهرة الذين كانوا يبحثون فى قواعد اللغة العربية وتبسيطها ، مثل أبى الأسود الدؤلى (ت ٦٧/٦٨٦) ، الذى عاش إلى زمن الأمويين [2]. كذلك سعى الحجاج عامل العراق لعبد الملك فى إيجاد ضوابط للغة العربية باستخدام التنقيط ، فقد فزع من تغيير الموالى للفظ القرآن لتشابه الحروف ؛ مما ترتب عليه تغيير فى معانيه ، وهو ما عرف « بالتصحيف » فسأل كتابه من العجم أن يضعوا للحروف علامات ؛ لتمييز بعضها عن بعض ، فوضعوا له النقط ؛ ولذلك سميت فى أول الأمر : « بالنقط الأعاجم » [3].

وقد كان من نتائج تعريب الإدارة فى الإمبراطورية الإسلامية أن أقبل كتابها من غير العرب على تعلم العربية ؛ لكى يستمروا فى عملهم بالدواوين . ولكن الخليفة حينما نقل ديوان الشام إلى العربية ، اضطر إلى عزل كتابه من الروم ؛ ويبدو أنه فعل ذلك لوفرة وجود كتاب من أهل الذمة [4] ، يعرفون

(١) المقدمة ، ص ١٩٣ س ٥ ـ ٦ .

(٢) الكامل ، ٣ ص ٢٠٠ .

(٣) وفيات ، ١ ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٣ س ٨ . من أشهر كتاب عبد الملك : سرجون ابن منصور الرومى . العقد ، ٢ ص ٣١٧ .

باللغة العربية . أما فى العراق فقد أرغم الحجاج كتّاب دواوينه على الكتابة بالعربية دون الفارسية[1]، وعلى العكس تأخر نقل ديوان مصر، فلدينا مجموعات بردية تبيّن أنه كان يُكتب بالقبطية أو باليونانية أو بالعربية[2]، وإن كان الوليد قد منع نهائياً التحرير باليونانية ، وجعل العربية اللغة الوحيدة فى الإدارة[3] . ويبدو أيضاً أن تحويل ديوان مصر من دون الدواوين الأخرى قد لقى معارضة من قبل المصريين ، حتى أنه استعين بشخص من الشام[4] .

وعلى ذلك أصبحت اللغة العربية لغة رسمية فى جميع أجزاء الإمبراطورية الإسلامية، مما مهّد لتعريب ألسنة شعوبها ؛ بحيث غلب الخط العربى على خطوطها ؛ كما انعدمت أمامه بعضها ، مثل : الآرامية والسريانية والقبطية[5] . كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الدين فى منطقة واسعة من البحر الأبيض ؛ ولم يقتصر الأمر على من تحول إلى الإسلام ، بل تعداهم إلى غيرهم من سكانها من المسيحيين .

وقد تبع خطوة تعريب الدواوين خطوة أخرى هامة ترمى إلى تقوية الحكم العربى ، بضبط ميزانيته واقتصادياته . فحتى ذلك الوقت كانت العملة المتداولة فى أجزاء الدولة الإسلامية هى العملة البيزنطية أو الفارسية ، أو ما عُرف بالرومية والكسروية[6] ذلك لأن العرب — كما بيّنا — فى أول

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٣ س ١٢ ؛ فتوح البلدان ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

(٢) أنظر Cheïra: La Documentation Papyrologique de l'Epoque Arabe, 1948 cf.

(٣) أغابيوس ، ٣/٨ (القسم الثانى) ص ٤٠٨ [٢٢٨] هكذا يذكر بالنسبة لدواوين الشام .

(٤) الخطط ، ١ ص ١٥٨ س ١٣ — ١٤ .

(٥) حاجى خليفة ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، الطبعة الأولى ، إستانبول ١٣١١ هـ ، ١ ص ٤٦٤ ؛ انظر ، ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى ، ص ٢٤ .

(٦) ابن كثير ، البداية ، ٩ ص ١٥ ؛ النزاع والتخاصم ، ص ٩ ؛ المقريزى ، النقود الإسلامية ، طبعة قسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ ، ص ٥ .

عهدهم لم يكونوا يعرفون النقود إلا فى يد تجار قريش[1] ، الذين كانوا يحملونها إلى مكة من بلاد الروم والفرس . فكانت هذه العملة تحمل نقوشاً فيها تماثيل (أى صور) مثل تمثال الملك أو أحد أبنائه أو حصن أو حيوان[2] ، أو بيت النار[3] أو الصليب[4] ؛ كما أن بعضها كان يحمل تواريخ قديمة ؛ قد ترجع إلى ما قبل الإسلام بأربعمائة سنة[5] .

ولكى يجعل الخليفة عمر هذه العملة الأجنبية صبغة شرعية ، قرر أن تضاف بالعربية فى نقوشها عقيدة الإسلام[6] ، وكلمة (جائز[7]) للدلالة على أنها عملة جيدة ، حسب المعيار الذى أقرّه النبي وأبو بكر من قبل[8] . وبعد عمر ظهرت عدة محاولات لسك عملة إسلامية صرفة ؛ إلا أنها كانت محاولات غير مثمرة ، إذ أعتبرت رديئة لا تنافس عملة الروم أو العجم ؛ فمثلاً سك معاوية درهماً باسمه[9] . كذلك ضرب مصعب بن الزبير فى العراق

---

(١) النزاع والتخاصم ، ص ٢٩ ؛ انظر Lavoix :
Catalogue des Monnaies Musulmanes : Khalifes Orientaux, tI Préface, p. I.

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٦ س ١٩ — ٢٠ .

(٣) النقود الإسلامية ، ص٩ ؛ انظر Lavoix : Op. Cit, p.VIII.

(٤) أنظر Lavoix :
Op. Cit, p. VIII—X;XII—XIV; p. 15 (51), 17 (57).

(٥) السيوطى ، حسن المحاضر ، ٢ ص ١٧١ س ٧ .

(٦) أنظر Lavoix : Op. Cit, p. 1, 15 (50), 17 (57) .

(٧) أنظر Ibid, p. 3—4 ; 9 ;10; 13 . النقود الإسلامية ، ص ٩ ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ص ٢٣٨ . أنظر مثلا العملة فى سنة ١٧/٦٣٨ .

(٨) المقريزى ، النقود الإسلامية ، ص ٤ .

(٩) أنظر . المقريزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة،الطبعة الثانية ،تحقيق زيادة والشيال، ص ٥٢ ؛ Lavoix : Op. Cit, Préf XXXII; p. 58,

الدنانير والدراهم فى سنة ٧٠/٦٨٩ ، بأمر من أخيه عبد الله[١] ، وسك بعض الخوارج فى العراق العملة باسمهم أيضاً[٢].

ولكن عبد الملك — على مايظهر — هو أول من جعل الدولة العربية تشرف بنفسها على ضرب العملة ونقشها[٣] ، ونهى عن أن يضربها غيرهم[٤] ؛ وذلك منذ سنة ٧٥/٦٩٤[٥] . ثم ضربها الحجاج بالعراق فى سنة ٧٦/٦٩٥[٦] ؛ وقام بعد ذلك كل أمير فى جميع النواحى بسكها فى عمله ؛ على أساس تفويض من الخليفة[٧] . ويذكر بعض المؤرخين أن سبب اتخاذ عبد الملك هذه الخطوة يرجع إلى تهديد قيصر الروم له ؛ بأن ينقش على الدنانير التى يتداولها أهالى دار الإسلام ما يكره عن النبى[٨] . ولكنا نعتقد أن ضرب عبد الملك للعملة يرجع إلى أسباب ومصالح اقتصادية وسياسية عليا . إذ أصبحت من لوازم

(١) إغاثة الأمة ، ص ٥٣ ؛ فتوح البلدان ص٤٦٦ ؛ ابن خلدون،المقدمة ، ص٢٠٦ — ٢٠٧ . نقش عليها فى أحد الوجهين بركة الله ، وفى الآخر اسم الله .

(٢) أنظر . قبله ، ضربت الدراهم النجدية فى كرمان ، وكان يقال لها العطوية نسبة لزعيمها . مصنف مجهول ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن سعد ، ٥ ص ، ٧٠ ص ٥ — ٧؛ المقدمة ، ص ٢٠٦ ؛ أنظر . Sauvaire:
Matériaux pour servir à l'Histoire de la Numismatique et de la Métrologie musulmanes. Paris, 1882, p. 20.

(٤) الكامل ، ٤ ص ٥٣ .

(٥) لدينا تواريخ متعددة منها ، ٧٤ أو ٧٥ . أنظر ضمن مصادر أخرى : ابن كثير ، البداية ، ٩ ص ١٥ ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٦٨ . ويقول الدينورى سنة ٧٦ . الأخبار الطوال ، ص٣٠٦ .

(٦) فتوح البلدان ، ص ٤٦٨ ؛ المعارف ص ١٨١ ؛ انظر. Lavoix :
Op. Cit, p. 28 (91;92) ; p. 53 (145; 146; 147; 148).

(٧) أنظر . فتوح البلدان ، ص ٤٦٨ ؛ Lavoix
Op. Cit, p. Préf, XVII.

(٨) الكامل ، ٤ ص ٥٣ ؛ إغاثة الأمة ، ص ٥٣ — ٥٤ .

السيادة الإسلامية[1] ؛ كما انتفع الناس بإشراف الدولة عليها ، فتميّز المغشوش من العملة الخالصة[2] .

وقد عُرفت هذه العملة الرسمية باسم : «السكّة الإسلامية[3] » ؛ وكلمة السكة تعنى خاتم الحديد الذى تُطبع عليه العملة أو تُضرب عليه بالمطرقة[4] ، وأصبح يُطلق عليها وعلى الدار التى تصنع فيها ، اسم : «دار السكة » أو «بيت الضرب[5] ». فكان يشرف عليها موظف خاص اسمه : «صاحب بيت الضرب» ، يكون تحت يده الصناعون والطباعون[6] ، الذين كان بعضهم من أهل الذمة[7] ، لخبرتهم فى شئون المال. وكان الخليفة بنفسه هو الذى يحدد لها « المقدار[8] » ، أى الوزن ؛ كما فعل عمر من قبل ؛ لتكون العملة فى التداول على أساس العيار الشرعى ؛ إذ أن العملة وقتئذ كانت توزن ولا تعد.

ولم تتغير وحدة العملة بتعريبها : فبقى الدينار الذهبى ، والدرهم الفضى[9] ،

---

(١) النقود الإسلامية ، ص ٩ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٦ . فقد وجد فى عهد مروان من كان يقطع الدراهم ، ويزيف فى أوزانها . فتوح البلدان ، ص ٤٠٧ .

(٣) إغاثة الأمة ، ص ٥٥

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٦ ؛ الماوردى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٢٢٨ هـ ، ص ١٤٠ .

(٥) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧٦ س ٢١ ؛ Ency, de l'Isl, 2ed (art Dàr al - Darb) t 2, p. 117-118. التسمية فى عهد عمر بن عبد العزيز .

(٦) فتوح البلدان ، ص ٤٦٨ — ٤٦٩ .

(٧) النقود الإسلامية ، ص ٦ .

(٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٧ س ١١ ، ص ٢٠٨ س ٨ ، ١٢ .

(٩) نفسه ، ص ٢٠٧ ، س ١٠ ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٦٧ . الدينار أصله لاتينى "Denarius" ، استخدم فى عملة روما ، فنقل إلى العرب بتحريف خفيف: «دينار» . وعلى العكس فإن درهم لفظة فارسية معربة . أنظر عن ذلك :أنستاس مارى الكرملى، النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٢٣ـ٢٥ وللاحظات ؛ التاريخ السياسى، ١ ص٢٣٨ .

والقطع من الدرهم ، مثل : الدانق والمثقال[1] ، ولكن تغير نقش العملة وأصبح كلمات من غير صور ؛ لأن الشرع الإسلامي نهى عن الصور . فكانت الدنانير والدراهم على شكلين مدورين ، والكتابة عليهما في دوائر متوازية ؛ فيكتب على أحد الوجهين أسماء الله وصلاة على النبي ، وفي الوجه الآخر التاريخ واسم الخليفة[2] . كذلك نقش الحجاج بالعراق اسمه على الدراهم ، فعرفت بالعملة الحجاجية[3] ؛ وسميت مكروهة[4] ، لكره أهل العراق لها وقد ظهرت في أول الأمر معارضة من قبل الفقهاء ؛ لأن نقش عقيدة الإسلام على العملة ، خوفاً من أن يمسها غير المطهرين .

ونعرف بعض أسماء من عملة العصر الأموي ، مثل الدنانير الدمشقية التي سكها عبد الملك[5] ، والدينار الأبيض أي النقي الذي سكه الحجاج ، وقد بقي في مصر حتى مجيء الفاطميين إليها[6] . وكانت أجود عملة لبني أمية ما سكه عمالهم بالعراق ؛ حتى عرفت بأسمائهم ، مثل : الهبيرية والخالدية واليوسفية[7] .

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٥٤ ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٦٥ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٠٧ س ٣ الدانق لفظ أعجمي استعمله العرب في الجاهلية للدلالة على وزن أو نقد. عنه : إغاثة ، ص ١٠ وهامش (١) أنظر .
Ency. de l'Isl, (art Dânik) t 1, p. 936.
أما المثقال ، فهو نقد للدلالة على درهم أو دينار أو وزن . إغاثة ، ص٤٧ — ٤٩ وهامش (٥) ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Mithkâl) t 3, p. 599

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٧ س ١٢ — ١٥ ؛

(٣) فتوح البلدان ، ص ٤٦٨ ؛ العقد ، ٣ ص ٢٢ ؛ أنظر :Lavoix
Op. Cit, I, p. 69 - 70.

لعلها الدنانير البيض ، أنظر . بعده .

(٤) الكامل ، ٤ ص ٥٣ . أو لعله لنقص وزنها .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٤٦٦ ؛ أنظر . العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٧٨ .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٨ ؛ إغاثة ، ص ٥٧ وهامش (٢) [يقول إنها دراهم] ؛ أنظر .
Op. Cit, II, pp. 121, 156, 227 - 229. : Sauvaire.

(٧) الكامل ، ٤ ص ٥٤ س٣ ، هي نسبة إلى عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك ، وخالد بن عبد الله القسري ويوسف بن عمر أيام هشام بن عبد الملك .

كذلك استمرت فى التداول بعض العملات القديمة الأعجمية ، بمثل البغلية والطبرية[1] .

ويُضاف إلى قيام عبد الملك بخطوة التعريب ؛ إعادته تنظيم الإدارة التى أفسدتها الفتن. فقد أتم عمل معاوية فى تنظيم البريد ؛ بحيث يذكر المؤرخون أنه أحكمه[2] ؛ كما نلمس انتظام عمل الدواوين بفروعها المختلفة ، مثل : ديوان الرسائل والخراج والخاتم[3] . كذلك عمل على حصر أهل الذمة بالشام ؛ تمهيداً لتنظيم فرض ضريبة الجزية ؛ ولعله اضطر إلى ذلك بسبب فوضى الفتن السابقة ؛ فأمر « بالتعديل » أى بأن يكتب كل شخص اسمه واسم أبيه وأولاده وممتلكاته فى مكان ولادته[4] .

وبعد أن تغلب على أعدائه ، وقضى على الفتنة عاد إلى حركة الفتوح ، التى استمرت بعده وامتدت امتداداً هائلاً لم يكن يفكر فيه الخلفاء الأوائل ، ولم تستطع الدولة العباسية التى جاءت بعد الأمويين أن تحتفظ بكل ما فتح فى عهدهم ، فضلاً عن أنها لم تزد عليها شيئاً .

فنجد عبد الملك يتجه إلى حرب الروم ، الذين كانوا قد حاولوا الاستفادة من وقوع الفتنة الثانية ، كما فعلوا فى الفتنة الأولى . ففى غضونها هاجموا حصون

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٧ س ٨ ، ٢٠٨ س ٦ . يبدو أن البغلية دراهم أعجمية عرفت من العصر الجاهلى (فتوح البلدان ، ص ٦٦ ٤) ؛ أما الطبرية فلعلها عملة رومية من مدينة طبرية بالشام . أنظر . إغاثة وهامش (٢) ص ٤٨ . يعتمد المحققان على ما أورده De Sacy فى هامش كتابه عن النقود .

(٢) صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٦٨ ؛ وقبله .

(٣) العقد ، ٢ ص ٣١٧ .

(٤) انظر . Denys : Op. Cit, p. 10.

الثغور ، وبخاصة ملطية التى كان معاوية استولى عليها ، وجعلها طريق الصوائف العربية فهدموها ، وأزلوا بها عساكرهم[1] . كما أنهم قاموا ببعض الهجمات على مدن ساحل الشام بقصد تخريبها، مثل: عَسقلان وقَيسارِيّة وصُور وعكّة[2] . ولعلهم كانوا ينوون الهجوم على الشام[3] ؛ لولا أنهم شُغلوا بمجيء البلغار وهم الصقالبة[4] ، الذين بدأوا يوطدون أقدامهم حول الدانوب منذ سنة ٦٠/٦٧٩ ، ويشار كون الروم فى منطقة البلقان وكانوا كفاراً ، وأسلم بعضهم .

كذلك كان الروم يثيرون ضد العرب عناصر الجراجمة الجبلية الساكنة على حدود الشام كما فعلوا فى الفتنة الأولى ، مع أن معاوية كان قد صالحهم[5] ؛ ولكنهم بتشجيع الروم انتشروا إلى جبال لبنان فى أواخر عهده[6] . فكانوا دائمى الفتنة بتحريض الروم ؛ بحيث يقول البلاذرى عنهم إنهم كانوا يستقيمون للولاة مرة ويموجون أخرى[7] . ولما حدثت فتنة عمرو بن سعيد الأشدق

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٨٠ ؛ أنظر . قبله .

(٢) نفسه ، ١٤٣ . عسقلان مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر (معجم البلدان ، ٦ ص١٧٤) ، وقيسارية بلد على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين (نفسه ، ٧ ص ١٩٥) ، وصور داخلة فى البحر على ساحل الشام (نفسه ، ٥ ص ٣٩٧) ، وعكة اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن (نفسه ، ٦ ص ٢٠٥) .

(٣) مروج الذهب ، ٥ ص ٢٢٤ ؛ أنظر بعده

(٤) عنهم . معجم البلدان ، ٢ ص ٢٧٢ وما بعدها ؛ D'hsson: Op. Cit, p. 213, n (28) ؛ وأيضاً Gaud-Plat : Op. Cit, p. 454. يبدو أنهم كانوا يسكنون جنوب روسيا ، ونواحى الدانواب .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٦٠ ؛ أنظر . قبله

(٦) نفسه ، ١٦١ ؛ Michel le Syrien t2, fasc 3, p. 469 ؛ أغابيوس ، ٢/٨ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ [٢٣٢ـ ٢٣٣] ؛ انظر . Thoumin: Hist, de Syrie, p. 173, ؛ لعلهم المارونية حالياً . أنظر Salibi : The Maronites of Lebanon under Frankish and Mamluk Rule. Arabica t18.Sep. 1957. fasc 3,p.288.

(٧) فتوح البلدان، ص ١٥٩ ؛ انظر Ency. de l'Isl,(art Mardaites)t3, p.238.

ثاروا على عبد الملك فى سنة ٧٠/٦٨٩ ، لولا أن عبد الملك استمالهم ليأمن جانبهم[١] .

وثمة أمر آخر هو أن الروم انتهزوا هذه الفتنة وعملوا على ضم أرمينية إليهم ؛ وهى التى كان العرب قد استرجعوها بعد الفتنة الأولى بمساعدة عناصر موالية لهم فيها[٢] . ويقول البلاذرى إن أجزاء من أرمينية التى كانت تخضع للعرب قد استقلت نتيجة للفتنة أيام ابن الزبير[٣] ، وقد أرسل الروم إليها جيشاً ودخلها ؛ ويبدو أنها خضعت لليونان كما يقول الأسقف الأرمنى سيبيوس « Sébéos »[٤] ؛ فلم نعد نسمع عن ولاة عليها من قبل العرب منذ معاوية[٥] . كذلك كانت عناصر الأكراد الرعوية بجوار الجزيرة قد اشتد أمرها بالفتنة[٦] ؛ مما جعل الموقف يتحرج بالنسبة للعرب .

وقد كان الخلفاء الأمويون يحسون بنوايا الروم وتهديدهم ؛ إلا أنهم فى أثناء الفتنة لم يكن يستطيعون شيئاً . فنجد معاوية فى أواخر خلافته ، وقد شعر بما سيكون عليه موقف المسلمين من تعيينه ليزيد ، يشترى السلام من ملك الروم قنسطنطين الرابع (٦٦٨ — ٦٨٥ م) فى سنة ٦٠/٦٨٠[٧] ؛ حتى يهىء لابنه الفرصة . ولكن المؤرخين المسيحيين يذكرون أن سبب عقد معاوية

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٦٠ .

(٢) أنظر . قبله .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٢٠٥ ص ١٤ .

(٤) أنظر .Histoire d'Héraclius, p. 148 ؛ وأيضاً :
Michel le Syrien t2, fasc 3, p. 469.

(٥) أنظر . Op. Cit, p. XXXV!I : Denys

(٦) أنظر .أخبار مجموعة ، ص ٢ .

(٧) أنظر.Theophanis, p. 354 هذا التاريخ ، انظر. La lutte, :Cheira
p. 145. 6 ؛ وقبله .

الصلح هو سوء حالة العرب وقتذاك ، الذين اضطروا إلى رفع حصارهم البحرى عن القسطنطينية ، والانسحاب من جزر البحر الأبيض . ولا علك معلومات عن موقف يزيد ، ولكن يبدو أنه كان يخاف الروم وهو يحارب فى فتنة الحجاز فعمل على تنظيم الدفاع عن ثغور الشام الشمالية ؛ وجعل لها جنداً مستقلاً عن بقية أجناد سورية ، عُرف بجند قِنَّسْرِين[1]

كذلك بعث عبد الملك فى أول خلافته بالأموال والهدايا إلى ملك الروم جستنيان الثانى (٦٨٥ — ٦٩٥ م) ، الذى نزل للصيصة فى سنة ٦٦ / ٦٨٥[2] ـ وهى ثغر بين بلاد الروم والشام ـ بقصد دخول الشام ؛ فشغله وهادنه وبعث إليه بالأموال ، بحيث امتنع عن غزو الشام ، وصالح الجراجمة ودفع لهم أتاوة أسبوعية[3] ، وردّ إليهم أسراهم[4] ؛ كما فعل معاوية من قبل . وفى سنة ٧٠/ ٦٨٩[5] ، جدد عبدالملك الهدنة مع الأمبراطور جستنيان الثانى ؛ إذ أنه كان قد شُغل بفتنة عمرو بن سعيد وقيسية الجزيرة ؛ كما استمال الجراجمة .

---

(١) معجم البلدان ، ١ ص ١٢٥ ، ٦ ص ٢٣٧ ، ٧ ص ١٦٨ ؛ أنظر .
: Etudes, p. 17. Lammens
Ency. de l'Isl, (art Kinnasrin) t2, p. 1081.
فصلت وغيرها من المدن المحيطة بها عن حمص ومدنها، التى كانت تشرف على ثغور الشام؛ وقنسرين مدينة على نهر قويق فتحت على يد أبى عبيدة بن الجراح فى سنة ١٧ هـ .

(٢) مروج ، ٥ ص ٢٢٤ — ٢٢٥ . لدينا تاريخ آخر لصلح يؤكده أغابيوس فى سنة ٦٥ / ٦٨٥ . أنظر . العنوان ، ٨ / ٣ ص ٤٩٧ [٢٣٧] : وأيضاً : Cheira
(1) n :La lutte, p. 147 عن المصيصة ؛ أنظر . بعده .

(٣) فتوح البلدان ، ص ١٦٠ س ٦ .

(٤) أنساب ، ٥ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ٢ ؛ العبر ، ٣ ص ٧٠ ؛ أنظر . Die Kampfe. : Well p. 428 . أورد شعيرة تاريخاً آخر لهذه الهدنة فى سنة ٦٩ / ٦٨٩ ؛ معتمداً على نص البلاذرى ؛ ونحن نستبعد هذا التاريخ، لأن جنود عبد الملك بقيادة زهير بن قيس، كانت تحارب البربر والروم فى هذا العام أنظر . La lutte, p. 147, n (4), : Cheira ؛ وبعده .

ولكن عبد الملك ما أن انتهى من هزيمة مصعب ، حتى نقض المهدنة وعاد إلى حرب الروم . فقد استأذنه أخوه محمد بن مروان ؛ قائد حملته على العراق فى غزو الروم ؛ فأذن له وولاه على الجزيرة وأرمينية[1] ؛ وبذلك جعل عبد الملك للجزيرة قيادة مستقلة ؛ مع أنها كانت حتى أيام الروانيين جنداً واحداً مع قِنَّسْرين[2] . فأثخن محمد بن مروان من ناحية أرمينية سنة ٦٩٢/٧٣[3] ؛ ودخلها بمساعدة عناصر فيها موالية للعرب ؛ فقدم زعماء الأرمن خضوعهم[4] ؛ ومنذئذ سمعنا عن سلسلة من الحكام الخاضعين للعرب. كذلك تمكن العرب بقيادة عثمان بن الوليد من هزيمة جيش كبير للروم عدده ستون ألفاً[5] أرسل لأرمينية ؛ بحيث يقول المؤرخ اليونانى « Theophanès »[6] ، إن هذا الجيش أصيب بهزيمة منكرة . ومع ذلك بقيت بعض أرمينية خاضعة للروم طوال حكم عبد الملك ، وخصوصاً أن العرب كانوا قد شغلوا بحرب الخوارج ؛ بحيث أن الأمبراطور ليون « Leontios » (٦٨٥ — ٦٩٨م) تمكن من استمالة سمباد « Sempad »[7] ، أحد زعماء الأرمن . ومن ناحية أخرى كان لاضطراب أمور الروم بتنازعهم على العرش[7] ؛ أثره فى تمكن العرب من بسط حمايتهم على بعض أرمينية .

وفى الوقت ذاته عادت حملات الشواتى والصوائف السنوية من ثغر الشام ،

---

(١) الكامل ، ص ٨ ؛ أنساب ، ٥ ص ١٨٦ .

(٢) فتوح البلدان ص ١٣٢ ؛ معجم البلدان ، ١ص ١٢٥ ؛ انظر . Cheira La lutte, p. p.156

(٣) الكامل، ٤ص ٢٨ .

(٤) أنظر .Denys !Theophanes, p.267: Op. Cit., p. 244. : Diehl et Marçais ! Op. Cit., p. XXXVII

(٥) العبر ، ٣ ص ٧٠ .

(٦) أنظر .Diehl et Marçais.! Chronog, p. 365 : Op. Cit., p. 244

(٧) La lutte, p. 164. :Cheira ! OP. Cit, p.XXXVII.:Denys

(٨) أنظر .Cheira. : La lutte.p.163.

بعد أن كانت قد توقفت منذ وفاة معاوية واشتداد الفتن [1] ؛ بحيث أن الشاعر الأخطل مدح عبد الملك لكثرة غزواته فى بلاد الروم [2] . وكان عبد الملك يرسل مع هذه الحملات أبناءه وأفراد أسرته [3] ؛ كما كان يفعل معاوية من قبل . وقد كان هدف هذه الحملات الاستيلاء على حصون جديدة . ولعل أهم ما استولى عليه العرب فى عهد عبد الملك هو حصن المصيصة بقيادة ابنه عبيد الله ؛ وهو حصن على شاطىء نهر جيحان ؛ بين أنطاكية وبلاد الروم ، ولم يكن المسلمون قد سكنوه من قبل ؛ فأنزل فيه عساكره وجعله منطقة الحدود بدل أنطاكية [4] . وكان عبد الملك ينفق مبالغ طائلة على صيانة حصون الثغور ، فبنى مثلاً حول المصيصة الحوائط الضخمة والأسوار المزدوجة والخنادق والجامع [5] . كذلك أوجد عبد الملك المسالح ، وهى مواضع المراقبة ، لحفظ أعقاب الصوائف خوفاً من الجراجمة، فسمى من بقى فيها من العساكر : « بالروادف » [6] .

هذا النشاط الحربى الإسلامى لم يكن هدفه — كما يبدو — التمهيد لفتح القسطنطينية ؛ كما حدث فى زمن معاوية ؛ وإنما كان لإضعاف الروم وتخفيف

---

(١) العبر ، ٣ ص ٧٠ . يحدد ابن خلدون أول صائفة فى سنة ٧١ / ٦٥٩ .

(٢) يقول الأخطل :

وفى كل عام منك للروم غزوة بعيد آثار السنابك والسرب

أنظر . ديوان ، تحقيق صالحانى ، ص ٢٠ .

(٣) مثل ابنيه : فالوليد غزا الصائفة فى سنة ٧٧/ ٦٩٦ (الكامل ، ٤ ص ٧١) ، وعبيد الله فتح فاليقلا بأرمينية فى سنة ٨٠/ ٦٩٩ . نفسه ، ٤ ص ص ٧٥ .

(٤) فتوح البلدان، ص ١٦٥ ؛ أنظر . La lutte, p. 169, Chefra . يقول «Michel» إن مسلمة هو الذى استولى على المصيصة . أنظر Chronique t 2, fasc, 3, p.477 . عن المصيصة ، أنظر ، معجم البلدان ، ٨ ص ٨٠ — ٨١ .

(٥) أنظر . Michel le Syrien, t2 fasc. 3, p. 478.

(٦) فتوح البلدان ، ص ١٦٢ . عن كلمة مسالح ، انظر . قبله .

قبضتهم فى أرمينية ، وخصوصاً أن الدولة العربية لم تكن تستطيع فى عهد عبد الملك أن تفعل أكثر من ذلك ، وقد عانت كثيراً من جراء الفتنة ؛ وإن كان خلفاؤه من بعده سيقومون بنشاط أكبر ضد الروم ، ويعودون إلى حصار القسطنطينية .

وعلى خلاف ذلك نجد العرب فى عهد عبد الملك عملوا على طرد الروم نهائياً من إفريقية ، وفتحوا المغرب ونقصد به التسمية العامة التى أطلقوها على البلاد الواسعة الممتدة من آخر حدود إفريقية حتى المحيط[1] . ويبدو أن الحوادث هى التى جرّ بعضها بعضا ؛ كما حدث فى معظم غزوات العرب السابقة . فنحن نعرف أنهم فى عهد معاوية كانوا قد أنشأوا قاعدة القيروان فى إفريقية على يد عقبة بن نافع سنة ٥٠/٦٧٠[2] ؛ ولكن هذا الفاتح الجسور عُزل وولىّ مكانه أبو المهاجر ، الذى استمر مجاهداً حوالى تسع سنوات من ٥١/٦٧١ إلى ٦٠/٦٨٠[3] ، أى الى وفاة معاوية .

وفى أول عهد يزيد أعيد عقبة إلى قيادة جيش إفريقية ، وإن كنا لا نعرف سبباً واضحاً لعودته ؛ كما لم نعرف سبباً لعزله من قبل : فقد ترجع عودته إلى تغيير فى سياسة الخلافة فى هذه البلاد ، إذ كان أبو المهاجر يستعمل سياسة اللين على

---

(١) معجم البلدان ، ٨ ص ١٠٣ ؛ ابن أبى غالب (ت ٧٦٧) ، نص أندلسى جديد ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٣٨ ؛ . قبله . هو قطعة من القطع الثلاث فى حدود المغرب عند أهل الشرق ، وهى إفريقية ، والمغرب ، وجزيرة الأندلس .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٢٢٧ ؛ أنظر . قبله .

(٣) نفسه ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ؛ عبيد الله (نص جديد) ، ص ٢١٨ ، ترجمة لمقال Lévi—Provençal ، ص ٢٠٦ . لدينا تواريخ أخرى منها سنة ٦٢ (الكامل ، ٣ ص ٣٠٨ ؛ العبر ، ٤ ص ١٧٦) ، أو سنة ٦٣ (ابن عذارى ، ١ ص ٢٣) ، أو حتى ٦١ . نفس المصدر الأخير ، ص ٢٩ .

عكس عقبة الذى كان يعرف بشدته[١] . وقد يكون أيضاً الحماس الصوفى هو الذى دفع عقبه إلى التماس الجهاد ، حتى أن يزيد قال له : « إرجع إلى ذلك ![٢] » ؛ ولا سيما أن معاوية ، كان قد وعد باعادته إلى إفريقية[٣] ؛ فكانت هذه ولايته الثانية فيها .

فأسرع عقبة إلى القيروان ، وودع أولاده وأوصاهم وقال لهم : « إنى بعت نفسى من الله تعالى[٤] » ؛ ورحل فى عسكر كبير . ولم يخيب أبو المهاجر أمل المسلمين فيه . أو يعمل على انقسامهم ، وفعل مثل خالد بن الوليد مع أبى عبيدة ابن الجراح ، فخرج مع عقبه للجهاد[٥] ، وأثخن المسلمون فى بلاد البربر البعيدة ، حتى وصلوا إلى أقصى وادى السوس على البحر المحيط ، حيث تسكنه قبائل بترية متوحشة[٦] .

---

(١) الكامل ، ٣ص ٢٣٠ ؛ انظر . قبله .

(٢) عبيد الله (نص جديد) ص ٢٠٩ س ١ .

(٣) الكامل ، ٣ ص ٨ ٣ .

(٤) عبد الله (نص جديد) ص ٢١٩ س ٣؛ الكامل ٣ ،ص ٣٠٨ س ٥ العبارة فى المصدر الأخير مختلفة بعض الشىء

(٥) ينقل بعض المؤرخين أن عقبة لما وصل إلى القيروان قبض على أبى المهاجر ، وأوثقه فى الحديد ، وأخذه معه أثناء حروبه مع البربر (الكامل ، ٣ص ٣٠٨ س٤ ؛ ابن عبد الحكم ، ص١٩٨ س ٨ — ٩ ؛ ابن عذارى ، ١ص ٢٣ س ١٦) . وعلى النقيض لا يذكر عبيد الله إطلاقا أنه أهانه (نص جديد ، س ٢١٩ — ٢٢٩ ، وترجمة ، ص ٢٠٦) .

(٦) جزء من بلاد المغرب . أنظر . معجم البلدان ، ٨ س ١٠٣ ؛ وقبله وانظر . تعليق « Julien » عن وصول عقبة إلى بلاد السوس : Op. Cit, p. 17.
Gibbon: Op. Cit., 5, p 357.

أورد بعض المؤرخين عبارات قالها عقبة عندما وصل إلى المحيط ، منها :

« يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهداً فى سبيلك » . الكامل ، ٣ص ٣٠٨ ؛ للمالكى ، ١ص ٢٥ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ١٩٩ . وعلى العكس لا يذكر عبيد الله هذه العبارات ، ويقول Lévi—Provençal ، انها من الخيال الشعبى ، وأن مثل هذه الرواية تكررت مرة أخرى فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ، منسوبة إلى ألفونسو السادس ملك قشتالة .

أنظر عبيد الله (نص جديد) ص ٢١٩ — ٢٢٠ ، والمقالة مترجمة ، ص ٢٠٨ وهامش (١) .

ويبدو أن عقبة لم يكن يسعى إلى الاستيلاء على المدن أو المراكز الحصينة ؛ وإنما كان همه القتال والجهاد ؛ وإن قال ياقوت إنه فتح جميع بلاد المغرب[١] . ولكن كسيلة بن لزم المعروف أيضاً بابن الكاهنة ، وهو زعيم القبائل البرنسية ، وكان قد خرج على عقبة فى ولايته الأولى ؛ ثم استماله أبو المهاجر وحسن إسلامه ، لم يعجبه عودة عقبة إلى ولاية إفريقية . ويقول ابن الأثير إن سبب غضب كسيلة على عقبة ؛ هو أن عقبة استخف به على الرغم من أن أبا المهاجر عرفه محله فى البربر ؛ مما جعله يضمر الغدر[٢] فانتظره كسيلة بجيش كبير من البربر عند عودته من غزواته الواسعة ، ولقيه فى تهوذة ؛ وهى أرض على حافة الصحراء غير بعيدة من جبل أوراس ، لقبيلة عرفت بهذا الاسم ؛ فقاتله عقبة ومعه أبو المهاجر حتى قتلا وسيفاهما بأيديهما ، وقتل جميع من معهما من المسلمين عن آخرهم ، وذلك حوالى سنة ٦٣ / ٨٢-[٣] وربما يكون عدد القتلى من المسلمين كبيراً ؛ لأن الأرامل كثروا فى مصر وكانوا يلعنون عقبة[٤] ؛ على الرغم من أن بعض المؤرخين ذكروا أن عقبة حينما هاجمه كسيلة كان فى قلة من الجند ، لأنه كان قد سرّح العساكر إلى القيروان لما قرب من إفريقية[٥] . وبعد هذا الانتصار زحف كسيلة إلى القيروان بجموع أهل المغرب ، فأخلاها إلا من تخلف فأعطاه

(١) معجم البلدان ، ٧ من ١٩٤ . مع أن أملاك الروم والقوط لم تفتح بعد . أنظر . مقالة طريفة من سعد زغلول ، فتح المغرب بن الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ، الإسكندرية ١٩٦٣ .

(٢) الكامل ، ٣ص ٣٠٨ — ٣٠٩ ؛ أنظر . أيضاً قبله .

(٣) نفسه ، ٣ ص ٣٠٩ ؛ عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢٠ ، ترجمة المقال ، ص ٢١٠ ؛ ابن عذارى ، ١ ص ٢٩ ، المالكى ، ١ ص ٢٥ — ٢٦ ؛ العبر ، ٤ ص ١٨٦ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٤٣٨ . يعرف موضع تهوذة اليوم بسيدى عقبه .
Le tombeau de Sidi 'Oqba (Annales de l'Inst. : G. Marçais : Lévi-Provençal: Op. Cit, p.18.: Julien : d'Et. Or) iv, p. 1-15, Arabica Occidentalia. t 1. Janvier 1954, p. 31.

(٤) هذه الرواية فى : ابن عبد الحكم ، ص ١٩٩ ؛ انظر . Cheîra: La lutte, p. 131.

(٥) الكامل ، ٣ ص ٣٠٩ . يقول عبيد الله : إن عقبة كان قد فقد جلة كثيرة من أصحابه فى معركة أخرى ، عرف مكانها بموضع الشهداء . أنظر . نص جديد ، ص ٢٢٠ .

الأمان[1] . وبذلك عاد العرب إلى قواعدهم في برقة ، وفقدوا إفريقية التي تعبوا في فتحها منذ عهد عثمان .

ولكن ما أن استرد مروان بن الحكم مصر ، وتولى إمارتها عبد العزيز ابن مروان ، وبويع لعبد الملك بعد مروان ، حتى أرسل هذا الأخير إلى إفريقية زهير بن قيس البلوي؛ القائد الذي كان عقبة قد تركه على القيروان قبل رحيله، فلما انتصر كسيلة انسحب إلى برقة ؛ ولعله بقي فيها إلى وقت أن أمره عبد الملك بالخروج[2] . فسار زهير إلى القيروان ولم يدخلها ، وتقابل مع كسيلة في مدينة بنواحيها اسمها ممسيس[3] (أو مَمْش)، في معركة حاسمة قتل فيها كسيلة ثم رجع زهير إلى المشرق ؛ إذ أنه قدم للجهاد[4] ، واستطلاع الأحوال وليس للفتح[5] ؛ ولا سيما أن الخلافة في أول عهد عبد الملك كانت لا تزال تعاني وطأة فتنة ابن الزبير .

إبان تلك الحقبة كان الروم في إفريقية يتشبثون بسيطرتهم على الساحل الإفريقي ، ولم يشتركوا في مقاومة النشاط العربي إلا بجهود محدود؛ ذلك لأنهم كانوا قد تلقوا لطمات قوية في عهد عثمان ، ومن بعده معاوية ، ولأن معظم جهوم

---

(١) نفس المصدر الأخير ص ٢٢١ ؛ العبر ، ٦ ص ١٠٩ ؛ المالكي ، ١ ص ٢٨ .

(٢) لدينا تواريخ مختلفة ، مثل ، سنة ٦٥ عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢١ ، أو سنة ٦٧ (الكامل، ٤ص ٣٣ ص ٣ ، العبر ، ٤ ص ١٨٧ ، ٦ص ١٠٩) . وفي موضع آخر يقول ابن الأثير سنة ٦٩ ، حيث يحدد ولاية زهير من ٦٢ إلى ٦٩ (الكامل ، ٤ ص ٣١) . ونحن نؤيد هذا التاريخ الأخير ؛ لأن مؤرخين آخرين قد ذكروه مثل ابن عذارى . أنظر . البيان ، ١ص ٣١ — ٣٢ .

(٣) عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢١ ، وترجمة ، ٢١١ وهامش (١) . ويكتبها ابن خلدون ميس (العبر ، ٤ ص ١٨٧) ، وابن الأثير ممش (الكامل ، ٣ص ٣٠٩ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، للطبعة الحسينية ، ١ ص ١٢٥) ، أما مس فوردت في المالكي (رياض، ١ ص ٢٨) ؛ وابن عذارى (البيان ١ ، ص ٣٢) ، ويقول ياقوت إن ممس قرية بالمغرب . معجم البلدان ، ٨ ص ١٥٨ .

(٤) الكامل ، ٣ص ٣٠٩ ؛ العبر ، ٤ ص ١٨٧ .

(٥) عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢٠ .

العرب كان موجهاً لقتال البربر ، وليس للاستيلاء على حصونهم أو مدنهم . ولكن الروم استغلوا الظروف ؛ فحرضوا كسيلة على عقبة ؛ مما أدى إلى قتله ؛ كما يقول ابن الأثير[1] . ومن المؤكد أنهم فرحوا بطرد كسيلة للعرب من القيروان ؛ ولكن لما عاد زهير وقتل كسيلة ، تدخلوا فى المعركة تدخلاً مباشراً ؛ فأرسلوا مراكبهم من صقلية إلى برقة لمهاجمة زهير وهو فى طريق عودته إلى المشرق ، واستطاعوا قتله وعدداً كبيراً من عسكره ، وسبوا كثيراً من المسلمين[2] .

ومع سوء أحوال الخلافة الأموية الداخلية ، أرسل عبد الملك قائداً آخر كفؤاً اسمه حسان بن النعمان الغسانى فى جيش عدده أربعون ألفاً ، لم يرسل البتة مثله فى إفريقية فى سنة ٦٩/٦٨٩[3] ؛ للانتقام من الروم . فسار هذا الجيش العرمرم إلى قرطاجنة ، التى كانت أهم معاقل الروم على البحر الأبيض ، وعلى حد قول ابن الأثير لم يكن المسلمون قد حاربوها[4] ؛ وإن ذكر الذهبى أن أبا المهاجر كان قد هاجمها على غير جدوى[5] . فقاتل حسان أهلها من الروم والبربر قتالاً شديداً ، حتى طلبوا الأمان فأعطاهم إياه ، ثم غدروا فرجع إليهم وقاتلهم حتى ملكها وهدمها ، فهرب الروم منهم إلى صقلية والأندلس[6] . كذلك سار

(١) الكامل ، ٣ص ٢٠٩ س ٤ — ٥ ؛ انظر . دحلان الفتوحات الإسلامية ، ١ ص ١٣٥ .

(٢) الكامل ، ٣ص ٢١ ؛ عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢١ ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ ؛ العبر ، ٤ ص ١٨٧ ؛ ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ ، ابن عذارى ، ١ ص ٣٣ ؛ انظر . مؤنس ، فتح ، ص ٢٤٦ .

(٣) عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢١ ؛ انظر .

: La lutte, p 20?. : Cheïra : Afr. Byz, p. 582. : Diehl. Ency. de l'Isl, (art Hassân B. al-Nu'mân) t2, p. 305-6.; 2ed, t3, p. 279.

(٤) الكامل ، ٤ ص ٣١ (آخر الصفحة) .

(٥) دول الإسلام ، ١ص ٢٢ ، انظر . قبله .

(٦) يقول ياقوت إنه هدمها فى سنة ٧٠ . أنظر . معجم البلدان ، ٧ ص ٥٢

حسان على بقية الروم وهزمهم فى معاقلهم المتفرقة على الساحل ؛ حتى طردهم من كل إفريقية[1] ، وعاد بعد ذلك إلى القيروان ؛ لأن الجراح كانت قد كثرت فى أصحابه .

وكان هذا مشجعاً لحسان على أن يعود إلى حرب برر جبل أوراس الأشداء، وكان على رأسهم بعد كسيلة امرأة قوية من قبيلة جراوة البترية[2] ، عرفت بالكاهنة لأنها كانت تخبرهم بأشياء من الغيب . ويبدو أن لا علاقة لهذه المرأة بما يزعمه بعض المؤرخين من أنها كانت يهودية[3] ، إذ اعتبرت من صميم البربر ؛ فكانت تتلقب: « بملكة البربر »[4]. وعلى العكس يذكر ابن الأثير : أن الكاهنة هى التى خرجت لقتال حسان غضباً لقتل كسيلة[5] ، فلعل كسيلة كان ابنها ، لأنه كان يعرف بابن الكاهنة[6] . فلما زحف حسان إليها غررت به ، واستطاعت أن تهزمه هزيمة منكرة فى « وادى نينى » بأقصى إفريقية[7] ، وأن تقتل عدداً كبيراً من جنده ، وتتبعت فلوله حتى دخل إلى برقة . وبقيت الكاهنة تحكم المغرب كله بما فيه إفريقية ، وذلك بمساعدة أولادها ؛ ورجل

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٣٢ . مثلا هزمهم فى بنزرت ، مدينة بافريقية على الساحل . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(٢) الكاهنة لقبها ، وإنما هى تسمى دهيا بنت ماتية . عنها بالتفصيل : العبر ، ٦ ص ١٠٩ ؛ انظر .

Ency de l''Isl, (art al-Kâhina) t2, p, 667.

لايذكر عبيد الله اسم هذه القبيلة (نص جديد) ص ٢٢٢ . عنها أيضا : ابن عذارى ، ١ ص ٣٥ ؛ الكامل ، ٤ ص ٣٢ ، وغير ذلك .

(٣) أنظر ما أورده « Lévi-Provençal » فى مقاله المترجم عن عبيد الله ، ص ٢١١ ؛ وفى

Arabica Occidentalia t 1, p. 3?.

(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ٣٣ س ١ .

(٦) أنظر قبله .

(٧) الكامل ، ٤ ص ٣٢ . عنه ، انظر . معجم البلدان ، ٨ ص ٣٦٩ . يقول عبيد الله وادى ترغى (نص جديد ، ص ٢٢٢) .

عربى غامض اسمه خالد ، من أصحاب حسان كان قد وقع أسيراً فى يدها[1] .

وقد ظل حسان فى برقة ؛ إلى أن انتهت فتنة ابن الزبير ، وأرسل الخليفة إليه المادة والقوة ؛ ليرحل لمحاربة الروم والبربر . وفى تلك الأثناء كان الروم الذين طردوا من حصن قرطاجنة فى سنة ٦٩ / ٦٨٩ ، قد عادوا إليها ؛ لأن سقوطها أحدث أثراً هائلاً فى بلاد الروم والعالم المسيحى الغربى ؛ فما وافى عهد الأمبراطور ليون « Leontius » (٦٩٥ — ٦٩٨ م) — الذى كان يحارب المسلمين فى أرمينية — حتى أرسل أسطولاً استولى عليها فى سنة ٧٨[2] / ٦٩٧ ؛ واشترك فى هذه الحملة الفرنجة من القوط ؛ خوفاً على الدين المسيحى . ويبدو أن حساناً حاصرها هذه المرة من البر والبحر ، إذ أن عبد الملك أوعز إليه باتخاذ دار صناعة لإنشاء المراكب البحرية[3] ؛ فتمكن حسان من الإستيلاء عليها ، وكان هذا نهاية الاحتلال البيزنطى فى إفريقية .

ولكن مقاومة البربر استمرت بزعامة الكاهنة ، التى أحست بخطورة حسان هذه المرة . فكانت تحرق وتدمر القلاع لتعوق تقدمه ، وتقطع أشجار الزيتون مصدر ثروة البلاد ؛ فكان هذا هو الخراب الأول لإفريقية ، على حد قول ابن الأثير[4] . فصمم حسان على قطع دابر مقاومتها ؛ وخصوصاً قد انضم

---

(١) نفس المصدر الأخير ؛ وغيره .

(٢) أنظر . Theophanes, p. 309. : Cheira : La lutte, p. 204. ; Gibbon. : Op. Cit., 5, p. 360.

يذكر ابن عذارى أن حساناً دخل إفريقية هذا العام ، واستولى على قرطاجنة . البيان ، ١ ص ٣٤ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٠ س ١٣ .

(٤) الكامل ، ٤ ص ٣٢ س ٢٠ — ٢١ . وعلى العكس يقول « Lévi-Provençal » : إن العرب هم المسئولون عما أصاب إفريقية ؛ وأنهم نسبوا ذلك إلى بطلة الأوراس . أنظر ترجمة مقال (نص جديد) ، ص ٢١٢ — ٢١٣ . كذلك يقول ابن خلدون إن المسلمين كانوا مخربون المدن لأول الفتح . العبر ، ٦ ص ١٠٧ س ٣ — ٤ .

إليه البربر المسلمون والنصارى الذين سئموا سياسة الكاهنة المدمرة[1] . ويبدو أن حساناً لم يتمكن من قتلها إلا في حوالى سنة ٨٣[2] / ٧٠٢ ؛ إذ يقول ابن عذارى إن إفريقية استقامت له حوالى هذه السنة . ولقد تمكنت الكاهنة بموتها والقضاء على مقاومة البربر وخضوعهم للعرب[3] .

وبهذا الفتح العظيم اتسعت الإمبراطورية العربية اتساعاً هائلاً ؛ فلامست المحيط الأطلسي . ولم يكن حسان قائداً ماهراً ؛ خلد اسمه كفاتح لهذا الأقاليم مثل بلزاريوس وغيره فحسب ؛ وإنما أخذ على عاتقه تنظيم شؤونه بعد هذه الحروب المتوالية: فدون الدواوين، وكتب الخراج على من أقام من البربر وغيرهم على دينهم.[4] كذلك أبقى على العملة المتداولة ، مع أنها كانت تكتب باللاتينية ، وعليها رسوم الأباطرة ، وزاد أن وضع عليها نقوشاً دينية إسلامية ؛ وإن عربت بعد ذلك ، وسكت في القيروان وغيرها[5] .

* * *

---

(١) نفس المصدر الأخير ، ٦ ص ١٠٩ ؛ البيان ، ١ص ٣٨ – ٣٨ ؛ انظر .
Op. Cit, 5, p. 362.: Gibbon.

(٢) البيان ، ١ص ٣٨ ص ١٧ – ١٨ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ٣٢.

(٤) العبر ، ٥ ص ١١٠ .

(٥) أنظر Les Monnayages Latino-Arabes., p.58 sqq.: Guiliou.
مجلة المعهد المصرى فى مدريد ، العدد الثالث، ١٩٥٥ .

توفى عبد الملك فى شوال ٨٦ / أكتوبر ٧٠٥[١]، بعد خلافة حافلة بالأحداث مدة ٢١ عاماً[٢]؛ فقضى على الفتن العديدة بشدة شكيمته وشخصيته الجبارة[٣]. وقد عُرف بأنه: «أبو الملوك[٤] أو الأملاك[٥]»؛ وذلك لأنه ولىَّ الخلافة بعده أربعة من ولده أولهم الوليد؛ فكان يكنى: بأبى الوليد[٦].

ولم يكن للوليد حق سابق فى الخلافة؛ فإن مروان كان قد بايع لعبدالملك ولعبد العزيز من بعده؛ فولى عبد العزيز على مصر فى حياة أبيه، وبقى فيه فى خلافة عبد الملك. ولكن عبد الملك أراد أن ينحى عبد العزيز عن ولاية عهده، إذ لم يكن أخاه من أمه[٧]؛ والمبايعة لابنه الوليد؛ وبذلك يكون قد فعل مافعله مروان من قبل مع خالد بن يزيد. وروى المؤرخون أن الحجاج هو الذى زينّ لعبد الملك بيعة الوليد، وأرسل له وفداً[٨]. ولكن عبد العزيز قاوم، ورفض أن يجعل الوليد، حتى فى ولاية عهده من بعده[٩]. وقد همَّ[١٠] عبد الملك بخلعه لولا أنه تريث إلى أن توفى فى حياته سنة ٨٥ / ٧٠٤[١١]؛ فبايع لابنيه الوليد وسليمان بعده،

---

(١) ابن سعد، ٥ ص ٧٥ س ١.

(٢) الأخبار الطوال، ص ٣١٣.

(٣) هذا وصف الخليفة المنصور العباسى له. ابن خلدون، المقدمة، ص ١٦٣ س ١٩، الفخرى، ص ٦٧.

(٤) مصنف مجهول، ص ٦١.

(٥) العقد، ٢ ص٣١٦. هم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام. عنهم، انظر. بعده.

(٦) نفسه؛ مصنف مجهول، ص ١٦٥. عن سيرة الوليد: العيون والحدائق، تحقيق De Goeje، Lng-Batavia، ١٨٧١، ص ١ وما بعدها؛ انظر.
Ency. de l'Isl, (art al-Walid B' 'Abd al-Malik) t 4. p. 1170—1171.

(٧) أم عبد الملك اسمها عائشة بنت معاوية، وأم عبدالعزيز اسمها ليلى بنت زبان، ابن سعد، ٥ ص ٢٤.

(٨) مصنف مجهول، ص ٢٤١؛ الكامل، ٤، ص ١٠١.

(٩) مصنف مجهول، ص ٣٢٩.

(١٠) ابن سعد، ٥ ص ١٧٣.

(١١) الكامل، ٤، ص١٩٢. عنه: أنساب، ٥ ص ١٨٣–١٨٥؛ ابن سعد، ٥ ص١٧٥؛ أنظر Ency. de l'Isl, (art 'Abd al-'Aziz B Marwân)2ed, t 1, p.60.

وكتب لها في البلدان ، وهدد خالداً وعبد الله ابني يزيد بالقتل ، إذا لم يبايعا لابنيه[1] ؛ فضمن بذلك ولاية الوليد للخلافة

*

ولقد استلم الوليد من أبيه ملكا موطد الدعائم ؛ مما جعل عصره يتميز بالاستقرار ، وبوجود نهضة معمارية لم تحدث من قبل منذ ظهور الإسلام ؛ شملت جميع أجزاء الخلافة[2] : فقد كان ذا همة في عمارة المساجد[3] ؛ كما كثرت الأبنية في البلاد ، حتى أن الناس كانوا يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء[4] .

ولا يجب أن نقبل الفكرة الأسطورية التي تتردد في كثير من المصادر العربية : من أن الوليد استعان ببنائين من اليونان (الروم) ، استقدمهم من القسطنطينية[5] ؛ لتشييد مساجده في الشام والحجاز . فنحن نعرف أن الروم كانوا في عداء مع العرب ؛ كما أن بعض المؤرخين المسلمين القدماء مثل : البلاذري[6] والدينوري[7] ، لا يذكران استقدام الروم من القسطنطينية . وعلى النقيض

---

(١) الأخبار الطوال ، ص ٣١٢

(٢) العيون والحدائق ، ص ١١ .

(٣) معجم البلدان ، ٤ص ٧٥ س ١٦ — ١٧ .

(٤) العيون والحدائق ، ٤ص ١ ؛ الكامل ، ص ١٣٧ .

(٥) أنظر . ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٨٢ س١٦ . (يقول ألزم الوليد ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء مسجد دمشق) . وأيضاً : معجم البلدان ، ٧ ص ٤٣١ س١١ . (يتكلم عن رجال من الروم لبناء مسجد النبي) .

(٦) فتوح البلدان ، ص ٦ — ٧ ، انظر : Sauvaget
La Mosquée Omeyyade de Médine. Paris, 1947, p. 111-112, 156.
يقول البلاذري الروم والقبط من أهل الشام ومصر .

(٧) الأخبار الطوال ، ص ٣١٣ .

نرى أن الذين قاموا بتشييد عمائر الوليد معظمهم من صناع البلاد التي فتحها العرب : كالقبط [١] وصناع الشام [٢] ، أو من عناصر أخرى من فارس والهند والمغرب [٣] ، أو من الروم الساكنين بالشام [٤] ؛ وذلك لأن العرب أنفسهم لم تكن لديهم مؤهلات في فن العمارة . وليس معنى هذا عدم تأثر العمائر في عهده بالطابع البيزنطي [٥] ، الذي كان سائداً في الشام قبل الإسلام ، أو بغيره من الفنون الأخرى ، وبخاصة الفن القبطي الذي ازدهر هو الآخر قبل الإسلام ؛ حتى أنه كان قد استعين من قبل بالقبط في بناء الكعبة [٦]

فقد أراد الوليد أن يجذب أنظار المسلمين إلى الشام ، وأن يجعل دمشق العاصمة تليق بمجد الإمبراطورية العربية . وكان إنشاء مسجد فيها ضرورياً لإقامة بيعة الخلفاء الأمويين ؛ فحتى وقته كان المسلمون يقيمون شعائرهم الدينية في مسجد صغير بجانب إحدى كنائس دمشق الهائلة المسماة كنيسة يوحنا [٧] (مارحنا)، التي كانت في الأصل مركزاً لعبادة الإله جوبتر في عهد تراجان الروماني «Tarjanus» ، ثم تحولت إلى كنيسة للمسيحيين [٨] . ولكن الوليد حول هذه الكاتدرائية إلى مسجد ، على الرغم من رفض النصارى قبول بيعها للمسلمين ،

---

(١) معجم البلدان ، ٧ ص ٤٣١ س ١٢ (خاصاً بمسجد النبي مثلا).

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٠٩ س ١٠ س ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٣ س ؛ انظر .
Etudes, p 349, ; Lammens

(٣) أنظر عن ذلك : Sauvaget : LaMosq,p. 158.9.(يعتمد على المقدسي).

(٤) فتوح البلدان ، ص ٧ س ١ — ٣ .

(٥) أنظر. Sauvaget : L'Architecture Musulmane en Syrie.
Marçais: Extrait des Arts Asiatiques, Paris, 1934, p. 26. L'Art, p. 20.

(٦) الأزرق ، ص ١٠٤ — ١٠٣ .

(٧) سعيد بن بطريق ، ٢ ص ٤٢ س ١٠ ؛ معجم البلدان ، ٤ ص ٧٥ س ١٨ .

(٨) أنظر Sauvaget: Les Monuments Historiques de Damas, p. 33;
Marçais : L'Art, p. 24.

إعتماداً على كتاب بينهم وبين خالد بن الوليد عند فتح الشام (١) . ونحن نشك في هذه الرواية ؛ فقد كان للنصارى كنائس متعددة بالغوطة (٢) ؛ ونستطيع أن نستنتج منها رغبة الوليد في مشاورة النصارى واستئذانهم

وقد كانت المساجد حتى ذلك الوقت تبنى على نسق مسجد النبي البسيط ؛ ولكن الوليد جعل من مسجده في دمشق مرحلة في تطور بنائها (٣) ؛ بحيث أعتبر أعظم أثر أموى في الشام . وقد جمع لبنائه صناعاً مهرة من الشام ومصر (٤) ، بلغ عددهم أكثر من عشرة آلاف ، استمروا يعملون فيه تسع سنوات (٥) ، ابتداءاً من سنة ٨٧/٧٠٦ (٦) : فبنى في حجم كبير يشمل أروقة طويلة ، وقباباً ومآذن وأبواباً ؛ ولتزويقه استخدم له أنواع الأصبغة وفصوص الفسيفساء الملونة من صفراء وخضراء وذهبية (٧) ، وهي الأكثر ؛ فكان المسجد بسببها يكاد يقطر ذهباً ويشتعل لهباً (٨) . ولم تدخله إطلاقاً صورة الحيوان أو الإنسان ، وإنما صنوف الأشجار والثمار والأغصان والكتابة . كذلك ركب على حوائطه وأرضيته الرخام الملون في أحسن نظام وتأليف ؛ مما حمله العرب

---

(١) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٥ ؛ فتوح البلدان ص ١٢٥ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٢٥ (آخر الصفحة) انظر . Lammens : Etudes, pp 289–302

(٣) عنه : معجم البلدان ، ٤ ص ٧٥ وما بعدها ؛ انظر . Marçais : Ency, des l'Isl, (art Damas) t 1, p. 929 ; L'Art, p. 24—25.

(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم (B.G.A.) ، ص ١٣ ؛ انظر . Lammens; Etudes, p. 349.

(٥) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٦ س ٢٠ .

(٦) نفسه ، ٤ ص ٧٥ س١٧ ؛ انظر . Wiet, Sauvaget, Combe ; Répertoire d'Eprigraphie Arabe, 1, p. 16–17.

(٧) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٧ س ١١ .

(٨) نفسه ، ٤ ص ٧٥ س ١١ .

أثناء غزواتهم في أرض الروم (١) ؛ وجعل سقفه من الرصاص ؛ ورصّعه بالجواهر ، يتدلى منه سلاسل وقناديل . فكان على حد قول ياقوت : إحدى العجائب (٢) .

وقد عُرف هذا المسجد بالمسجد الجامع (٣) ؛ وإن غلب عليه اسم جامع دمشق (٤) ، أو الأموي نسبة إلى هذه الدولة . ويروى أن الوليد لما انتهى من بنائه ، قال لأهل دمشق : « يا أهل دمشق إنكم تفخرون بأربع ؟ بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس » (٥) . كذلك يروى أن الوليد لما قام ببنائه تغامز أهل دمشق وقالوا : أنفق خراج المملكة سبع سنين ؛ إلا أنه طمأنهم بأن في بيت المال عطاء ثماني عشرة سنة ؛ فسكت الناس (٦) .

واهتم الوليد أيضاً بالعمارة الدينية في بيت المقدس ، تلك البقعة التي ذكرها النبي في أحاديثه مؤكداً قداستها وأنها تالية لمكة (٧) . ولقد رأينا أن النبي جعلها أول قبلة للمسلمين قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة (٨) ؛ وزاد من قداستها ما توارد عن إسرائه إليها (٩) . واختلفت الروايات في نسبة تشييد عمارهـا إلى

(١) العيون والحدائق ، م ٦ ص ١ .
(٢) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٥ س ١٠ .
(٣) صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٦٨ .
(٤) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٧ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٣٧ ؛ انظر . بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، وترجمة عربية ، ١ ص ١٦٨ وما بعدها .
(٥) انظر العيون والحدائق ، تحقيق Juynboll وAnspach ، ص ٤ — ٥ وملاحظة ٩ .
(٦) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٦ .
(٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٨٢ (آخر الصفحة) ؛ معجم البلدان ، ٨ ص ١١٠ وما بعدها ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art al-Kuds) t 2, p. 1158 sqq
(٨) المعارف ، ص ٧٥ س ١٥ — ١٦ ؛ انظر . ماجد ، التاريخ السياسي ، ١ ص ١١١ .
(٩) القرآن ١٧ : ١ .

عبد الملك أو إلى الوليد ، كما خلطت بين مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى المتجاورين(١) . ولكن النقوش وأوراق البردى يؤيدها أقوال بعض المؤرخين ؛ ترجع بناء قبة الصخرة إلى عبد الملك(٢) ، والمسجد الأقصى إلى الوليد(٣) ولعل سبب الاضطراب راجع إلى أنه لما جاء المأمون بيت المقدس ؛ عمل على إزالة اسم عبد الملك من النقوش الكوفية في مسجد قبة الصخرة ؛ ولكنه نسي أن يزيل التاريخ ، وهو عام ٧٢/٦٩١(٤) .

فقد بنى عبد الملك مسجده على الصخرة المقدسة التي مسّها أقدام النبي ليلة الإسراء ؛ وإن قالت الروايات : إن بناءه كان على أساس المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب عليها على طريقة البداوة عند مجيئه بيت المقدس ؛ ولذلك عُرف خطأ باسم مسجد عمر(٥) . ونحن لا نستطيع أن نقبل الرواية القائلة : إن عبد الملك قصد من بناء مسجد قبة الصخرة ؛ جعل الناس تحج إليه ، وأنه منعهم من الحج إلى مكة من أجل ابن الزبير(٦) . فليس لدينا أي إشارة من

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٨٢-٢٨٣ ؛ سعيد بن بطريق ، ٢ ص ٤٢ س ٢-٣ .

(٢) Van Berchem : Matérianx pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (Inst. F. d'Arch Or) Le Caire, 1927, t 44, 2eme partie, p 224 sqq.

(٣) أنظر . Bell : Der Islam, t 11, 1911 no 1366; 1403; 1433 ; 1435; 1441 Sauvaget : La Mosquée, p. 100, 106, 116. ; الكامل ، ٤ ص ١٣٧ .

(٤) أنظر . Van Berchem : Corpus t44, 2éme, p, 230 sqq.

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٨٢ ؛ انظر Marçais : L'Art, p. 22. : Ency. de l'Isl, (art Kubbat al-Sakhra) t2, p. 1125 sqq.

(٦) سعيد بن بطريق ، ٢ ص ٣٩ س ١٧ — ١٩ .

ذلك في سيرة عبد الملك ، ولا سيما أنه كان لبني أمية أيام ابن الزبير لواء يحجون في ظله[1] . وعلى النقيض يذكر المقدسي أن سبب بناء عبد الملك لمسجده ، هو ألا يترك المسلمين يبهرون ببناء كنيسة القيامة[2] . ولقد كان مسجد قبة الصخرة فريداً في بنائه لم يقلده المسلمون في مساجدهم[3] ؛ فهو أشبه ببناء مثمن الأضلاع فوقه قبة عالية مزخرفة بالفسيفساء بدقة متناهية[4] .

أما المسجد الأقصى ، الذى أخذ اسمه من آية القرآن الخاصة بالإسراء[5] ؛ فينسب بناؤه إلى الوليد في ساحة مسجد قبة الصخرة ، وهو عبارة عن بناء ضخم مشتمل على أروقة ومزوق بالفسيفساء ؛ ولفخامته صار يُعرف ببلاط الوليد[6] . وقد غيّر الصليبيون كثيراً في بنائه حينما احتلوا بيت المقدس ؛ بحيث لم يعد يُعرف أصله .

وكذلك اهتم الخليفة الوليد بإعادة بناء مسجد النبي بالمدينة . فنحن نعرف أن بناءه في عهد النبي كان بسيطاً[7] ؛ فلم يكن غير فناء ضيق يحيط

---

(١) ابن سعد ، ص ٧٥ س ١٦ وما بعده .

(٢) أنظر . للمقدسى ، أحسن التقاسيم (B.G.A.) ، ص ١٥٩ ؛ انظر .
Ency. t2, p. 1152.

(٣) تراث الإسلام ، ترجمة زكى حسن ، ص١٢٢ وملاحظات .

(٤) أنظر .Marguerite: Van Berchem. The Mosaics of the Dome of the Rock at Jerusalem and of the Great Mosque at Damascus, translated by Creswell. Reprinted from Early muslim Architecture

(٥) عن تسميته بالأقصى في القرآن (١٧ : ١) انظر .
Ency. de l'Isl, (art al-Masdjid al-Aksa) t3, p. 442.

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٨٢ س ١٠ لانعرف إن كانت أيضاً تسمية لمسجد قبة الصخرة ؛ عن هذا المسجد أيضا Marçais : L'Art, p. 22.

(٧) معجم البلدان ، ٧ ص ٤٣٠ ؛ فتوح البلدان ، ص ٦ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١١٠ .

به جدار من اللبن ، وليس فيه إلا مكان واحد مسقوف ، ويغطيه الجريد المثبت على جذوع النخيل ، أما بقية أجزائه فكانت مكشوفة . وقد بقى هـذا المسجد خالياً من كل مظاهر الترف إلا من حجرات أو بيوت بناها النبي حوله. فلما جاء أبو بكر لم يزد فيه ، أما عمر فقد وسعّ فى المسجد بأن أطال جداره وأدخل فيه بعض الدور ، ولم يستطع أن يضم حجرات أمهات المسلمين[1] ؛ حتى ضاق المسجد بالمصلين ولما جاء عثمان هدم المسجد وبناه ، وجعل عمده حجارة وسقفه بالساج[2] ، وكان أول من اتخذ فيه المقصورة[3] ، واستعمل العمل فيه زهاء عام .

فلما ولىّ الوليد الخلافة ، كلف عامله عمر بن عبد العزيز بهدم مسجد المدينة وبنائه من جديد ، وذلك فى العام ذاته الذى بدأ فيه بناء مسجد دمشق فى سنة ٨٧/٧٠٦[4] . فهدم عمر بن عبد العزيز المسجد من أوله إلى آخره ، وأعاد بناءه بعد أن زاد فيه حجر أزواج النبي التي اشتراها من ورثتهن[5] ، وجعله يحيط بقبر النبي أو ما عرف بالروضة ، وإن احتفظ المسجد بطابعه الأصلى[6] : فبنى أساسه من الحجارة ، وجعل عمده حجارة حشوها الحديد والرصاص بدل جذوع النخيل ، وشق فيه الأروقة والمحراب ، وبنيت المقصوره ، وفتح فيه الأبواب ، مثل باب جبريل والنساء والسلام ، وأقيمت عليه المآذن . ولتزويقه حمل إليه الرخام وفصوص الفسيفساء على البريد[7] ، حتى صفحت منه حيطانه

(١) ابن سعد ، ج ١/٤ ص ١٣ — ١٤ .

(٢) معجم البلدان ، ٧/ص ٤٣١ .

(٣) فتوح البلدان ، ص٦ .

(٤) معجم البلدان ، ٧/ص ٤٣١ . لدينا تاريخ آخر هو سنة ٨٨ . أنظر . المصدر الأخير ، ص ٧ ؛ العيون والحدائق ، ص ٤ ؛ المقريزى ، الذهب المسبوك ، ص٢٩ .

(٥) أنظر من بين المصادر أيضاً : الأخبار الطوال ، ص ٣١٣ .

(٦) أنظر . Sauvaget : La Mosquée, p. 120.

(٧) صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٦٨ ؛ انظر Creswell : Early Muslim Architecture I. Umayyads. Oxford, 1932, p 97—98.

ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، نشره صالح محمد جمال ، مكة ١٣٦٦ ، ص ٨١ — ٨٤

واستمر العمل فيه ثلاث سنوات . وقد أصبح هذا المسجد في مكانته يلي المسجد الحرام في مكة[1] ؛ وعُرف بالحرم المدني[2] ، أو المدينة المنورة ، لوجود قبر الرسول بها . وقد زار الوليد المدينة سنة ٩١/٧١٠ ، فلما دخلها ذهب إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، وأخرج الناس منه ، وصلى فيه الجمعة ، وخطب في الناس من على منبر النبي[3] .

واهتم الوليد بمسجد الكعبة الذي يطوف فيه المصلون[4] ، فلم يكن لساحة الكعبة جدار على أيام النبي وأبي بكر ، فلما كثر الحجاج اشترى عمر دوراً وهدمها وزادها في المسجد ، وأدار عليها جداراً ؛ وفعل ذلك عثمان واتخذ له الأروقة ، وكذلك فعل ابن الزبير . فلما جاء الوليد لم يكتف بتوسيع المسجد مثل سابقيه ، وإنما بنى السور بعمد الحجارة والرخام والفسيفساء ، كما أنه أرسل إلى عامله على مكة صفائح الذهب ؛ فوضعها على بابي الكعبة وميزابها وفي داخلها وخارجها ؛ فكان أول من ذهّب البيت في الإسلام[5] .

ويبدو أن الوليد كان ذا إحساس مرهف نادر للجمال ؛ فهو لم يكتف بتجميل مدن المسلمين ، وتشييد أفخم مساجدها فحسب ، ولكنه كان لا يطيق رؤية المجذومين والعميان والمقعدين يجولون بعاهاتهم في الطرقات ، ودفعه فعله الإنساني الكبير إلى بناء البيمارستانات وهي المستشفيات للمجذومين ليعالجوا فيها ، وأعطى لكل ضرير قائداً ، ولكل مُقعِد خادماً ، وأجرى عليهم

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٨٣ س ٧

(٢) الأخبار الطوال ، ٣١٢ .

(٣) العيون والحدائق ، ص ٦ — ٧ ؛ المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٣٠ — ٣٢ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٨٠ س ٨ - ١١ ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٦ — ٤٧ ؛

Ency. de l'Isl, (art al-Masdjid al-Haram) t 3. p. 442-3,

؛ قطب الدين ، ص ٧٤ وما بعدها .

(٥) الأزرقي ، ص ١٤٦ . رواية أخرى مؤداها أن ابن الزبير هو الذي جعل على بابها صفائح الذهب ، ومفاتيحها أيضاً من ذهب . فتوح البلدان ، ص ٤٧ .

الأرزاق فكان أول من فعل ذلك [1] . كذلك عمل على إنارة الطرقات فى المدن ليلاً ، فكشف ظلمتها الدامسة [2] . وأراد أن تشمل همته كل ركن فى خلافته ؛ فكتب إلى عماله بالبلدان بإعادة بناء مساجدها وتجميلها وإصلاح طرقها ؛ وعمل الآبار [3] .

وفى عهد الوليد وصلت الأمبراطورية إلى أقصى اتساعها ؛ فقد نبغ من الجنس العربى قواد أكفاء عملوا على مد رقعة الإسلام شرقاً وغرباً . وقد عدت الفتوحات فى عهده من الفتوحات العظيمة ، مثل تلك التى كانت فى أيام عمر بن الخطاب [4] .

ومنذ استقرت سيطرة العرب فى أرمينية ، عادت حملات الشواتى والصوائف ؛ بنفس القوة التى كانت فى عهد معاوية . وقد كفل الوليد حرب الروم إلى أخيه الأمير مسلمة بن عبد الملك [5] ، وابنه العباس بن الوليد [6] ؛ فأظهر كلاهما قدرة حربية فائقة فى قيادة الحملات ؛ وبخاصة مسلمة الذى كان أبوه يسميه ناب بنى أمية [7] . ولم تكن الحملات للتخويف ، ولكن هدفها كما

(١) العيون والحدائق ، س ٤ ، ١٢ .
(٢) نفسه ، ص ١١ .
(٣) نفسه ، ص ٤ . مثل جامع الطائف الذى أعيد بناؤه . أما عن إعادة بناء جامع مصر فكان فى سنة ٧٠٩/٩٠ (أنظر . ابن عبد الحكم ، ص ١٣١) ؛ أو قبل ذلك فى أيام عبد الملك . سعيد بن بطريق ، ٢ ص ٤٠ س ١٧ .
(٤) قطب الدين ، ص ٧٥ — ٧٦ .
(٥) ولد عام أخرج ابن الزبير بنى أمية من الحجاز ؛ وتوفى بالجزيرة فى سنة ٧٢٩/١٢١ . عنه ، أنظر . مصادر الهوامش ؛
Ency. de l'Isl. (art Maslma B 'Abdalmalik) t3, p. 447 - 8.
(٦) أم العباس كانت من الروم ، وهو توفى زمن آخر خلفاء الأمويين فى سنة ٧٥٠/١٣٢ . الأغانى ، ٦ ص ١٠٣ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl. (art al-'Abbâs B. al-Walid) t 1 , p. 12-13.
(٧) مصنف مجهول ، ص ٢٦٢ .

كان فى عهد عبد الملك ذلك حصون العدو ومدنه المسلحة ، وإنشاء حصون جديدة؛ مما أدى إلى امتداد النفوذ العربى فى آسية الصغرى . وقد كان العرب يحملون معهم نساءهم فى غزواتهم ؛ إرادة الجد فى القتال .

ولعل أهم الحصون التى استولى عليها العرب فى عهد الوليد حصن الطَّوَانَة (Tyâna) فى سنة ٨٨[٢] / ٧٠٧ ، الواقعة قرب المصيصة – ثغر المسلمين القوى – فبعد حصارها مدة تسعة أشهر بالمنجنيقات وقعت فى أيديهم ؛ بحيث بلغت خسائر الروم فيها حوالى خمسين ألفاً ، ما عدا الأسرى ، والغنائم الهائلة . وقد توغل المسلمون فى بلاد آسية الصغرى ، واستولوا على عدد كبير من الحصون[٣] ، أقاموا فيها الحاميات، مثل : سلوقية عند الساحل[٤] ، ومَرْعَش وعمورية[٥] بين الشام وبلاد الروم[٦] ، حيث زودوها بالأسوارها والجوامع ، وحملوا إليها كل ما تحتاج إليه حتى الجواميس[٧] ؛ فكان العرب

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٦٧ س ١٣ .

(٢) العيون والحدائق ، ص ٣ . يقول أغابيوس طونية . أنظر . العنوان ، ٨/٣ ص ٤٨٩ – ٤٩٩ [٢٣٨ – ٢٣٩] . ويذكر أنه بعد الاستيلاء عليها أحرق أهلها بالنار . أما «Michel le Syrien» ، فيقول إن عدد الأسرى حوالى أربعين ألفاً (أنظر . Chronique, t2. Fasc. 3,p. 478)، وإن الوليد ذبح الأسرى فى الكنائس (أنظر . Ibid,p.479) . كذلك النصوص لم توضح قيادة الحملة ، فلعلها لمسلمة والعباس معاً . أنظر أيضاً : الكامل ، ٤ ص ١٠٨ – ١٠٩ ؛ Cheira: La Lutte, p. 172-4. عن طوانة ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ٦٥ — ٦٧ .

(٣) أغابيوس، ٨/٣ (القسم الثانى) ص٤٩٩ [٢٣٩] ؛ Michel, t2.f3,p 459.

(٤) فتوح البلدان، ص ١٤٨ . عنها ، انظر. معجم البلدان ، ٥ ص ٣٥٧ ، ٥ ص ١١٥ .

(٥) نفسه ، ص ١٨٩ . عنها، انظر . نفسه ، ٨ ص ٢٥ — ٢٦ .

(٦) نفسه ، ص ١٦٧ ؛ الكامل، ٤ ص ١١٠ . عنها ، انظر : معجم البلدان ، ٦ ص ٢٢٧ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٦٧ .

يخرجون منها لمهاجمة حصون الروم البعيدة . ولكي يأمنوا شر الجراجمة ، الذين زاد خطرهم حتى بلغ مداه في عهد عبدالملك ، هاجموا الجُرجُومة نفسها — أم مدنهم في جبل اللـكام بالثغر الشامي — في سنة ٨٩/ ٧٠٨[١] ، وهزموهم على الرغم من تجمعهم للدفاع عنها من كل مكان ؛ ونقلوا بعضهم إلى الشام وأدخلوهم في فرق المسلمين ، دون أن يكرهوهم على ترك النصرانية . كذلك نقلوا إلى الثغور عناصر من الزط الهندية[٢] ، التي جاءت من بلادها إلى بلاد المسلمين ؛ كما فعل معاوية من قبل ولعل الوليد أراد غزو القسطنطينية ؛ إلا أن هذا لم يخرج إلى حيز التنفيذ بسبب أن جند المسلمين كانوا قد انساحوا في أطراف الدولة الأخرى إنسياحاً كبيراً[٣] .

*

ومن ناحية أخرى استمرت في الفتوح في بلاد المغرب ؛ إذ كانت بعض أقسامه قد بقيت تحت سيطرة قبائل البربر أو قوط الأندلس . ولقد قام بها في عهد الوليد موسى بن نصير ، الذي جاء بعد حسان في عمل المغرب[٤] ؛ وإن أصبح في عمله يتبع الخلافة مباشرة[٥] ؛ بعد أن كان ضمن عمل مصر منذ معاوية[٦] ؛ فـكان

---

(١) نفسه ، ص ١٦١ ؛ انظر La Lutte, p. 173—174. : Cheira

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٦٢ ؛ انظر : De Goeje
Mém. sur. les Migr. des Tsig, p. 21—22.

(٣) أنظر . بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ١ ص ١٦٤ .

(٤) أختلف في تاريخ توليته ، فقيل في سنة ٧٨ أو ٧٩ (ابن عبدالحكم ، ص ٢٠٣ ؛ أخبار مجموعة في فتح الأندلس لمؤلف مجهول ، تحقيق La fuentey alcantara ، طبعة Madrid ، ١٨٦٧ ، ص ٣) أو في سنة ٨٦ (المقرى ، نفح الطيب ، تحقيق أحمد رفاعي ، القاهرة ١٩٣٦ ، ٢ ص ١٣٢) ، أو في سنة ٨٩ (عبيد الله [نص جديد] ص ٢٢٣ ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ ؛ الـكامل ، ٤ ص ٣٢ — ٣٣ ، ١١٢) أنظر عن هذا الإختلاف : عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، الطبعة الأولى ١٩٤٣ ، ص ٢١ . ولد موسى في سنة ١٩/ ٦٤٠ ، في خلافة عمر ، وهو من التابعين (البيان ، ٢ ص ٢٣) ، وكان أبوه على حرس معاوية ، ولم يرض أن يشترك معه في حرب صفين (الـكامل ، ٤ ص ١١٢) ؛ ثم إن موسى كان وصيفاً لعبد العزيز بن مروان (أخبار مجموعة ، ص ٣) ؛ وقد تولى المغرب بعد عزل حسان ، الذي لم يلبث أن توفى . ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٣ ؛ انظر . العبادي ، صور وبحوث في التاريخ الإسلامي (عصر الدولة العباسية والمغرب والأندلس) ، ص ١٤٣ — ١٤٧ ؛
Ency. de l'Isl, (art Mûsa B. Nusaïr) t 3, p. 790.

(٥) المقرى ، نفح الطيب ، ٢ ص ١٣٢ .

(٦) الـكامل ، ٣ ص ٢٣٠ س ٩ ؛ انظر . قبله .

موسى يلقب : « بأمير القيروان[1] » . فذهب بنفسه ومعه أولاد عقبة فغزا قبائل المغرب الأقصى الساكنة فى مناطق الجبال التى تشرف على المحيط ، مثل كُتامَة وصَنهاجة وقتل ملوكهم[2] ؛ وأرسل ابنه لإخضاع قبائل السّوس الأقصى ، التى كانت تقيم فى مناطق جبلية هائلة تمتد حتى المحيط ، ومفاوز الصحراء الواسعة[3] ؛ كما فتح مولاه طارق بن زياد طَنْجَة « Tingis » ، الواقعة على المضيق الذى يفصل بين ساحلى المغرب والأندلس[4] ، حيث أُعتبرت قصبة بلاد البربر وأم قراهم[5] ، وكان أغلب أهلها نصارى[6] ، ولم تكن قد غزيت من قبل[7] . ولكى يقضى موسى على شوكة البربر ؛ كان ينقل قبائلهم من أقصى البلاد إلى أدناها[8] ؛ ويأخذ رهائنهم ؛ مما دوخ المغرب ، وأدى

---

(١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب وتلخيص أخبار المغرب ، حققه سعيد العريان والعربى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٩

(٢) عبيد الله (نص جديد) ، ص ٢٢٤ . عن تحديد المغرب ، انظر . ابن غالب البلنسى ، ص ٣٨ .

(٣) عبيد الله ، ص ٢٢٤ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ١٣١ ؛ ;Ency. de l'Isl, (art at-Sûs al-Aksa) t4, p. 596-597. وقبله .

(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ . عنها ، انظر ، معجم البلدان ، ٦ ص ٦١ — ٦٢ ؛ أبو الفدا ، تقويم ، ص ١٣٣ ؛ انظر Ency, de l'Isl, (art Tanger) t4, p. 683. أختلف فى أصل طارق ، فهو فارسى أو بربرى (ابن عبد المنعم الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، تصحيح وتعليق Lévi—Provençal ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٩) ، أو مولى من همدان . أخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ البيان ، ٢ ص ٥ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Târik B. Ziyâd) t4, p. 699—700.

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٤

(٦) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، طبعة Madrid ، تحقيق Ribera ، ١٩٢٦ ، ص ٨ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ .

(٨) العبر ، ٦ ص ١١٠ س ٥ .

بالبربر إلى الطاعة[1]. كذلك أظهر حماسه نحو إعلاء شأن الإسلام بينهم، فكان يترك معهم من يعلمهم القرآن ويشرح لهم شرائع الإسلام ؛ مما جعل الإسلام ينتشر بين البربر ، وأقبلوا على الجهاد مع المسلمين[2].

وبعد أن روّض موسى البربر على الطاعة وجه همه إلى غزو بلاد القوط ذاتها ، الذين كانوا يشاركون العرب فى احتلال المغرب ، وكان لهم عمال عديدون فى مدائن على ساحله ، على رأسها البلدة الداخلة فى البحر كالكف ، المعروفة للعرب باسم سبتة « Septa »[3] (Ceuta) ؛ وهى التى صالحت عقبة من قبل[4]. فنزاحم العرب فى عقر بلادهم التى عُرفت قديما باسم : إبارية[5] « Iberia » أو « Iberus » ، وللنصارى باسم أشبانية[6] « Hispania » أو « Spania » ـ أسبانيا ـ وإن عُرفت للعرب بالاسم الأعجمى: الأندلس[7] « Vandálicia » نسبة إلى قبائل الأندلش « Vandalos » — وهم الوندال — الذين غزوها فى أوائل القرن الخامس الميلادى ، وأيضاً جزيرة الأندلس ، لإحاطة البحر بها من

---

(١) عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢٤ .

(٢) نفسه ؛ أخبار مجموعة ، ص ٤ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٤ . عن سبتة ، انظر ، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٦ ـ ٢٧ ؛ انظر . Ency, de l'Isl. (art Ceuta) t1, p. 857 sqq ؛ وقبله .

(٤) عبيد الله (نص جديد) ، ص ٢١٩ . وإن كان النص يقول طنجة ، ولكنا نظن سبتة .

(٥) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢ . لعلها على اسم شعب قوقازى . أنظر . Brémond ; Op. Cit, p 222

(٦) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١ . يقول ابن الأثير إنه اسم أحد ملوكها . أنظر . الكامل ، ٤ ص ١١٦ .

(٧) معجم البلدان ، ١ ص ٣٤٧ ؛ الكامل ، ٤ ص ١١٩ ؛ انظر .
Ency. del'Isl,(art al—Andalus) t1,p. 354 sqq; 2éd t1,p.486 sqq.
يسمى « Procopius » هذه القبائل « Bandoloi » . أنظر .
Hist. of the Wars 2 : 2;8—9 (p. 266 —267).
;L'Espagne musul au Xe siècle, sqq 8-39 : Lévi- Prov ;
؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٤

ثلاث جهات كجزيرة العرب[1] . وهى بلاد واسعة على صورة مثلث[2] تقع فى جنوب غربى أوربا مقابل ساحل بلاد المغرب، وتنفصل عنها بمضيق : «خليج»، عُرف قديماً باسم: « Calpe »، وللعرب: «ببحر الزُقاق» أو «مجاز الأندلس[4]»؛ وتمتد شمالاً إلى جبال البرنيوه[5] « Pyrenaei » ، التى تفصلها عن بلاد أفرنجة العظمى[5] أو بلاد أفرانسه من الأرض الكبيرة الممتدة إلى رومية[8] . ولقرب الأندلس من بلاد المغرب اعتبرها بعض الجغرافيين قسماً منها[7] .

ويبدو أن أصول سكان شبه جزيرة الأندلس الأولى قريبة من أصول سكان الرومان (الرومانيين) ، الذين استولوا عليها فى سنة ١٣٣ م ؛ ومنذ ذلك الوقت بدأ صبغ هذه البلاد بالصبغة الرومانية[8]. وفى ظل الحكم الرومانى جاءت الأندلس أعداد كبيرة من اليهود ، كونت قسماً مهماً من سكانها ؛ وبخاصة فى المدن[9] . ولكن وصلتها هجرات جرمانية آرية من المتبربرين، تحت ضغط قبائل الهون[10]، التى

(١) معجم البلدان ، ٢ س ٢٥٠ .

(٢) نفسه ، ١ ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠ ؛ تقويم البلدان ، ١٦٥ وما بعدها .

(٣) المصادر السابقة ؛ ومعجم البلدان ، ٤ ص ٣٩٥ ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٤٠ ؛ صفة ، ص ٢ و ٨٣ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Gibraltar), t2, p. 180
(art Bahr al-Maghrib) t 1, p. 595.
يقول ابن خلدون إن الأندلس كانت متصلة بالمغرب إلى أن ركبها البحر . العبر ، ٦ ص ٩٨.

(٤) ابن غالب البلنسى ، ص ٣٨ . وهو يسمى أيضاً جبل الحاجز أو الفاصل . أنظر . معجم البلدان ، ١ ص ٢٥٠ ؛ Ency. t1,p. 354 :

(٥) معجم البلدان ، ١ ص ٢٥٠ س ٥ .

(٦) تقويم البلدان ، ص ١٦٦ ، ١٦٩ . قاعدتها رومية ، انظر ابن صاعد ، ص ٦٤.

(٧) معجم البلدان ، ٨ ص ١٠٣ ؛ انظر . قبله .

(٨) أخبار مجموعة ، ص ١٦٦ س ٩ ؛ انظر . بنيامين فارنجتون ، مدنية الإغريق والرومان ، ترجة أمين تكلا ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٩٣ .

(٩) أنظر . بعده .

(١٠) أنظر . بعده .

انتقلت بدورها من آسيا إلى أوربا تحت ضغط الترك ، الذين ظهرت قوتهم فجأة فى وسط آسيا فى القرن الخامس الميلادى فمن هذه الهجرات الجرمانية قبائل الاندلس[1] أو الوندال ؛ ثم القوط[2] « Gothoi » أو عجم الاندلس[3]، أو حتى الفرنجة[4] ؛ فاستولوا عليها من الرومان[5] ؛ ولعلهم هم الذين أخلوها من الوندال ، الذين انتقلوا إلى شمال إفريقية . وقد تمكن القوط من توطيد أقدامهم فى الأندلس واعتبرت مملكتهم فيها من الممالك الكبرى مثل قسطنطينية (الروم) ورومية (بابوية روما[6]) .

ولكن هذه المملكة استمرت تعانى اضطرابات داخلية ، بسبب أن عناصر سكانها لم تكن قد امتزجت بعضها مع بعض ، فالعداوة بين القوط وبين اللاتين (الرومان) لم تهدأ . ومن ناحية أخرى كان تحول القوط إلى دين النصارى[7]، سببا فى ظهور عداء صليبي ضد اليهود من سكانها ؛ فكانوا يجبرونهم على التنصر[8]،

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٩ ؛ انظر . قبله .

(٢) العبر ، ٦ ص ١٠٧ س ١٠ ؛ انظر . قبله . يقسم القوط قسمين : « Ostrogoths » « وهى كلمة جرمانية من « Austra » أى لامع ، و « Wisgoths » من « Wisi » أو « Weise » ، أى عاقل . أنظر . Brémond: (3) Op. Cit p 223; وأيضاً أومان ، الأمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦ — ٢٨ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ١١٩ س ١٩ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٢٠ س ١٨ — ١٩ ؛ انظر . قبله .

(٥) نفسه ، ٤ ص ١٢٠ ؛ انظر . Brémond: Op.Cit, p. 223 .

(٦) يقول قسطنطينة ورومية . تقويم البلدان ، ص ١٦٥ . رومية هى مركز رئاسة البلاد ، التى تقع شمالى وغربى القسطنطينية . منها ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٣٣١ — ٣٣٦ .

(٧) الكامل ، ٤ ص ١٢٠ .

(٨) أنظر . Ziegler : Church and State in Wisigothic Spain, Washington 1930, p. 121; 165-196.
Lévi—Prov : Hist de L' Espagne Musulmane. Le Caire, 1944, p. 5—6.

وكل ملك من القوط يتخذ تعذيب اليهود أساساً لسياسته . فنحن لا نندهش إذا وجدنا اليهود فى الأندلس يئنون تحت ضغط حكم القوط ، ويقبلون على المكايدة [1] .

كذلك كانت مملكة القوط تعانى الإضطرابات من وجود النزاع على مبدأ الحكم : فقد كان نظام الحكم التقليدى هو النظام الملكى الإنتخابى ، عن طريق مجلس نبلاء القوط وأشرافهم « Seniores أو Majores » [2] . وقد كان إذا تولى الملك ، فإن الأشراف تبعث بأولادها الذكور والإناث إلى بلاط ملكهم ، دلالة على الولاء [3] . وقد كان ملوك القوط يُغرون الكنيسة لكى تساعدهم على إقامة دولة وراثية ، ولكن النبلاء والأشراف كانوا يريدون الإبقاء على مبدأ الانتخاب . وقبل غزو العرب ؛ حدث نزاع على العرش : فيبدو أن الملك « Witiza » ، الذى يسميه العرب « غيطشة » ، أراد أن يورّث أولاده العرش ؛ فأغضب ذلك النبلاء وعلى رأسهم « Rodrigo » ، الذى يسميه العرب « رودريق » ، فتراضوا به ملكاً بعد موت غيطشة فى ٧١٠ م [4] ؛ مما جعل أولاد غيطشة يهربون إلى إفريقية [5] .

ومع ذلك لم تبيّن النصوص أسباب غزو العرب للأندلس ؛ بل تقدم

---

(١) أنظر . L'Islam et les Races. Paris, 1922, : Pierre André t2,p. 117.

(٢) أنظر . Legendre : Op. Cit. p. 223. : Brémond : Nouvelle Histoire d,Espagne. Paris, 1928, p. 69.

(٣) الكامل ، ٤ ص ١٢٢ .

(٤) نفسه ؛ أخبار مجموعة ، ص ٥ . لدينا أسماء مختلفة منها : الأذريق (العيون والحدائق ص ٣) ، وهو يقول إنه لقب ملوك الأندلس ، كما هو لقب الأكاسرة ، أو لذريق (عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢٤) ، أو أذرينوق . الكامل ، ٤ ص ١١٩ .

(٥) صفة ، ص ١٠ ؛ انظر . L'Espagne Musul, p. 7. : Lévi-Provençal ؛ حسين مؤنس ، فجر ، ١٢ — ١٣ .

أسطورة شاعرية ، وتجعلها السبب المباشر له[1]. فالكونت Julianus (Julian) ، ويسميه العرب « يليان » ، الذى كان يحكم سبتة وقتئذ ، كان يريد أن يثأر لشرف ابنته فلورندا « Florinda » وهى اشتهرت فى الحكايات الشعبية الأندلسية باسم : كابا « Cava »[2] ـ (لعلها القحبة) ـ وقد كانت تعمل كوصيفة فى بلاط الملك ، الذى لحبها وهى تستحم « Banios de la Cava » فاعتدى على عفافها؛ لذلك سلم يليان سبتة إلى موسى ، وحرضه على غزو الأندلس .

ولكن لايمكن أن نعد هذا سبباً مباشراً للغزو ؛ لتناقض نصوص هذه الأسطورة ، فمثلاً ابن القوطية روى أن يليان تاجر من الروم كان يدخل قصر الملك ليتاجر[3] . بل إن المفكر فولتير « Voltaire » يشك فى أن الملك انتهك عرضها[4] . ونرى أن غزو هذه البلاد قد يرجع إلى أن العرب المتوثبين للجهاد شعروا بضعف هذه البلاد؛ لاضطراب أحوالها الداخلية ، ولأنها كانت قد انتابتها المجاعات والطواعين عدة سنوات منذ سنة ٧٨/٦٩٧ ؛ مما أفقدها أكثر من نصف سكانها[5] . ولقد كان إتساع الفتح العربى الطبيعى لابد أن يتجه إلى الشمال ، إذ أن المحيط يمنع من انسياحهم فى الغرب ، وصحراء نيسر عنهم فى الجنوب ، ولعل العرب أيضاً أرادوا أن يشغلوا البربر عن حربهم بتوجيههم نحو الفتوح ، بعد أن أسلموا وحسن إسلامهم .

أضف إلى ذلك أن علاقة العرب بالقوط لم تكن حسنة ، منذ أن توسع العرب

---

(١) أنظر من مصادر عديدة : Cronica General, : Alfonso el Sabio : (Neuve Biblioteca de Autores Espanoles). Madrid, 1906.
الكامل ، ٤ ص ١٢١ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٥ـ٦ ؛ وغير ذلك .

(٢) أنظر Romancero, trad. en fran. par M.Pomès. Paris,1947. p. 30–31.

(٣) ابن القوطية ، ص ٧ـ٨ .

(٤) أنظر التعليق فى Gibbon : Decline, 5, p. 364; n (1).

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٨ س ٨ـ٩ .

فى المغرب . فقد اشترك القوط فى الحملة التى أرسلها الروم لاسترداد قرطاجنّة ؛ بحيث عد اشتراكهم فيها أشبه بحرب صليبية ضد المسلمين ؛ حيث جاؤوها ومعهم علامة الصليب (١) . ويذكر صاحب أخبار مجموعة : أن طارقاً لما حاول الإستيلاء على سبتة ، التى كان يحكمها القوط فى ساحل المغرب ، قاومته حتى اضطر إلى الرجوع عنها إلى طنجة ؛ وكانت المراكب تأتيها بالأمداد من الأندلس (٢) . ويكفى أن يكون الدين سبباً للعداء بين العرب والقوط ، كما كان هناك عداء بين العرب والروم سواء فى إفريقية أو فى آسية الصغرى (٣) .

وقد عمل موسى على إختبار الأندلس بالسرايا بتوجيه الخليفة الوليد (٤) ؛ وخصوصا أن العرب كانت قد عظمت صولتهم فى غرب البحر الأبيض ، باحتلال شواطىء المغرب الطويلة المقابلة للأندلس ، وبإنشاء دار صناعة للسفن فى تونس (٥) ؛ ولأن القوط نفسها لم تكن دولة بحرية فى قوة دولة الروم (٦) . فهاجم العرب فى البحر جزرتى : منورقة Palma minorica (Menorca) وميورقة Palma Majorca (Miorica) ، قبالة ساحل الأندلس الشرقى ، أو ما عرف بالجزر البحرية « جزائر البيار » Baliares (Balearica) (٧) ، وغنموا من ميورقة ما لا يحصى (٨) ، وإن يبدو أنهما لم يكونا ضمن أملاك القوط . وفى سنة ٩١ / ٧١٠ ، غزا طريف بن مالك ، وهو مولى

---

(١) أنظر . Gibbon : Decline, 5,p 363. ، يعتمد على كتاب ليون الإفريقى .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٤ (أسفل الصفحة) .

(٣) أنظر . Gibbon : Decline, 5, p. 363.

(٤) الكامل ، ٤ ص ١٢٢ س ١ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٥-٦ .

(٥) أنظر . قبله .

(٦) الكامل ، ٤ ص ١٢٠ — ١٢١ ؛ انظر . G Marçais : La Berbérie et l'Orient du Moyen Age. Paris, p. 171—173.

(٧) الذهبى ، دول الإسلام ، ١ ص ٤٢ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٠٤ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Baléares) t 1, p. 630—631.

(٨) الكامل ، ٤ ص ١١٢

لموسى ، مدينة فى جنوب الأندلس نفسها ، فعرفت باسمه : «جزيرة طريف[1]» (Tarifa) . وفى سنة ٩٢ / ٧١٠ — ٧١١ ، ملك موسى جزيرة سَرْدَانية[2] فى بحر المغرب ، التى تعتبر من أكبر الجزائر بعد الأندلس وصقلّية وكريت (أقريطش) .

وبعد ذلك أرسل موسى فى رجب سنة ٩٢ [3] / ٧١١ : جيشاً عدده حوالى سبعة آلاف كلهم من البربر الموالى ، الذين سماهم الأوربيون بالمور «Moros»[4] (Moriscos)؛ بقيادة طارق بن زياد . وقد أعد لهم موسى سفناً لتنقلهم ومعهم خيلهم[5] ؛ ويبدو أنه لم يكن معهم فى هذه المرة نساؤهم على عادة العرب فى الفتوح . فاستولى طارق على جبل منيف فى جزيرة ببحر الزقاق ، ذات موقع إستراتيجى ، يعتبر مفتاح البحر الأبيض؛ نسمى هذا الجبل : جبل طارق إلى اليوم[6] (Gibraltar) ، أو باسم : جبل الفتح[7] . وبعد ذلك نزل فى مرسى جيد قبالة سبتة ، واقع على مصب نهر برباط فى أرض الأندلس نفسها؛ سماه العرب بالجزيرة الخضراء[8] (Algeciras) . وتقول الرواية إن طارقاً أحرق سفنه؛ لكى يعلى هِمم المقاتلة، وقال كلمته المشهورة : «البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم[9]» . ولكنا

---

(١) أنظر : نفسه ، ٤ ص ١٢٢ ؛ انظر
Ency. de l'Isl, (art Tarif); (art Tarifa) t 4, p. 699.

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٢٢ ؛ معجم البلدان ، ٥ ص ٦٦ .

(٣) نفسه ، ٤ ص ١١٩ ؛ البيان ، ٢ ص ٦ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ وغير ذلك من المصادر

(٤) أنظر . Ency. de l'Isl, (art Maures) t 3, p. 470; (art Moriscos) t 3, p. 646-7.

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٧ .

(٦) نفح الطيب ، ٢ ص ١٢٨ . وهى قديماً : «Calpe» ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Gibraltar) t 2, p. 179-180;
Ency. of Isl, 2ed (art Djabal Târik) t 2, p. 352-3.

(٧) يقول ابن الأثير إن تسمية جبل الفتح ظهرت فى عهد دولة الموحدين . الكامل ، ٤ ص ١٢٢ .

(٨) نفسه ، ص ٨ ؛ انظر . Lévi-Provençal : Hist. de l'Esp, p. 20. عنها ، انظر : معجم البلدان ، ٣ ص ٩٩ . وعن برباط : المصدر الأخير ، ٢ ص ٣ .

(٩) نفح الطيب ، ٢ ص ١٥٠ .

نشك في رواية حرق السفن لأن موسى لم يلبث أن أرسل إليه مدداً من سفن كثيرة، قبل الاشتباك في المركة الحاسمة مع القوط؛ بحيث أصبح عدد من وصله اثناعشر ألفاً[1].

فلما سمع القوط بغزو العرب لبلادهم أسرع روذريق على رأس جيش كبير عدده نحو مائة ألف[2]، وعليه تاجه وجميع حليه[3]، للقضاء على جيش العرب الصاعد من الجزيرة الخضراء. فتقابل الجيشان في معركة حاسمة بالقرب من نهر البرباط « Rio Barbate » في وادي بَكّة[4] أو لكّة[5] « Guadalete » ، المحيط بالبحيرة المعروفة بهذا الاسم: « بحيرة لاخاندا » (Lago de la Jande)؛ ولذلك عرفت الموقعة بالبحيرة. فانهزم روذريق أمام تصميم العرب وشجاعتهم، ولخروج أولاد الملك السابق وغيره من أبناء الملوك من المعركة؛ مما كان سبباً لتعجيل الفتح[6]. ولعل سبب خيانتهم على حد قول ابن الأثير، بغضهم لروذريق؛ ولظنهم أن العرب إذا امتلأت أيديهم بالمال عادوا إلى بلادهم، وبقي الملك لهم[7]؛ فضلاً عمّا أشاعه العرب عن أنفسهم من قسوة لإخافة عدوهم؛ حتى قيل إنهم طبخوا أول من قتلوه من الأسرى في القدور[8]. ولم تعرف نهاية روذريق[9]؛ فلعله غرق في النهر[10]؛ وإن كانت هزيمته في ٢٨ رمضان سنة ٩٢[11]/١٩ يوليو ٧١١.

(١) أخبار مجموعة، ص ٧ س ١٠.

(٢) نفسه، ص ٨.

(٣) الكامل، ٤ ص ١١٩.

(٤) ابن القوطية، ص ٧.

(٥) ابن عذارى، ٢ ص ٨؛ الكامل، ٤ ص ١٢٢؛ انظر **Lévi-Provençal. Hist. de L'Esp, p. 21, n (1).**

(٦) أخبار مجموعة، ص ٧-٨؛ ابن القوطية، ص ٧.

(٧) الكامل، ٤ ص ١٢٢.

(٨) ابن القوطية، ص ٩. هذا لا يعني أبداً أن العرب قاموا بذلك بالفعل، وإنما هو بقصد التخويف وإثارة الرعب عند الأعداء.

(٩) أخبار مجموعة، ص ٩.

(١٠) الكامل، ٤ ص ١٢٢. لم يعثر له إلا على خف مفضض. البيان، بيروت، ٢ ص ١٢؛ انظر. حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٧٤. ولعل موسى هو الذي قتله. العيون والحدائق، ص٣.

(١١) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٩.

وبعد هذه الموقعة الحاسمة قوبل طارق بمقاومة أخرى جدية من القوط أثناء تعقبه فلولهم في إسْتِجَة "Astigi" (Ecija) ، وهي بلاد ذات جبال شامخة ومعاقل ؛ ولم يلق بعدها حرباً مثلها[1] . فلما تغلب عليهم فرّق جيوشه إلى عدة بلاد فتحت ما قصدت إليه[2] ، مثل: قُرْطُبَة "Cordūba" (Cordoba) ، المدينة القديمة التي تقع في وسط البلاد ؛ فاستولى المسلمون عليها في يوم بارد مطير ، وجعلوها مركزاً ثابتاً لهم ؛ وغَرْنَاطَة أو إغرناطة[4] "Granata" (Granada) الواقعة على نهر سِنْجِل[5] "Singlis" (Genil) ، ثم تقدم هو نحو طُلَيْطُلَة[6] "Toletum" (Toledo) ، العاصمة السياسية المتلئة بالمباني والآثار ، والواقعة على شاطىء نهر تاجه "Tagus" (Tago) ؛ فهرب منها معظم سكانها ماعدا اليهود ، واستشهد فيها بعض المسلمين .

وكان طارق قد ابتعد عن قواعده مما هدد المسلمون بكارثة ؛ لأنه ترك في مؤخرته بلاداً كثيرة لم يتم فتحها ، فأسرع موسى إلى إنجاده في سنة ٩٣/١١-٧١٢-٧١٢[7] ،

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٢٢ س ٢٦ — ٢٧ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٩ — ١٠ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ٢٢٤ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٢٢ (آخر الصفحة) ، ١٢٣ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٠-١٢ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ٥٣ — ٥٥ ؛ ابن غالب البلنسي ، ص ٣٩ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Cordoba) t 1, p. 899—900.

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٢ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ٢٧٩-٢٨٠ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Grenade) t2, p. 186—187

(٥) عنه ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ١٤٨ ؛ انظر المصادر السابقة .

(٦) الكامل ، ٤ ص ١٢٢ (آخر سطر) و ١٢٣ ؛ ابن عذارى ، ٢ ص ١٢ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ٥٦ — ٥٧ ؛
Ency. de l'Isl, (art Tolède) t4, p. 852 sqq ; (art Tage) t4, p. 637.

(٧) أخبار مجموعة ، ص ١٥ .

بأن سار على رأس حملة جديدة عددها حوالى ثمانية آلاف معظمها من قبائل عرب الحجاز واليمنيين ، وترك طريق طارق ، وسار في طريق مخالف [1] ؛ وبذلك احتل بعض البلاد الكثيرة التي تركها طارق وراءه ، منها : إشبيلية [2] 'Hispalis' (Sevilla) ، المدينة العظيمة القديمة ، التي تقع على نهر — مثل دجلة والنيل — لا يخاض ، هو وادي الكبير (Guadalquivir) ؛ حيث استعان على فتحها باليهود ، والتقى بطارق في طليطلة . وتذكر الرواية العربية قصة لا تكاد تقف على قدميها ؛ هي أن موسى فعل ذلك حسداً لطارق على نجاحه ، ولم يتخذ طريقه إياه ؛ ولما خرج لاستقباله ضربه بالسوط على رأسه ووبخه ؛ إذ كان أصدر الأمر إليه بألا يغرر بالمسلمين ، أو يجاوز قرطبة [3] . ولكننا نرى أن مجيء موسى كان لحفظ أعقاب طارق ؛ وخصوصاً أن طارقاً كان قد استنجد به من قبل ، وأرسل إليه بالمدد [4] ؛ كما أنهما يسيران للفتح معاً .

ترك القائدان طليطلة إلى الشمال [5] ، وفتحا مدناً كثيرة ، وبخاصة المدينة الكبيرة سَرَقُسْطَة [6] 'Caesarea Augusta' (Zaragoza) — على اسم الأمبراطور الروماني أغسطس 'Augustus' — حتى وصلا إلى أطراف بلاد الأندلس الشمالية ؛ فقد كان القضاء على دولة القوط في الجنوب ، أثره في جعل مدن

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٢٣ س ١٣ .

(٢) نفسه ؛ أخبار مجموعة ، ص ١٦ وما بعدها ؛ ابن عذارى ، ٢ ص ١٤ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ٢٠٤ ؛
Ency. de l'Isl, (art Séville) t 4, p, 243 sqq ;
(art Guadalquivir) t 2, p. 188 – 189.

(٣) الكامل ، ٤ ص ١٢٣ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٧ ؛ انظر . قبله .

(٥) نفسه ، ص ١٩ ؛ ابن القوطية ، ص ٩ .

(٦) نفح ، ٢ ص ١٥٦ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٧١ — ٧٣ ؛
Ency. de l'Isl, (art Saragosse) t 4, p. 161 sqq.

الشمال تسقط واحدة بعد أخرى . ولكن المسلمين أهملوا فتح ناحية جليقية الجبلية الصخرية ، التي تقع قرب ساحل البحر المحيط فى أقصى شمال الأندلس من جهة الغرب ؛ فبقيت بأيدى الأعداء (١) . والواقع إن هذه الناحية التى لم تفتح بقيت مدخراً للقومية الأسبانية، فخرجت منها فيما بعد الحركة المعروفة بالانتقام من المسلمين « Reconquista » ؛ لطرد المسلمين من الأندلس ، بعد بقائهم فيها حوالى ثمانية قرون .

ويبدو أنه كان فى نية موسى أن يربط بين العرب فى الأندلس والعرب المحاربين فى آسية الصغرى، بفتح بلاد رومية الواقعة شمالى وغربى القسطنطينية (٢)، التى كانت بيد الإفرنج ، وبها مقام البابا ، والوصول إلى القسطنطينية عن هذا الطريق (٣) . ولكن الوليد أرسل إلى موسى رسولاً فى سنة ٧١٣/٩٥ يدعوه إلى ترك ذلك (٤)؛ إذ كان ينتظر وصوله بفروغ صبر بعد أن تحقق على يديه هذا الفتح العظيم . فعاد موسى وطارق ، ومعهما من طرائف الذخائر والجوهر والأمتعة ما لا يحصى ، والأسرى الكثيرين ؛ منهم ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم . كذلك كان قد ورد على الوليد أبناء ملك القوط السابق ، الذين خرجوا على روذريق ، فأعطاهم الخليفة ما وعدهم به طارق (٥) .

وبهذا الفتح العظيم ، الذى لم يستمر أكثر من ثلاث سنوات ؛ امتدت رقعة أرض الإسلام إلى قارة أوربا ؛ باقتطاع شبه جزيرة الأندلس ؛ التى أصبحت مثل: الكم فى ثوب الإسلام (٦) .

*

(١) ابن عذارى ، ٢ ص ١٣ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ١٣١ .
(٢) الذهبى ، دول الإسلام ، ١ ص ٤٦ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٣٣١ وما بعدها ؛ Gibbon : Op. Cit. 5, p. 373.
(٣) نفح ، ٢ ص ١٣٥ .
(٤) الكامل ، ٤ ص ١٢٤ ؛ أخبار مجموعة ، ص ١٩ .
(٥) ابن القوطية ، ص ٤ .
(٦) الأصطخرى ، مسالك ، ص ١٢ .

وفى نفس الوقت كان الحجاج أمير العراق والمشرق كله [1] ، قد وضع خطة الفتوح فى الشرق وقام على تنفيذها ؛ مما ترتب عليه ضم أملاك جديدة فى آسيا إلى فتوحات المسلمين .

فقد مد العرب فتوحاتهم إلى ما وراء النهر الواقع شمال حدود خراسان المعروف لهم : بجيحون [2] ، ولليونان « Oxus » ، وقديماً آموداريا [3] ؛ أى إلى البلاد التى سموها : ماوراء النهر ، وللبرنان « Transoxiana » [4] . ولكنها وإن كان النهر يقع إلى جنوبها ، وبلاد خوارزم إلى غربها [5] ؛ إلا أن حدودها فى الشرق والشمال لم تكن واضحة [6] ؛ ففى الشرق قد تدخل فيها بعض بلاد الصين ؛ وفى الشمال كانت تمتد إلى النهر المشهور فى حدود بلاد الترك باسم : سيحون [7] ، ولليونان « Yaxartes » ، وقديماً سيرداريا [8] .

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٠٦ س ٧ ـ ٨ .

(٢) عنه ، انظر ، معجم البلدان ، ٣ ص ١٨٧ — ١٨٨ . لعله اسم غير عربى ، نسبة إلى مدينة يقال لها جيهان ، فنسبه الناس إليها . كذلك سمى نهر بلخ أو كان مجازاً لأنه يمر بهما ، نفسه ، ٣ ص ١٨٨ ؛ التنبيه ، ص ٦٤ .

(٣) عن هذه التسميات ، انظر .

Ency. de l'Isl, (art Amû-Daryâ) t 1, p 344 sqq; 2éd, p. 454-5. ;The Lands of the Eastern Califate. Cambridge, 1905:Le Strange; p. 433—459 ؛ رشيدالدين ، تاريخ المغول ، تحقيق Quat ، ص ١٤٠ وهامش(٢) . ولعل تسمية آموداريا نسبة إلى آمورية . عن هذه المدينة ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ٣٣٨

Persian Dictionary "Oxus", : Steingass ;

(٤) عنها : معجم البلدان ، ٧ ص ٣٧٠ ؛ صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٣١ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Ma warâ' al-Nahr) t 3, p. 477 ;

بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ١٠ . يعتمد على كتاب بوغ جيان أى تاريخ الصين العام .

(٥) عنها ، انظر ، بعده .

(٦) صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٣١ .

(٧) عنه ، انظر ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٩٢ .

(٨) عن هذه التسميات ، انظر ،

: Le Strange ; Ency. (art Sir Daryâ) t 4, p. 468 The Lands, p. 119.

وقد كان يسكن هذه البلاد خليط من الشعوب الأسيوية أغلبهم من الفرس، الذين انتشروا فى جميع أجزائها [1] ، وكانوا يحكمونها عن طريق المرازبة ، وواحدها مرزبان أى صاحب الثغر وهو المرز ، إذ كانت للفرس منطقة ثغور ؛ وقد كان نظامهم ألا يمد بعضهم بعضاً أثناء الحرب إلا بإذن من الملك [2] .

ولكونها بلاد صلة لوقوعها فى وسط آسيا ؛ فإنها كانت معبراً للشعوب الأسيوية منذ قديم الزمان ، مثل : الشعب المغولى الذى عرف للعرب بالهياطلة [3] . وللأوربيين بالهون « Hunni » ، وللصينيين بالهيونغ - نو . فهؤلاء خالطوا أهل بلاد ما وراء النهر وحكموهم أثناء تحركاتهم من الشرق إلى الغرب حوال القرن الخامس الميلادى ؛ بحيث أن هيطل أصبح أيضاً اسماً لبلاد ما وراء النهر [4] . كذلك الترك وهم عنصر مغولى آخر ، كانوا يحيطون ببلاد ما وراء النهر من الشمال على الخصوص ، وتمكنوا من حكم بعض أجزائها قبل الغزو العربى ، واخضاع دهاقينها ، الذين هم ملاك أرضها [5] ؛ كما طمع الصينيون فيها وسعوا إلى السيطرة عليها.

وكانت قد تكونت فى بلاد ما وراء النهر ممالك مستقلة غير واضحة التاريخ أو الحدود ، بعضها يشمل أقاليم واسعة ، أو مدناً مفردة ، أهمها فى أعلى النهر :

---

(١) ابن صاعد ، طبقات الأمم ، نشره وذيله شيخو ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٥ - ٦ ؛
: The Arab Conquest in Asia. London, 1923, p. 1. : Gibb
Arabia and the far east, Cairo, 1942, p. 258. : Huzayyin.

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٢٦ س ٢٠ . عن هذه الكلمة ، انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٩٨ وهامش (٨) .

(٣) أنظر مثلا: فتوح البلدان، ص ٤٠٣ . عن بقية التسميات ؛ انظر .
Histoire des Turcs, : Barthold : Op. Cit, p. 1. : Gaud - Plat d'Asie centrale. Adap, franc. Par Mme Donskis. Paris, 1945, p.18:
Ency. de l'Isl, (art Haȳâtıla) 2ed, t 3, p. 312—313.:
؛ شعيرة ، للمالك المحلية أو ما وراء النهر ، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب ، جامعة فاروق ، المجلد الرابع ١٩٤٨ ، ص ٤ ؛ ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٩٢ وهامش (٨).

(٤) عن هذا الاسم ، انظر . معجم البلدان ، ٨ ص ٤٨٨ .

(٥) الأخبار الطوال ، ص ٣١٤-٣١٥ ؛ وبعده . عن هذه الكلمة ، انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٦٩ وهامش (١١) .

مملكة طُخارستان[1]، وهي بلاد واسعة تقع على ضفتي نهر جيحون؛ طُخارستان العليا والسفلى، وتشتمل على قاعدتها بَلْخ (بالفارسية باختر)، حيث يسمى جيحون بها، فيعرف أيضاً بنهر بلخ[2]، وعلى طالقَان أكبر مدنها[3]. وقد كان يسكنها شعب عُرف بالطخارية وللصينيين بيوتشى؛ كما أنه غزاهم أيام الفرس الهياطلة[4]؛ وإن لم يقضوا على مقوماتهم، بدليل بقاء اسم طخارستان، حتى وقت الفتح العربى. كذلك كانت هذه البلاد شديدة الصلة باليونان، فعرفت لهم باسم: « Baktria »، وبلخ نفسها باسم: « Baktra »[5].

وهذه البلاد حكمتها أسرة قبل الإسلام، لعلها من أصل تركى، عُرف ملوكها بلقب: جبغوية[6]؛ وإن كان يبدو أن سيطرتها على بلخ وطالقان كانت اسمية؛ وأنها انكمشت فى جزء صغير منها. ومملكة الخُتّل أو ختلان[7]، وهى أول بلاد ما وراء النهر خلف جيحون على تخوم السند، يقال لقصبتها هلْبُك، التى تقع على

---

(١) معجم البلدان، ٦ ص ٣١ - ويقال طخارستان بالفتح أو طخيرستان. كذلك يقول الدينورى تخارستان. الأخبار الطوال، ص ٣١٥. عنها، انظر: Le Strange: Ency. de l'Isl, (art Takhâristân) t 4, p. 849-850.; Lands, p. 426 suiv؛ شميرة، ممالك ما وراء النهر، ص ٥ - ٧؛ بارتولد، جغرافيای تاريخی إيران، ترجمة سرداذور، طهران ١٣٠٨ هـ ص ٤٩؛ التنبيه، ص ٦٤.

(٢) فتوح البلدان، ص ٤٠٨. عنه، انظر: معجم البلدان، ٢ ص ٢٦٣؛ Le Strange: Ency. de l'Isl, (art Balkh) t 1, p. 635-637. : Lands, p. 420-432

(٣) عنها، انظر: معجم البلدان، ٦ ص ٧.

(٤) الطبرى (Annales) ١: ٨٧٣؛ انظر: Nöldeke: Geschichte der Perser und Araber, p. 119؛ ماجد، التاريخ السياسى، ١ ص ١٩٢ وهامش (٨).

(٥) أنظر: Arab, p. 430. :Well : Ency. t 1, p. 635.

(٦) الكامل، ٤ ص ١١٤ س ١٧.

(٧) معجم البلدان، ٣ ص ٤٠٠ - ٤٠١، ٨ ص ٤٠٤؛ انظر: Le Strange: Lands, p. 438 suiv.

نهر أخش أحد فروع جيحون ؛ ولعلها كانت تابعة للصين(١). ومملكة صغانيان(٢) : إقليم عظيم من ما وراء النهر تجرى إليه عدة أفرع من جيحون ، وأهم مدنها شومان ، التى قد تكون مستقلة عنها(٣) ؛ كما وجدت مدينة أخرى بجوارها من الشرق اسمها أخرون أو أجرون لا يذكرها الجغرافيون(٤) ؛ وكان لقب ملك صغانيان هو : صغان خذاه(٥) .

وممالك فى وسط ماوراء النهر، بخاصة مملكة الصغد ويقال السغد ، وهى بلاد عريضة تمتد من جيحون إلى سيحون، تحيط بنهر الصغد المسمى أيضاً زرفشان داخل بلاد ماوراء النهر ، عبارة عن قرى ومدن متصلة ؛ بحيث اعتبرها العرب من جنان الأرض وأكثرها عمارة ، وفضلت على غوطة دمشق(٦). ويبدو أن هذه المملكة اختصت بشخصية معينة منذ القدم ؛ فقد كانت لها حضارة متميزة يانعة ، استمرت عدة قرون فى وسط آسيا ، وهى عرفت لليونان باسم : « Sogdiana » ؛ كما أن البيرونى يذكر أن أهلها مجوس لهم شهور وتقويم مثل الذى عرف عند الفرس(٧) .

(١) أنظر. Chavannes : Documents sur les Turcs occidentaux. St-Pétersbourg, 1903, p. 168; 216 ؛ Ency. de l'Isl, (art Khuttal) t 2, p. 1041. ؛ شميرة ، ممالك ما وراء النهر ، ص ٧ — ٨ .

(٢) معجم البلدان ، ٥ص ٣٦١ — ٣٦٢ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٣٨ -٩؛ انظر . شميرة ، ممالك ، ص ٨ — ٩ . وتسمى أيضاً إجغانيان . عنها ، انظر . معجم ، ٣ ص ص ١١٢ ؛
Ency. de l'Isl, (art Caghâniyân) t1 , p. 831. ؛
Le Strange : Lands, p. 440. ؛

(٣) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٢١٠ . يقول ابن الأثير إنها من طخارستان. الكامل ، ٤ ص ١٠٥ .

(٤) الكامل ، ص ١٠٥ ، ١٨٦ وهامش . لم يذكرها الجغرافيون ؛ وهى تذكر دائماً مع شومان .

(٥) نفسه ، ٤ ص ٢٢٦ س ٢٥ .

(٦) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٤ ، ٥ ص ٣٦٢ — ٣٦٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٣٣ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Soghd) t4, p. 493—4.

(٧) البيرونى، الآثار الباقية من القرون الخالية، تحقيق Sachau ، طبعة Leipzig ، ١٨٧٨ ، ص ٤٥ — ٤٧ ، ٢٣٣ وما بعدها . يقول « Kratchkvskoy » ؛ إن العرب هم الذين قضوا على حضارتها ، ولدينا عدة مخطوطات منها . أنظر .
Canard, 4 : Avec Les Manuec, trad. p. 173

وكانت الصغد تتكون من وحدات سياسية مستقلة قبل الإسلام ، أهمها: سَمَرقند وهي قصبة الصغد ، حيث يروى المؤرخون أنه قد يكون بناها الإسكندر الأكبر ، فهي: «Marakanda» القديمة ؛ أوأن ملك اليمن غزاها[١] وإن سيطر عليها قبل الغزو العربي طَرخون، الذي ربما يكون من الترك[٢]. وبخارى (بخارا) مدينة قديمة أيضاً[٣]، من أشهر مدن الصغد ؛ بحيث قيل الصُغد صغدان ، صغد سمرقند وصغد بخارى[٤]؛ وكان ملكها قبل الغزو يتلقّب: خذاه أو بخارا خذاه ، ويسك العملة[٥]. ومدن أخرى أصغر، مثل: كَسّ [٦]، وكانت تتبع ملك سمرقند[٧]، ونَسَف أونخْشب، وهي مدينة كبرى بين بخارى وسمرقند ، وبها حصن عتيق : « قهندَز » أو « قُنْدُز[٨] » ؛ مما يدل على استقلالها ، وبيكنْد وهي من مدن بخارى[٩].

. ومملكة في أدنى النهر أو دلتاه ، تُعرف باسم : خُوارَزْم[١٠]

(١) صبح ، ٤ ص ٤٣٥ وما بعدها ؛ معجم البلدان ، ٥ ص ١٢١ وما بعدها ؛ انظر · Le Strange : Lands, p. 460; 463 suiv.؛
Ency. de l'Isl, (art Samarkand) t 4, p. 134 sqq؛

(٢) الكامل ، ٤ ص ٩٨ ص ٢ ؛ البيروني ، الآثار ، ص ١٠١ .

(٣) معجم البلدان ، ٢ ص ٨١ وما بعدها ؛ النرشخي ، تاريخ بخارى ، عربه من الفارسية بدوى الطرزى ، دار المعارف ؛ انظر · Le strange :
Ency. de l'Isl, (art Bukhâra) t 1, p. 795 sqq, : Lands, p. 460-461

(٤) الكامل ، ٥ ص ٣٦٢ .

(٥) نفسه ، ٤ ص ١١٠ ؛ البيروني ، آثار ، ص ١٠٢ س ١٥ ؛ انظر ، شميرة ، ممالك ، ص ١٠ .

(٦) معجم البلدان ، ٧ ص ٢٥٤ ؛ انظر .
Lands, p. 469 sqq. : Le Strange.
Ency. de l'Isl, (art Kesh) t 2, p. 833 –4. :

(٧) الكامل ، ٤ ص ٩٨ ص ٧ ؛ انظر ، شميرة ، ممالك ، ص ١٩ .

(٨) صبح ، ٤ ص ٤٣٥ ؛ معجم البلدان ، ٨ ص ٢٨٦–٢٨٧ . عن كلمة « قهندز » ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩١ — ١٩٢ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Nakhshab) t 3, p. 398.

(٩) منها ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

(١٠) معجم البلدان ، ٣ ص ٤٧٤ وما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Khwârizm) t 2, p. 961 sqq.

وهي ناحية عامرة استقلت منذ أن غزاها الإسكندر ، عاصمتها القديمة فيل أو فير ، ثم نقلت إلى كُرْكانج ، التي عُرِفت للعرب بالجُرْجانيَّة [1] . وهي بلاد أغلب سكانها من الفرس المجوس وبعض النصارى[2] ؛ ولهم خط متميِّز يُعرف بالخط الخوارزمى[3] ؛ وفي بعض أطرافها يسكنها قوم من الترك[4] . وقد حكمتها أسرة قديمة من نسل الأكاسرة الفرس ، استمرت وقتاً طويلا إلى زمن الغزو العربى[5] ، وكان ملوكها يتلقّبون : بالشاه[6] . ويبدو أن هذه المملكة كانت فى حرب مستمرة مع الترك المجاورين لهم[7] ؛ كما أنها كانت قد خضعت قديماً إما للفرس أو للصغد[8] .

وممالك أخرى سيحونية على ضفاف نهر سيحون ، منها : مملكة فَرغانة[9] ، وهى إقليم جبلى واسع ، تقع فى أعالى سَيحون وعلى ضفتيه ؛ وأهم مدنها : أخسيكث عاصمتها القديمة[10] ، ثم كاسان التي كان يقيم بها ملوكها[11] ؛

---

(١) عن هذه البلاد ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ٧٦ ، ١٨٧ ، ٤٧٧ ، ٦ ص ٤١٤ ، ٧ ص ٢٣٩ .

(٢) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٢٨٨ .

(٣) نفسه ، ص ٣٦ .

(٤) معجم البلدان ، ٣ ص ٤٧٧ س ٢ — ٣ .

(٥) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣٥ .

(٦) نفسه ، ص ٣٦ ، ١٠٢ .

(٧) معجم البلدان ، ٣ ص ٤٧٦ .

(٨) أنظر Ency. t2, p. 961

(٩) معجم البلدان ، ٦ ص ٣٦٤ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ ؛ انظر . Ency. de l'Isl. (art Farghâna) t2. p. 66 sqq.

(١٠) معجم البلدان ، ١ ص ١٥٠ .

(١١) الكامل ، ٤ ص ١٣١ س ٤ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ٢٠٧ لايذكر ياقوت إنها العاصمة ؛ كما أن ابن الأثير يقول إنها مدينة بفرغانة .

كما أن ُخجنـْدة أعتبرت من جلتها ومتاخمة لها[1] ، وكان الفرس يسيطرون عليها ، فينسب إلى الملك أنوشروان بناء أخسيكث ، ولـكن الترك الخرلخية سيطروا على دهاقينها ، وكان ملوكها منهم يتلقـّبون بالإخشيد[2] . ولعل فرغانة قبل الغزو العربى أصبحت من أمبراطورية دولة الصين ؛ وإن بقى الترك يحكمون فى كاشان . ومملـكة أشرُوسَنة تقع شرق فرغانة[3] ، ولا نعرف عن تاريخها شيئاً إلا أنها فى طريق فرغانة ؛ وأن الهياطلة غزتها ، وملوكها يتلقّبون : بأفشين[4] . وأخيراً مملـكة الشاش ، التى تقع وراء سيحون شمـالى أشروسنة ، يخترقها نهر ُعرف باسمها[5] ؛ وهى إقليم سهلى متاخم لبلاد الترك ، قصبتها بِنـْكَث[6] ؛ وعلى الـعكس يقول البلاذرى إن قاعدتها الطاربند[7] ، التى لا نجد لها ذكراً فى الـكتب الجغرافية . وكان يحـكم الشاش الترك أو الصينيون قبل الفتح العربى[8] ؛ وملـكها لقبه : « تدن » الذى ذكره البيرونى[9] .

وقد كان على العرب إذا أرادوا أن يتوسعوا فى هذه البلاد أن يعملوا ألف حساب لجيرانها الأقوياء ؛ الذين كانوا يتنافسون فى السيطرة عليها . فمن

---

(١) عنها ، انظر . معجم البلدان، ٣ ص ٢ ٤ — ٤٣٠ ؛ صبح، ٤ ص ٤٣٧ .

(٢) الـكامل ، ٤ ص ١٣١ ؛ البيرونى ، الآثار ، ص ١٠٢ . عن الخرلخيه ، انظر. معجم البلدان ، ٧ ص ٣٧٢ .

(٣) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ١ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٣٣ .

(٤) البيرونى ، آثار ، ص ١٠١ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Afshin) t1, p. 181-182.; 2 ed, t 1, p. 248.

(٥) نفسه ، ٥ ص ٢١٢ وما بعدها .

(٦) عنها ، انظر . نفسه ، ٢ ص٢٩٣— ٢٩٤ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ٤٢١ . يقول ياقوت الطرار بند . معجم ، ٣ ص ٤٠٨ .

(٨) أنظر. Chavannes : Documents, p. 297. ;
Ency. de l'Isl, (art Tashkent) t4, p. 722 sqq.

(٩) الآثار ، ص ١٠١ .

وراء هذه البلاد و حواليها من مشارق خراسان من مملكة الإسلام إلى غرب الصين وشمال الهند ؛ كان يوجد الترك أو الأتراك[1] ، وهى كلمة تعنى الأقوياء ، أو كما وردت فى كتابات أورخون القديمة قد تعنى شعباً[2] . ويبدو أن الترك من أصل مغولى أو من الهياطلة على الخصوص[3] ؛ ظهروا فجأة حوالى القرن السادس الميلادى ، وكونوا امبراطورية بدوية واسعة ؛ بسبب ضعف العناصر المسيطرة عليهم من الشعوب المغولية الأخرى ، أو الصينيين . وقد امتدت امبراطوريتهم من حدود الصين إلى البحر الأسود ، وعرفت بالتركستان ، أى ناحية بلاد الترك[4] ، ولعلها أسست حوالى ٥٧٦ م ، على يد شخص يسميه العرب سنجابو خاقان[5] . بل بعض العلماء الذين يعتمدون على دراسة اللغات المقارنة يرجعون أصل بعض الهجرات فى الشرق قبل الميلاد ، مثل : السوميريين والحيثيين إلى أصل تركى ؛ وإن كان يجب أخذ هذا الرأى بحذر شديد[6] . ولما أصبح الترك سادة كانوا يهاجمون شمال الصين ؛ كما كان يفعل غيرهم من القبائل المغولية[7] .

ولكن هذه الأمبراطورية سرعان ما انقسمت إلى قسمين حوالى عام ٥٨١ م ، أحدهما غربى فى وسط آسيا ، والآخر شرقى بجوار الصين فى

(١) ابن ساعد ، س ٨ ؛ صبح الأعشى ، س ٤٣٩ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Turks) t 4, p. 947 sqq.

(٢) أنظر Barthold : Op. Cit, p. 25.
كتابات أورخون — على اسم نهر — عثر عليها فى عام ١٨٨٩ ، تحمل كتابة تركية قديمة منذ سنة ٧٣١ و ٨٣٥ م ، وهى أقدم وثائق اللغة التركية . أنظر
حسين مجيب المصرى ، تاريخ الأدب التركى ، القاهرة ١٩٥١ ص ٢٣ ؛ انظر Barthold : Op, Cit, p. 6-7.

(٣) أنظر . حسين مجيب المصرى ، ص ١٩ ؛ Barthold Op. Cit, p. 18.

(٤) صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٣٩ ؛ معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٨ وما بعدها ؛ انظر . Chavannes : Docu, p. 233-234 ; Ency. t4, p. 805.

(٥) الطبرى (Annales) ، ١ : ٨٩٥ — ٨٩٦ ؛ انظر . Ency. t4. p. 947

(٦) أنظر . حسين مجيب المصرى ، ص ٢٠ — ٢١ .

(٧) أنظر . René Grousset : Histoire de la Chine, Paris, 1947, 150.

منغولية[1] ، وكان الصينيون يعملون على تقوية العداء بينهما ؛ للاحتفاظ بنفوذهم والحد من خطرهم . بل يبدو أنهم أخضعوا قسماً كبيراً منهم بخاصة الترك الشرقيين ، كما تذكر كتابات أورخون ؛ بحيث وصل نفوذهم عند الفتح العربي إلى وسط آسيا[2] . ولكن الترك الغربيين بقوا متمتعين بسيادتهم بعيداً عن نفوذ الصينيين ؛ كما أنهم على يد ملك يسميه العرب «توج» كانوا يحاربون الإيرانيين فى بلاد ماوراء النهر ؛ بحيث يقول ياقوت : إن بلاد الترك سميت باسمه : « تُورَان[3] » . ولقد أصبح النزاع بين الفرس والترك فى هذه البلاد تقليدياً ؛ فورد ذكر كثير منه فى شهنامة الفردوسى[4] . ولكن انشغال الفرس بحروبهم مع البيزنطيين ؛منعهم من الالتفات إلى ترك بلاد ما وراء النهر؛ مما سهّل إقامتهم.

وكان الترك يعيشون فى قبائل عديدة أورد مؤرخو العرب أسماءها الكثيرة ، مثل : التغُزغز والخرلخية والخزلج والكيماك والغُــزّ وخرخيز والطَخطاخ والبجناك[5] . ولكننا لا نعرف كثيراً عنها ؛ إلا أن لغتها ترجع إلى أصل واحد[6] ، وأن بعضهم كان يعيش فى الشرق قرب سور الصين ، والبعض فى الغرب فى وسط آسيا . وبسبب طبيعة بلاد الترك الصحراوية الجبلية ، كان أغلبهم من الرعاة الذين يتبعون الكلأ، وينزلون الخيام[7]، كما أن منهم من كان يضطر

(١) أنظر . Ency, t4, p. 947. ؛Ibid, p. 143

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٢٥ ؛ معجم البلدان ، ٥ ص ٤١٤ س ٥ . انظر . Barthold : Op. Cit, p. 156. ؛ René Grousset Op. Cit,p.4؛ حسين مجيب المصرى ، ص ٢١ـ٢٤ .

(٣) معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ .أختلف فى أصل هذه التسمية ، وحدود هذه البلاد . أنظر . Ency. de l'Isl, (art Tür ân) t4, p. 924 sqq . يقول القلقشندى انها مملكة الترك القديمة. صبح ، ٤ ص ٤٩٥ .

(٤) أنظر . حسين مجيب المصرى ، ص ٢٣ .

(٥) معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٨ س ١٧ـ١٨ ، ٥ ص ٤٠٩ وما بعدها ؛ انظر . سعد زغلول ، الترك والمجتمعات التركية، فى مجلة كلية الآداب بالاسكندرية، ١٩٥٦ ص٥٩ وما بعدها .

(٦) الأصطخرى ، مسالك ، ص ٩ .

(٧) معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٩ س ٩ .

ين بيع ذكور أولاده وإناثه ليعيش [1] . وكان يسيطر على جميع الترك بما فيهم ترك ماوراء النهر ، ملك يسمى : الخاقان ، أى ملك الترك [2] . ونحن لانعرف أين توجد مملكته وحدودها ؛ وخصوصاً أن الصينيين كما ذكرنا كانوا يسيطرون فى بلادما وراء النهر . وتذكر كتابات أورخون القديمة أن خاقان لقب خاص بالترك المجاورين للصينيين [3] ؛ ويقول ياقوت إن بلاد خاقان هى بلاد التُغزُغز [4] ، التى حدها الصين . وعلى كل حال ، فإن خاقان كان يعيش فى قصر عظيم فى مدينة حصينة ، حولها قرى وأقسام إدارية « رساتيق » . وقد كان له شعار عبارة عن علم تزينه تسع خصلات من شعر ذنب الخيل [5] ، كما كان لمملكته قانون ينظمها يعرف باسم : « ياسة » [6] ، وله البريد [7] .

أما ديانة الترك فكانت ساذجة ؛ هى عبادة إله السماء الذى أطلقوا عليه : « تنكرى » . وكان للأرض والماء عندهم آلهة أيضاً [8] ؛ كما كانوا يعبدون بعض الكواكب كزحل والزهرة . وقد كانت لهم بيوت عبادة ،ويتوجهون فى صلاتهم إلى مغرب الشمس [9] . ويبدو أنه بعد امتداد الترك فى وسط آسيا ، انتشرت بينهم عدة ديانات مجاورة ، مثل : المجوسية والمانية ؛ فقد وجد عندهم عبدة

---

(١) نفسه ، ٢ ص ٣٧٩ س ١٢ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ٢٦ ؛ س ١٧ . ويقال أيضا القا آن أو القاغان . أنظر . حسين مجيب المصرى ، ص ٢٨ وهامش (٣) . أوحتى ملك الترك ؛ معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٨ س ٢٠ ــ ٢١ .

(٣) أنظر . حسين مجيب ، ص٢٣ — ٢٤ ؛ Barthold, p.7.

(٤) معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

(٥) أنظر . حسين مجيب المصرى ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٧٥ .

(٧) معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٩ س ١٥ .

(٨) مروج ، ١ ص ٨٢ ؛ انظر . Barthold. p. 12 sqq ؛ حسين مجيب المصرى ، ص ٣١ .

(٩) معجم البلدان ، ٥ص ٤١١ س٨ .

النار (١) ، والبوذية التي كانت انتشرت في الهند(٢) ؛ وكانت غايتها الإندماج في الإله . كذلك وجدت بعض قبائل تركية تعظم الخيل ؛ كما كانت لبعض قبائلهم تقاليد ؛ منها عبادة من تجاوز ثمانين عاماً ، على ألا يكون به عاهة أو عيب ظاهر (٣) . وكانوا يطلقون على الجهات الأصلية أسماء الألوان : فالشمال أسود والجنوب أحمر والشرق أزرق والغرب أبيض ، وهي التي بقيت إلى يومنا لتمييز البحار (٤).

كذلك كانت الصين أو الصين الأقصى(٥)،دولة كبرى في آسيا؛عبارة عن بلاد شاسعة ظهرت فيها منذ قديم الزمان حضارة متميزة ؛ بسبب خصب تربتها ؛ فكما أن مصر هبة النيل ؛ فان الصين هبة النهر الأصفر (٦). ومن الجائز أنها سُكنت بأهلها ، في الوقت نفسه الذي سكنت فيه أمريكا عناصر الهنود الحمر . وقد عرفت الصين أسراً متعددة كانت تحكمها منذ القدم : مثل شانغ حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وإينغ في القرن الحادى عشر ق . م (٧) . ولكن في القرن السابع قبل الميلاد انقسمت الصين إلى قطائع نتيجة لضعف السلطة المركزية، ولوجود قبائل الهون المغولية (الهياطلة) (٨) ، التي يسميها الصينيون الهيونغ ـ نو ، وكانت تحوم حولها . وقد عادت وحدة الصين على يدملك اسمه تسن شي ـ وانتي ، وأسس أسرة تسين (٢١٤ـ١٠٤ق.م)، الذى اتخذ لقب هوانغ ـ تي،

(١) نفسه ، ٣ ص ٣٧٩ س ١٩ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٢٧ س ١٤ .
(٢) أنظر . Barthold, p. 34 ؛ وبعده .
(٣) معجم البلدان ، ٥ ص ٤١١ .
(٤) أنظر . حسين مجيب المصرى ، ص ٣٠ وهامش (٢) .
(٥) معجم البلدان ، ٥ ص ٤٠٨ س ١٦ . عنها ، انظر .
Ency. de l'Isl, (art Chine) t 1, p. 860 sqq.
(٦) أنظر . René Crousset : Op. Cit, p. 7.
(٧) أنظر . Ibid, p. 16–17 ؛ بدر الدين الصيني ، ص ٣ .
(٨) أنظر . René Crousset : Op. Cit, p. 28.

أى أمبراطور ، وهو لقب بقى حتى قيام الجمهورية عام ١٩١٢ م ؛ ويرجع إلى تسن الفضل فى القضاء على خطر الهون بتشييده سور الصين العظيم ، وإجبارهم على الرحيل ناحية الغرب (١) إلا أن أسرة تسين ضعفت ، وتلتها عائلة أخرى هى : الهان ، التى استمرت من ١٠٤ ق م إلى ٢٢٠ ب . م ؛ فهذه الأسرة قامت بحركة توسع عظيمة امتدت من منشورية ومنغولية إلى وسط آسيا (٢) ؛ ووصلت إلى ماوراء النهر المتاخم للفرس (٣) .

ويبدو أن هذا التوسع كان على الرغم من تحريم دين الأجداد الذى نادى به كونفوشيوس حكيم الصين الأكبر (٥٥١-٤٧٩ق م) فى كتابه : بى كنغ (٤) ؛ ذلك لأن هذا الدين كان لا يؤمن إلا بالقيم الإنسانية والأخلاقية ، التى تتمثل فى الإعتقاد بقوى الطبيعة : «أاين والياتغ » : وهما يعلان كل شىء فى الوجود ، وراطهما يتمثل فى القوة المسماة : « تاو » ؛ فهو فى جملته دين يشبه دين سقراط يدعو إلى إحترام النفس ، ولا يستجيز الاضطهاد (٥) . ولكن من ناحية أخرى تسبب هذا التوسع فى إدخال الديانة البوذية الهندية فى الصين فى القرن الأول الميلادى ، التى أسسها فى الهند ساكيمونى (٥٦٣ — ٤٨٣ ق م) ، وهذه الديانة شجعها ملوك أسرة الهان الذين كانوا يريدون التوسع (٦) .

وقد كان فساد هذه الأسرة والتطاحن بسبب هذا الدين الأجنبى ، مما أعاد قبائل الهون المنغولية إلى الهجوم فى شمال الصين ، بحيث تمكنت فى سنة ٣٨٦ م

---

(١) أنظر Ibid, p.52 -55. ؛ بدر الدين ، ص ٥ .
(٢) أنظر . Ibid, p. 62.sqq ؛ بدر الدين ، ص ٥ - ٦ .
(٣) أنظر . René Grousset : Op Cit, p. 91.
(٤) أنظر . Saurat : Hist des Rel, p. 362 sqq.
(٥) أنظر . René Grousset Op. Cit, p. 34-36 .
(٦) أنظر . بدر الدين الصينى ، ص ٦ - ٧ .

من تكوين دولة [1] ؛ بينما انتقلت الأسرة الوطنية إلى الجنوب . ولكن ظهور الخطر التركي فجأة حول حدود الصين ، كان سبباً فى عودة الصين إلى وحدتها على يد أسرة تانغ (٦١٨ م - ٩٠٧ م) [2] . والواقع إن أسرة تانغ قامت بالتوسع كما فعلت أسرة الهان ، فهاجمت الترك وتغلبت عليهم ، وجعلت سائر بلادهم تخضع لهم ، كما سيطرت على بلاد التُبَّت ، وهى مملكة بين الترك والصين ، يذكر العرب أن الحميريين كانوا قد غزوها [3] ؛ ووصل فتح تانغ إلى منطقة ما وراء النهر التى عدت من مملكة الصين [4] . ولكن قبل الإسلام انفصل التبت وخرج معظم ترك وسط آسيا عن سيطرة الصين [5] ، وإن بقيت بعض قبائل الترك الشرقيين حتى منطقة ما وراء النهر تسمع لملك الصين [6] ، وأعتبرت كاشغر الواقعة فى وسط بلاد الترك ؛ أدنى مدائن الصين [7] .

ونحن نعرف أن العرب منذ استقرارهم فى خراسان كانوا قد قرعوا أبواب بلاد ما وراء النهر ، وطمعوا فيها لكثرة خيراتها ، التى يصفونها فى كتبهم الجغرافية [8] . ومع ذلك لا نظن أنه كانت هناك خطة لغزوها فى عهد الخلفاء

---

(١) أنظر. Chavannes : Documents, p. 155, note (5). : Gaud-Plat : Op. Cit, p. 2. : René Grousset : Op. Cit, p. 116 sqq.

(٢) انظر. بدر الدين ،ص ٧ ؛ René Grousset: Op. Cit, p. 148.

(٣) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٢ س ٣٥٨ وما بعدها .

(٤) الأصطخرى ، مسالك ،ص ٤ .

(٥) أنظر. René Grousset : Op. Cit. p. 139 sqq.

(٦) معجم البلدان ،٥ س٤٠٩ .

(٧) الكامل ، ٤ ص ١٣٥ (آخر الصفحة). عنها : معجم البلدان ، ٧س ٢٠٧-٢٠٨ انظر Ency, de l'Isl (art Kashghar) t 2, p. 835 sqq .

(٨) معجم البلدان ، ٧ س ٢٧٠ وما بعدها .

الأوائل ، ذلك لأن خراسان نفسها كانت ملتاثة إلى أن قُتل يزدجرد فى عهد عثمان عام ٣١/٦٥١ (١) ، ثم بعد ذلك اضطربت طاعتها بعـــد وقوع الفتنة الأولى (٢) ، وأن الترك انتهزوا الفتنة لمهاجمة خراسان (٣) .

ولما استقرت الأمور فى عهد معاويه نجد أن العرب بدأوا يستطلمونها عن طريق إرسال السرايا والبعوث ؛ كما فعلوا فى معظم فتوحاتهم . ولـكى يمهدوا لغزوها اتخذوا مَرْو قاعدة للغزو ، فى خراسان المقابلة لبلاد ما وراء النهر ، وهى التى كانت تعرف أيضاً بمرْو الشَّاهِجَان أو مَرو العظمى (٤) ؛ بحيث كانت أشبه بالثغر ؛ فأنزلوها جنودهم منذ سنة ٤٥/٦٦٥ (٥) . وكان أول من عبر النهر عبيد الله بن زياد فى سنة ٥٤/٦٧٤ (٦) ، ومن بعده سعيد بن عثمان فى سنة ٥٥/٦٧٥ (٧) ؛ وفى عهد يزيد بن معاوية عبره سلم بن زياد ومعه المهلب ابن أبى صفرة فى سنة ٦١/٦٨٠ (٨) .

ولـكن قامت الفتنة الثانية ، فتوقفت الحملات إلى أن انتهت فمادت ؛ وإن كان غزوها لا يبدو منتظماً : ففى سنة ٧٧/٦٩٦ ، عبر النهر أميـَّة بن عبد الله

---

(١) الـكامل ، ٣ ص ٥٩ ؛ انظر . قبله التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٤٦ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٣٩٩ ؛ انظر . شعيرة ، ممالك ما وراء النهر ، ص ٢ – ٣ .

(٣) الطبرى (طبعة مصر) ، ٤ ص ٤٢٤ .

(٤) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٨ ص ٣٣ وما بعدها ، ٣ ص ٤٠٧ وما بعدها . توجد مدن أخرى باسم مرو فى خراسان نفسها ، مثل مرو الروذ وهى على النهر ؛ إذ الروذ بالفارسية النهر .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٣٠٩ .

(٦) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٨١ ؛ الذهبى ، تاريخ الدول ، ١ ص ٢٢ . يقول ياقوت تولاها ابن زياد أو أخوه عبد الرحمن . أنظر . معجم ، ٢ ص ٨٤ .

(٧) اليعقوبى ، ٢ ص ٢٨٢ . يقول ياقوت قد يـكون سعيد أول من قطع النهر ، أنظر . معجم ، ٢ ص ٨٥ ، ٥ ص ١٢٣ .

(٨) الـكامل ، ٤ ص ٣٠٤ ؛ انظر . فيصل ، حركة الفتح الاسلامى ، ص ١٦٤ .

ابن خالد عامل خراسان ، وكاد أن يهلك لأنه لم يكن رجل جهاد ، بل كان رجلاً فيه زهو شديد ، فكان يقول : « ما تكفيني خراسان لمطبخي[1] » . ولما أصبحت خراسان ضمن عمل الحجاج غزاها عماله من قبله ؛ فغزاها عدة مرات المهلب بن أبي صفرة ، الذي وليها بعد عزل أمية في سنة ٧٨/٦٩٧ . وقد كان المهلب على نقيض أمية ، يحارب هو وأبناؤه للجهاد لا للغارة[2] ، حتى أنه فقئت عينه أثناء حربه في هذه البلاد[3] ؛ كما أنه كان يجني من حملاته فيها غنيمة هائلة ؛ ضرب الشعراء بها المثل[4] . وعلى عكس المهلب لما تولى ابنه يزيد عمل خراسان بعده كانت غاراته محدودة ، لوقوع فتنة ابن الأشعث ، وربما كان عزل الحجاج له بسبب رفضه غزو خوارزم[5] ؛ وإن عزله أيضاً خوفاً ، فاستدرجه من عمله وحبسه ، وإن هرب يزيد بن المهلب بعد ذلك إلى الشام .

وعلى العكس وجدنا في ذالك الوقت بعض العصاة العرب ، ممن هربوا إلى هذه البلاد مع شخص اسمه موسى بن عبد الله بن خازم ، خوفاً من أعدائهم من قبيلة بني تميم بخراسان ؛ حيث كان أبوه عبد الله قتل كثيراً منهم أثناء إمارته فيها لقتلهم أحد أبنائه في سنة ٦٦/٦٨٥[6] ، فالتجأ موسى إلى بلاد ما وراء النهر واستولى على ترمذ من أهم مدائن صغانيان على نهر جيحون[7] ؛

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٧٠ — ٧١ .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٣٠ — ٧٤ ؛ فتوح البلدان ، ص٤١٧ .لدينا تاريخ آخر لغزوته في سنة ٧٨/٦٩٧ . أنظر . الذهبي ، دول الاسلام ، ص ٣٧ — ٣٨ .

(٣) وفيات ، ٢ ص ٢١٥ .

(٤) قال الشاعر :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب .

نفس المصدر السابق ، ٢ ص ٢١٦ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ٩٢ س ٧ — ٨ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ٣٧٦ — ٣٧٧ .

(٧) نفسه ، ٤ ص ٩٧ ومابعدها . عن ترمذ ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٣٨٢ ومابعدها.

كما أنه انضم إليه بعض ممن كانوا مع ابن الأشعث بعد قتله [١] ؛ فكان يقوم بغارات مستمرة فى هذه البلاد . ولم يكن عمال خراسان يتعرضون لموسى ، واعتبروه حارساً لعملهم ؛ ولكن لما عزل الحجاج يزيد وتولى أخوه المفضل؛ فإنه أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى ؛ فقتله فى سنة ٧٠٤/٨٥ [٢] .

ولكن سياسة فتح بلاد ما وراء النهر لم تنظّم إلا فى عهد الوليد بن عبد الملك . فقد أرسل الحجاج، بدل المفضل بن المهلب قتيبة بن مسلم [٣]،وهو عربى من قبيلة باهلة ؛ كان أبوه كبير القدر عند يزيد ، حتى وصفه أحد الشعراء للمبالغة بأنه جدير بالخلافة إذا ما خرجت عن قريش [٤] . أما قتيبة نفسه فوصف بأنه شهم مقدام ؛ وكان أول ما فعله حين وصوله إلى عمله بخراسان ، أن عرض الجند وخطبهم حاثاً على الجهاد [٥] .

فنجد قتيبة يغزو فى بلاد ما وراء النهر كل عام تقريباً إلى وقت وفاة الوليد ؛ وإن اختلف فى سنة توليته خراسان ،فقيل فى سنة ٧٠٥/٨٦ أو ٧٠٨/٩٠–٧٠٩ [٦] . كذلك يقول ياقوت إنه بدأ أولى غزواته فى ٧٠٦/٨٧ ، ثم عزاها عدة غزوات

---

(١) الطبرى (Annales) ٢ : ١١٤٨ — ١١٥٠ ؛ انظر .
al-Hadj, p 219. : Périer.

(٢) الكامل ، ٤ ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) وفيات ، ١ ص ٦٠٩ — ٦١٢ ؛ المعارف ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Kutaiba B. Muslim) t 2, p. 1232.
ولد فى سنة ٦٦٩/٤٩ — ٦٧٠ .

(٤) قال الشاعر عنه :

إذ ما قريش خلا ملكها ... فإن الخلافة فى باهلة

أنظر . المعارف ، ص ٢٠٧ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ١٠٥ .

(٦) وفيات ، ١ ص ٦١٠ . أو حتى فى سنة ٧٠٤/٨٥ . الكامل ، ٤ ص ١٠٥ .

فى سنين سبع (١) . وفى الواقع إن تواريخ غزوات قتيبة واتجاهاتها غير دقيقة فى الكتب التى بأيدينا ؛ وإن يبدو أنه اتخذ مرو كثغر للغزو ؛ فكان إذا غزاها عاد إليها فى الشتاء .

وكان أول غزواته فى مملكة صغانيان العظيمة ؛ التى أسرع ملكها بتقديم الهدايا ، ومفاتيح بلاده الذهبية ؛ فتم فتحها فى سنة ٨٦/٧٠٥ (٢) . كذلك صالح ملكى شومان وآخرون — بالإقليم ذاته -- وترك فيهما عماله ؛ ولكن ملك شومان ثار عليه فيما بعد وطرد عامله فى سنة ٩١/٧١٠ ، فوضع قتيبة المجانيق أمام حصن شومان ، فقاتله ملكها إلى أن قتل (٣) . ويبدو أن فتح ممالك هذا الإقليم سهله النزاع بين صغانيان من ناحية وشومان وآخرون من ناحية أخرى (٤) .

وبعد ذلك وجه قتيبه غزواته على الخصوص نحو الصغد ، وكان يكثر بها الفرس ، ويحكمها عدة ملوك ؛ وقد أستمر يغزوها عدة سنوات متوالية . وكان أول ما فتح منها بيكند فى سنة ٨٧/٧٠٦ (٥) ، وذلك بعد قتال شديد ، حوصر فيه قتيبة ، وقطعت خطوطه ، وضيق عليه الخناق مدة شهرين ، حتى أن الحجاج خاف على المسلمين ، وأمر الناس بالدعاء لهم فى المساجد . كذلك قاومته بخارى ، التى كان العرب قد هاجموها من قبل عدة مرات (٦) ، وبخاصة على يد ابن زياد الذى حارب ملكتها الخاتون بعد وفاة زوجها ؛ ولما لم يستطع قتيبة فتحها ، طلب منه الحجاج أن يصورها له ؛ فبعث بصورتها ؛ فكتب إليه ائتها من مكان كذا وكذا ؛ ففتحها فى سنة ٨٩/٧٠٨ أو ٩٠/٧٠٩ (٧) . وقد كان ملكها وقتئذ غلاماً حدثاً

---

(١) معجم البلدان ، ٥ ص ١٢٣ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٠٥ .

(٣) نفسه ، ٤ ص ١١٨ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٠٥ .

(٥) نفسه ، ٤ ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ٢٤٧ ؛ اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٨٢ ؛ النرشخى ، تاريخ بخارا ، تحقيق Schefer ؛ ص ٧ ؛ انظر . Ency. I, p.796 .

(٧) الكامل ، ٤ ص ١١٠ ، ١١٣ — ١١٤ .

وهو ابن الخاتون ، فقتل قتيبة من يضاده . ثم فتح كش ونسف فى عـــام ٩١/٧٠٩ ، وهما من مدن الصغد الصغيرة ، وصالح فى هذا العام سمرقند عاصمة الصغد (١) ، التى يقيم بها طرخون التركى . ولـكنه لم يلبث أن أعاد توجيه الحملات نحـو سمرقند لعله بسبب اضطراب أحوالها الداخلية بقتل طرخون لنفسه ، لـما رفض أهلها حكمه (٢) ؛ أو لأنها نقضت العهد (٣) . فـكتب أهلها إلى جميع ملوك ما وراء النهر وإلى خاقان الترك يطلبون المـدد ؛ وقالوا لهم : إن العرب إن ظفروا بنا أتوكم بمثل ما أتونا به . ولـكن قتيبة صمم على فتحها ، فنصب أمامها المجانيق ، واستطاع أن يدخل من ثلمة فى سورها ؛ حتى هرب معظم أهلها ؛ فلما دخلهـــا أحرق أصنامها ، وبنى المسجد ، وذلك فى سنة ٩٣/٧١٢ . ولعل قتيبة دخلها بالحيلة أيضاً ؛ بأن هيأ صناديق وجعل لهـا أبوابـاً تغلق من داخل وتفتح ، وجعل فى كل صندوق رجلاً معه سيفه ، ثم أرسل إلى دهقان - الذى يبدو أنه تولى بعد قتل طرخون - يعلمه برغبته فى مصالحته ، على أن يحفظ له عنده بعض الأموال والسلاح إلى أن يعود من غزوة يعيدة عنه ؛ فأجابه الدهقان إلى ذلك ، فأدخلت الصناديق إلى المدينة ؛ فلما جن الليل ، خرج الرجال حتى أتوا باب المدينة فقتلوا الحرس ، وفتحوا الباب ، ودخل قتيبة بالجيش (٤) .

وفى الوقت ذاته كان قتيبة وعماله يحاربون فى طخارستان شرقى خراسان ، وكان ملـكها جبغوية ضعيفاً ، ويخضع إما للترك أو للهياطلة المتول ؛ ممثلين فى شخص نيزك الذى يبدو أنه لقب مثل جبغوية ؛ وإذ وصف بأنه عبد جبغوية (٥) ؛

(١) الـكامل ، ٤ ص ١١٨ .
(٢) نفسه ؛ انظر Ency. t 4, p. 134
(٣) نفسه ، ٤ ص ١٢٦ — ١٢٧ ؛ انظر شعيرة ، ممالك ما وراء النهر ، ص ١٩ — ٢١ .
(٤) الأخبار الطوال ، ص ٣١٤ — ٣١٦ .
(٥) الـكامل ، ٤ ص ١١٤ .

وأنه يملك لنفسه ناحية باذَغيش دار الهياطلة السابقة [1] . ومنذ أن جاء العرب خُراسان ، ونيزك يعمل على المحافظة على استقلال بلاده : فأخرج المسلمين من بلخ أيام عثمان [2] ؛ كما أن يزيد بن المهلب لم يتمكن من الاستيلاء إلا على قلعة من قلاعه قرب باذغيش في سنة ٨٤/٧٠٣ [3] . ولما تولى قتيبة عمل خراسان ، تردد نيزك في مصالحته في أول الأمر [4] ، ثم صالحه على ألا يدخل أرضه ؛ ولكنه بعد ذلك قبل وجود عامل له ، وقاتل مع المسلمين أثناء غزو بخارى في سنة ٩٠/٧٠٩ [5] ويبدو أنه خاف من فتوح المسلمين الناجحة ؛ فدبر فتنة بطخارستان : فحرض ملوكها وحكامها في بلخ والطالقان وغيرها ؛ كما أنه أخذ جبغوية وقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه . فسار قتيبة إلى طخارستان وصالح حكامها ، وتتبع نيزك إلى أن تمكن من قتله بالحديعة في سنة ٩١/٧١٠ ، ثم أطلق سراح جبغوية الذي بعث به إلى الوليد [6] .

وكذلك امتدت فتوحات قتيبة إلى دلتا نهر جيحون عند خُوارَزم ؛ وهي البلاد التي رفض يزيد بن المهلب فتحها [7] . ويبدو أن قتيبة ذهب إليها بناء على دعوة ملكها « الشاه » ، وكان أخوه قد ضاده ؛ فبعث إلى قتيبة بالمفاتيح والمال ؛ فوجه قتيبة إليه عدة جيوش قتلت أخاه ، وفك أسر الملك . ولكن

---

(١) نفسه ، ٤ ص ١٠٧ ، عنه ؛ انظر معجم ، ٢ ص ٣١ .

(٢) معجم البلدان ، ٣ ص ٤١٠ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ٩٤ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٠٧ .

(٥) نفسه ، ٤ ص ١١٤ . لا يبدو أن عامله كان يعتمد على جيش . انظر شعبة ، ممالك ، ص ١٥ .

(٦) نفسه ، ٤ ص ١١٦ — ١١٧ . عن هذه المدن ، انظر قبله .

(٧) أنظر قبله .

أهل المملكة قالوا إنه ضعيف ووثبوا عليه وقتلوه ، فولى قتيبة أسجكوك أخاً ثالثاً للملك المقتول [١] ، وحفظ له لقب الشاهية وحده ، دون السلطان « الولاية [٢] » ، كما أباد قتيبة بعض الترك الغزّية الساكنين في هذه الناحية ، ومزقهم شر ممزق . وربما كان فتحه لهذه البلاد في نفس العام الذى استولى فيه على سمرقند ، وهو عام ٧١٢/٩٣ [٣] .

وامتدت فتوحاته أيضاً إلى الممالك السيحونية المتاخمة لبلاد الترك : فغزا الشاش بجيش من العراق أرسله الحجاج في سنة ٩٥/٧١٣ — ٧١٤ [٤] ؛ وغزا فرغانة في العام ذاته ومعه للقتال عدد من أهل الصغد وخُوارزم ؛ ففتح كاشان وخجنده ؛ كما أرسل جيشاً إلى كاشغر في سنة ٧١٤/٩٦ ؛ وهى التى أعتبرت من أملاك الصين [٥] فلما قرب المسلمون من الصين ؛ أرسل ملكها إليه الهدايا ، وطلب منه أن يبعث إليه بوفد من قبله يعرّفه بهم . ولعل قتيبة أراد التوّغل أكثر من ذلك ، لولا أنه سمع بموت الوليد .

وبهذا الفتح العظيم أعتبر قتيبة من كبار رجال الفتوح أمثال خالد ، ويكفى دليلا على عظم قدره أنه لم تمتد الفتوح بعده في هذه البلاد أكثر من ذلك . كذلك دل على براعة ومقدرة هائلة ؛ فمع أنه كثيراً ما وجد حلفاً من ملوك ما وراء النهر ، الذين كانوا دائماً يستعينون بالترك ؛ إلا أنه انتفع بذكائه من

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٤٣٠ — ٤٣١ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٢٥ — ١٢٦ ؛ انظر . Ency. t 2, p. 961—2

(٢) البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٣٦ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ١٢٧ (آخر الصفحة) .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٣١ — ١٣٢ .

(٥) نفسه ، ٤ ص ١٣٥ — ١٣٦ . يقال أيضاً قاشغر . صبح ، ٤ ص ٤٤٠ .

وجود العداوة الطبيعية بين هؤلاء الملوك ؛ واستطاع أن يستولى على ممالكهم الواحدة بعد الأخرى . وأكثر من ذلك أنه أظهر مرونة وسيادة تليق بقائد عربى ؛ فلم يكن يخلع ملوك البلاد ؛ ولكنه كان يبقى أغلبهم ؛ لتكون شعوبهم أداة طيعة تحت يده .

*

كذلك امتدت فتوحات المسلمين فى آسيا إلى بلاد السند [1] ، وهى تقع شرقى إيران على ساحل بحر الهند ، عبارة عن دلتا نهر السند العظيم : « Indus » ؛ تعتبر المدخل لقارة الهند .

وقد كان يسكنها عناصر آرية « Aryas » ، تشبه سكان إيران ؛ وإن كان أغلب سكانها من عناصر تسمى الهندية - نسبت إليها البلاد - تميزت بلون أسود خاص ، مما جعل العرب يعدونهم من جملة السودان [2] . وسكنها أيضاً أصناف من قبائل مجهولة الأصل ، مثل : الزط [3] والسيابجة [4] ، حيث كانت الأولى من الرعاة، الذين يتبعون الكلأ على الساحل : «الطفوف»[5] ، وامتدوا

(١) معجم البلدان ، ٥ ص ١٥١ وما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Sind), t 4., p. 452 sqq.
(٢) ابن صاعد الأندلسى ، ص ١١ ؛ انظر. India. London, 1947, : Philips.
Ency. t 4. p. 452. : p. 21, 32. ;
يقول الاصطخرى إن هذه العناصر تعرف بالميد . مسالك ، ص ١٧٦ .
(٣) انظر . فتوح البلدان ، ص ٣٧٢ وما بعدها؛ انظر . Ency. de l'Isl
; de Goeje ; (art Zott) t 4, p. 1305.
Mém. sur les Migrations des Tsiganes. Leiden, 1903, p. 21-23.
وهم سيعرفون بالغجر فيما بعد .
(٤) فتوح البلدان، ص٣٧٣ وما بعدها ؛ تاج العروس، طبعة مصر ، ٢ ص ٥٦ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Sayâbidja) t 4, p. 208—209.
(٥) فتوح البلدان ، ص ٣٧٣ (آخر الصفحة) . الطف هو الشاطىء . معجم البلدان ، ٦ ص ٥١ .

حتى الخليج العربى (الفارسى) والبحرين [1] ، وكان أسراهم يعملون كجند مرتزقة فى جيش الفرس [2] . كذلك وُجدت عناصر تركية كثيرة فى بلاد اسمها : « قِيقَـان » ، تلى خراسان من الشرق ، وتُعتبر من بلاد السند [3] .

وكانت الهند دائماً ممالك متفرقة تتراوح بين القوة والضعف [4] ؛ لعـل بعضها كان خاضعاً للفرس المجاورين لهـم [5] . فيبدو أنه كان يوجـد بالسند مملـكة قوية قبل أن يغزوها الإسكندر الأكبر فى عام ٣٢٥ ق م ، لعلها مملـكة الموريا « Maurya » ، التى بقيت بعد هذه الغزوة [6] . ولـكن قبائل الهون — (الهياطلة) — الذين تسببوا إسقاط دولة الصين وغزوا بلاد ما وراء النهر ، غزوا هذه البلاد أيضاً منذ القرن الأول قبل الميلاد ، وكونوا فيها مملـكة « راى » القوية ، التى استمرت تحـكمها مدة طويـلة ، إلى أن سيطر عليها قبل الفتح العربى صصة ، ومن بعده ابنه ذاهر أو داهر ، الذى عُرف بملك السند [7] .

وقد كان لسكان هذه البلاد ديانة قديمة مزدهرة عرفت بالبرهمية ؛ وهى ديانتهم الأولى [8] . ويقول مؤرخو العرب إنها ديانة تؤمن بإله واحد ؛ إلا أنها

---

(١) فتوح البلدان ، ص ٣٧٣ س ٢١ ؛ الأغانى ، ١٤ س ٢٦ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٣٧٥ س ٦ — ٧ .

(٣) الـكامل ، ٣ ص ٢١٨ و ٢٢١ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(٤) مروج الذهب ، ١ ص ١٦٢ ؛ اليعقوبى ، تاريخ ، ١ ص ٩٦ .

(٥) الطبرى (طبعة مصر) ، ١ ص ٥٠٩ .

(٦) اليعقوبى ، تاريخ ، ١ ص ٩٦ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, t 4, p. 452 ; Philips : Op. Cit, p. 21 ؛ الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ١ ص ٢٩ .

(٧) الـكامل ، ٤ ص ١١ ؛ انظر . Ency. t 4, p. 452

(٨) اليعقوبى ، تاريخ ، ١ ص ١٠٠ ، ١٠٥ س ١٧ . تنسب البرهمية إلى الإله المسمى براهما (انظر . Saurat : Hist. des Relig, p. 325 sqq.) . ولـكن أختلف المؤرخون العرب و شخصيته ، كما ظن بعض الناس أن أتباعه سموا براهمـة لانتسابهم إلى إبراهيم ، وإنما هو رجل منهم يقال له برهام . أنظر . الشهرستانى ، كتاب الملل والنحل ، تحقيق Cureton ، طبعة London ، ١٨٤٦ ، ٢ ص ٤٤٤) . كذلك يقول المسعودى إن براهما اسم أحد ملوكهم . أنظر . مروج ، ١ ص ١٥٧ .

تبطل النبوات، وتحرم ذبح الحيوان وتمنع من إيلامه[1]. وإن كان يبدو أنها مزجت بالوثنية؛ فبعض الهنود كان يعظم قوى الطبيعة، أو أصنام الحكماء والملائكة[2]. وكان البراهمن رجل الدين يمر بدرجات ليصل إلى هذه المرتبة: فعليه أن يتزهد وبطول شعره، ويغتسل في كل يوم ثلاث مرات، ويقيم قربان النار في طرفي النهار، ويصوم يوماً ويفطر يوماً، ويمتنع عن أكل اللحم، وهو يتزوج على ألا يطأ المرأة أكثر من مرة[3]. وقد جمعت عقيدة البراهمة وقوانينها في عدة كتب مقدسة عرفت: «باشيدا» أي المعرفة[4]؛ عبارة عن كلام الإله وأغاني وتسابيح، يتلوها البراهمة[5]. هذه الديانة انتشرت بين شعوب الآريين، فكانت دين الإيرانيين في فارس قبل الزردشتية، ووصلت إلى حدود الشام[6].

ولكن ظهرت حركة دينية إصلاحية بنيت على أساس الديانة البرهمية نفسها عرفت بالبوذية، وإن سماها العرب بالصابئة[7]، على يد أمير يسميه الشهرستاني شاكين أي السيد الشريف[8] — وهو سا كيموني — أو أيضاً بودا أو بوذا أي الحكيم[9]؛ عاش حوالي (٥٦٣ — ٤٨٣ ق.م)؛ فعرف أتباعها

(١) عن ذلك، انظر: ابن صاعد، ص ١٣؛ ابن حزم، الفصل (طبعة ١٣١٧ هـ)، ١ ص ٦٩.

(٢) الشهرستاني، ٢ ص ٤٤٤؛ اليعقوبي، تاريخ، ص ١٠٦؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، تحقيق Sachau، طبعة London ١٨٨٧، ص ٥٣.

(٣) المصدر الأخير، ص ٢٦٨ — ٢٦٩.

(٤) أنظر Saurat : Op. Cit, p. 320, 324

(٥) مقولة، ص ٦٠، ٦٣ — ٦٤.

(٦) نفسه، ص ١٠.

(٧) ابن صاعد، ص ١٣.

(٨) الشهرستاني، ٢ ص ٤٤٦؛ انظر Ency. de l'Isl, (art Budd) t 1, p. 788—789.

(٩) مروج الذهب، ١ ص ١٥٦؛ انظر: Louis da la Vallée : Bouddhisme. Paris 4éd, p. 19.
Hastings : Ency. of, Religion and Ethics, Vol 12, p. 82.

للعرب بالبددة [١]، وهم البوذيون . وقد قامت على أساس فكرة الزهد الفلسفية : (اليوجا) ؛ وذلك بالتعذيب والصيام والسيطرة على النفس والجسد ؛ حتى تستيقظ الروح وتصل إلى الراحة الأبدية أو الجنة المسماة : « النرفانا » [٢]. وهذه الديانة تؤمن بالتناسخ ، وترى أن الأرواح تتردد في الأبدان حتى تصل إلى درجة بودا الأول ، ويصفه الشهرستاني ، بقوله : إنه شخص في عالمنا لم يولد ، ولا ينكح ، ولا يطعم ولا يشرب ، ولا يهرم ، ولا يموت [٣]. وقد أصبح الإيمان بالتناسخ عندهم كالشهادة عند المسلمين ، والتثليث عند النصرانية [٤] . أما الذى ترسب روحه ، ولا تصل إلى الجنة - أى النرفانا - فهى تذهب إلى جهنمات ؛ وهى أصناف عديدة كل منها لذنب معين ، وتتردد فى النبات والحيوان [٥]. وقد أصبحت البوذية ديانة جمهور الهند [٦]؛ وانتشرت فى أماكن عديدة فى آسيا مثل الصين [٧] .

وقد كان أتباع هذه الديانة يعظمون صنم بوذا ، وهو فى كتب العرب يسمى البُد [٨] ، وإن أطلق العرب هذه الكلمة على كل مايعبد عن غير البد أيضاً [٩] ، أو حتى موضع العبادة ، الذى شبه عندهم بكنائس النصارى

(١) الشهرستانى ، ٢ ، ص ٤٤١ .

(٢) أنظر Louis de la Vallée, p. 23; 25 sqq. ;Sauret, p. 360-361

(٣) الشهرستانى ، ٢ ص ٤٤٦ . عن التعذيب ، انظر مروج ، ١ ص ١٥٦ .

(٤) مقولة ، ٢٤ .

(٥) نفسه ، ص ٢٩ . تبلغ تمانيا وثمانين ألف جهنم

(٦) ابن صاعد ، ص ١٢ .

(٧) أنظر . قبله .

(٨) التنبيه ، ص ٢٠١ س ٧ .

(٩) الكامل ، ٤ ص ١١١ .

وبيع اليهود وبيوت النيران عند المجوس[١] . كذلك كانوا يعظّمون نهر كنك — الـكنج — الذى يجرى من الشرق إلى الغرب ، ويتهادون ماءه كما يتهادى المسلمون ماء بئر زمزم[٢] ، ويحرصون على أن يغتسلوا فيه ويموتوا على ضفافه ؛ وبخاصة فى بلدة بارانس (بنارس) المقدسة[٣] ؛ حيث كانوا يحرقون جسد الميت ويذرون رماده فى هذا النهر[٤] . وكانوا يحجون إلى بلد اسمه : مُلتان (مولتان) فى أعالى الهند ، على سفح جبال الهميلايا[٥] ، عند نهر بياس العظيم أحد أفرع السند[٦] ؛ فقد كان يوجد بها تمثال البد الأول أو الأكبر[٧] ، على صورة إنسان كبير متربع ، طوله مائة ذراع ، ألبس جلداً أحمر لا يبين منه إلا عيناه ، عبارة عن جوهرتين ، وعلى رأسه تاج . وكان يحيط بالبد قبة عظمى ، وحوله بيوت سدنته البالغ عددهم ستة آلاف[٨] ؛ ولا يقيم بهذه البلدة العسكر لقداستها[٩] ، وإنما يسكنون خارجها . فكان الحجاج يأتونها من جميع أجزاء الهند والصين[١٠] ، كما يأتى المسلمون مكة ، وإذا حجوا

(١) فتوح البلدان ، ص ٤٢٩ .

(٢) مقولة ، ص ٢٧٤ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ١ ص ٩٤ — ٩٥ . عن هذا النهر : معجم البلدان ، ٧ ص ٢٨٦ ؛ انظر .

Ency. of Isl. (art Ganga) 2ed, t 2. p. 976.

(٣) مقولة ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٤) نفسه ، ص ٢٨٣ .

(٥) عنها : معجم البلدان ، ٥ ص ٤١٨ ، ٨ ص ٢٠١ — ٢٠٢ ؛

انظر . Ency. de l'Isl, (art Multân) t3. p. 771 . وهى تكتب أحياناً : ملتان.

(٦) عنه ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٣١٨ .

(٧) عن الأول ، انظر . التنبيه ، ص ٢٠١ س ٧ . أما الأكبر ، فانظر المصادر السابقة ، وغيرها .

(٨) الكامل ، ٤ ص ١١٢ س ٧ .

(٩) معجم البلدان ، ٨ ص ٢٠٢ .

(١٠) نفسه ، ٥ ص ١٨ ، ٤ س ١٨ .

إليه حلقوا رءوسهم ولحاهم ؛ وقدّموا الأموال والذهب ؛ حتى أن العرب سموا مُلتان : « بيت الذهب » ، ولكثرة ما وجدوه منه فيه [1] . ولما غزا الإسكندر الأكبر الهند ، زار هذا البلد الأكبر ، وكتب عنه إلى مربيه أرسطاطاليس [2] .

ونحن نعرف أن العرب قبل الإسلام ؛ طالما ركبوا البحر إلى بلاد السند مستبضعين [3] . ولما جاء الإسلام فإن عامل عمر بن الخطاب على البحرين وعُمان ، كان متلهفاً على الغارة فى السند ؛ فأرسل إليها حملة البحر فى سنة ١٥ / ٦٣٦ ؛ مما أغضب الخليفة لتغريره بالمسلمين [4] .

ولكن ازداد اهتمام العرب ببلاد السند منذ أن استولوا على مكران فى شرقيّها ، التى فتحت عنوة فى أيام عمر أو معاوية ؛ بحيث أنه لما ماجوها حلف الجند بطلاق نسائهم ألا يهربوا وأن يقاتلوا أعداءهم ، واتخذوها مصراً يغيرون منها على السند [5] . كذلك كان المسلمون يغزون السند أحياناً من ناحية مفازة سجستان الواقعة شمال مُكران ؛ التى كان فتحها قد تم فى أيام معاوية [6] .

ويذكر المؤرخون غارات العرب المبكرة على السند فى عهد عثمان ، وفى

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١١٢ .

(٢) التنبيه ، ص ٢٠١ .

(٣) أنظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٦٥ و ٧٤ ؛ والمصادر بالهامش .

(٤) فتوح البلدان ، ص ٤٣١-٤٢٢ ، يقول إنه وصل إلى تانه .

(٥) نفسه ، ص ٤٣٢ص ٤٣٣،٦ ، ٤٣٦ص ٦-٧ ؛ معجم البلدان، ٨ ص ١٣٠-١٣١ .

(٦) نفسه ، ص ٤٣٢ ص ٦ ؛ الكامل ٣ ص ٢١٧ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٣٧ وما بعدها . عن فتوحها ، انظر . فتوح البلدان ، ص ٣٩٢ وما بعدها .

أواخر أيام على ؛ إلا أنها لم تكن شديدة ومتصلة إلا فى أيام معاوية ؛ فقد قتل عليه من قوادها العرب [1] ؛ ويقول المؤرخ « Gibbon » : إن بلاد الهند كانت تنعش فى أيامه [2] . ويبدو أن أغلب الغارات كانت على بلاد قيقان من أرض السند [3] ، التى كان أهلها من الترك . وأيضاً ضد الخلج وهم صنف من الترك أو الهياطلة ، وقعوا فى قديم الزمان إلى أرض كابل أو زابلستان [4] ، التى بين الهند ونواحى سجستان ، حيث أن زنبيل أو رتبيل [5] — وهو لقب ملوكها كما يبدو — أبى مقاومة عمال سجستان الأمرين كما ذكرنا ، على الرغم من محاربتهم الشديدة له . وأشهر من غزا نواحى السند فى أيام معاوية المهلب بن أبى صفرة القائد المعروف ، الذى توغل فى أعالى الهند وهزم أهلها عند بنة ولوهور [6] . ولكن انشغال العرب بالفتنة بعد موت معاوية ، ثم فتنة ابن الأشعث بسجستان أيام عبد الملك ، حد من نشاط العرب فى هذه الناحية ؛ وإن كان زنبيل (أو رتبيل) قد صالح الحجاج بعد تسليمه ابن الأشعث وقبل دفع الجزية [7] .

---

(1) فتوح البلدان ، ص ٤٣٢ وما بعدها فمثلاً غزاها الحارث بن مرة العبدى فى سنة ٣٩/٦٥٩ . وقتل فيها سنة ٤٢/٦٦٢ ، وغزاها عبد الله بن سوار العبدى فى ٤٣/٦٦٣ (عن هذه الغزوة : الكامل ، ٣ ص ٢١٨) و٤٥/٦٦٥ ، ولكنه قتل فيها سنة ٤٧/٦٦٧ ، وقتل جميع الجيش . أنظر أيضاً : معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٨ .

(٢) أنظر .Decline. 5, p. 388

(٣) الكامل ، ٣ ص ٢١٨ ؛ انظر . قبله .

(٤) نفسه ، ٣ ص ٢١٧ ؛ فتوح البلدان ، ص ٣٩٦ وما بعدها . عنها : معجم البلدان ، ٧ ص ٢٠١ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Kâbul) t 2, p. 633 sqq

الخلج موضع قرب غزنة . أنظر . معجم ، ٣ ص ٤٥٤ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٤٠٠ وما بعدها ؛ انظر . Arab, p. 223 sqq. : Well.

(٦) غزاها فى سنة ٤٤/٦٦٤ (فتوح البلدان ، ص ٤٣٢) . عن بنه ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٢٩٤ . عن لوهور ، انظر . نفسه ، ٧ ص ٣٤٣ — ٣٤٤ . وهى تكتب بأشكال مختلفة ، مثل : لهاور ولاهور والأهور .

(٧) أنظر . فتوح البلدان ، ص ٤٠٠ ؛ وقبله .

وتروى الرواية العربية أن سبب غزو الحجاج لبلاد السند ، هو أن بعض قراصنتها سبوا نسوة لتجار مسلمين ، ولم يعاقبهم ملكها ذاهر ، على الرغم من مطالبة الحجاج بذلك [1] . ولكننا نظن أن حملة غزوها كانت مدبرة ، مثلما كان الحال بالنسبة للغزو فى بلاد ما وراء النهر ؛ ودليلنا هو أن الحملة أرسلت برية وبحرية ، وزودت بكل ما يحتاج إليه الجند حتى الإبر والخيوط والمال [2] ؛ كما أعدت آلات حربية كبيرة ، منها منجنيق اسمه العروس ، كان يديره ساعة الرمى خمسمائة رجل .

وقد وكل الحجاج قيادة هذه الحملة إلى أحد أقربائه ، وهو محمد بن القاسم الثقفى صهره وابن عمه [3] ، الذى لم يكن يتجاوز سبعة عشر عاماً . وقد تمثلت فى هذا القائد الشاب سجايا الأمة العربية من سؤدد وشجاعة ؛ بحيث كان بحق معجزة حربية ، مثل الإسكندر الأكبر . فسار محمد من مكران فى سنة ٨٩ / ٧٠٧ ــ ٧٠٨ [4] ، ففتح أرمائيل وهى مدينة كبيرة من أرض السند شرق مكران [5] ، ثم سار إلى الديبل ميناء السند العظيم على ساحل بحر الهند [6] ، فوافته السفن التى كان قد حمل فيها الرجال والسلاح ، فخندق أمامها ؛ ولكن لم يستطع فتحها ، إلا بعد أن جاءته توصية من الحجاج ، فقد كان يقدم له تقريراً عن سير الغزو كل ثلاثة أيام [7] ، فأمره الحجاج

(١) نفسه ، ص ٤٣٢ .

(٢) نفسه ، ص ٤٣٦ ؛ الكامل ، ٤ ص ١١١ .

(٣) أنظر المصادر المختلفة ، ومقالات : عبد الحميد العبادى ، صور من التاريخ الإسلامى (محمد ابن القاسم الثقفى) ، ص ١٤٥ ــ ١٥٤ ؛ عبد الغنى ، بطل السند ، سلسلة إقرأ رقم ١٤٢ ؛ Ency. de l'Isl, (art Muhammad B Kâsim) t 3, p. 717—718.

(٤) الكامل ، ٤ ص ١١١ ــ ١١٢ .

(٥) عنها ، انظر ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٠٢ .

(٦) عنه ، انظر ، نفسه ، ٤ ص ١١٨ .

(٧) أورد ذلك : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٣٧ س ٦ وما بعدها .

بنصب العروس ، فرمى الدقل وهو سارية لمنارة البد العظيمة بالمدينة فكسرها ، فتطير العدو وجزع ؛ فأمر محمد بالسلالم وصعد عليها الرجال ودخلوا المدينة ، واستمر القتال فيها ثلاثة أيام ؛ فهرب عاملها من قبل ذاهر ، وأنزل بها محمد جنده ، وبنى جامعاً ؛ وبذلك قضى على وكر كبير للقرصان الهنود (١) .

ثم سار عنها محمد صاعداً إلى شمال السند ، وأخذ لا يمر بمدينة إلا فتحها صلحاً أو عنوة ؛ كما انضم إليه عدد من قبائل الزط (٢) ؛ وخصوصاً أن المسلمين كانوا قد صالحوهم فى أثناء فتوحهم فى فارس (٣) ، مثلما فعلوا من قبل مع الجراجمة بالشام ، بل أن بعضهم هاجر إلى بلاد المسلمين ودخلوا الإسلام ؛ فكانوا فى جيش علىٍّ (٤) ، كما أن معاوية نقل بشراً منهم إلى الشام (٥) . فلما بلغ ذاهر زحف محمد استعد لمحاربته ، وجمع جيوشاً عديدة مزودة بالفيلة ، وهو مستخف به . فلقيه محمد والمسلمون بعد أن عبروا نهر مهران – اسم نهر السند – على جسر ، وتغلبوا عليهم وقتلوهم كيف شاءوا (٦) ؛ وذلك لأن الهند كان معظمها رجالة لا دواب لها غير الفيلة (٧) ؛ وكان العرب فى أيام فتح فارس يتغلبون على الفيلة بقطع خراطيمها (٨) ، وفى هذه المرة استخدموا النفط فى القضاء عليها ، ولما ترجل ذاهر قُتل أيضاً (٩) .

وبقتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند ، ودخل عاصمتها راوَر (١٠) . وكان بها

(١) التنبيه ، ص ٥٥ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٤٣٨ ص ٧–٨ ؛ انظر : De Goeje : Tsiganes, p. 22.

(٣) فتوح ، ص ٣٧٣ .

(٤) نفسه ، ص ٣٧٦ .

(٥) نفسه ؛ انظر . قبله .

(٦) نفسه ، ص ٤٣٨ – عنه ، انظر . معجم البلدان ، ٨ ص ٢٠٩ .

(٧) الطبرى (طبعة مصر) ١ ص ٥١٠ .

(٨) فتوح البلدان . ص ٢٥٨ ص ٤ ؛ انظر . قبله ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٠٢ .

(٩) العبر ، ٣ ص ٦٠ .

(١٠) عنها : معجم البلدان ، ٤ ص ٢١٤ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, t 4, p. 453

إمرأة لداهر خافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواريها، ثم قطع محمد نهر بياس (1) العظيم المؤدي إلى مُلتان المقدسة الغنية بذهبها، فقاتله أهلها وانهزموا، فحصرهم وقطع عنهم الماء، فعطشوا ونزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وسبى الذرية، وأصاب المسلمون ذهباً كثيراً، وسماها محمد المعمورة بدلاً من مُلتان (2)، وذلك في سنة ٩٥ / ٧١٥ (3). وكان محمد يحترم عقائد الهنود، ويقول: ما البد إلا ككنائس النصارى وبيع اليهود وبيوت نار المجوس (4). وبعدها أوغل في شمال السند إلى مدينتي بَيْلمان (5) وقُنْدُهار (6)، حتى وصل إلى أقصى حدود قشمير أو كشمير (8)، التي كانت تجاور الترك.

وقد كان فتح محمد بن القاسم لبلاد السند من أعظم الفتوح الإسلامية، فبعده لم يتجاوز أحد من الغزاة فتوحاته فيها إلى أيام الغزنويين (9). كذلك كان فتحها مربحاً للغاية من الناحية المادية، فحيثما نظروا في النفقة وجدوا أنهم استرجعوها وزيادة (9)؛ فضلاً عما وصل إلى الحجاج بن يوسف من زط السند، وأصناف جواميسهم (10).



وبعد هذه الفتوحات العظيمة توفي الوليد أقوى خلفاء الأمويين

(1) عنه، انظر. معجم البلدان، ٢ ص ٣١٨.

(2) مقولة، ص ١١.

(3) الكامل، ٤ ص ١٣٣. يقول المسعودي ان فتحها كان سنة ٨٩/٧٠٧–٨٠٨. أنظر. التنبيه، ص ٥٥.

(4) فتوح البلدان، ص ٤٣٩، انظر قبله.

(5) الكامل، ٤ ص ١٣٢. عنها، انظر. معجم البلدان، ٢ ص ٣٤١.

(6) مقولة، ص ١١. عنها، انظر. معجم البلدان، ٧ ص ١٦٧–١٦٨

(7) نفسه، ص ١١. عنها، انظر. نفسه، ٧ ص ٩٤.

تقول مصادر أخرى أن آخر ما فتحه الكيرج، وهذه لا ترد في معجم ياقوت. أنظر الكامل، ٤ ص ١٣٤.

(8) مقولة، ص ١١.

(9) الكامل، ٤ ص ١١٢.

(10) فتوح البلدان، ص ٣٧٥ س ١٠ — ١١.

فى سنة ٩٦ / ٧١٦[1] ، وهو الذى عمل على توسيع رقعة الإسلام إلى مدى لم تصله قبله أو بعده ؛ بحيث جعل الدولة العربية أشبه بهلال ضخم رأسه عند جبال البرنات ، والآخر قرب الصين[2] . كذلك أقام للمسلمين أفضل عمائرهم وأجملها ؛ وأثبت أن خلفاء الإسلام بناءون متمتعون بذوق عال[3] .



كان الوليد غير راض عن توليه أخيه سليمان الخلافة من بعده بناء على توصية عبد الملك[4] ، ويريد أن يولى عهده لابنه عبد العزيز[5] . ومن الجائز أن بعض خواصه حرضه على ذلك ، وعلى رأسهم الحجاج، الذى كان يحقد على سليمان بعد أن تحداه بإيوائه يزيد بن المهلب بعد عزله من خراسان وهروبه من حبسه فى العراق . وكان الوليد قد هيأ ابنه عبد العزيز لمنصب الخلافة ، فأشركه فى الصوائف[6] ؛ فقعل مثل خلفاء بنى أمية قبله . ولكن سليمان أبى التنحى عن ولاية العهد وشنع على الوليد[7] ؛ كما أن كثيراً من الناس لم يجيبوا الوليد إلى تولية عبد العزيز ؛ مما جعل الوليد لا يتمكن من خلع سليمان[8] ؛ فبويع لسليمان بعده بالخلافة فى جمادى الآخر سنة ٩٦ / ٧١٦ .

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٣٧

(٢) أنظر قول : Périer : al-Hadj, p. xll.

(٣) أنظر . Ency. t 4. p. 1170

(٤) مصنف مجهول ، ص ٢٤٣ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ١١٤ — ١١٦ .

(٦) العبر ، ٣ ص ٧١ س ٨ .

(٧) العقد ، ٢ ص ٣٢٨ س ٨ .

(٨) الكامل ، ٤ ص ٢٨ س ٦ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Sulaimân B. Abd al-Malik) : t 4, p. 556.

وقد ولدت محاولة إقصاء سليمان عن الخلافة في نفسه الحقد والرغبة في الانتقام من هؤلاء الذين وافقوا الوليد على تنحيته؛ وكان معظمهم من عمال الحجاج وقواد الفتوح؛ فضلاً عن أنه كما يصفه المؤرخون كان مغروراً معجباً بنفسه، يملؤه الحقد نحو كل من يرتفع اسمه؛ وكان إذا نظر في المرآة قال: «أنا والله الملك الشاب»[1]؛ ولذلك سموه بفتى العرب[2] فما تولى الخلافة، حتى أمر عامله بمكة خالد بن عبد الله القسري بشتم الحجاج ونشر عيوبه وإظهار البراءة منه[3]. كما أن قتيبة الذي كان عاملاً للحجاج على خراسان والقائد المظفر في بلاد ماوراء النهر، وكان قد وافق على خلع سليمان وتولية عبد العزيز، خاف من أن يعزله سليمان ويسيء إليه؛ فكتب إليه يعزيه ويعرفه قدره وبلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، ويطلب منه أن يؤمنه ويقره في عمله؛ وإلا خلعه خلع النعل[4]. ولكن سليمان عزله؛ مما جعل قتيبة يخلعه بفرغانة في سنة ٩٦/٧١٥ أو ٨٧هـ/٧١٦؛ فحرض سليمان عليه، فقتل هو وبعض أفراد بيته في نزاع قبائل اليمانية والمضرية[5]؛ وذلك بعد أن ولي خراسان ثلاث عشرة سنة[6]. كذلك أمر سليمان بعزل محمد بن القاسم فاتح السند مع أنه لم يقم بفتنة؛ وذلك لأنه كان من أقرباء الحجاج وعامله؛ وجعل يزيد بن أبي كبشة السكسكي يعذبه بأن وضعه في أديم بقرة، ثم خيط عليه

(١) ابن سعد، ٥ ص ٢٤٧ س ٢؛ مروج الذهب، ٥ ص ٤٠٢.

(٢) مصنف مجهول، ص ٢٤٣.

(٣) العقد، ٣ ص ١٣-١٤. وليها في سنة ٨٩. الكامل، ٤ ص ١١٠ — ١١١.

(٤) الكامل، ٤ ص ١٣٨-١٣٩؛ وفيات، ٢ ص ٤٠٢؛ أرسل مع رسوله ثلاثة كتب: أحدهما التهنئة وبيان قدره إن لم يعزله، وكتاب آخر يعلمه فيه فتوحه، ويهدد بخلعه، والثالث فيه خلعه، وطلب من رسوله أن يتصرف في دفع هذه الكتب، ويراعي أن يدفع إليه بالأول، ويحبس الكتابين الآخرين إذا وجد منه قبولاً لإبقائه.

(٥) وفيات، ١ ص ٦١٠؛ انظر Ency, t2, p.67.

(٦) المعارف، ص ٢٠٧.

الأديم وحمله إلى دمشق ، ففاضت روحه بالطريق ؛ وقيل إن قتله بسبب شكوى بنات ذاهر من أنه عبث بهن ، وإن كانت المصادر العربية لا تذكر ذلك [1] ؛ وقد كان موت محمد خسارة فادحة ، أبكت أهل الهند أنفسهم لاحترامه عقائدهم ولعدالته [2] . وقد أساء سليمان أيضاً معاملة قواد المغرب والأندلس ؛ مع أنهم لم يكونوا من عمال الحجاج أو أقاربه ؛ فلعله حقد عليهم، لأنهم أقاموا مواكب النصر فى عهد سلفه ، وكان يريدها لنفسه ؛ فلم بعد نسمع أى خبر عن طارق [3] . كما انتقم من موسى بن نصير بأن وضعه فى الحبس وأساء معاملته ، وكان يأمره بالوقوف فى الشمس حتى يغشى عليه ، وخصوصاً أنه كان رجلاً بادناً [4]؛ وتوفى وهو فى طريق سليمان للحج فى سنة ٩٧/٧١٦، أو فى سنة ١٠٣/٧٢١ [5] . وكذلك حرض سليمان على قتل عبد العزيز ابن موسى فى الأندلس، الذى كان أبوه تركه فيها بعد رجوعه إلى الشام فى سنة ٩٥/٧١٣، فقتل وهو يصلى فى المسجد فى سنة ٩٧ / ٧١٦ ، وحملت رأسه إلى أبيه فى محبسه ؛ وقد قيل فى سبب قتله انه خلع طاعة سليمان واستبد بالأمر ، أو لسخط سليمان على أبيه موسى [6] ، أو لأن عبد العزيز كان قد تزوج أرملة روذريق التى يسميها العرب أيلُة « Egilona » ، وهى التى اصبحت تعرف باسم أم عاصم ـ على اسم ابنه ـ فحملته على أن يحسن معاملة النصارى ، ويلبس

(١) العبر ، ٣ ص ٦٥ ؛ انظر . Ency. Is, p. 717-718 ؛ العبادى ، صور من التاريخ الإسلامى (العصر العربى) ، ص ١٥٢ — ١٥٤ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٤٤٠ (آخر الصفة) .

وقد قال عن نفسه :

أضاعونى واى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر .

(٣) نفح الطيب ، ٢ ص ١٢٩ .

(٤) نفسه ، ٢ ص ١٣٦ ؛ البيان ، ١ ص ٤٥ ـ ٤٦ ، ٢ ص ٢٠ وما بعدها ؛ انظر . عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٦٨ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ١٤٦ .

(٦) البيان ، ١ ص ٤٧ .

التاج ، ويأمر أصحابه ورعيته بالسجود إذا دخلوا عليه كما كان يفعل ملوك القوط ؛ مما أغضب المسلمين حتى ظنوا أنه تنصر فقتلوه ؛ وإن قيل إن سليمان لما بلغه مقتل عبد العزيز شق عليه موته[1] . كذلك عزل سليمان عبد الله ابن موسى ، الذى تركه أبوه على المغرب ، فى نفس العام الذى قتل فيه عبدالعزيز[2] ، وأمر عامله محمد بن يزيد أن يعذبه ويسجنه ، ثم يقتله[3] . وقد كان هذا التصرف الشائن نحو كبار الفاتحين سبباً فى أن حرم الدولة من أهم قوادها ؛ كما عمل على القضاء على عمود فقرى فى السياسة الداخلية ، وهو الاعتماد على رجال مخلصين يضع الخلفاء فيهم ثقتهم ؛ مما سيكون له أثره أيضاً فى فقدان الدولة سيطرتها على الولايات التى تحكمها .

*

ولما تولى سليمان الخلافة تحول عن دمشق إلى الصحراء ، فأخذت له البيعة فى الرملة[4] ؛ وذلك مثلما فعل أسلافه الأمويون الذين أحبوا العيش فى الصحراء ، أو ملوك الغساسنة من قبل ؛ الذين كانوا يتنقلون بين جلق والجابية ؛ ويبنون المدن فى الصحراء[5] . ويفسر البعض ظهور روح التبدى بين الأمويين ؛ بسبب أنهم عرب كانوا يحنون إلى الصحراء بهوائها المنعش والحياة فيها ؛ وخصوصاً أن الأموال التى تدفقت كالنهر بسبب الفتوح جعلت من دمشق مدينة حضرية تختلف عن ذوق الأمويين ؛ بحيث كانوا يختنقون فيها[6] ؛ كما أنهم كانوا يرمون أيضاً

(١) نفسه ، ٢ ص ٢٣ — ٢٥ ؛ الكامل ، ٤ ص ١١٤ ؛ ابن القوطية ، ص ١١ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٢٠ — ٢١ ؛ أنظر .
Ency. de l'Isl, (art Abd al-Aziz B. Mûsa B. Nusaîr) t I, p. 37.
وهو توفى سنة ٩٨ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ١١٤ .

(٣) البيان ، ١ ص ٤٧ .

(٤) أنظر . بعده

(٥) معجم البلدان ، ٤ ص ٢٥٥ س ٨ ومابعدها .

(٦) أنظر . Les Chateaux Arabes, (Miss, : Jaussen et Savignac Arch. en Arabie) III, Paris, 1922, p. 115.

إلى تنشئة أبنائهم فى بيئة عربية خالصة بعيدة عن المدن[1] . ورأى آخر هو أن بنى أمية كانوا يهربون إلى الصحارى من الطاعون ، الذى كان يقع بالشام من آن لآخر[2] ، أو من البق[3] ؛ أو من جوار الماء خوفاً من البعوض الكثير[4] . لذلك لاحظ ابن خلدون أن العرب لعهد بنى أمية كانوا لا يزالون يسكنون البيوت من الوبر والصوف[5] . ومن قبل أحس عمر بحنين العرب للصحراء ؛ فبنى لهم الأمصار على حافتها ؛ ولما جاء هو بنفسه إلى الشام أقام فى الجابية ، وليس فى دمشق .

وقد كان ترك الأمويين دمشق إلى الصحراء إيذاناً بأفول نجم هذه المدينة ، وظهور المواصم الصحراوية السورية؛ ولدينا من العصر الأموى بقايا ما يقرب من ثلاثين منها ؛ أغلبها للخلفاء[6] ؛ كما أن بعض النساء الأمويات بنين لهن قصوراً فى الصحراء[7] . فأقام الأمويون مكان الخيام مبانى فخمة مفتوحة من كل جانب للريح ؛ يقيمون فيها فى الربيع والشتاء وحتى فى الصيف : وهى عبارة عن بيوت عليها قباب ، تشتمل على الجامع ، وتحاط بالأسوار ، وحوائطها مزخرفة ، وأرضها مفروشة بالرخام أو البازلت ، وتوجد بها صهاريج الماء[8] ، لتغذية القصر بالمياه ، وربما للحمام أو للنافورة . فمثلاً كان معاوية يحب الإقامة

(١) أنظر : Lammens : Mo 'â ler, p. 442,

(٢) العيون والحدائق ، ص ١٠١ ؛ أنظر Denys : Op. Cit' p. 32; 39

(٣) معجم البلدان ، ٤ ص ٢٥٦ س ٦ .

(٤) الأغانى (طبعة بولاق) ، ٢ ص ١٠٩ س ٤ ؛ انظر Lammens : Etudes, p. 325.

(٥) المقدمة ، ص ٢١١ ؛ انظر .

(٦) أنظر G. Marçais : L'Art de l'Isl, p. 26 ; Sauvaget : La Mosquée, Omeyyade de Médine, p. 122 sqq.

(٧) عن قصر أم حكيم ، انظر . معجم البلدان ، ٧ ص ٩٨ — ٩٩ .

(٨) نفسه ، ٤ ص ٢٥٢ — ٢٥٦ ؛ انظر . Jaussen et Savignac : Op. Cit, p. 110.

بجانب بحيرة طبرية ؛ وكذلك ابنه يزيد[1] . وبنى الوليد قصوراً صحراوية ؛ ويُنسب إليه بناء قصير عمرة أو قصر المشتى قرب البحر الميت[2] أما سليمان فأنشأ الرَّمْلة على الطريق الممتد من القدس إلى البحر ، التي قد يكون بناها حينما ولى جند فلسطين من قبل الوليد بن عبد الملك ، واستكملها فى خلافته : فبنى فيها القصر والمسجد ، وحفر الآبار ، واحتفر القناة ، كما بنى الناس حوله[3] ؛ ويبدو أنه بناها ليفاخر بها المبانى التى أقامها الوليد . وقد استمر خلفاء بنى أمية بعده يسكنون الصحارى ؛ ويبنون بها العواصم الصحراوية[4] .

هذه العواصم الصحراوية كانت أشبه ببيوت للسرور ؛ حيث أن سليمان قد عُرف بميله إلى حياة اللهو ؛ فهو يُوصف بأنه كان نكاحاً أكولاً شرهاً[5] ؛ يعتنى بملبسه ، فيلبس ثياب الوشى ، كما كان رجال قصره يلبسون منه أيضاً ؛ وحتى طباخه كان يدخل عليه وفى صدره وشى ، وعليه جبة مثقلة بالذهب[6] . كذلك

(١) أنظر . Op. Cit, p. 109, : Jaussen et Savignac

(٢) أنظر . Van Berchem : Au Pays de Moab et d'Edom. Ext. J. des Savants, Juillet-Août.: Sept. 1909, p. 23, يبدو أنه من بناء الوليد الثانى. عن ذلك ، انظر .G. Marçais: Op. Cit, p. 110 : Jaussen et Savignac; L'Art de l'Isl, p. 27-29. Ency. de l'Isl, (art Mashatta) t3, p. 653 sqq.

(٣) فتوح البلدان ، ص ١٤٣ ؛ معجم البلدان ، ٤ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٤) فمثلا عمر بن عبد العزيز سكن خناصرة بليدة شرقى حلب (تقويم البلدان ، ص ٢٣٢) ، ويزيد بن الوليد بموقر فى البلقاء قرب دمشق (الأغانى ، ١٣ ص ١٦٠ ص ٣ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٨ ص ١٩٩) ، وهشام ببالس بين حلب والرقة على الفرات (انظر . Denys, p.33 . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٤٦ - ٤٧) ، أو الرصافة الواقعة على طرف البرية غربى الفرات (معجم البلدان ، ٤ ص ٢٥٥ ومابعدها) ؛ كما إليه ينسب بناء قصر الحير ، حيث وجد متضمناً اسم هشام (أوليج جرابر ، قصر الحير الشرقى بقرب تدمر ، تقرير أولى عن الرسم الأول للحفريات ، ترجمة خالد أسعد . دمشق) ؛ أما الوليد الثانى ، فلعله هو الذى بنى قصر مشتى وغيره . أنظر . بعده .

(٥) العيون والحدائق ، ص ٣٤ .

(٦) المسعودى ، مروج ، ٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

كان خلفاء الأمويين يجمعون فى هذه المواسم الشعراء ؛ الذين كانوا ينظرون إلى الخليفة كسيد للقبيلة ؛ بحيث حلت محل أسواق العرب ؛ مما ترتب عليه تقدم الشعر فى عهدهم ، وشُبه شعراء الأمويين بشعراء فى الجاهليـــة : فشبه جرير بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة[1] .



وعلى الرغم من نقائص سليمان وحبه للملذات ؛ فإن الفتوحات لم تقف : فنى آسية الصغرى كانت عمليات تدمير حصون العدو فى عهد عبد الملك والوليد ؛ قد جعلت العرب يطمعون فى العودة إلى غزو العاصمة البيزنطية . كذلك كان العرب قد استعادوا بعض نشاطهم فى البحر ؛ بسبب أنهم عرفوا سر تكوين النار الإغريقية ، التى سببت حرق أسطولهم ، وانسحابهم من جزر البحر الأبيض فى أواخر أيام معاوية وأوائل حكم يزيد؛ فأصبح النفط من ضمن أدوات قتالهم[2]. ونجدهم عادوا إلى مهاجمة صِقَلِّيَّة، وهى جزيرة كبيرة خصبة يملكها الروم مقابلة لإفريقية ، كان الروم قد هربوا إليها فى أثناء غزو العرب للمغرب ؛ فأغاروا عليها فى سنة ٨٢/٧٠١ أو ٨٣/٧٠٣[3] ؛ كما عادوا إلى إحتلال قبرص[4]. ومع ذلك يبدو أن نشاط العرب فى البحر كان على نطاق ضيق، بدليل أن البيزنطيين

---

(١) الأغانى ، ٧ ص ٣٨ ؛ انظر : Lammens : Etudes, p. 220 ; Nallino : La littérature Arabe des origines à l'époque de la dynstie Umaiyyade, trad. Paris, p. 110.

(٢) العيون والحدائق ، ص ٢٤ (آخر الصفحة) ؛ انظر . قبله، ص ٤٨ .

(٣) الذهبى ، دول الإسلام ، ص ٣٩ ، انظر . قبله، ص ٤٧ .

(٤) فتوح البلدان ، ص ١٥٤ ؛ Michel le Syrien t2, fasc 3, p. 470. ؛ انظر . قبله ، ص ٤٨ .

استطاعوا غزو الساحل المصرى فى سنة ٩٠/٧٠٩[١]، وأسروا خالد ابن كيسان صاحب البحر، فأهداه ملكها إلى الوليد[٢]؛ كما هاجموا قبرس[٣].

والذى هيأ للعرب السير فى مشروع غزو العاصمة البيزنطية، هو حدوث اضطراب خطير فى دولة الروم المعاصر لحكم الوليد؛ نتيجة لتعاقب الأباطرة والثورات الكثيرة، وطمع الأعداء من جيرانها[٤]. فقد تولى عرش مملكة الروم عدة أباطرة يذكرهم المسعودى[٥]؛ منذ أن قتل جستنيان الثانى (أسطنيانس) « Justinianus II »، الذى حاربه عبد الملك والوليد. ويظهر أن الروم قدّرت نيات العرب فى غزو عاصمتهم، فأرسل الإمبراطور فيلبّقوس « Philippicus »، الذى تولى بعد جستنيان الثانى سفارة للصلح، وللاطلاع على استعدادات العرب، وذلك فى آخر حكم الوليد فى سنة ٩٥/٧١٤[٦]؛ ولكن الوليد رفض. وبعد موت فيلبّقوس جاء نسطاس الثانى « Anastasius II »، الذى سعى هو الآخر إلى طلب الصلح من الخليفة سليمان فى سنة ٩٦/٧١٥[٧]، على غير جدوى؛ كما أنه فى الوقت ذاته، كان قد أعد حملة فى جزيرة رودس لمهاجمة الساحل السورى، بقصد القضاء على استعدادات العرب[٨]. ولكن

---

(١) الخطط، ١ ص ٣٤٥.

(٢) الكامل، ٤ ص ١١٦.

(٣) أنظر. Michel, t2 fasc 3, p. 470

(٤) أنظر. Histori (Pat. Graeca de, : Nicephorus Le Monde, p. 248, : Diehl et Marçais : Migne) tloo, p. 58.

(٥) التنبيه، ص ١٦٤ ــ ١٦٥.

(٦) أنظر. : Canard : Theophanes, p. 384. La lutte, p. 181 : Cheïra ; Les Expéd. Janv-Mars, 1926, p. 80.

(٧) أغابيوس ٨، ٣/ (القسم الثانى) ص ٥٠١ [٢٤١]؛ انظر. La lutte, p. 181 : Cheïra.

(٨) أنظر. La lutte, p. 181 : Cheïra : Michel, t2-f3, p. 479

حدثت ثورة ضده أدت إلى عزله، وتولى بعده تيدوس الأرمنى « Theodosius II »، حيث ثار على هذا الأخير حاكم عمورية « Amoirum » المسمى ليون المرعشى « Leon-Isaurikos »[1]، الذى يبدو من اسمه أنه من أصل سورى من عناصر الجراجمة الساكنة على حدود الشام[2]؛ فجاء إلى سليمان وطلب منه معاونته على الوصول إلى عرش الروم على أن يحكم باسمه[3]؛ وبخاصة أنه كان فصيحاً بالعربية[4]. ويقول « Denys » الأرمنى إن قصده فى الحقيقة كان خداع العرب، وإيقاف سفك دماء بنى وطنه[5].

وقد استعد سليمان لهذه الحملة استعداداً هائلاً؛ ولا سيما أنه كان قد حدثه جماعة من العلماء أن الخليفة الذى يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي، ولم يكن فى ملوك بنى أمية من اسمه اسم نبي غيره، فطمع فى ذلك[6]. فجمع فى مرج دابق[7]، بقرب حلب فى منطقة الثغور، جنوداً من كل أنحاء الأمبراطورية الإسلامية وعلى الأخص من الشام والجزيرة؛ بلغ عددهم أكثر من مائة وعشرين ألفاً، وأخرج معهم جماعة من الفقهاء[8]؛ كما جمع أدوات الحرب من كل صنف للصيف والشتاء، مثل: أدوات الحصار من المجانيق والنفط وغير ذلك، وأصبح من اهتمامه بالحملة يقيم فى مرج دابق أكثر مما يقيم فى الرملة.

---

(١) أنظر. Theophanes, p. 366-371

(٢) أنظر. Denys. p. 12

(٣) الكامل، ٤ ص ١٤٦. يسميه ألبون، وأغابيوس لاون، أنظر.

(٤) العيون والحدائق، ص ٢٥؛ أنظر.

La Monde, p. 251. : Diehl et Marçais.

(٥) أنظر. Denys, p. 12 ؛ أنظر. Cheira La lutte, p. 182. :

(٦) العيون والحدائق، ص ٢٤.

(٧) عنها، انظر. معجم البلدان، ٤ ص ٣.

(٨) التنبيه، ص ١٦٥؛ العيون والحدائق، ص ٢٤ — ٢٥.

وقبل تحرك الحملة ، قام العرب بالصائفة فى سنة ٧١٥/٩٧ ؛ وعلى رأسها داود بن سليمان وأخوه مسلمة بن عبد الملك ؛ ففتحوا بعض الحصون[١] ؛ ولكن الحملة الرئيسية التى كانت أشبه بالغابة المتحركة لكثرتها خرجت وعلى رأسها مسلمة فى سنة ٧١٦/٩٨[٢] . وقد سار مسلمة سالكاً طريق مرعش من ناحية الشام[٣] ، وهجم عليه الشتاء وهو فى الطريق فشتا ، ثم خرج طالباً القسطنطينية . وفى أثناء زحفه بلغ الذعر مداه عند سكان آسية الصغرى ؛ بحيث أن الجيش العربى جمع مع الروم أسرى كثيرين ؛ وكان سكان ولايات بأكملها يهربون أمامه[٤] . ويبدو أن الأمبراطور الرومى نفسه لما سمع بما فعله ليون ، وزحف الجيش العربى ، اعتزل الحكم وحلق رأسه وعاش عيشة الرهبان[٥] ؛ وإن ذكر ابن الأثير أنه كان قد مات[٦] .

ونحن لا نعرف كيف وصل ليون إلى القسطنطينية ؛ وإن كانت الرواية العربية تذكر أنه لما جاء إلى سليمان بالشام سيّر معه مسلمة ، ثم خادع ليون مسلمة لما وصل القسطنطينية ودخلها[٧] ؛ أو أن مسلمة لما وصل إلى عمورية خدعه ليون ؛ فجعله يوادعه ويرفع الحصار عنها ، ويسهل وصوله إلى القسطنطينية[٨] . وعلى العموم تولى ليون عرش الروم باسم ليون الثالث ، وعقدوا على رأسه التاج[٩] ،

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٤٦ .

(٢) نفسه ؛ أنظر . Gibbon : Op.Cit, 5, p.391 . يقول المسعودى إن خروجها فى سنة ٩٧ . التنبيه ، ص ١٦٥ .

(٣) العيون والحدائق ، ص ٢٥ . يقول « Denys » : طريق ملطية . أنظر . Chronique, p.12 .

(٤) أنظر . Denys, p. 12

(٥) أنظر . Idem

(٦) الكامل ، ٤ ص ١٤٦ .

(٧) نفسه ،

(٨) العيون والحدائق ، ص ٢٥ ؛ أنظر . Theophanes, p 386-371 ؛ أنظر . Canard : La lutte, p. 183. : Cheira : Les Expéd, p.82.

(٩) أنظر . Denys, p. 13

ووعدهم أن يخلصهم من العرب الغزاة ؛ فقد كان يعتبر مقاومة المسلمين دفاعاً عن المسيحية [1]. لذلك أعاد تقوية الحوائط والأسوار ، وأرسل جيشاً لقطع خطوط تموين المسلمين [2] ؛ الذين ألقوا الحصار حول العاصمة ووضعوا المجانيق عليها [3].

وفى الوقت عينه ، كان سليمان قد جمع أساطيل عديدة من الشام ومصر ، وأرسلها فى البحر لتعاون الجيش البرى [4] ؛ فأخذ الأسطول يغزو سواحل أرض الروم [5] ؛ إلى أن وصـــل إلى الخليج — وهو بحر مرمرة — فألقى مراسيه أمام القرن الذهبى ، وحاصر القسطنطينية من البحر أيضاً [6] . ولـكى يحكم العرب حصارهم عبروا المضيق بقواتهم إلى أوربا ، ليهاجموا البلغار — أو ما يسميهم العرب أيضاً برجان — الذين نزلوا البلقان وسيطروا فيه منذ القرن السابع الميلادى ؛ إذ يبدو أنهم ساعدوا الروم وهاجموا العرب ؛ لتقديرهم بأنه إذا سقطت بيزنطية تحول العرب نحوهم [7].

ولـكن الحصار طال وهجم الشتاء ، وكان البرد شديداً ، ولم يقدر الخليفة إزاء هجمات الروم أن يعدم [8] ؛ حتى أنه لما أرسل مدداً من الجند فرقه الروم [9] ؛

---

(١) الطبرى ٢ : ١٣١٥ ؛ انظر Les Expéd, p. 93

(٢) أنظر . Denys, p. 13

(٣) الـكامل ، ٤ ص ١٤٧ .

(٤) التنبيه ، ص ١٤١ ؛ انظر . Cheira : La lutte, p. 182.

(٥) الـكامل ، ٤ ص ١٤٦ .

(٦) التنبيه ، ص ١٤١ ، ١٦٥ ؛ مروج ، ٢ ص ٣١٧ . Theophanes, p. 395 ؛ أنظر . Ency. de l'Isl, (art Constantinople) t.I, p. 889

(٧) أنظر . الـكامل ، ٤ ص ١٤٧ ؛ Theophanes p. 397. ؛ انظر . Gibbon : Op. Cit, 5, p. 392.

عن هذا الشعب انظر . البلدان ، ٢ ص ٢٧٢ ومابعدها ؛ انظر . Ohsson : Des Peuples du Caucase, p. 213 ; n (28).

(٨) الـكامل ، ٤ ص ١٤٧ س ٧ .

(٩) أنظر . Denys, p. 13

كما أتلفوا قسماً كبيراً من المؤونة ؛ بحيث أضطر مسلمة إلى الأمر بالزرع وإنشاء الحقول والبيوت الخشب: فكانت الجنود تأكل أصول الشجر والورق وكل شيء غير التراب[1] ؛ أو حتى الموتى والبغال ، على حد قول « Denys » الأرمنى[2]. كذلك يبدو أنه استخدمت النار الإغريقية فى تدمير الأسطول ؛ وأن العواصف لم تبق منه غير قليل من المراكب[3]. وقد استمر الحصار طول حكم سليمان ؛ إلا أنه أمام هذه الكوارث لم يعد ينتظر منه أى أمل ؛ لذلك فإن خلفه عمر ابن عبد العزيز أمر بالانسحاب فى سنة ٧١٧/٩٩ ؛ بعد أن زود المسلمين بالمؤن والمدد، وإن اضطروا إلى القتال وهم يتقهقرون[4].

وقد ترتب على فشل هذا الحصار أن هاجم الروم ثغور المسلمين فى الشام[5] ؛ كما حدث بعد فشل الحصار الأول . ويحاول مؤرخو العرب أن ينسبوا فشله الثانى إلى مسلمة ؛ فهو على حد قولهم وإن كان شجاعاً ، إلا أنه كان عاجزاً لا رأى له فى الحروب ، بل لم يكن فى أصحابه من له رأى[6]. ولكننا نعتقد أن سبب فشل هذا الحصار هو أن الروم كانوا لا يزالون أقوياء ؛ وأن العرب ما كان يضيرهم هذا الانسحاب فى شيء ، كما حدث فى المرة السابقة ؛ إذ أنهم لم يلبثوا حتى عادوا إلى الغزو بنفس الرغبة فى قتال الروم ودك حصونهم[7].

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٤٧ .

(٢) أنظر . Chronique, p. 13

(٣) أنظر . Les Expéd, p. 83-4 : Canard : Theophanès, p. 395 Le Monde, p. 252. : Diehl et Marçais.

(٤) أنظر . Denys, p. 13-14 ؛ وبعده .

(٥) أنظر . Id؛ البلاذرى ، فتوح ، ص ١٣٣ ؛ انظر . La lutte, p. 190, 211.: Cheira.

(٦) العيون والحدائق ، ص ٢٧ ـ ٢٨؛ انظر . Les Exped,p. 93, : Canard.

(٧) أنظر . بعده

وعلى النقيض نجح سليمان فى فتح بلاد فى الشرق لم تكن قد فتحت من قبل، وذلك على يد عامله يزيد بن المهلب، الذى ولاه العراق والمشرق، بعد أن عزل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج، فى سنة ٩٧[١]/٧١٥. فنحن نعرف أن الحجاج كان يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة خوفاً من أن يفعل مثل ابن الأشعث، أو لأن يزيد لم ينفذ رغبته فى غزو بلاد ما وراء النهر؛ فعزل الحجاج يزيد عن خراسان وحبسه وعذبه، ولكن يزيد تمكن من أن يهرب مع إخوته إلى سليمان بالرملة فى سنة ٩٠/٧٠٩؛ حيث آواه وأمنه. وعلى الرغم من أن الحجاج كتب إلى الوليد يحذره من آل المهلب، وطلب الوليد من سليمان تسليمهم؛ فإن سليمان أرسل يزيد إلى الوليد مع أيوب — أحد أبناء سليمان — مقيداً فى سلسلة واحدة، مما جعل الوليد يضطر إلى أن يؤمن يزيد وإخوته، ويطلب من الحجاج أن يكف عنهم[٢]. وقد أثبت يزيد بن المهلب جدارته؛ فذهب إلى فتح بلاد لم تكن فتحت من قبل[٣].

فقد كان فى شمال هضبة إيران حول بحر قزين[٤] « Caspium » — وهو عرف أيضاً بأسماء الشعوب التى تحيط به — مناطق أغلبها جبلية، ظلت فى أيدى حكامها العجم أو الترك؛ الذين استطاعوا أن يصدوا العرب عنها. وقد اكتفى العرب منذ عهد عثمان؛ باتخاذ بلدة قَزْوين[٥] — التى كان الفرس أنفسهم قد اتخذوها من قبل لمواجهة هذه النواحى، وسموها (كشور) أى الحد المرموق — ثغراً أو مصراً أى آخر الحدود؛ فكان العرب يغزون منها حتى عصر الحجاج[٦]؛

(١) وفيات، ٢ ص ٤٠٢، ٤١٠؛ الكامل، ٤ ص ١٤٤.
(٢) الكامل، ٤ ص ١١٤ — ١١٦.
(٣) نفسه، ٤ ص ١٤٧؛ وفيات، ٢ ص ٣٩٦.
(٤) اشتهر ببحر الخزر، وعرف ببحر طبرستان وجرجان وخراسان والجبل. عنه: معجم البلدان، ص ٦٦ — ٦٨؛ انظر: ماجد والبنا، الأطلس التاريخى، خريطة رقم ٧ و ٨.
(٥) الكامل، ٤ ص ٧٧؛ معجم البلدان، ٧ ص ٧٩ — ٨١.
(٦) معجم البلدان، ٨ ص ٣٨٢.

الذى أقام فيها المناظر للمراقبة ؛ وإن كانوا أيضاً هاجموها من ناحية خراسان[١].

وقد بدأ يزيد بقوهستان [٢]، وهى كلمة تعنى بلاد الجبال لأن كوه بالفارسية هى الجبل ؛ وقد أطلقت على أجزاء كثيرة فى الهضبة الإيرانية لطبيعتها الجبلية ؛ بحيث يقول ياقوت إن أكثر بلاد العجم لا تخلو من موضع يقال له قوهستان. ولكن المشهور بهذا الاسم هى الولاية التى غزاها يزيد ، وهى تقع جنوب شرق بحر قزوين أغلبها صحارى أو جبال ولا توجد بها الأنهار ، وعاصمتها قاين [٣]. وقد كان يسكنها العجم وعنصر مغولى من الهون (الهياطلة) — يسميهم ابن الأثير الترك[٤] — قدموا من الشرق من أواسط آسيا واستولوا على بلاد ما وراء النهر ، ثم انتقلوا إلى هذه النواحى [٥]؛ أو حتى لعلهم بقايا الحيثيين الذين سمعنا عنهم فى العصور القديمة [٦].

غُزيت هذه البلاد لأول مرة فى عهد عمر من كَرمان ؛ فاستولى العرب على ناحية طَبس وقريتها كرين وهما حصنين، أو ما عُرف بالطَبسَين، فسمى الصلح : صلح الطبسَين [٧]وفى أثناء فتح خراسان ، غُزيت قوهستان وفتحت عنوة وهُزم الهياطلة،وذلك فى أيام عثمان سنة ٣٠/٦٥١. وفى أيام معاوية سنة ٥١/٦٧١،

---

(١) أنظر . بعده .

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٤٧ س ١٨. عنها: معجم البلدان ، ٨ ص١٨٧ — ١٨٨ ؛ الإصطخرى ، مسالك ، ص ٢٧٣— ٢٧٤ ؛ انظر . Lands, p. 352-63.:Le Strange
Ency. de l'Isl, (art Kuhistân) t2, p, 1173 sqq. ;
وهى تكتب أيضاً قُهستان .

(٣) عنها ، انظر معجم البلدان ، ٧ ص ٢٠ .

(٤) الكامل، ٤ ص ١٤٧ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ٤٠٣ ؛انظر . شعيرة ، ممالك ماوراء النهر ، ص ٤ .

(٦) أنظر . فان فلوتن ، السيادة العربية ؛ ترجمة حسن إبراهيم، زكى إبراهيم، ص ٤٤ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ٤٠٣ . عن طبس ، انظر . معجم ، ٦ ص ٢٨ ؛ وعن كرين ، انظر . نفسه ، ٧ ص ٢٤٨ .

غُزيت قوهستان من جديد ، وضُمت إلى خراسان [١]. ولكن لكثرة غارات أهلها وقتالهم للعرب ، حتى أنهم كانوا قد حاربوا قتيبة [٢]؛ غزاها يزيد من جديد: فكان يحاصرهم فى حصونهم إلى أن يجوعوا ؛ بحيث أرسل ملكها التركى واسمه صول — لعله لقب — يطلب الصلح ؛ فصالحه يزيد ودخل عاصمتها قاين ؛ وكتب يزيد ببشارة النصر إلى سليمان .

بعد ذلك سار يزيد إلى البلاد المجاورة ، التى تقع بجوار خراسان جنوبى شرقى بحر قزوين ؛ فعرفت للعرب : جُرْجان [٣]، ولليونان قديماً باسم : « Hyrcania » ؛ وسمى البحر باسمها : بحر جُرجان ، وقديماً أرقانيا [٤] : « mare Hyrcanum » ، وهى عبارة عن سهول كثيرة تجرى فيها عدة أنهار؛ كما توجد حولها سلسلة جبال البرز الشاهقة ، التى عُرفت أيضاً بجبال جرجان ، وقد كانت جُرجان تنقسم إلى نواحى كبيرة، مثل : دِهستان فى أدنى البلاد [٥] ، وبَكر أباد [٦]؛ أما جرجان نفسها فلم تكن يومئذ مدينة وإنما كانت جبالاً ومسالك [٧]. وقد كان يسكنها الفرس الذين يحكمهم مرزبان ، والترك — بخاصة فى دهستان — الذين يحكمهم ملك اسمه أو لقبه : صول [٨].

---

(١) الطبرى (Annales) ٢ : ١٥٦ .

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٣١٦ .

(٣) نفسه ، ص ١٤٧ ، عيون والحدائق ، ص ٢١ . عنها معجم البلدان ٣ ص ٧٥؛ أنظر . le Strange : Lands, pp. 376. ;
Ency. de l'Isl, (art Djurdjân) t1, p. 1097 sqq.

(٤) عنه ، انظر . معجم البلدان ، ٢ص٦٦ ــ ٦٧ .

(٥) عنها ، معجم البلدان ، ٤ ص ١١٤؛ انظر . Ency,tI, p. 521

(٦) عنها ، نفسه ، ٢ ص ٢٥٥ .

(٧) الكامل ، ٤ ص ١٤٧ .

(٨) فتوح البلدان ، ص ٣٣٦؛ انظر .Ency, I,p 1097

وقد قبلت جُرجان دفع الجزية منذ أن قرب العرب من حدودها فى سنة ١٨/٦٣٩[١]. ولكن فى عهد عثمان سنة ٣٠/٦٥٠، دخلها سعيد بن العاص وصالح أهلها قبل أن يغزو قوهستان؛ وبعد سعيد لم يأت إلى جُرجان أحد إلى أن جاء يزيد[٢]. والذى هيأ ليزيد فتحها، هو وجود نزاع بين المرزبان الفارسى وصول التركى؛ بحيث أضطر المرزبان إلى الهروب إلى يزيد وهو فى خراسان، وتغلب صول على جُرجان[٣]. فدخل يزيد مع المرزبان جرجان، وحاصر صول وهو فى بحيرة تقع فى بحر قزوين، وقتل عدداً كبيراً من الترك، وامله صالح صول أو قتله[٤]. ولكن لم يلبث أهل جرجان أن ثاروا على المسلمين الذين تركهم يزيد فيها وقتلوهم عن آخرهم[٥]، فعاد يزيد إلى جرجان ثانية وقتل عدداً كبيراً من أهلها[٦]، وهو ما عُرف: «بالفتح الثانى». وقد بنى يزيد مدينة جرجان، فى وادٍ عظيم، تطل على البحر والجبال[٧]، ولم تكن بنيت قبل ذلك، وأصبحت أكبر مدينة بهذه البلاد.

ولما فرغ يزيد من جرجان هاجم طبرستان[٨]، وهى تسمى أيضاً مازَندَران[٩]؛

(١) معجم البلدان، ٣ ص٧٧.

(٢) الكامل، ٤ ص١٤٧ — ١٤٨.

(٣) نفسه، ٤ ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٤) فتوح البلدان، ص ٣٣٦، وفيات، ٢ ص ٣٣٦.

(٥) الكامل، ٤ ص١٤٨ ـ ١٥٠.

(٦) نفسه، ٤ ص ١٥٠؛ وفيات، ٢ ص ٤٠٤ ص ١٧.

(٧) معجم البلدان، ٣ ص ٧٥.

(٨) الكامل، ٤ ص١٤٩. عنها: معجم البلدان، ٦ ص١٧ ومابعدها، انظر
. E ey. de l'Isl. (art Tabaristân) t4, p. 608-9.
Lanc?, p. 368 : 376 : le Strange.

(٩) بخاصة معجم البلدان، ٧ص ٣٦٣.

التي تقع في جنوب بحر قزوين ؛ شمال جبال البرز الشاهقة ، وتحيط بها بلاد جرجان من الشرق ، وجيلان (أو كيلان) الجبلية ؛ التي تسكنها شعوب الجيل والديلم من الغرب[١] : وهي عبارة عن بلدان واسعة وسهول وجبال كثيرة ؛ قصبتها آمل[٢] . وقد سكنتها عناصر فارسية كانت تميل إلى الحرب ، وتستخدم في قتالها الطبر أو الفؤس ، ولذلك كان اسم طبرستان يعني : بلاد الفؤس[٣] . ولم تسكن قد خضعت للعرب ؛ فكان يحكمها الأصبهبذ[٤] (أو الأسبهبذ) ، وتعني رئيس الجند ؛ إذ أنه من سلالة أسرة فارسية قديمة ، كان يوليها ملوك الفرس على أهالي هذه المنطقة[٥] .

ولم يكن من السهل فتح هذه البلاد لحصانتها ومنعتها ؛ لذلك صالحها العرب لما فتحوا فارس ورضوا منها بالشيء اليسير . ولكن في عهد عثمان سار نحوها سعيد بن العاص في سنة ٢٩/٦٥٠[٦] -- ولعل الحسن والحسين كانا معه — وفتح سهولها وجبالها من ناحية خراسان . وفي عهد معاوية أرسل مصقلة ابن هبيرة[٧] ، فاستدرجوه إلى ممرات في الجبال ، وأرسلوا الصخور منها على رءوسهم، فهلك هذا الجيش أجمع مع أن عدده عشرة آلاف أو عشرون ألفاً ،

---

(١) عنها ، أنظر . نفسه ، ٣ص١٩٤–١٩٥ ؛ ٤ ص ١٨٦ – ١٨٧ .

(٢) عنها ، انظر . نفسة ، ١ ص ٦٣ .

(٣) نفسه ، ٦ ص١٨ .

(٤) الطبري (طبعة مصر)١ ص٥٢٦ ؛ معجم البلدان ، ١ ص٢٢١ .وهي اسم الكورة .

(٥) معجم البلدان ، ٦ ص ، ١٩ .

(٦) نفسه ؛ فتوح البلدان ، ص ٣٣٤ .

(٧) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ٥٨–٥٩ .

وأصبح يضرب بصقلة المثل ، فقالوا : حتى يرجع مصقلة من طبرستان[1] . وفى ولاية ابن زياد على العراق ، أرسل محمد بن الأشعث فاستدرجوه أيضاً وقتلوا ابنه . ولما غزا يزيد طبرستان ، توجهت طلائعه إليها ؛ فاستعان أهلها بأهل جيلان والديلم المجاورين ، واستطاعوا أن يهزموا هذه الطليعة[2] . وقد كانت هذه الهزيمة من الأسباب التى دعت أهل جرجان إلى الغدر بالمسلمين وقتلهم ؛ ولذلك استخدم يزيد الخديعة واضطر إلى مصالحة الأصبهبذ الذى أرسل إليه المال .

*

استمر حكم هـذا الخليفة الشاب زهاء ثلاث سنين[3] ، ووافاه أجله بدابق ، وهو ابن تسع وثلاثين فى سنة ٩٩/٧١٧[4] . ويبدو أن الناس أحبوه لحبه للحياة ؛ حتى أنهم فى زمنه تطبعوا بطابعه ، وكانوا يسألون بعضهم بعضاً عن النكاح والطعام مثله[5] ؛ أو لأنه أحسن إليهم ؛ وأخلى السجون ، ولم تستعمل معهم الشدة[6] ؛ على عكس ما كان فى عهدى عبد الملك والوليد . أما فتوحه ، وإن لم تكن حاسمة أو مثمرة ؛ كما هى فى عهد سلفه ؛ إلا أن حماسه فى مد رقعة الإسلام كان شديداً لا يقل عن حماس سابقيه من الخلفاء .

* * *

(١) فتوح البلدان ، ص ٣٣٥ .
(٢) الكامل ، ٤ ص ص ١٤٨ .
(٣) الأخبار الطوال ، ص ٣١٦ .
(٤) المسعودى ، ؟ ٤ ص ١٣٧ ، العيون والحدائق ، ص ١١
(٥) الكامل ، ٤ ص ١٣٧ العيون والحدائق ، ص ١١ .
(٦) نفسه ٤ ص ١٥١ نفسه ص ١٧

وقد كان سليمان يرغب فى أن يولى عهده أحد أبنائه : فولى أيوباً فى سنة ٩٨/٧١٦[1] ــ وكان يتـكنى به[2] ــ إلا أنه مات قبله ، فعزم على تولية داود ، ولـكنه كان غائباً فى حملة القسطنطينية ، ولا يدرى أهو حىٌ أم ميت ، فعول على يولى ابناً آخر ، غلاماً لم يبلغ[3] . وعلى الرغم من أن سليمان كان يميل ظاهرياً إلى حياة اللهو والمجون ، إلا أنه فى قرارة نفسـه كان على النقيض يميل إلى التقوى ؛ فـكان يجمع حوله الفقهاء والزهاد ويستشيرهم ؛ مما جعله يوم موته تحت تحريض أحدهم واسمه رجاء بن حيوة[4] — وكان من المقربين لعبد الملك والوليد — يولى عهده ابن عمه عمرو بن عبد العزيز[5] ، الذى لم يـكن صاحب حق فى الخلافة ، اختاره فقط لذيوع فضله وتقواه ؛ ممـا لفت إليه الأنظار . كذلك لعل سليمان قد امتنع عن تولية أحـد أبناء عبد الملك أو الوليـد خوفاً من أن يتنازعوا ؛ وبخاصة أن يزيد بن عبد الملك، الذى كان أبوه ولاه عهده بعد الوليد وسليمان ، كان غائباً[6] . ولـكى يأخذ رجاء البيعة لخليفته الجديد ، جعل اسمه فى كتاب مختوم ، وأخذ من بنى أمية البيعة رجلاً رجلاً ، على ما أمر سليمان ، وهو فى النزع الأخير . ولما مات سليمان جمعهم رجاء من جديد ؛ ليبايعوا لعمر مع اعتراض بعضهم[7] ، وذلك فى صفر ٩٩/ أكتوبر ٧١٧ .

---

(١) نفسه ، ٤ص١٤٧ .
(٢) التنبيه ص ٣١٨ س ١٤.
(٣) الـكامل ٤ص١٥٢، ابن سعد، ٥ص٢٤٧ .
(٤) العيون والحدائق ، ص ٣٤ ، انظر أيضاً ملاحظة Well : Arab, p. 271
(٥) صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٥٧ .
(٦) الـكامل ، ٤ص١٥٢ .
(٧) نفسه ، ٤ص١٥٣ ، ابن سعد ، ٥ص ٢٤٨ .

هذا الخليفة [١] الذى جاءته الخلافة على غير انتظار ، هو : حفيد عمر ابن الخطاب المشهور بعدله وورعهوزهده ، فأمه أم عاصم بنت عصم بن عمر بن الخطاب؛ أما أبوه فهو عبد العزيز بن مروان ، الذى ولى مصر فساسها بالحكمة والعدل ، وكان مرشحاً للخلافة بعد عبد الملك ، ولكنه توفى قبله ؛ مما جعل عبد الملك يبايع لابنه الوليد [٢]. وقد ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة فى سنة ٦٣/٦٨٢ [٣] ، وأمضى شطراً كبيراً من حياته فيها ؛ إلى أن استدعاه عبد الملك بعد وفاة أبيه فى سنة ٨٥/٧٠٤ ، وزوجه ابنته فاطمة [٤]. ولما تولى الوليد الخلافة ولاه إمارة الحجاز فى سنة ٨٧/٧٠٦ [٥]؛ فكان فيها مثال العامل الرحيم على عكس ما كان من بقية العمال فى ذلك العصر من قسوة مثل الحجاج ؛ فجعل مجلساً من فقهاء عشرة ، لا يقطع أمراً إلا برأيهم ؛ حتى عُرف بالرجل الصالح . وفى أثنائها قام بهدم الضريح النبوى فى عام ٨٧/٧٠٦ ، وأعاد بناءه على نحو أوسع وأروع ؛ بحيث لما حج الوليد فى سنة ٩١/٧١٠ [٦] ، دخله وأعجب به ، وأخلى الناس منه ليتمتع ببهائه . وقد كان لعدل عمر فى عمله أن التجأ إليه فى المدينة

---

(١) عن حياته : ابن سعد ، ٥ ص ٢٤٢ـ٣٠٢؛ العيون والحدائق ، ص ٣٧ـ٦٤ ؛ ابن الجوزى ، مناقب عمر بن العزيز ، تحقيق Becker ، طبعة Leipzig ، ١٨٩٩ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art 'Omar B.'Abd al - Aziz) t 3, p.1044.
؛ العبادى ، صور من التاريخ الإسلامى (العصر العربى) ، ص ١٥٥ وما بعدها .
(٢) أنظر . قبله .
(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٤٣ س ٧ .
(٤) أنظر . قبله .
(٥) ابن سعد ، ٥ ص ٢٤٤ـ٢٤٧ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٠٦ .
(٦) الكامل ، ٤ ص ١٠٩ ؛ الذهب المسبوك ، ص ٢٩ـ٣٢ ؛ إنظر . قبله .

غدد كبير من الفارين من قسوة عمالهم ؛ مما جعل الحجاج يحرض الوليد عليه ؛ فنحاه الوليد عن الإمارة فى سنة ٩٣/٧١١ - ٧١٢ (١) ؛ وذلك بعد ولاية استمرت أكثر من سبع سنين (٢) .

ولما اختاره سليمان لمنصب الخلافة ، كان على غير علم منه وزهد فيها (٣) ؛ فأصبح الخليفة المثالى فى الحكم والخلق ، حتى أنه قال فى أول خطبة له : « إنى لست بخيركم ، ولكنى رجل منكم ، غير أن الله جعلنى أثقلكم حملاً » (٤) . وقد جعلته هذه المثالية ينزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابة جهده (٥) ؛ مما جعله يختلف إختلافاً تاماً عمن سبقه من الخلفاء الأمويين ، الذين كانوا يعيشون فى بذخ ، ويسيرون فى الحكم سيرة المكر والدهاء ؛ وبخاصة الخليفة السابق المغرور (٦) . لذلك أخرجه المؤرخون من بين الخلفاء الأمويين ، وعدوه خامس الخلفاء الراشدين (٧) . ولعله ورث هذه المثالية عن جده عمر بن الخطاب ، الذى جعله مثلاً أعلى له حتى أنه طلب أن يكتب له بسيرته (٨) ؛ أو جاءته عن طريق اختلاطه بأتقياء أهل المدينة مثل أنس بن مالك جامع الأحاديث المشهور (٩) ؛ أو لثقافته بإقباله على دراسة

---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٢٩ ؛ الطبرى (Annales) ، ٢ : ١٢٥٤ ؛ انظر Well. Arab., p.251.

(٢) العيون والحدائق ، ص ٤ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ١٥٣ .

(٤) ابن سعد ، ٥ ص ٢٥١ س ٣ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٣ .

(٦) ابن سعد ، ٥ ص ٢٤٧ س ٢ ؛ انظر : قبله .

(٧) الكامل ، ٤ ص ١٦٤ (قرب نهاية الصفحة) .

(٨) ابن سعد ، ٥ ص ٢٩٢ س ٢٥ .

(٩) نفسه ، ٥ ص ٢٤٤ س ١٠ .

علوم الدين ، حتى أن العلماء كانوا معه تلامذة[1] ؛ وهو نفسه أول من أمر بجمع الأحاديث وتدوينها[2] . وتبدو مثاليته في أنه تناسى حق نفسه وحق أسرته ؛ فلبس الملابس الخشنة الرخيصة[3] ، ورفض أن يُحاط بحرس كما كان الحال في عهد سلفه[4] ؛ وبعد أن كان شاباً غليظاً ممتلىء الجسم ، أصبح بعد توليته الخلافة نحيلاً ، قد أصفرّ لونه وذهب شعره[5] ؛ ولصق جلده بعظمه حتى ليس بين الجلد والعظم لحم[6] ؛ كما أخذ من أفراد أسرته إقطاعاتهم[7] ؛ وجعل زوجته نفسها تترك جوهرها لمال المسلمين[8] .

وليقوم بمنصب الخلافة على الوجه الأكمل صالح أعداء الأمويين ، مثل العلويين : فقد كان الولاة من بني أمية يسبون علياً من على المنابر ، فلما تولى الخلافة أمسك عن ذلك[9] . كذلك وصل بني هاشم وأحسن معاملتهم[10] ؛ بعد أن أساء سليمان إليهم ؛ ودس السم لكبير منهم هو أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[11] ؛ كما رد عمر بن عبد العزيز فدكَ — قرية

---

(١) نفسه ، ٥ ص ٢٧٦ .
(٢) أنظر . العبادي ، صور من التاريخ الإسلامي (العصر العربي) ، ص ١٧٢ .
(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٩٦ .
(٤) نفسه ، ٥ ص ٢٩٤ .
(٥) نفسه ، ٥ ص ٢٧٢ — ٢٧٣ .
(٦) ابن الجوزي ، نفس المصدر ، ص ٤٠ س ١٥ — ١٨ .
(٧) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧٥ س ١١ .
(٨) نفسه ، ٥ ص ٢٩٠ — ٢٩١ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٥ ، (قرب آخر الصفحة) .
(٩) نفسه ، ٥ ص ٢٩١ س ٥ ـ ٦ ؛ الكامل ، ٢ ص ١٥٤ .
(١٠) ابن سعد ، ٥ ص ١٨٩ س ١٠ ـ ٢٢ .
(١١) الكامل ، ٤ ص ١٦٩ .

قرب المدينة — كانت للنبي بعد فتحها ، وجعلها أبو بكر ملكاً للدولة ، ثم انتقلت للأمويين ؛ فجعلها عمر إلى ولد فاطمة (١) . ولم يكن عمر يُقاتل الخوارج إلا إذا تحركوا لسفك الدماء ، وأرسل إليهم يناظرهم ؛ فانضم بعضهم إليه ، كما توقف نشاطهم فى عهده (٢) . فهذه السياسة ضد أعداء الأمويين لم تكن معروفة من قبل .



والواقع إنه يرجع إلى عمر الفضل فى كسب الشعوب المفتوحة إلى الإسلام ، ولكى يغريها قدّم لها كل لون من ألوان الإغراء (٣) . فقد أمر عمال الخلافة بالسهر على مصالح رعاياهم (٤) ، وأرسل إليهم الكتب يبيّن فيها أنهم يجب أن يخافوا الله فى أعمالهم (٥) ؛ وحاسبهم فى سبيل ذلك أشد الحساب (٦) . فأعيدت أرض كثيرة إلى أصحابها من أهل الذمة ، بعد أن كانت قد ضُمت إلى أملاك الدولة الأموية ؛ كما أعيد كثير من الكنائس والبيارات إلى أصحابها (٧) ، واحتفظ لهم بأوقافها (٨) ؛ ورد لأهل نجران الذين

(١) معجم البلدان ، ٦ ص ٣٤٢ وما بعدها ؛ انظر . Ency, t3, p. 1045

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٥٥–١٥٦ .

(٣) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم وعابدين والنحراوى ، الجيزة ١٩٤٧ ، ص ٧٦ .

(٤) ابن الجوزى ، فى المصدر نفسه ، ص ٧٠ ،

(٥) ربيع الأبرار ، ٩ ص ٣٩١ .

(٦) الكامل ، ٤ ص ١٥٧ ، مثلاً : قبض على يزيد بن المهلب ، وحاسبه على الأموال ،

(٧) سعيد بن بطريق ، ٢ ص ٤٤ .

(٨) ابن سعد ، ٢ ص ٢٦٢ س ١٥ — ١٩ .

نقلهم عمر بن الخطاب إلى البصرة والكوفة ماطلبوه من أموالهم [1] ؛ لذلك اعتبره الرهبان المسيحيون صديقاً لهم .

كذلك ردّ المظالم، وهى لفظة مفردها «ظُلامة» أو «مظلمة»من « ظَلَم»؛ بمعنى انتهاك حق شخص ، وهو تعبير فى العالم الإسلامى يدل على الظلم ، الذى يأتى من التعدى أو الفساد ، وعجز القضاة العاديون لسبب ما عن النظر فيه ، فيرفع أمره إلى الخليفة مباشرة [2] . فهذا النوع من القضاء يتناول على الخصوص تصرفات الولاة والدواوين ؛ ولايشترط فى نظره البيّنة القاطعة ، وإنما بأيسر من ذلك ، وذلك لما كان يعرف من غُشم الولاة للرعية [3] . فكان الخليفة عمر الثانى متحمساً لهذا القضاء لأنه يرتبط بالعدل والإسلام ؛ فضلاً عن أنه فيه إعلاء لشأن العرب ، عن طريق أنهم أمة العدل .

وهذه العادة فى رد المظالم ترجع إلى ملوك الفرس الساسانيين،الذين كانوا أول من مارسوه [4] . ولم يظهر رد المظالم رسمياً فى الخلافة الإسلامية إلا فى عهد عبد الملك ، الذى كان يتصفح المظالم ، دون أن يباشرها بنفسه ، وإنما يرد أغلبها على القاضى ، ولكن عمر بن عبد العزيز هو أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم وجلس لها فى مركز الخلافة [5] ، وأمر بها فى جميع الولايات [6] .

---

(١) فتوح البلدان ، ص ١٧ .

(٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ ، ص ٦٤ ومابعدها ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٣) ابن سعد ، ٥ص ٢٥٢س ١٣ وما بعدها .

(٤) نظام الملك ، سياسة نامه ، ترجمة Schefer، طبعة Paris ، ١٨٩١ ، ص ٥٦ وما بعدها ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ١ص ١٥٦ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٣٣٦ .

(٦) ابن سعد ، ٥ ص٢٥٢ س ١١ — ١٢ . هى خاصة بالعراق .

فكان يدعو بشمعة لينظر فى المظالم ولو ليلاً (١) ، ويسمح لأى شخص بالدخول عليه ليشكو ممن ظلمه حتى من عماله (٢) ؛ كما رد المظالم من أفراد أسرته ، وأخذ منهم حقوقاً (٣) .

أضف إلى ذلك أنه نظّم السجون لأول مرة ، فأوجد لها الديوان (٤) ، وفصل بين حبس الرجال والنساء ، وبين أهل الجرائم ، ومن حبس فى دين (٥) . وقد أمر ألاّ يقيد أحد فى المحابس (٦) ، وكتب للمسجونين من أى لون برزق الصيف والشتاء شهراً شهراً ، وبكسوة فى الصيف وكسوة فى الشتاء (٧)، وسمح للمسلمين منهم بأن يؤدوا فروض الدين . كذلك كان بنو أمية إذا سخطوا على أعدائهم من رجال الدولة ، ينفونهم إلى جزيرة فى البحر الأحمر أمام سواكن اسمها : دَهلك ؛ وكانوا ينفون إليها الفسقة واللصوص أيضاً (٨) .

ولكن أهم عمل لعمر بن عبد العزيز هو تنظيمه الضرائب : وكانت قد فُرض منها فى عهد عمر بن الخطاب ضريبتا الخراج والجزية على سكان البلاد المفتوحة ، للدلالة على أنهم خضعوا للمسلمين (٩) ، ولدفع عطاء الجند ؛ كما قرر على أهل القرى من دون المدن ضيافة العرب إذا مروا بهم ثلاثة أيام (١٠) . وقد كان

(١) نفسه ، ٥ ص ٢٥٦ س ٧ .
(٢) نفسه ، ٥ ص ٢٥٣ س ١٠ — ١١ .
(٣) نفسه ، ٥ ص ٢٥٢ س ٦ .
(٤) نفسه ، ٥ ص ٢٥٧ س ٢ - ٣ .
(٥) نفسه ، ٥ ص ٢٦٣ .
(٦) نفسه ، ٥ ص ٢٧١ س ٢٣ .
(٧) نفسه ، ٥ ص ٢٦٢ س ٢٢ وما بعدها .
(٨) الكامل ، ٤ ص ١٥٧ ؛ معجم البلدان ، ٤ ص ١١٤ — ١١٥ .
(٩) ابن عبد الحكم ، ص ٨٤ س ١٧ ؛ انظر . قبله الجزء الأول .
(١٠) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢٩ ؛ انظر . قبله . ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

من المفروض أن من يسلم يمنع من دفع الضريبتين[1]. وأن يُترك لأهل القرى الحرية فى أن يذهبوا من قراهم إلى الأمصار أو المدن للاستقرار فيها[2]. ولكن عمال الخلفاء الأمويين، الذين اهتموا بجمع المال المستخرج من البلاد المفتوحة اهتماماً شديداً، حتى أنه وجد فى عهدهم منذ معاوية وظيفة والى الخراج[3]، رأوا فى إسلام أهل الشعوب المفتوحة خراباً لخزانة الخلافة بحرمانها من الضريبتين، وخراباً للزراعة لنقص الأيدى العاملة بهجرتها إلى المدن؛ لذلك رفضوا أن يتكفلوا لمن أسلم بالحقوق التى وضعها عمر بن الخطاب: فكانوا يعفون من أسلم من الجزية مع استمرار فرض ضريبة الخراج[4]، والحد من هجرة أهل الريف إلى المدن، حتى أن الحجاج كان يأمر بأن يوسم اسم القرية على يد المولى حتى لا يخرج منها[5]؛ بل يبدو أنهم أضافوا أيضاً الضيافة على أهل المدن[6]، وفى بعض الأحيان يستمر فرض ضريبة الجزية على من أسلم[7]. كذلك كان بعض الولاة إذا قبلوا الإعفاء من الجزية، فإنهم يمتحنون من أسلم بالختان[8]، كما كانوا يجعلون الموالى يغزون مع العرب بلا عطاء ولا رزق؛ وكانت نتيجة هذا التشدد الرجوع عن الإسلام.

ولكن عمر بن عبد العزيز لم يرض أن يحيد عن السنة الأولى فى عهد عمر ابن الخطاب؛ إذ أن المال فى رأيه لا يهم، والدليل على هذا أن الله بعث محمداً

(١) أبو يوسف، الخراج، ص ١٤٦.
(٢) مصنف مجهول، ص ٣٣٦ (آخر الصفحة).
(٣) اليعقوبى، تاريخ، ٢ ص ٢٥٨.
(٤) الكامل، ٤ ص ١٥٨ س ٨ — ٩.
(٥) نفسه، ٤ ص ١٨٢؛ العقد ٢، ص ٩٢؛ انظر قبله، ص ١٦٢.
(٦) ابن سعد، ص ٢٥٨ س ١٨.
(٧) ابن عبد الحكم، ص ١٥٦ س ١؛ الكامل، ٤ ص ١٨٢.
(٨) الكامل، ٤ ص ١٥٨ س ١٣.

داعياً ، ولم يبعثه جابياً [1] ؛ فنشر الإسلام وإقبال الناس عليه هو الأهم . لذلك أزال ضريبة الجزية على من أسلم [2]؛ وجعل العرب والموالى فى الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء [3] ، وأطلق الحرية للناس فى التنقل من الريف إلى المدن ؛ وإن منع أهل الذمة من الدخول إلى أمصار المسلمين بالخمر [4] . وليمنع خراب خزانة الدولة أوجد حلاً لمسألة الخراج ، فرأى أنه لا يؤخذ الخراج ممن أسلم بحكم أنه جزية فى الأصل [5] ؛ وإنما أبقى على الأرض على أنها من فيىء المسلمين [6] ؛ وبذلك لم يعد هناك أرض مملوكة لأصحابها كما فى عهد عمر ابن الخطاب وإنما للدولة ، كما أنه منع الضيافة على أهل المدن [7] . كذلك نظم دفع المسلمين الزكاة ؛ وخصص جزءاً منها للمؤلفة قلوبهم كما ينص القرآن : بقصد الترغيب فى الإسلام [8] ، وجعل خمس الغنائم للأمة الإسلامية ، وليس للخليفة [9] .

وقد أتت هذه السياسة العادلة النادرة ثمرتها ؛ فأقبلت الشعوب المفتوحة فى عهده على الإسلام ، وهم الذين عُرفوا بالموالى [10] ؛ حتى أننا نجد له لقب : أمير

---

(١) ابن سعد ، ٥ ص ٢٨٣ س ١٦ — ١٧ ؛ انظر . Gibb :
The Fiscal rescript of Umar II. Arabica Janvier, 1955,fasc, 1,p.8
يعتمد على مقالة ابن عبد الحكم عن عمر بن عبد العزيز .
(٢) الكامل ، ٤ ص ١٥٨ س ١١ ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٢٦٢ س ١٧ — ١٨ .
(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٧٧ س ٥ — ٦ .
(٤) نفسه ، ٥ ص ٢٦٩ س ٤ .
(٥) الكامل ، ٤ ص ١٦٣ س ١٠ .
(٦) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ س ٨ ؛ انظر . Gibb : Op. Cit, p. 3;8-9.
(٧) ابن سعد ، ٥ ص ٢٥٨ س ١٨ .
(٨) نفسه ، ٥ ص ٢٥٨ س ١١ — ١٢ ؛ انظر . قبله ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ١٣٢ . انظر أيضاً سورة ٩ آية ٦٠ .
(٩) ابن سعد ، ٥ ص ٢٥٨ س ٥ ؛ انظر . Gibb: Op·Cit., p.10.
(١٠) الكامل ، ٤ ص ١٥٨ .

المسلمين [1] ، وليس فقط : أمير المؤمنين . ومع ذلك لانعتقد أن التحول للإسلام مبعثه حل مشكلات إجتماعية أو إقتصادية ؛ ولكن أيضاً له علاقة بالظمأ الروحي ؛ حتى أن الفقه صار في ذلك الوقت في جميع البلدان إلى الموالي ، كما يلاحظ ياقوت [2] .

ففي مصر كثر عدد من أسلم ، بحيث استطاع الإسلام أن ينافس الديانة القبطية ، وكان دخول المصريين فيه بنفس السرعة ، التي اعتنقوا بها النصرانية في القرن الرابع الميلادي . ونجد حيان بن شريح عامل مصر ، يكتب إلى عمر ابن عبد العزيز يقول له : إن أهل الذمة أسرعوا إلى الإسلام [3] .

كذلك كثر الإسلام في عهده بين الفرس وبخاصة في خراسان ، فقد كان سلمان الفارسي ـ صديق النبي ـ أول من أسلم منهم ؛ حيث أسلم عدد كبير من الفرس ، وكانوا يغزون مع العرب [4] . ولما كتب عمر إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام ، أرسل بعض الملوك يعلنون إسلامهم [5] . كذلك أسلم عدد كبير من ترك هذه النواحي ؛ وخصوصاً أن دين الترك الوثني والأديان الأخرى المنتشرة بينهم مثل المجوسية ، لم تكن تستطيع أن تقف أمام الإسلام المنتصر [6] .

وكتب عمر إلى ملوك السند يدعوهم أيضاً إلى الإسلام والطاعة ، على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ؛ فأسلم جيشبة بن ذاهر ملك الهند وبقية الملوك ، وتسموا بأسماء العرب [7] . وقد كان أثر ذلك كبيراً ؛ فهذه الأجزاء

(١) نفسه ، ٤ ص ١٦٣ س ١٩ .
(٢) معجم البلدان ، ٣ ص ٤١٢ س ١ ومابعدها .
(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٨٣ س ١٥ ، انظر . أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩٣ .
(٤) الكامل ، ٤ ص ١٥٨ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٠٩ ؛ انظر . أرنولد ، الدعوة ، ص ٧٦ .
(٥) فتوح البلدان ، ص ٢٤٦ .
(٦) أنظر . شميرة ، ممالك ماوراء ، ص ٣٧ .
(٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٤ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٣٤ .

من الهند لازالت مسلمة ، وترتب على تحولها خلق لغـــة جديدة هى اللغة الأردية ، التى ظهرت نتيجة لإختلاط الهندية بالعربية بالفارسية [١] .

ولـكن أثر هذه السياسة كان على الخصوص قوياً فى بلاد المغرب بين البربر. حقاً إن أبا المهاجر يُعتبر صانع الإسلام بين البربر ؛ إذ كان حريصاً على دعوتهم إلى الإسلام [٢] ؛ كما أن أبا موسى بن نصير قد نجح فى كسبهم إلى الإسلام ؛ فكان يشترى الرقيق ويحوله إلى الإسلام ويعتقه ، وترك بين المغاربة الفقهاء لتعليمهم الدين ، حتى أن سـكان المغرب الأقصى فى زمنه أسلموا إسلاماً صحيحاً ، وجاهدوا مع العرب بغزو الأندلس [٣] . وفى عهد عمر بن عبد العزيز نجح عامله إسماعيل بن عبدالله بن أبى المهاجر ، وكان فقيهاً ، من أن ينشر الإسلام فى جميع أرجاء المغرب ، وحتى لم يبق فى شمال أفريقيا أى سا كن إلا وتحـول إلى الإسلام [٤] ، حتى الأديان السماوية الأخرى ، التى انتشرت فى المغرب عن طريق مصر أو أوربا ، مثل اليهودية والنصرانية اضمحلتا [٥] ؛ فهذه البلاد ـ أى المغرب ـ كما لاحظ المؤرخون كانت سريعة التأثر بالمحتل على الخصوص. [٦]

أما فى الشام والجزيرة والعراق ، فيبدو أن تحولها إلى الإسلام كان منذ زمن مبـكر ، لأن غالبية سكانها من العرب ، الذين أقبلوا بطبيعة الحال على دينهم القومى.

*

(١) أنظر . Philips : India, p.25.

(٢) أنظر . قبله .

(٣) أنظر . قبله : عبيد الله (نص جديد) ص ٢٢٤ ؛ العبر ، ٦ ص ١١٨ .

(٤) البيان ، ١ ص ٤٨ ؛ فتوح البلدان ، ص ٢٣١ .

(٥) أنظر . Bonet-Maury: L'Islamisme et le Christianisme. ı Afrique. Paris, 1906, p. 6.

(٦) العبر ٦ ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ انظر . Bel: ›up d‚oeil sur l'Islanı, Berbérie. Paris, 1917, p.3.4.

وقد اتبع عمر بن عبد العزيز سياسة حذوة تختلف عن سياسة جميع خلفاء الدولة العربية : فهو على عكس مايظن لم يوقف الغزو ؛ لأنه كان يقدر أهمية الجهاد لوقف خطر أعداء الإسلام ؛ الذين كانوا مشتبكين معه فى كل مكان . ولكنه أراد أن يكون الغزو لوجه الجهاد خالصاً ؛ لامجرد حملات للبحث عن الغنيمة ، أو للسلب والنهب والرغبة فى القتل [١] . وفى الواقع لم يكن يهم عمر ابن عبد العزيز أن تكون له الفتوح العظيمة كسابقيه ؛ ولذلك كانت فترة حكمه القصيرة ، التى امتدت إلى سنتين ، خالية من الغزوات الكبيرة .

ففى الجبهة البيزنطية كتب إلى مسلمة يأمره بالقفول فى سنة ٩٩/٧١٧[٢] ؛ وأرسل إليه مدداً ومؤناً من خيل وطعام كثير ؛ إذ لم يكن العرب يستطيعون الصمود بعد مالاقوة من شدة فى حملتهم فى عهد سليمان . ويبدو أنهم على الرغم مما لحق بهم فى أثناء تقهقرهم ، تمكنوا من القضاء على جيش بيزنطى كبير اعترض طريقهم ؛ بحيث أنه لما أرسل نحوهم جيش آخر وعلم بهذه الذبحة عاد أدراجه[٣]. ولكن لايعنى هذا أن حملات العرب على الروم قد توقفت؛ وإنما اعتبرت دائماً بلادهم أرض حرب [٤] ؛ واستمر خروج الصوائف ونصب المجانيق لدك حصون العدو[٥]؛ وجعلت ملطية كما كانت فى أيام معاوية ، مركزاً لها[٦] . وقد كان

(١) العقد ، ص ٤٨ .
(٢) الكامل ، ص ١٥٤ ؛ انظر . قبله .
(٣) أنظر Donys, p.14 .
(٤) ابن سعد ، ٥ ص ٢٦١ س ٩ .
(٥) نفسه . ص ٢٦٠ .
(٦) الكامل ، ٤ ص ١٥٩ — ١٦٠ . يبدو أن المسلمين منذ عهد عبد الملك ، كانوا قد انتقلوا إلى حصن طرندة قرب ملطية ، فأمر عمر بالقفول منه بعد أن خرب ، وذلك فى سنة ١٠٠ هـ . عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ٤٦ .

عمر يقاتل الروم على أساس السنة القديمة ؛ فكان يدعو الحصن من حصون الروم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال (١) . ومن ناحية أخرى نظّم للمجاهدين في الثغور حياتهم ؛ فجعل الرباط أربعين يوماً (٢) ؛ وكان يأخذ من تكبي المخالفات منهم بالعقاب ؛ إذ كان يعتبر إقامة الحدود كإقامة الصلاة والزكاة (٣) .

وتظهر طبيعة عمر بن عبد العزيز الإنسانية في محاولة معالجة مسألة الأسرى ؛ لامن المسلمين فقط ، ولكن من الروم أيضاً ؛ مما يدل على امتلاء قلبه بحب البشرية . فقد دخل في مفاوضات مع البيزنطيين للبحث في مسألة فداء المسلمين الأسرى ، الذين وقعوا في الحملات التي وجهت في آسية الصغرى طول حكم الخلفاء السابقين (٤) ؛ فكانت المفاوضات في سبيل ذلك أول أمر وقع بين بزنطة والعرب ؛ ولكي يحثهم على ذلك عرض عليهم ملطية (٥) ، وكان يعطى برجل من المسلمين عشرة من الروم (٦) . كذلك حفظ للأسير امرأته ، فقضى بألا تنكح وزوجها في الأسر (٧) . ومن ناحية أخرى كان يكره قتل أسرى العدو ، فكانوا يسترقون أو يعتقون (٨) ، مع ان سليمان وحاشيته بما فيها من الشعراء ؛ كانوا يتسلون بقتل الأسرى (٩) .

---

(١) ابن سعد ، ٥ ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٢) نفسه ، ٥ ص ٢٦١ س ١٨ — ١٩ .

(٣) نفسه . ٥ ص ٢٧٨ س ٢٨ .

(٤) البلاذرى ، فتوح ، ص ١٣٢ ؛ انظر. Cheira: La lutte, p. 208-9 .

(٥) العيون والحدائق ، ص ٦٣ . يقول مائة ألف أسير .

(٦) ابن سعد ، ٥ ص ٢٦٠ س ٢٦ — ٢٧ .

(٧) نفسه ، ٥ ص ٢٥٩ س ١٠ — ١١

(٨) نفسه ، ٥ ص ٢٦١ س ٣ــ٤ .

(٩) الكامل ، ٤ ص ١٥١ .

وفى ناحية الشرق ، كان العرب بعد فتوحهم العظيمة قد وصلوا إلى بلاد وثنية ، وكان موقف المسلمين منها إما تحويلها إلى الإسلام أو القضاء عليها . وكانت حملات الشرق على يد يزيد بن المهلب عامل العراق ، قد جلبت أموالاً كثيرة ؛ إلا أنه كان فيها قسوة شديدة ؛ لذلك عزله لمآخذ عليه ، وولى بدله الجراح بن عبدالله الحكمى [١] ؛ إلا أنه كان فيه جفاء ، فولى غيره [٢] ؛ وأمر بأن تكون الحملات فى هذه النواحى حملات جهاد حق [٣] : فاستمر الجهاد ضد الديلم من سكان بحر قزوين ، الذين أغاروا على المسلمين فى ثغر قزوين؛ فحاربهم وحمى الثغر [٤] ؛ كما حارب الترك من ناحية آذربيجان [٥] ؛ وكذلك قام عامله عمر بن مسلم الباهلى أخو قتيبة بن مسلم بغزو مظفر فى الهند [٦] .

وفى جبهة الأندلس كان العرب بعد قتل عبد العزيز بن موسى فى سنة ٧١٥/٩٧ [٧] ؛ قد ولوا عليهم أيوب بن حبيب اللخمى أحد أقرباء موسى ؛ فقام بنقل العاصمة من أشبيلية ، التى اتخذهـا عبد العزيز قصبة للعرب منذ الفتح إلى قرطبة [٨] ؛ وسك عملة إسلامية صرفة فى سنة ٧١٦/٩٨ [٩] . وقد

---

(١) نفسه ، ٤ص ١٥٤ ، ١٥٧ . وذلك فى سنة مائة . أنظر . أيضاً :فتوح البلدان ، ص ٣٣٧ .

(٢) نفسه ، ٤ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٣) العقد ، ١٧٤ص

(٤) الكامل ، ٤ص ٧٧ ،

(٥) نفسه ، ٤ ص ١٥٤ ؛

(٦) نفسه ، ٤ ص ١٦٠ ؛

(٧) أنظر . قبله :لسان الدين الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام تحقيق Lévi- Prvençale ، ١٩٥٦ ، ص ٦ .

(٨) البيان ، ٢ ص ٢٣ ؛ أخبار مجموعة ، ٢١ .

(٩) أنظر . Op. Cit 1, p 97 : Lavoix

Les Monnayages Latino-Arabes, p.61. ;Guiliou;
بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، العدد الثالث ، المجلد الأول ، سنة ١٩٥٥ .

كان تصرّف سليمان فى هذه الناحية أن أوقف الزحف ، ولم يحدث شىء جديد فى عهده ، وبخاصة أنه غيرَّ العامل (1) ؛ إلى أن جاء السمّح بن مالك الخَولانى من قبل عمر بن عبد العزيز فى سنة ١٠٠ / ٧١٨ (2) ؛ فعاد إلى الثارة فى الأراضى الواقعة شمال جبال البرت .

*

هذا الخليفة المثالى ، الذى عمل على نشر العدل والإنسانية بين سكان دار الإسلام ؛ حكم أقل من ثلاث سنوات ، وتوفى بخناصرة بليدة قرب حلب فى البادية ، وهو شاب لم يتجاوز الأربعين (3) ؛ أو لعله مات مسموماً على يد بنى أمية ، الذين خافوا أن يخرج الأمر منهم ، فسقوه السم فمات (4) .

* * *

وبعد عمر بن عبد العزيز تولى الخلافـــة يزيد بن عبد الملك بعهد من أخيه سليمان أو من أبيه عبد الملك (5) . وكان سليمان قد حاول تنحيته عن ولاية عهده بتولية أحد أبنائه ؛ ولكن لم يلبث أن سلّم الأمر لابن عمه عمر ؛ ولاسيما أن يزيد كان وقتئذ غائباً (6) . ورجل مثالى كعمر لابد أنه لم يكن يرغب أيضاً فى أن يولى عهده يزيد ؛ لما عُرف عن يزيد من تبذله وميله إلى اللهو ؛ حتى أن الخوارج كانت تحرضه على عزله (7) . ولكنا لانعتقد أن عمر أراد أن يفعل كما فعل معاوية الثانى ؛ فيخرج الخلافة من بنى امية ؛

(1) هو الحر بن عبد الرحمن الثقفى . أنظر البيان ١ س ٤٧ .

(2) المصدر الأخير ، ١ ص ٤٨ ، ٢ ص ٢٦ . لاتصدق قول ابن القوطية إنه كان من رأى عمر بن عبد العزيز أن يقفل أهلها منها ؛ لانقطاعهم من وراء البحر عن المسلمين . أنظر . إفتتاح الأندلس ص ٢٠٦ .

(3) الكامل ، ٤ ص ١٦١ . عن خناصرة ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ٤٦٧ .

(4) نفسه ، ٤ ص ١٥٧ .

(5) نفسه ، ٤ ص ١٥٢ ؛ صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٥٧ ؛ انظر . قبله .

(6) الكامل ، ٤ ص ١٥٢ . يقول فى الموسم ، ولعله يقصد فى الحج .

(7) نفسه ، ٤ ص ١٥٦ .

لاعتقاده بأن هذا الحق ليس لهم ؛ وإنما نرى أن عمر كان عربياً أموياً يرى أن الخلافة يجب أن تبقى فى هذا البيت ؛ إلا أنه كان لا يريدها ليزيد ؛ وهدد بنى مراون بالانسحاب إلى المدينة ليجعلها شورى (١) . لذلك ربما قد يكون ليزيد يد فى موته مسموماً (٢) ، وإن كتب عمر إليه وهو على فراش الموت يوصيه بالأمة.(٣) وقد بويع ليزيد فى اليوم الذى توفى فيه عمر ، وذلك فى رجب من سنة ١٠١ (٤)/ فبراير ٧٢٠ .

*

وقد كان هذا الخليفة مثل غيره من الأمويين يحب حياة البادية ، فينزل فى موضع اسمه مُوقّر فى البلقاء قرب دمشق (٥) ، واستسلم لغرائزه ؛ وشغف بحب جاريتين إحداها تسمى: حبابة (٦) ، والأخرى سلّامة القس (٧) ، وكلاهما كانت تغنى وتضرب بالعود . وكان أخوه مسلمة ـ القائد المعروف ـ يلومه فى الإلحاح على الغناء والشراب وتشاغله عن مصالح الأمة ؛ ولكنه لم يقبل غير نصيحة حبابة التى غنته : ما العيش إلا ماتلذ وتشتهى (٨) . كذلك ظهرت له

(١) ابن سعد ، ٥ ص ٢٥٣ .
(٢) الكامل ، ٤ص ١٥٧ .
(٣) نفسه ، ٥ ص ١٦٦ س١ — ٢ .
(٤) نفسه ، ٤ ص ١٩٥ ؛ العيون والحدائق ، ص ٦٤ . عنه ، انظر المصادر الواردة فى هذه الهوامش ، وبخاصة للمصدر الأخير ، ص ٦٤ وما بعدها ؛ وأيضاً :
Ency. de l'Isl' (art Yazid B. 'Abd al-Malik) t 4, p. 1226.
(٥) الأغانى ، ١٣ ص ١٦٠ س ٣ ؛ معجم البلدان ، ٨ص ١٩٩ ؛ انظر ، قبله .
(٦) حبابة مولدة من المدينة ، وكان اسمها العالية ، اشتراها يزيد أيام أخيه سليمان حينما حج إلى المدينة ؛ وهو الذى سماها حبابة ، وأجبره سليمان على بيعها لرجل من إفريقية ؛ فلما ولى الخلافة اشترتها له زوجته على أن يجعل ابنها الوليد ولى عهده ، عنها ، انظر . الأغانى ، ٤ س ١٥٤ وما بعدها ؛
Ency. de l'Isl' Iart Hababa) 2 ed t 3, p. 2—3:
(٧) سلامة القس، كانت لرجل عابد يسمى القس لعبادته وأخذها يزيد منه . الكامل ، ٤ ص ١٩١ — ١٩٢ .
(٨) الأغانى، ٣ ص ١٥٧ — ١٥٨.

تصرفات غريبة أخذها عليه المؤرخون ، مثل : أمره بقتل كل ما هو أبيض من كلاب وحمام وديوك ورجال شقر ، وقطع ذراع السارق وليس يده ، وهدم الصور فى الكنائس ؛ مما جر إلى إحتقار أهل عصره له على حد قولهم [1] . هذه الحياة العابثة جعلته لا يهتم بأحوال الدولة ، وإنما تركها للولاة أو لجواريه ؛ بحيث أن حبابة كانت تولى وتعزل العمال بغير أمره [2] ؛ فضاعت المثالية فى الحكم التى وضعها عمر ، وعادت الأمور إلى أسوأ مما كانت عليه من قبل ؛ فهو على حد قول ابن الأثير : عمد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده [3] .

فقد جرت سياسته الداخلية إلى بعث روح العصبية بين اليمانية والمضرية ؛ مما جعلها تنخر فى عظام الخلافة الأموية ، إلى أن قضت عليها . حقاً إنه منذ أن صالح عبد الملك المضرية ونفوذها فى ازدياد ، ولا سيما أن الحجاج — وهو مضرى — كان يسيطر على الدولة فى عهدى عبد الملك والوليد . ومع ذلك؛ فإن الخليفتين كانا يمسكان العصا من وسطها ، ولا يظهر أنهما تعصبا لفريق دون آخر ، بل كانا يستخدمان من اليمانية عمالاً فى عمل الحجاج نفسه . ولما جاء سليمان الذى كان يحقد على الحجاج ، لم يتبع سياسة نصرة اليمانية على القيسية ، وإنما حفظ التوازن بين القبيلتين . ولكن يزيد ، الذى كان متزوجاً ببنت أخى الحجاج [4]، أعلن انضمامه صراحة للمضرية ، وجعلها تستأثر بعطف الخلافة الأموية على

---

(١) أنظر Denys, p. 17—18 .

(٢) الأغانى ١٣ ص ١٥٧ .

(٣) الكامل، ٤ ص ٦٦ س ٧ — ٨ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٦٠ .

حساب أهل الشام [1] ؛ مع أن اليمانية كانوا أغلب سكان الشام التي بها مركز حكم الأمويين ؛ فأنقص يزيد عطاء اليمانية وجعله نصف عطاء المضرية ؛ مما أدى إلى حدوث اضطراب في الشام نفسها [2] .

ولكن غضب اليمانية على خلافة يزيد بلغ غايته في عمل العراق حينما هرب إليها يزيد بن المهلب [3] ، الذي كان عاملاً للحجاج على خراسان بعد وفاة أبيه في سنة ٨٢/٧٠٢ [4] ؛ ثم عزله عبد الملك رأى الحجاج ، وولى مكانه قتيبة ابن مسلم - كما ذكرنا - في سنة ٨٥/٧٠٤ [5] ؛ لأن الحجاج كان يرى فيه النجابة ويخاف منه ؛ فأخذ الحجاج يزيد وحبسه إلى أن تمكن يزيد من الهروب في سنة ٩٠/٧٠٨-٧٠٩ [6] . وقد أجار سليمان يزيد بالشام وأخذ له الأمان من الوليد ، بأن أرسله مقيداً مع ابنه أيوب في سلسلة واحدة . ولما تولى سليمان الخلافة عزل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج من عمل العراق ، وولاه إياه في سنة ٩٧/٧١٥ [7] ، على حربه وصلاته وليس على خراجه [8] . ولم يلبث يزيد بن المهلب أن سيطر على عامل الخراج أيضاً ، وطمع في خراسان فوليها [9] ؛ فقام بفتوح عظيمة في نواحي بحر قزوين .

إلا أنه لما تولى عمر بن عبد العزيز عزله لمآخذ عليه ؛ ربما لأنه كان يكرهه وأهل بيته ويقول عنهم : هؤلاء جبابرة ، أو لأن يزيد كان يقول عن عمر إني لأظنه

(١) أنظر . Denys, p.81

(٢) الطبري (Annales) ٢ : ١٨١٤ ؛ Theophanes, p. 412

(٣) العيون والحدائق ، ص ٥٠ وما بعدها ؛ انظر . قبله .

(٤) الكامل ، ٤ ص ٨٣ ؛ انظر . قبله .

(٥) نفسه ، ٤ ص ٩٦ ؛ وفيات ، ٢ ص ٣٩٣ ؛ انظر . قبله .

(٦) الكامل ، ٤ ص ١١٤ — ١١٦ ؛ انظر . قبله .

(٧) وفيات ، ٢ ص ٤٠٢ .

(٨) الكامل ، ٤ ص ١٤٤ .

(٩) نفسه ، ٥ ص ١٤٥ .

مرائياً[1] . ولكن السبب الحقيق هو مماطلة يزيد بن المهلب فى إرجاع خمس الغنائم التى حصل عليها فى حروبه التى قام بها فى نواحى بحر قزوين ؛ وكان قد وقع فى يد عمر كتاب مرسل منه إلى سليمان ؛ يخبره فيه أنه قادم ومعه غنائم كثيرة [2] .وعلى الرغم من أنه لم تثبت على يزيد البيّنة بأخذ هذه الأموال وأنه قال فى ذلك [3] : « إنما كتبت إلى سليمان من باب المباهاة » ؛ فإن عمر أذله بأن أراد أن يرسل به إلى دَهْلَك وهى جزيرة فى البحر الأحمر بجوار سواكن ، حيث كان خلفاء بنى أمية يحبسون فيها من ينقمون عليه ؛ ولما أظهرت عشيرته غضبها ؛ اكتفى عمر بحبسه فى حصن حلب سنة ١٠٠/٧١٨ [4] .

وقد استطاع يزيد بن المهلب الفرار من سجنه هذه المرة أيضاً ، لما سمع بموت عمر بن عبد العزيز فى سنة ١٠١/ ٧١٩[5] ؛ لخوفه من يزيد بن عبد الملك ، لأن ابن المهلب كان قد عذب آل الحجاج ، بأن أخذهم إلى بادية الشام وحبسهم ، ولم يشفع فى زوجة يزيد أو أختها من بنات الحجاج إلا لما جاءه يزيد بنفسه ؛ بحيث أن هذا الأخير هدده وقال له : « أما والله لئن وليت من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً » ، فقال ابن المهلب : « والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف » . وقد هرب يزيد بن المهلب إلى واسط بالعراق ، لوجود قبيلته الأزد بها ، ولأنه لما ولىّ العراق لسليمان اتبع سياسة تخالف سياسة الحجاج ، فأخلى المحابس وأحسن إلى الناس بما حبسهم فيه [6] ؛ ولعله لم يختر خراسان — عمله السابق —

(١) نفسه ، ص ١٥٧ .

(٢) نفسه ؛ فتوح البلدان ، ص ٤٣٧ ،

(٣) وفيات ، ٢ص ٢٩٧ ؛ الكامل ؛ ٤ص ١٥٧ .

(٤) نفسه ، ٢ص٤٠٥ ؛ نفسه .

(٥) الكامل ، ٤ص ١٦٠ .

(٦) نفسه ؛ ٤ص ١٥١ .

لوجود قبائل مصرية بها [1] ؛ ولأنه كان قد أساء لأهل الشام فيها [2] . وفى أول الأمر طلب الأمان من عمه يزيد [3] ، وحاول أن يتفادى خلعه أو قتال عدى ابن أرطاة عامله بالبصرة ، وجاءت اليمانية إلى ابن المهلب ، والمضرية إلى عدى . وقد تظاهر عدى برغبته فى التفاوض ، وفى الوقت نفسه حبس بعض أخوة ابن المهلب ، فلم يكن بد من أن يحدث قتال ، إلا أن عسكر ابن المهلب تمكنوا من الانتصار على عسكر عدى ، الذين مالوا إلى ابن المهلب لكرمه وبعدها خلع ابن المهلب الخليفة ، ودعا إلى الرضا من بنى هاشم ، أو الشورى فى إختيار الخليفة ؛ فكانت بيعته على كتاب الله وسنة نبيه [4] . وهكذا عاد العراق إلى الثورة على الخلافة الأموية ، كما حدث فى فتنة المختار ومصعب وابن الأشعث من قبل ، وعاد النزاع بين الشام والعراق .

ولكن الخليفة أرسل إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وعباس بن الوليد ، وكلاهما من كبار القواد ، فتمكنا من صده عن أخذ الكوفة [5] . بعد ذلك التقى ابن المهلب مع الجيوش الشامية فى مكان العقر أو عقر بابل قرب كربلاء يمين الفرات فى سنة ١٠٢/٧٢٠ [6] ، وكان معه أخوته ؛ وهم كثيرون [7] ،

---

(١) أنظر . Wellhausen: Arab, p.315—316.

(٢) لعل سليمان هو الذى طلب منه التأكد من أن قتيبة خلعه ، إذ كانت قيس تزعم أنه لم يخلع ، فقام باذى أهل الشام أثناء تحقيقه ذلك . الكامل ، ٤ ص ١٤٥ — ١٤٦

(٣) العيون والحدائق ، ص ٥٢ — ٥٤ .

(٤) نفسه ، ص ٦٥ .

(٥) وفيات ، ٢ ص ٤٠٧ـ٤٠٨ . عنها ، انظر ، معجم البلدان ، ٦ ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٦) الكامل ، ٤ ص ١٧٤ـ١٨٢ ،

(٧) قد يبلغ عددهم ثلاثة . أنظر . وفيات ، ٢ ص ٢١٦ س ٢٥ .

وبخاصة أن أباهم المهلب قبل موته أوصاهم بألا يتفرقوا [1] . ولكن كفة جيوش الشام رجحت بسبب انضمام مضرية البصرة إليهم [2]، ولأن الحسن البصرى الفقيه المعروف كان يثبط همم أهل البصرة فى الانحياز إلى آل المهلب [3] . وبعد قتال استمر ثمانية أيام تغلب مسلمة بالخديعة ، بأن أحرق جسراً على فرات البصرة؛ فظن عسكر ابن المهلب أنها الهزيمة ، وتسللوا [4] . ومع أن ابن المهلب كان فى أثناء القتال قد أصيب بالحمى ، ووضع على كرسى ؛ إلا أنه لما شعر بالهزيمة امتطى جواده وقاتل إلى أن قتل [5] . وقد هرب آل المهلب إلى كرمان المجاورة فى سفن ، فأرسل مسلمة فى طلبهم وقتل أغلبهم ؛ إلا من استطاع الفرار إلى الهند [6] . وبذلك قضى على فتنة قوم كانوا قد تفانوا فى خدمة الأمويين ، وقاموا بفتوحات عظيمة ، وضرب بهم الشعراء المثل فى الكرم ، حتى قيل لم يكن فى بنى أمية أكرم من بنى المهلب [7] .

ولسوء سياسة يزيد عاد الخوارج أيضاً إلى مهاجمة العراق . فنجد شوذب الخارجى المسمى أيضاً بسطام ، الذى ظهر فى عهد عمر وهادنه يهاجم الكوفة ، ويهزم جيوشها عدة مرات . ولكن مسلمة حينما دخل الكوفة لحرب ابن المهلب أرسل نحوه جيشاً ضخماً تمكن من قتله بعد معركة شديدة [8] . ولما استدعى

---

(١) قبل وفاته أحضر سهاماً فحزمت ، وقال لأبنائه : أتكسرونها مجتمعة ؟ قالوا: لا، قال : أفتكسرونها متفرقة ؟ قالوا : نعم ، قال: فهكذا الجماعة . الكامل ، ٤ ص ٨٣ .

(٢) المصدر الأخير ، ٤ص١٦٩ ص ١٠ .

(٣) نفسه ، ٤ص ١٧٠ . توفى فى عهد هشام سنة ١١٠ ، نفسه ، ٤ ص ٢٠٥ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ١٧٣ .

(٥) العيون والحدائق، ٥ ص ٧١.

(٦) الكامل ، ٤ ص ١٧٥ ؛ وفيات ، ٢ص ٤٠٩.

(٧) وفيات ، ٢ ص ٣٩٥. أنظر قصائد ثابت قطنة فى : الطبرى (طبعة مصر) ، ٥ ص ٣٤٨ _ ٣٤٩ .

(٨) العيون والحدائق ، ص ٦٤ — ٦٥ ؛ الكامل ، ٤ ص ١٦٦ — ١٦٧ .

يزيد مسلمة من عمل العراق ، وولاه عمر بن هبيرة فى سنه ١٠٢ / ٧٢٠ ؛ بناء على سعاية جاريته حبابة ؛ ولأنه كان من أتباع الحجاج الذين عُرفوا بالنجابة ، كان ابن هبيرة يحارب الخوارج فى عمله (١) ؛ كما أن يزيد نفسه اضطر إلى استعطاف حرورى اسمه عقفان ومصالحته (٢) .

أما فى الولايات : ففى عهده رجع العمال إلى سياستهم الأولى فى الإساءة إلى الموالى ، بالاعتماد على القوة وحدها ؛ مما جعلهم يثورون على الخلافة، ويكفرون بالإسلام .

ففى أول خلافته ولىَّ يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج وصاحب شرطته على المغرب ؛ وهو دميم قصير ، اشتهر بقسوته مثل الحجاج فى العراق ، وكان سليمان قد عزله عن العراق وولى ابن المهلب كما ذكرنا ؛ كما أن عمر بن عبد العزيز حبسه ؛ لأنه كان يكره سيرة الحجاج (٣) . فسار يزيد بن أبى مسلم فى البربر بسيرة الحجاج مخالفاً سياسة عامل عمر قبله ؛ فاعاد الجزية على من أسلم ، وكان يرسم اسم حرسه على أيديهم كما تصنع الملوك من غير المسلمين ؛ فثار عليه البربر وقتلوه (٤) ؛ وكتبوا إلى يزيد أنهم لم يخلعوا أيديهم عن الطاعة ، فادعى أنه لم يقرّه على فعله (٥) ، ثم ولى عليهم عاملاً آخر هو بشر بن صفوان سار على نفس السياسة المعادية للبربر ؛ وأخذ فى تعذيب آل موسى بن نصير (٦) .

(١) الكامل ، ٤ص ١٩٠ عن ابن هبيرة ، انظر . العبر ، ٣ ص٨٢ — ٨٣ ؛ Ency. de l'Isl, (art Ibn Hubaira) t2, p.411.

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(٣) وفيات ، ٢ ص ٤١١ — ٤١٢ . تولاها فى سنة ١٠١ أو ١٠٢ . الكامل ، ٤ص ١٨٢ .

(٤) البيان ، ١ص ٤٨ ؛ فتوح البلدان ، ٢٣١ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ١٨٢ .

(٦) البيان ، ١ ص ٤٩ ؛ معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٢ ؛ الخطط ٢ص ٨٦ .

وفى بلاد ما وراء النهر ، عاد العمال إلى استخدام القسوة أيضاً ؛ مما جر إلى نقض أغلب مما لكها حلفها مع المسلمين، مثل : الصُغد [1] وفَرغانة [2] وكَش ونَسف [3] ؛ بل إن كثيراً من الأهالى ارتدوا عن الإسلام، الذى كانوا قد أقبلوا عليه فى عهد عمر بن عبد العزيز . كذلك شغل العرب فيها بنزاعهم القبلى ، فلم يهتموا بإخماد ثورة أهلها؛ حتى وُسموا بالجبن [4] ، واستفحلت الفتنة بحيث لما أرسل مسلمة من العراق عاملاً اسمه سعيد ، سموه خذينة لضعفه ولينه ، وهزموه هزيمة منكرة [5] . فلما تولى ابن هبيرة العراق عزل سعيد خذينة ، وأرسل بدله قائداً اسمه ابن عمر الحرشى - كان عُرف بشجاعته فى قتال الخوارج [6] - فحث العرب على الجهاد، وصالح كثيراً من بلاد ما وراء النهر الثائرة ، مثل كش ونسف ؛ كما أنه حارب الصغد بمساعدة خوارزمشاه وأخرون وشومان ، وقتل كثيراً منهم [7] . إلا أن ابن هبيرة مالبث أن عزله فى السنة الأخيرة من خلافة يزيد ، وتولاها مسلم بن سعيد ، الذى لم يفعل شيئاً [8] ؛ وما أضعف سيطرة العرب فى هذه النواحى .

وأما سياسته الخارجية ، فنجد أن الأمور تتأزم بسبب الفرصة التى أتاحها عمر بن عبد العزيز بسياسته المثالية ، وإهمال يزيد للجهاد بإقباله على اللهو ، فلم نسد نسمع عن غزوة عظيمة فى عهده ، وإنما أصبح همّ قواده أن يبقوا ما استطاعوا على أملاك الخلافة ، ووقف خطر الأعداء الطامعين فيها

(١) الكامل ، ٤ ص ١٧٩ — ١٨٠ .
(٢) الطبرى ، ٢ : ١٤٤٠ .
(٣) الكامل ، ٤ ص ١٨٦ .
(٤) نفسه ، ٤ ص ١٧٧ .
(٥) نفسه ، ٤ص ١٧٩ — ١٨٠ .
(٦) نفسه ، ٤ص ١٦٧ ؛ انظر . قبله .
(٧) نفسه ، ٤ص ١٨٦ ؛ العبر ، ٣ص٦ ٨٣ .
(٨) نفسه ، ٣ص١٨٨ — ١٨٩ ؛ نفسه ، ٦ص ٨٥ .

فنى الجبهة البيزنطية كادت الحملات تقف ، ولم نسمع إلا عن غزوات ممدودة [1] ؛ حتى أن ابن المهلب ، وصف جند الشام فى عهده بأنهم برابرة وجرامقة وأبناء فلاحين وأوباش وأخلاط [2] ، بل نزل الروم إلى الساحل المصرى [3] ؛ وفى الشرق عاد خاقان الترك إلى التدخل فى بلاد ما وراء النهر ، منتهزاً ثورتها على الخلافة ؛ بحيث تحالف مع دهاقنة كثيرين فيها [4] ؛ كما أن الشعوب القوقازية على حدود أرمينية بدأت تغير فيها وتهزم عمال العرب ؛ لولا أن يزيد أرسل إليهم أحد قواد المسلمين المهرة وهو الجراح بن عبد الله الحكمى ، الذى أوقف تقدمهم [5] ، دون أن يقضى على خطرهم ؛ أما فى الهند فلم نسمع عن حملات ؛ وإن كان فى الأرض الكبيرة المجاورة للأندلس نسمع بقتل عامل الخلافة السمح بن مالك الخولانى [6] .

وقد جاء موت هذا الخليفة العابث بعد حكم دام أربع سنين فى ١٠٥/٧٢٤ ؛ بسبب حزنه على جاريته حبابة التى رماها بحبة عنب ، فدخلت حلقها فشرقت وماتت ، فتركها ثلاثة أيام لا يدفنها وهو يشمها ويقبلها ؛ فلما شيعها عجز عن المشى ، وبقى خمسة عشر يوماً ، ومات ودفن إلى جوارها [7] .



---

(١) الكامل ، ٤ ص ١٨٢ . غزاهم عمر بن هبيرة وعباس بن الوليد فى سنة ١٠٢ هـ.
(٢) نفسه ، ٤ص ١٧٠ ص ٨ .
(٣) الخطط ، ٢ص ٨٦ فى ولاية بشر بن صفوان .
(٤) نفسه ، ٤ص ١٧٨ — ١٨٩ .
(٥) نفسه ، ٤ ص ١٨٦ — ١٨٧ .
(٦) البيان ، ٢ ص ٢٦ ؛ فجر الأندلس ، ص ٢٤٦
(٧) الكامل ، ٤ص ١٩٠ — ١٩١ .

وفى يوم موت يزيد، بويع لهشام بن عبد الملك فى شعبان سنة ١٠٥هـ/٧٢٤ [١]: فقد تولى عهده منذ أن وجه الجيوش إلى العراق ، فطلب منه العباس بن الوليد أن يعهد لخلف له ، خوفاً من أن يفت فى عضد الجند ، إذا ما قال أهل العراق مات أمير المؤمنين ولم يترك خلفاً ؛ وطالب منه أن يولى ابنه الوليد ؛ حيث كان يزيد يسعى إلى ذلك . ولكن أخاه مسلمة بن عبد الملك ، تدخل فى الأمر ، وطلب منه أن يعين هشاماً ، لأن الوليد حدث لمّا يتجاوز عمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، على أن يولى ابنه بعده [٢] . ولم يطلب مسلمة أو العباس الخلافة لنفسيهما ؛ لأن الأول كانت أمه من الرقيق [٣] . والثانى كانت أمه رومية [٤] .

وقد كان لحسن حظ الخلافة الأموية أن هشاماً اهتم بشئون الدولة العربية؛ وإن أحب سكنى البادية مثل غيره من خلفاء الأمويين ، فكان يقيم قبل خلافته وإلى وقت وفاته ؛ بموضع فى وسط الصحراء غربى الفرات ، كان لملوك الغساسنة وتكثر به الكنائس العظيمة عرف باسمه ، وهو : رُصَافَة هشام أو رُصَافَة الشام ؛ وكان شرب سكانها من صهاريج [٥] ؛ لأنه لم يكن عندها نهر ولا عين جارية . وعلى نقيض يزيد كان هشام تقياً ؛ إلا أن هوايته بدت فى أنه كان يقيم فى أكثر المدن الحوانيت والخانات والبيوت ليستغلها [٦] . ولايمى

(١) الكامل ، ٤ ص ١٩٢ عنه: العيون والحدائق ، ص ٨١ وما بعدها ؛ انظر .
Ency de l'Isl, (art Hishâm B.'Abd al-Malik) t2, p. 337-338. Il Califfato di Hishâm. Mem de la Soc. R. d'Arch,:Gabrieli ؛ d'Alex. t VII/1,1955.

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٧٧ – ١٧٨ ؛ الأغانى ، ٦ ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٣) أنظر . Ency. (art Maslama) t3, p. 477

(٤) الطبرى (طبعة مصر) ، ٥ ص ٣٢٣ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٨٠ ؛ معجم البلدان ، ٤ ص ٢٥٥ – ٢٥٦ ؛ انظر . Ency.de l'Isl, (art al-Rusâfa) t3, p.1265 sqq. الرصافة مواضع كثيرة. كذلك قد يكون سكن بجوار تدمر ؛ فإنه ينسب بناء قصر الحير الشرقى ، الذى لا تزال آثاره توجد للآن . أنظر ، قبله ، ص ٢٤٣.

(٦) أغابيوس ٨/٣ (القسم الثانى) ص ٥٠٠ [٢٤٥] .

هذا أن هشاماً قد تمكن من القضاء على النتائج السيئة لسياسة سلفه يزيد، الذى أوغر صدور العرب اليمانية ، وشعوب البلاد المفتوحة ؛ إلا أنه حاول أن يصلح مافسد وإنقاذ ، ما يمكن إنقاذه ؛ وإن لم يصل فى سياسته إلى مثالية عمر بن عبد العزيز . ولجهوده فى هذا الصدد ، وصفه الخليفة المنصور العباسى بأنه بحق :رجل بنى أمية (١) .

ففى ولاية العراق كانت اليمانية لاتزال تحقد على الخلافة الأموية ؛ بسبب هزيمتها على يد يزيد بن عبد الملك . ولكى يخفف هشام من حدة غضبها عزل عاملها القيسى ابن هبيرة، وأرسل خالد بن عبد الله القسرى (٢) ، وهو من قبيلة بجيلة فى شمال جزيرة العرب، التى يبدو أنها كانت محايدة فى نزاع اليمانية والمضرية (٣). وقد اشتهر خالد بالرأى والخطابة ، فاستطاع أن يهدىء من حدة نزاع القبائل ، ويقضى على فتن الخوارج (٤) ، ويقدم للعراق فترة استقرار طويلة ؛ إذ اهتم بتحسين أحواله الزراعية ، وجود عملته ، التى عُرفت باسمه : الخالدية (٥) ؛ فأحبه أهل العراق ، وخصوصاً أنه كان لايحب سيرة الحجاج لقسوته ، وشنع عليه .

ولكن فجأة غضب هشام على خالد وعزله فى سنة ١٢٠ / ٧٣٨ ، وأرسل مكانه ابن عم الحجاج ، يوسف بن عمر الثقفى (٦) ، الذى كان قد ولى اليمن

---

(١) مصنف مجهول ، س ٢ر١ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٩٣ عنه بالتفصيل : وفيات ، ١ص ٢٢٨ _ ٢٤٢ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art Khâlid B. 'Abd Allâh al - Kasri), t 2 p 929—930.

(٣) الأغانى ، ١٣ ص ٤ ؛ انظر .
Ency de l'Isl, (art Badjila) t1,p.569.

(٤) العيون والحدائق، ص ١٠٩_١١١؛ الكامل ، ٤ص ٢٢٠ _ ٢٢٣.

(٥) للماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٣٩ . انظر قبله .

(٦) الكامل ، ٤ ص ٢٢٥ . عنه بالتفصيل : وفيات ٢ ص٥٣٦ _ ٥٤٣ ؛ انظر .
Ency de l'Isl, (art Yusûf B. 'Omar) t4, p. 1242-1243.

لهشام منذ سنة ١٠٦ / ٧٢٤ ؛ وذلك مع كره أهل العراق لسيرة الحجاج . ويبدو أن تغيير هشام لعامله ، راجع إلى رغبته فى تغيير سياسته نحو أهل العراق ؛ فلعله عزل خالداً بسبب أنه مالأ الشيعة حتى قواهم ؛ أو لأن ولايته ذل للإسلام ؛ فأمه كانت نصرانية ، وكان الحكم فى عهده لأهل الذمة[1] . وفعلاً عاد يوسف إلى سيرة الحجاج ؛ فعزل عمال خالد كلهم ، واستخدم الشدة ، وأخذ الناس بالشاق ؛ كما أخذ خالداً وعذبه وضربه بالسياط ؛ وكان هو نفسه أحمق مناقضاً .

وقد ترتب على تغيير هشام سياسته أن عاد العراق إلى الفتنة ؛ بخاصة من قبل الشيعة الذين كانوا قد قبلوا الخضوع للأمويين ؛ منذ أن أخمدت فتنة المختار . فقد ثار زيد بن علىّ زين العابدين بن الحسين فى الكوفة سنة ١٢٢ / ٧٤٠[2] ، بحجة إصلاح الخلافة التى فسدت بتولية الأمويين ؛ فكان أول علوىّ بعد الحسين يثور على الخلافة . فهو على خلاف أبيه علىّ بن الحسين ، الذى كان ينهى عن الفتن[3] ، وأظهر خضوعاً مطلقاً للأمويين إلى وقت مماته فى عهد الوليد سنة ٩٤ / ٧١٢ — ٧١٣[4] ، حتى أنه للأهوال التى رآها ـ وهو صغير مع الحسين ـ كانت تأخذه رعدة إذا قام للصلاة[5] .

---

(١) ربما لأنه أيضاً كان يطلق لسانه فى حق هشام ، أو لحقد هشام عليه لأمواله الكثيرة ، أو لتدخله فى ولاية العهد . عن كل ذلك ؛ وفيات ؛ الكامل ، ٤ ص ٢٢٥ — ٢٢٨ .

(٢) عن هذه الفتنة ضمن مصادر أخرى ، انظر : مقاتل الطالبيين ، ص ٩٢ وما بعدها ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٢٢٩ وما بعدها ؛ الخطط ، ٤ ص ٢٠٧ وما بعدها ؛ انظر .
Ency.de l'Isl, (art Zeïd. B.'Alî) t4, p.1260.

(٣) ابن سعد ، ص ١٦٠ س ١٥ .

(٤) نفسه ، ص ١٦٤ ؛ انظر : قباء ، ص ١٢٤ .

(٥) ابن سعد ، ٥ ص ١٦٠ .

ويتبين من روايات المؤرخين أن ربما زيداً لم يفكر أول الأمر فى الخروج ؛ فقد كان يقيم بالمدينة، كثير العبادة يغشى عليه من اجتهاده فيها [1] ؛ ولكن أمير العراق الجديد يوسف بن عمر استدعاه بحجة أخذه المال، الذى أودعه عنده خالد — العامل قبله — الذى كان يصل بنى هاشم . فلم يذهب زيد إلى العراق، وإنما ذهب رأساً إلى الرصافة التى بها هشام خوفاً من يوسف ؛ ولكن هشاماً أساء معاملته وأذله، فخرج غاضباً إلى الكوفة [2]؛ على الرغم من تحذير أقربائه له بألا يركن إلى أهلها [3] . فلما دخلها أقبل عليه أهلها وألحوا فى الخروج؛ ولكنه تردد وذهب إلى القادسية ؛ فلاحقوه إلى أن أعادوه إلى الكوفة ؛ فبايعوه على جهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وأعطوه العهود والمواثيق . ورغم هذه الروايات ، نعتقد أن زيداً كان طامحاً إلى الخلافة ،حتى أن هشاماً قال له : « بلغنى أنك تذكر الخلافة وتتمناها » ، وكان بنو هاشم يحضون أهل الكوفة على مبايعته [4] ، وقال هو نفسه [5] : إنه خرج على الأمويين لأنهم قاتلوا جده الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ورموا بيت الله بالمجانيق . أضف إلى ذلك أنه كان له أنصار من الشيعة فى كل مكان فى : الكوفة والبصرة وواسط والموصل وجرجان وخراسان [6] .

ولكن لما بدأ يوسف يبحث عنه ، وحصر انصاره فى مسجد الكوفة

---

(١) مقاتل، ص٩٣ .

(٢) نفسه ،ص٩٧ ـ ٩٨ ، ابن سعد ، ٥ ص ٢٣٩ ؛ الكامل ٤ص ٢٤٠ ومابعدها . قيل فى استدعاء هشام له أسباب أخرى .

(٣) الكامل، ٤ص٢٤١ ـ ٢٤٢ ؛ انظر . دولدسن، عقيدة ، ص١٢٦.

(٤) نفسه ، ٤ص ٢٤٦ س ١٢ ـ١٣ .

(٥) الفرق بين الفرق ،ص٢٥ .

(٦) مقاتل ، ص٩٨ .

تفرّق عنه أتباعه ، فلم يبق معه إلا مائتا رجل ، حتى أنه كان يبكي ويقول : « أما أحد يغضب لرسول الله » ؛ فقاتل زيد ومن معه[1]، حتى قُتلوا عن آخرهم؛ مما يدل على أن الذى دعا إلى تأييده هـو حماس الجموع ، وأنهم لم يكونوا منظمـين فى جيوش للمقاومة .مع أن أصحاب زيد دفنوه إلا أن يوسف أخرج الجثة وصلبها وحرقها ، وحملت رأسه إلى الأقطار [2] ؛ ويبدو أن هشاماً ساءه مقتله إذ كان يكره سفك الدماء . وقد ترّتب على ذلك أن تفرّق أتباع زيد وأنصاره ؛ الذين عُرفوا فيما بعد باسم : الزيدية [3] ، وكانت لهم مدرسة فقهية لها أراؤها فى القرآن والشرع ، وتمكنوا فى أيـــام العباسيين من تكوين دولة فى جنوب بحـر قزوين ؛ كما هرب ابنه يحيى إلى خراسان ، ونزل عند أحد الدهاقنة [4] ، فكتب يوسف إلى نصر بن سيار — وكان عامله على خراسان فى آخر أيام هشام — ان يأخذ يحى أشد الأخذ ، فتمكن نصر من حبسه [5] . ولـما توفى هشام ، وولىّ الوليد بن يزيد بعده فإنه أمّنه ، وأمر بإرساله إليه ؛ ولكن بدلاً من أن يذهب إلى الوليد ثار فى الجوزجان ، فحاربه

---

(١) نفسه ، ص ١٠٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ٢٥ — ٢٦ .

(٢) مقاتل ، ص ١٠٤ـ١٠٥ . قتل فى سنة ١٢٠/٧٣٨ أو ١٢٢/٧٤٠ . ابن سعد ، ٥ ص ٢٤٠ .

(٣) النوبختى ص ٥٨ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٥ ؛ انظر .

Ency, de l'Isl, (art al-Zaïdiya) t4, p.124 sqq.

(٤) النوبختى ، ص ٥٨ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٦ ؛ مقاتل الطالبين ، ص ١١١ وما بعدها ؛ ابن سعد ، ٥ ص ٢٣٩ ؛ انظر .

Ency de l'Isl, .(art Yahya B Zaïd al-Hussaïni) t4, p. 1214

Das Staadsrecht der Zaiditen. Strassbourg, Strothmann : 1215 1912, p.74;107

عن الجوزجان ، انظر . معجم البلدان ٣ ص ١٦٧ .

(٥) مقاتل ، ص ١١٣ — ١١٥ .

جند نصر وقتلوه وصلبوه كأبيه فى العراق ، وذلك سنة ١٢٥ / ٧٤٣[١]؛ وبقيت جثته إلى وقت ظهور العباسيين فأنزلوه ، فأقام له أتباعه مشهداً[٢] . وعلى العكس بقى أخو يحيى ، وهو محمد ، مقرباً من هشام [٣] ، إذ كان يحب السلام وترك الخصام ويهتم بالعلوم فقط[٤] ، حتى أنه سُمى بالباقر لتبقره فى العلم وسبر غوره[٥]؛ فضلاً عن أنه كان صغير السن لا يتجاوز تسع عشرة سنة [٦] .

وقد كانت خراسان من عمل العراق ، هى الأخرى فى قلاقل مستمرة ؛ بسبب النزاع بين مضر واليمانية ، مما أضعف من نفوذ العرب ؛ وكانت رغبة هشام فى أن يسود السلام بين القبيلتين [٧] . ففى سنة ١٠٦ / ٧٢٤ ، تباطأت ربيعة والأزد فى الغزو ؛ فأرسل إليهم هشام نصر بن سيار وكان وقتئذ أحد قواده على رأس مضر ، فأعادهم إلى الصواب [٨] . ولكن أحد عمال هشام ، فى سنة ١١١ / ٧٢٩ ، واسمه الجنيد بن عبد الرحمن ، كان لا يستعمل فى نواحى عمله إلا مضرياً [٩] . ومع أن هشاماً فى آخر حكمه ولىَّ عمل خراسان نصر بن سيار

(١) نفسه ، ص ١١٤ — ١١٥ .

(٢) نفسه ، ص ١١٦ ؛ الإمامة ، ٢ص ٢١٢ .

(٣) عنه : ابن سعد ، ص ٢٣٥ — ٢٣٨ ؛ انظر .
;Ency de l'Isl, (art Muhammad B. 'Ali) t3, p.715.
دوزلدسن ، ص١٢٣ ومابعدها . توفى فى سنة ١١٤ أو ١١٧ أو ١١٨ .

(٤) ابن سعد ، ٥ص ٢٣٦ ص ٥ ؛ انظر ، دوزلدسن ، ص١٢٩

(٥) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ص ٣٨٤ .

(٦) ابن سعد ، ٥ص ٢٣٨ .

(٧) فضلاً عزل أسد فى سنة ١٠٩/ ٧٢٧ ؛ لأنه تعصب . أنظر ، الكامل ، ٤ص ٢٠٠ .

(٨) نفسه ، ٤ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٩) نفسه ، ٤ص ٢٠٦ س ٢١ .

بعد استشارة خلصائه فى سنة ١٢٠ /٧٣٨ ، لأنه وصف له : على أنه رجل عفيف مجرب عاقل [١] ؛ فإن نصراً بذل جهده ليهدىء من حدة عصبيــة القبيلتين ؛ إلا أنه لم يستطع أن ينتزع العداوة بينهما ، ممـا أضعف من نفوذ العرب فى سيطرتهم على أهالى البلاد المفتوحة ، فى هذه النواحى .

كذلك فى بلاد ما وراء النهر ساءت حالة الموالى ، بسبب سوء معاملة الولاة لهم . ففى سنة ١١٠ / ٧٢٨ ؛ كتب عامل فى خراسان واسمه أشرس ، إلى عمـاله أن يستمروا فى أخذ الخراج على من أسلم لأن فيه قوة للمسلمين ، وفرض الجزية ، وعزل العمال الذين لم يوافقوه ؛ مما جعل أهالى ما وراء النهر يثورون ويرتدون عن الإسلام [٢] . وقد ظهر عربى لم يقبل تصرف عمـــال الأمويين ، واسمه الحرث بن سريج ، فخرج على الخلافة فى سنة ١١٦ /٧٣٤ ، لتخليص المضطهدين ، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والبيعة لمن يرتضيه المسلمون « الرضا » [٣] ؛ فانضم إليه كثير من أهالى نهرى جيحون وسيحون . ولما أرسل هشام نحوه القواد من قبله حاربهم فى معارك شديدة [٤] ، ثم هرب إلى الترك وقاتل معهم [٥] ، واستمر يقاتل العرب إلى أن قتل بعد هشام فى سنة ١٢٨ / ٧٤٥ [٦] . ولم يخفف من غضب الموالى على الخلافة ؛ إلا لما بعث هشام على عمل خراسان هذا الرجل المجرب العاقل نصر بن سيار، الذى عاد إلى سياسة عمر ابن عبد العزيز فى حكم هذه البلاد؛ مما جعلهم يقبلون على الإسلام . فأقام المظالم ، وعفا عمن كان مسلماً فارتد عن الإسلام ، ووضع الجزية عمن أسلم [٧] . وقد أنكر

(١) نفسه ، ٤ص ٢٣٩ س ٢ — ٣ ؛ انظر .
Ency de l'Isl. (art Nasr B, Sayâr) t2 p.933-935.
انظر . بعده .

(٢) نفسه ، ٤ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٣) نفسه ، ٤ص ٢١٨ ؛ انظر . حسن إبراهيم ، الدولة العربية ص ٢٠٤ ؛ انظر . بعده .

(٤) نفسه ، ٤ ص ٢١٨ — ٢٢١ . حاربه عاصماً وأسداً من عمال هشام .

(٥) نفسه ، ٤ ص ٢٤٤ ، ٢٤٧ .

(٦) نفسه ، ٤ص ٢٩٢ ومابعدها .

(٧) نفسه ، ٥ ص ٢٤٣ .

معاصروه هذا اللين . ولكن هشاماً أقرَّه على ذلك [1] ؛ مما أبقى على سيطرة الخلافة عليها .

وفى الهند ترتب على سوء حكم الولاة أيضاً ، أن ارتد ملوكها عن الإسلام ، مع أنهم أقبلوا عليه فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وتسموا بأسماء عربية . فحاربهم الجنيد بن عبد الرحمن — وكان وقتئذ عامل الهند فى سنة ١٠٧ / ٧٢٥ فأسره جيشبة بن ذاهر وقتله ، كما قتل أخاه صصه الذى كان يريد أن يمضى إلى العراق ؛ ليشكو غدر الجنيد ؛ مما جر إلى أن كفر أهل الهند جميعاً [2] . وقد نقل هشام الجنيد إلى عمل خراسان كما ذكرنا فى سنة ١١١ / ٧٢٩ ، وولى بدله الحكم بن عوام الكلبى ، الذى أخذ من غير جدوى فى إعادة نفوذ المسلمين ، بمساعدة عمرو بن محمد بن القاسم . وبعد الحكم بن عوام كان الولاة لا يفتحون إلا ما تيسر ؛ بحيث أضطر المسلمون إلى الخروج من بلاد الهند ، وضاعت سيطرتهم عليها .

وفى مصر لم يصبر القبط على سوء معاملة عمال الأمويين لهم ؛ ففى عهد عمر ابن عبد العزيز نقلت الجزية على الموتى إلى أقربائهم الأحياء [3] ، وفى عهد يزيد كُسِّرت الأصنام والتماثيل فى الكنائس [4] ، وفى عهد هشام زاد متولى الخراج عبيد الله بن الحبحاب الخراج [5] ، باعتبار أن مصر فتحت عنوة ، وأن أهلها عبيد للعرب ؛ لهم أن يزيدوا عليهم ما يشاءون من المال [6] ، كما أن

(١) نفسه ، ٤ ص ٢٥٠ .
(٢) نفسه ، ٤ ص ١٢٤ — ١٢٥ .
(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٥ .
(٤) الخطط ، ٢ ص ٨٦ ص ٧ — ٨ ؛ ساويرس ، إسير البيعة المقدسة ، تحقيق Evetts (P. O.) ، ٥ ص ٧٢ .
(٥) الخطط ، ١ ص ١٢٧ . يقول عبد الله بن الحبحاب .
(٦) الكامل ، ٢ ص ٢٩٧ س ٢٦ .

هشاماً نقل إلى الحوف الشرقى بعض بيوت قيس [1] ، التى استولت على أراضى المصريين . لذلك ثار القبط ثورتهم الأولى فى سنة ١٠٧ /٧٢٥ ، واستمرت حتى سنة ١٢١ /٧٤٨ ؛ بحيث عمت الدلتا والصعيد ، وكونوا الجيوش ، وحاربوا العمال ، وأجبروا أحدهم على التراجع إلى دمياط ولكن الخليفة هشاماً أرسل نحوهم عدة عمال ، وتمكن حنظلة بن صفوان عامله من القضاء عليها فى سنة ١٢٢/٧٣٩ ، بعد أن استعمل القسوة ، وقتل أناساً كثيرين من القبط [2].

كذلك وجد الخوارج فى المغرب أرضاً خصبة ؛ وهم الذين كانوا قد قصم ظهر مقاومتهم بالمشرق ، فاستغلوا سوء تصرف العمال لإثارة البربر على الخلافة الأموية ؛ حيث كان العمال يتهاونون بالبربر وما لهم ، وحيواناتهم [3] ؛ واعتبروهم أقل من العرب . ويمكننا أن نقدر مدى نجاح دعوة الخوارج بين البربر ؛ فى أنها كانت تدعو إلى المساواة ، وأن البربر أقبلوا على الإسلام حباً فى المساواة . وقد تمكن فيهم مبدأ الخوارج الأباضية والصفرية [4] على الخصوص ، مع أن هاتين الفرقتين فى المشرق لم تكونا حرباً على الخلافة كالأزارقة ، وأن الصفرية كانت قد رأت القعود وعدم القتال ، وربما كانت تسميتهم صفرية بسبب قعودهم واصفرار وجوههم [5] ؛ ولكن حركتهم فى المغرب أصبحت أقسى من حركة الأزارقة بالمشرق . كذلك كانت بعض القبائل البربرية تنشر الردة ، والعودة إلى عبادتهم قبل الإسلام [6] .

وقد ثار البربر على هشام لأول مرة فى سنة ١٢٢ / ٧٤٠ ، وتزعمهم خارجى

(١) الخطط ، ١ ص ١١٨ ـ ١٢٩ .
(٢) نفسه ، ١ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ؛ ساويرس ، نفس المصدر ، ٥ ص ٢٦ .
(٣) العبر ، ٦ ص ١١٨ .
(٤) أخبار مجموعة ، ص ٢٨
(٥) أنظر . قبله ، ص ١٤٣ .
(٦) العبر ، ٦ ص ١١٨ س ٢٥ .

من الصُفْر يدعى أبو الحسن ميسرة المدغرى أو الحقير، كان بائع ماء من برابر البتر، استطاع أن يجمع البربر حوله، وتسمى بأمير المغرب[1]؛ بحيث أن ظهوره أرجع للبربر حماسهم القديم، الذى ظهر فى عهدى كسيلة والكاهنة من قبل. ولاريب أن الذى دفع ميسرة إلى جمع البربر هو سوء تصرف عمال هشام، فعامل طنجة عمر ابن عبد الله أساء السيرة وأراد تخميس البربر، أى جعلهم فيئاً للمسلمين، وإسماعيل ابن عبيد الله عامل السوس — ابن عبيد الله بن الحبحاب عامل المغرب ووالى مصر — أساء السيرة أيضاً، وكان يسرق فتيات المغرب البربريات الجميلات[2]. لذلك انتهز ميسرة فرصة إرسال حملة للغارة على صقلية، وهجم بجموع البربر التى هبت تؤيده وتشد من أزره؛ فعملوا على الفتك بوالى طنجة ووالى السوس[3].

ولكن ميسرة مالبث أن أساء السيرة، فنقم عليه البربر وقتلوه، وولوا خالد بن حميد الزناتى، الذى أعلنها هو الآخر حرباً شعواء ضد العرب[4]. فأسرع عبيد الله بن الحبحاب ـ عامل مصر والمغرب — باستقدام حملة صقلية، وأرسل عرب القيروان، ووجههم بقيادة خالد بن أبى حبيب الفهرى. ولكن البربر تغلبت على العرب قرب طنجة، فى موقعة على وادى شلف، عرفت بغزوة الأشراف فى سنة ١٢٣ / ٧٤١، لأنه بعد قتال شديد لم يسمع قط مثله، حاصر البربر العرب من أمام وخلف، فلم يهرب منهم أحد أنفة الفرار، فقتلوا جميعاً، بما فيهم خالد بن أبى حبيب. وكان للانتصار على جيش والى

(١) البيان، ١ ص ٥٢ — ٥٣؛ انظر
Ency, de l'Isl, (art Berbères) t I, p. 717.
تقول ابن خلدن مضغرة (العبر، ٦ ص ١١٨)، أو حتى للطفنى (نفسه، ٦ ص ١١٠).

(٢) البيان، ١ ص ٥٢.

(٣) نفسه؛ العبر، ٦ ص ١١٩؛ أخبار مجموعة، ص ٢٨.

(٤) البيان، ١ ص ٥٣ — ٥٤؛ العبر، ٦ ص ١١٠ — ١١١.

المغرب رنة فرح كبرى فى أرجاء بلاد المغرب ؛ بحيث أن البربر بعدها انتصروا على العرب فى كل مكان .

وقد غضب هشام لهذا الإنتصار البربرى ، وقال : « والله لأغضبن لهم غضبة ربية ، ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندى [1] » . فأرسل نحوهم فى نفس العام كلثوم بن عياض القشيرى ، وهو شيخ كبير ، ومعه جيش من عرب مصر وطرابلس وبرقة ، عدده ثلاثون ألفاً ؛ كما أرسل جيشاً ثانياً من جند الأردن بقيادة بلج بن بشر القشيرى [2] ، ابن أخى كلثوم . وبعد قتال شديد بقدورة [3] ، على نهر سبو [4] قرب طنجة ، دارت الدائرة على العرب ، وتمكن البربر من هزيمتهم ، مع أن البربر لم يكونوا فى خيل [5] ؛ فقد انقسم البربر قسمين ، قسم يقاتل كلثوماً ، وقسم يقاتل بلجاً ؛ فقتل كلثوم وقواده ، واضطرت فلول بلج إلى الهروب إلى سبتة ، فحاصرهم البربر ، إلا أن بلجاً قاتلهم إلى أن أرسلت إليه السفن ودخل الأندلس .

بعد هذه الهزيمة المنكرة ، عادت الأمور كما كانت عند فتح المغرب ، حيث لم يبق للعرب إلا فى القيروان ، التى سعى البربر إلى الاستيلاء عليها أيضاً ؛ لأن ثورة البربر كانت قد امتدت إلى طرابلس ، بثورة قبيلة هوارة .

---

(١) البيان ، ١ ص ٥٤ — ٥٥ . منه ، انظر .
cy. de l'Isl, (art Kalthûm B. 'Iyâd al-Kushairî) t2, p. 1176.
(٢) أخبار مجموعة ، ص ٣٠ . منه ، انظر .
ncy. de l'Isl, (art Baldj B. Bishr) t1, p. 630.
(٣) أخبار مجموعة ، ص ٣٢ .
(٤) منه ، انظر . معجم البلدان ، ٥ ص ٣٢ .
(٥) أخبار مجموعة ، ص ٣٣ — ٣٥ ، ٣٧ — ٣٨ ؛ البيان ، ١ ص ٥٥ — ٥٦ .

ونجد لهم وقتئذ عدة قواد، منهم: طريف الذى قد تنسب إليه إحدى مدن الأندلس، وعكاشة بن أيوب الصفرى، وعبد الواحد بن يزيد الهوارى، وكلاهما من قبيلة هوارة. وهؤلاء القواد أخذوا على عاتقهم أن يطهروا المغرب من ولاة الدولة الأموية فى القيروان، ولذلك أرسلوا نحوها جيشاً فى ثلاث مائة ألف [1].

عندئذ أدرك هشام أنه أمام ثورة عارمة تحتاج إلى عناية كبرى، فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة حنظلة بن صفوان الكلبى فى سنة ١٢٤ / ٧٤١، الذى كان عامله على مصر منذ سنة ١١٩ / ٧٣٧، وقضى على ثورتها الكبرى، وهو أخو بشر بن صفوان الذى كان يزيد قد ولاه على مصر ثم المغرب من قبل [2]. وقد قابل حنظلة البربر بخطة بارعة، ولا سيما أن أهل القيروان رأوا طريقاً عنها، فخرج حنظلة لمقابلة جيوش البربر كل جيش على حدة؛ بحيث دارت الدائرة على البربر، فهزم عبد الواحد وقتله فى قرن جبل بإفريقية [3]. ثم هزم عكاشة وأخذه أسيراً وقتله. وقد قتل من البربر ما لا يحصى؛ بحيث أنه ليتيسر إحصائهم وضعوا قصبة عند كل قتيل، ثم جمت القصب وعدت، فكان القتلى مائة وثمانين ألفاً. وقد كان لانتصار حنظلة رنة فرح كبرى؛ بحيث قورن هذا النصر بالنصر فى بدر. وبهذا تم إخضاع المغرب للخلافة، وقصم ظهر الخوارج الصفر.

---

(١) البيان، ١ ص ٥٦ - ٥٩؛ العبر، ٦ ص ١١١.

(٢) أنظر أيضاً. الخطط، ٢ ص ٨٦-٨٧. عنه؛ انظر.
Ency. de l'Isl. (art Hanzala B. Safwân) t2, p. 278.

(٣) عن قرن، انظر. معجم البلدان، ٧ ص ٦٦.

كذلك انقسمت الأندلس فى منازعات داخلية، فضلاً عن أن الخلافة الأموية منذ أن عملت على قتل عبد العزيز بن موسى ، أصبح أهل الأندلس يولون أغلب ولاتهم بأنفسم ؛ كما أن بعض ولاة الخلافة كانوا لا يمكثون فى الحكم إلا شهوراً (١) . وحينما قامت الفتن بالمغرب، وتوفى عامل الأنداس عقبة بن الحجاج السلولى أو خُلع وقتل (٢) ، ولى عرب الأندلس على أنفسهم عبد الملك بن قطن الفهرى فى سنة ١٢٢ / ٧٤٠ ، الذى كان وليها من قبل فى سنة ١١٦ / ٧٣٤ ؛ فأخذ فى مطاولة البربر بالأندلس الذين ثاروا على العرب تضامناً مع بربر المغرب . لذلك لما التجأ بلج بن بشر إلى الأندلس من إفريقية بعد قتل كلثوم فى سنة ١٢٣ / ٧٤١ ، أرسل إليه ابن قطن السفن ؛ فقاتل معه البربر الذين احتشدوا فى كل مكان ، ورأسوا عليهم أحدهم (٣) ، حتى جاءوا نهر تاجه ؛ فأخرج ابن قطنَ إليهم عرب بلج،وأقبلوا على مدينة طُليطلة. فصمد لهم ابن قطن وقاتلهم بيسالة حتى قضى على مقاومتهم ؛ وبعدها تفرق العرب فى أنحاء الأندلس ، فقتلوا البربر فى كل مكان حتى أطفئوا جرتهم (٤) .

ولكن ما لبث أن حدث نزاع بين عرب ابن قطن وعرب بلج ، وخصوصاً أن عرب ابن قطن كان أغلبهم من عرب الحجاز،الذين أتوا الأندلس بعد موقعة الحرّة، وعرب بلج من عرب الأردن (٥) ؛ فتنازعوا على السيطرة ، وادعى

(١) الكامل ، ٤ ، ص ٢١٤ س ٣—٤ . بعد السمح دخلها عنبسة بن سحيم الكلبى ، فلك أربع سنين وخمسة أشهر ، ثم دخل يحيى بن سلامة ، فلك سنة وستة أشهر ، ثم حذيفة ابن الأحوص القيسى ،فلك ستة أشهر ، ثم ولى عثمان أبى نسعة الخثعمى ، فلك ستة أشهر، ثم ملك الهيثم بن عبيد الكلابى أربعة أشهر ، ثم عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى ، سنتين وسبعة أشهر ، ثم ولى عبد الملك بن قطن الفهرى ثلاث سنين وشهرين ، ثم عقبة بن الحجاج السلولى . أنظر . لسان الدين ، أعمال ، ص ٦ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ٢٥٠ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٢٩ ؛ العبر ، ٦ ص ١١٩ ، ٤:٨ ، انظر .

(٣) اسمه ابن هدين . أخبار مجموعة ، ص ٣٩ . يقال له أيضاً زقطرتق . مجهول، فتح الأندلس ، نشر Gonzalis ، الجزائر ١٨٨٩ ، ص ٣١ .
Ency. de l'Isl, (art 'Abd al-Malik B. Katan) t1, p. 49.

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٤٠ ؛ البيان، ٢ ص ٣٠ — ٣١ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٣٠ .

بلج ولايتها من قبل هشام ؛ وتذاكروا يوم الحرة [١] . وفي أول الأمر كان ابن قطن قد رفض إدخال بلج حينما كان محاصراً في سبتة ، أو حتى أن يمده بالميرة ، فأكل جنوده دوابهم ، لولا أن بلجاً استحلفه بمروبته [٢] ، وكان ابن قطن يريد أن يقضي على فتنة البربر . فلما تمت هزيمة البربر ، طلب ابن قطن من بلج وجنوده الرجوع إلى سبتة ، إلا أنهم رفضوا ، وأوقعوا بابن قطن بمساعدة يمانية الأندلس في سنة ١٢٣ / ٧٤١ ؛ فأخذه عرب بلج وقتلوه وصلبوه ، مع أنه كان شيخاً كبيراً تجاوز عمره التسعين سنة [٣] . ولكن صاحب أربونة — وهي ثغر العرب في الأرض الكبيرة — عبد الرحمن بن علقمة اللخمي لم يلبث أن قتل بلجاً في سنة ١٢٤ / ٧٤٢ ؛ فولى اليمانية عليهم ثعلبة بن سلمة من أهل الشام ، فقام بقتال العرب الحجازيين والبربر [٤] .

هذا الإضطراب في الأندلس ، جعل عربها وبربرها يكتبون إلى حنظلة والى المغرب من قبل هشام أن يرسل إليها عاملاً يجمعهم ، ويأخذ بيعتهم له ولأمير المؤمنين ، ولاسيما أن بربر المغرب كانت قد انتهت ، فسمى لهم هشام عاملاً اسمه أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي ؛ فوصل الأندلس في سنة ١٢٥/٧٤٢ ، وكان من خيار أهل الشام ، فجمع الكلمة [٥] .

كذلك تفاقم الخطر الخارجي في عهد هشام ، وتعددت جبهاته ، وتوقفت الفتوح ، ومع ذلك فقد حافظ هشام على الفتوحات السابقة ، بفضل قواد عظام .

---

(١) البيان ، ٢ ص ٣٢ ؛ المعجب ، ص ١٣ .
(٢) أخبار مجموعة ، ص ٣٧–٣٨ .
(٣) نفسه ، ص ٤١–٤٢ .
(٤) نفسه ، ص ٤٤–٤٥ ؛ لسان الدين ، أعمال ، ص ٨ .
(٥) نفسه ، ص ٤٥–٤٦ ؛ [illegible] ، ٤ ص ٢٦٠ ؛ المعجب ، ص

فنى عهده عادت من جناحى الثغور الشامية والجزرية حملات الصوائف والشواتى بانتظام ، فنسمع عن الصائفة اليسرى واليمنى [١] ؛ كما عاد غزاتهم فى البحر ، مثل غزو صقلية من أملاك الروم [٢] ؛ مما يدل على نشاط هذا الخليفة فى القيام بالجهاد . ولكن بسبب الهدنة الطويلة التى أتاحتها مثالية عمر ، وإهمال يزيد ؛ تقوى الروم ؛ فكان العرب يفقدون فى الشتاء مايجدونه فى الصيف [٣] ؛ كما أن الروم هاجموا الساحل للمصرى بأسطولهم فى أثناء انتفاض القبط [٤] . ومع ذلك استطاعت جيوش هشام أن تتوغل فى داخل آسية الصغرى مرة واحدة بقيادة ابنه سليمان ، حينما حدث انقسام داخلى فى مملكة الروم ؛ بسبب محاولة الأمبراطور ليون الثالث « Leontios III » ـ الأيسورى — ، منع عبادة صور المسيح ومريم ، وهو ما عرف بالحركة الا أيقونية [٥] ، إذ أن ليون كما قلنا كان سورياً شرقياً ؛ وربما كان قد تأثر بالوحدانية الإسلامية ؛ فقد خرج عليه أحد الثوار وزحف المسلمون على القسطنطينية ، ولكنهم تراجعوا لنجاح ليون فى القضاء على غريمه وسمل عينيه [٦] .

ولم يلبث أن اختل الثغر بموت مسلمة ، البطل الكرار فى سنة ١٢١/٧٣٩ ، كما يلاحظ المؤرخون [٧] ، وهو الذى دل بنشاطه ومهارته على مقدرة هائلة فى حرب الروم ؛ فقد هاجمهم من أيام عبد الملك إلى وقت هشام . لذلك

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٢١٦ .

(٢) غزاها فى سنة ١٠٩/٧٢٧ (الكامل ، ٤ ص ٢٠١ ، قبل آخر الصفحة بثلاثة سطور) ، وفى سنة ١١٦/٧٣٤ (نفسه ، ٤ ص ٢١٩) ، وفى سنة ١١٧/٧٣٥ (نفسه ، ٤ ص ٢٢٢) .

(٣) أغابيوس ، ٣/٨ (القسم الثانى) ، ص ٢٤٥ .

(٤) الخطط ، ٢ ص ٨٦ . نزل الروم على تروجة قرية بالبحيرة قرب الإسكندرية (عنها ، انظر ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٨٤) ، فحاصروها ثم اقتتلوا مع العرب ، فأسروا .

(٥) أغابيوس ، ٣/٨ (القسم الثانى) ص ٢٤٦ ؛ الكامل ، ٤ ص ٢٤٨ـ٢٤٩ .

(٦) أنظر Denys, p. 24-25.

(٧) الأغانى ، ٦ ص ٧٠٤ ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art Muslama) I. p. 447.

حدث عن تمرد فعل من جانب الروم ؛ فقد أصيب جيش عربى عدده خمسون ألفاً بخسارة كبيرة فى سنة ١٢٢ / ٧٤٠ ، فلم يتبق منهم إلا عشرة آلاف ، وقتل قائده البطال[١] . بل أكثر من هذا أن الروم نقلوا القتال فى آخر حكم هشام إلى الحدود العربية ذاتها ؛ حتى أنهم جاءوا بقيادة أمبراطورهم قسطنطين الخامس « Constantinus V » ، الذى جاء بعد ليون ، الهجوم على حصن ملطية فى ١٢٣ / ٧٤١ ؛ بحيث أن نساء العرب ليسن العمائم وقاتلن مع الرجال ؛ ولما جاء هشام من الرصافة بالمدد ، كان الروم قد رحلوا[٢] . وقد ترتب على نقل الروم الهجوم إلى ثغور الشام ، أن العرب سعوا إلى تقوية حصونهم القديمة ، وأنشأوا حصوناً دفاعية ، مثل : حصن المِثْقَب ، وقَطَرْغاش ، وهما بجوار المصيصة ، و بُوقة (أو بوقا) من عمل أنطاكية[٣] .

ولا ريب أن الذى أضعف الحملات على الروم ، هو الخطر الذى أحدق بفتوحاتهم فى أرمينية منذ عمر بن عبد العزيز ؛ بحيث أن الدفاع عنها أخذ الجزء الأكبر من نشاط الخلافة وقوادها المعروفين . فقد غزت أرمينية عناصر جبلية متوحشة ، كانت تسكن حول بحر قزوين والبحر الأسود ، عند الجبال التى فى شمالها ، المعروفة باسم : قَبق[٤] أو القبج[٥] (القوقاز) ، وهى شعوب كثيرة لها أسماء مختلفة ، حتى يقول ياقوت إنهم سبعون لساناً ، لا يعرف

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٢٤٨-٢٤٩ ؛ انظر . Ency. 2éd (art al-Battâl) tl,p. 1137.

وقيل أيضاً سنة ثلاثة وعشرين ومائة .

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٨٦ ؛ انظر . La lutte, p. 230-231. : Cheira Arab, p. 304. : Well:

(٣) فتوح البلدان ، ص ١٦٦-١٦٧ ، عن مثقب ، انظر ، معجم البلدان ، ٧ ص ٣٨٣ ، وقطار غاش (نفسه ، ٧ ص ١٢٤) ، وبوقا (نفسه ، ٢ ص ٣٠٧-٣٠٨) .

(٤) عنها ، انظر ، معجم البلدان ، ٧ ص ٢٧ .

(٥) مروج الذهب ، ٢ ص ١ وما بعدها .

كل شعب لسان الآخر [1] . فلعلها هجرات حديثة جاءت من وسط آسيا تحت ضغط موجات الهون (الهياطلة) إلى المناطق القوقازية ؛ فهى لا تُذكر في النصوص قبل القرن السادس الميلادى .

وقد كان أظهر هذه الشعوب الخزَر [2] – الذى هو اسم مملكة – حتى أن بحر قزوين عُرف باسمها: بحرُ الخزَر [3] . ولعلهم من نفس أصل الشعب البُلغارى ، إذ أقاموا معاً على نهر الفولجا ، الذى يطلقون عليه فى لغتيهما إتل أى النهر [4] ؛ كما أن لسان البلغار مثل لسان الخزر ، كما يلاحظ الإصطخرى[5] . وعلى النقيض يتكلم الخزر لغة مخالفة كل الإختلاف عن التركية والفارسية ؛ وإن كانت لهم عادة الترك فى بيع أولادهم [6] . وينقسم الخزر إلى بيض أو سمر كالهنود ، ويسمون قراخزر ، ويدينون بعدة أديان منها الوثنية والنصرانية واليهودية والمجوسية [7] . وقد كانت مملكة الخزر كبيرة تمتد فى سهول واسعة حول نهر إتل (الفولجا) ، فكان البُلغار فى شمالهم يدفعون الجزية لهم [8] ،

(١) معجم البلدان ، ص ٢٧ . انظر أسماء بعض هذه الأمم المتعددة نفسه ، ٢ ، ٦ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٤٣٢ وما بعدها ؛ انظر .

:Minorsky: Ency. de l'Isl, (art Khazar) 12, p. 99 sqq.
The Khazars and the Turks in Akâm al-Morgân. Reprinted from The Bull. of. S.O S. Vol. IX, Part 1, 1937.

(٣) معجم البلدان ، ٢ ص ٦٦-٦٨ .

(٤) نفسه ، ١ ص ١٠٣ - ١٠٤ ؛ انظر .

Ency. de l'Isl, (art Bulghâr) t1, p. 805: Barthold, p. 22.

(٥) المسالك ، ص ٥ .

(٦) معجم البلدان ، ٢ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ ؛ الإصطخرى ، مسالك ، ص ٢٢٣ ؛
Op. Cit, p. 34. : O'hsson .

(٧) معجم البلدان ، ٢ ص ٤٣٣ ص ٤٣٤ ؛ Denys, p. 22. 3.
Op. Cit, p. 197. : O'hsson .

وملوكهم كملوك الترك يتلقبون بالخاقان (١) .

كذلك كان يوجد بجوار شعب الخزر شعبان آخران كبيران يتردد اسماهما معاً فى كتب المؤرخين العرب ، هما اللّان فى طرف أرمينية شمـــال القوقاز مجاورين الخزر ، وهى مملـكة واسعة عاصمتها منص ، ويعتنق أهلها المسيحية (٢) . والشعب الآخر هو شعب السرير (٣) - اسم مملـكة - يجاور اللّان ، ويمتد حتى دَرْبَـنْد (٤) ، وهى مدينة أو قلعة بناها ملك الفرس أنو شروان على بحـــر قزوين، عُرفت أيضاً باسم باب الأبواب (٥) أو الباب، لأنها تحيط بها أفواه شعاب جبال القبق التى أقيمت عليها الحصون ؛ كما أن من نواحيها مدينة شَرْوَان على اسم هذا الملك (٦) . ولعل هذا الشعب الأخير من البدو ، وإن كان الملك يتلقب عندهم بلقب : « شاه (٧) » .

وقبل الإسلام كانت الشعوب القوقازية وبخاصة الخزر تغير فى مملـكة فارس وتدخل فى بلادها ؛ حتى أن الفرس بنوا على أفواه جبال القبق مـــا عُرف بالأبواب أى الحصون لمنع غارتهم (٨) ، منها باب الأبواب المذكور عند بحر قزوين ، كما أنهم ســـاعدوا هرقـل على استعادة أرمينية من

---

(١) معجم البلدان ، ٣ س ٤٣٣ ؛ الاصطخرى ، ص ٢٢٤ .

(٢) نفسه ، ٧ ص ٣١٦ ؛ مروج الذهب ، ٢ ص ٤٢ ؛ انظر . Minorsky: Caucasica III, The Alân capital Magas and the Mongol Campaigns. Reprinted from the B.S.O.A S. 1952, XIV/2,p. 333

(٣) معجم البلدان ، ٥ ص ٨٠ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ٢ ص ٤٢ ؛ انظر :O'hsson Op Cit. p. 163, 175.

نسمع عن اللان ، حتى فى أسبانيا ، فلعلهم من الجرمان

(٤) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٥٠ .

(٥) عنها ، انظر . نفسه ، ٢ ص ٩ وما بعدها ؛ Ency. de l'Isl. (art Bâb al-Abwâb) 2éd. tI, p. 858—9.

(٦) عنها ، انظر . نفسه ، ٥ ص ٢٥٨ .

(٧) المسعودى ، مروج الذهب ، ٢ ص ٤٢ .

(٨) معجم البلدان ، ٢ ص ١٠ — ٢ ؛ مروج الذ

الفرس[1] . فلما فتح العرب فارس فى عهد عمر بن الخطاب ، أغار العرب على بلاد الخزر حوالى سنة ١٩/ ٦٤٠ [2] ، ولما فتحوا أرمينية فى عهد عثمان ، قوبلوا باشتراك الخزر واللان مع الروم فى مقاومتهم [3] . وبعد أن أتم العرب فتح أرمينية توغل قوادهم فى بلاد الخزر . وبلغوا بلنجر العاصمة [4] . وفى الفتنة الثانية تحالف الخزر مع الروم ، إذ زوج الخاقان الخزرى ابنته من ملك الروم جستنيان الثانى حينما هرب من بلاده فى إحدى الثورات ، وعاد بعدد منهم ومن البلغار [5] .

وقد عاد خطر القوقازيين إلى الظهور فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، حيث أنهم نزلوا آذربيجان فى فارس سنة ٩٩ / ٧١٧ ، فأرسل عمر ليناوشهم ، وقتل كثيراً منهم ، وأخذ بعض الأسرى [6] . وفى خلافة يزيد أغاروا على أرمينية سنة ١٠٤/٧٢٢، فأرسل يزيد نحوهم جيشاً من أرمينية دخل بلادهم ، فاجتمعوا عليه ومعهم ترك من القفجاق المجاورين ، فقتلوا من المسلمين كثيراً وغنموا جميع ما عندهم ، ورجع المسلمون إلى الشام مدحورين ، فوبخهم يزيد [7] . وقد تبع هذه الهزيمة أن طمعوا فى بلاد المسلمين ، وجمعوا حشوداً كبيرة ، فاستعمل يزيد أحد عمال عمر بن عبد العزيز ، واسمه الجراح بن عبد الله الحكمى عاملاً له على أرمينية [8] ، وأمده بجيش كثيف وأمره بغزو الخزر وغيرهم ، فسار الجراح

---

(١) أغابيوس ، ٨/٣ (القسم الثانى) ص ٤٦٣ [٢٣] ؛ انظر .
Op. Cit, p. 46.: O'hsson

(٢) معجم البلدان ، ٢ ص ١٢ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٢٠٧ ؛ انظر . قبله ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٣٤٩ .

(٤) معجم البلدان ، ٣ ص ٢٧٨ ؛ انظر . قبله ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٤٩ .

(٥) أنظر . Op. Cit p. 50.:O'hsson : Michel, t2. fasc 3, p. 478

(٦) الكامل ، ٤ ص ١٥٤ .

(٧) نفسه ، ٤ ص ١٨٦ .

(٨) نفسه ، ٤ ص ٢٠٧ س ١٥ .

إليهم وهزمهم وشموباً كبيرة معهم ، ووصل إلى حصن بلنجر ، إلا أنه لم يقض على خطرهم [١] .

ولما جاء هشام أقرّ الجراح على عمله [٢] ، وأرسل إليه المدد ؛ فكان الجراح يغزو بجرأة وتهور فى بلاد الخزر واللان [٣] . ولكنهم اجتمعوا عليه حينما دخل بلادهم فى سنة ١١٢/٧٣٠، فاستشهد فى بلنجر، ومعه عدد كبير من المسلمين [٤] . فلما قتل طمع الخزر فى بلاد المسلمين وأوغلوا فيها ، فاستولوا على آذربيجان وقاربوا الموصل ، وعظم الخطب على المسلمين ، فجمع هشام أناساً كثيرين للجهاد مع قائد جديد اسمه الحرشى ، الذى تمكن من استعادة أراضى المسلمين ، وهزيمة ابن خاقان قرب باب الأبواب [٥] .وفى نفس العام ولى هشام أخاه مسلمة على أرمينية ، فكان يغزو شعوب القوقاز كل سنة حتى وقت سقوط الثلج ، وينزل بهم خسائر فادحة، ويثير فيهم الرعب ، حتى أشبع طيور السماء ووحوش الأرض منهم ، كما أنه هدم احد الأبواب أو الحصون التى كان بناها الأسكندر المقدونى [٦] . ويبدو أن هشاماً لم يعجبه أن يكتفى مسلمة بالغارة ، وأراد أن تكون الحملات أشد ، فاستدعاه وأرسل بدله مروان بن محمد بن الحكم فى سنة ١١٥ / ٧٣٣ [٧] ؛ فكان مروان يغير على بلادهم من أرمينية وآذربيجان ،

(١) نفسه ، ٤ ص ١٨٦-١٨٧ ؛ انظر . دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ١ ص ١٧١ .
(٢) الكامل ، ٤ ص ١٨٧ .
(٣) نفسه ، ٤ ص ١٩٣ ، ١٩٦ ؛ Denys, p. 22. غزاهم فى سنتى ١٠٦ و ١٠٧ هـ .
(٤) نفسه ، ٤ ص ٢٠٧ ؛ Ibid, p.22.
(٥) الكامل ، ٤ ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .
(٦) أنظر Denys, p.22-23.
(٧) الكامل ، ٤ ص ٢١٥ — ٢١٦ . عنه ، انظر . Ency. de l'Isl. (art Marwân B. al-Hakam) t3, p. 356.

وأوغل فيها وخربها ، وغنم وسبي ووصل إلى أقصاها : فني سنة ١١٦/٧٣٤ عُرفت غزوته بالسامحة وفتح بلاد اللان [١] ، وفي سنة ١٢٠/٧٣٨ غزا قلعة السرير فقتل وسبي حتى البحر الأسود [٢] ؛ وفي سنة ١٢١/٧٣٩ أعاد غزو قلعة السرير ، وبلاداً أخرى لم تطأها أقدام المسلمين [٣] .

كذلك عاد خطر الترك وسط آسيا ، الذين كانوا قد تلقوا ضربات هائلة — على يد قتيبة في ممتلكاتهم في بلاد ما وراء النهر — انتهت باستيلاء المسلمين عليها ؛ مما جعل العرب يعيدون إلى الأذهان صورة النزاع بين إيران وتوران [٤] . فقد كان ترك الخاقان يأتون لمساعدة بني جلدتهم في بلاد ما وراء النهر ، الذين ثاروا على العرب بسبب سوء حكم عمالهم [٥] ؛ أو حتى للغارة إذ كان أغلب ترك وسط آسيا من البدو [٦] . حقاً إنهم لا يهاجمون المسلمين بجيوش منظمة تقاتل صفاً أو زحفاً ، ولكن بحروب العصابات ، حيث كانوا يظهرون في كل مكان . وساعدهم على ذلك طبيعة بلاد ما وراء النهر ، وما بها من جبال وأنهار كثيرة ، وغابات ذات شجر كبير [٧] . ومع ذلك فحروبهم ضد العرب كانت شديدة ؛ حتى أنه كان يشترك فيها الخاقان بنفسه وأولاده ، وقواده الكبار .

وقد كان العرب يدفعون هذا الخطر التركي عن طريق مراكز محصنة للتجمع ،

---

(١) الذهبي ، دول الإسلام ، ١ ص ٥٧ .
(٢) نفسه ، ١ ص ٥٨ .
(٣) الكامل ، ٤ ص ٢٤٥ .
(٤) أنظر ، شميرة ، ممالك ما وراء النهر ، ص ٣
(٥) أنظر ، مثلا ، الكامل ، ٤ ص ١٧٨ .
(٦) معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٨ — ٣٧٩ .
(٧) الكامل ، ٤ ص ٢٠٩ .

مثل : قصر الريح[1] والباهلى[2] وكَمرجَة[3] بالصغد — أغنى بلاد ما وراء النهر فضلاً عن إقامة حاميات متعددة فى المدن المختلفة ؛ وعن طريق تأييد الأعاجم أو الفرس الذين كانوا فى عداء تقليدى مع الترك ، ولا سيما أن الإسلام كان قد انتشر بين الفرس[4] . وقد كان طابع حروب العرب مع الترك أن الحرب سجال ؛ مرة ينتصرون ومرة يتلقون الهزيمة ؛ ففى عهد يزيد حاصر كورصول أكبر قواد خاقان ومعه دهاقنة الصغد قصر الباهلى الذى يقيم به العرب ونساؤهم فى سنة ٢ ١/٧٢٠ ؛ ولكن العرب أجبروهم على ترك القصر ، مما مهّد لسعيد خذينة عامل خراسان غزو الصغد الثائر[5] .

وفى أول خلافة هشام سنة ١٠٦/٧٢٤، تقابل عامل آخر اسمه مسلم بن سعيد مع ترك خاقان بفرغانة فقتل الترك من المسلمين كثيراً ، ونجا الجيش بأعجوبة؛ بفضل مدد أتى به نصر بن سيار[6] . وفى سنة ١١٠/٧٢٨، حاصر الترك العرب فى كرجة فطلب هؤلاء الأمان من خاقان ؛ وقد كان يحاصرهم ومعه أهل فرغانة والشاش ونسف وبعض أمراء بخارى[7] . وفى سنة ١١١/ ٧٢٩ ، تمكن عامل خراسان الجنيد بن عبد الرحمن من أسر ابن أخى خاقان فى ناحية من نواحى بلاد سمرقند ، وبعث به إلى هشام[8] . ولكن فى السنة التالية ١١٢/ ٧٣٠، تمكن الترك من إنزال هزائم متوالية بقواد المسلمين، لولا أن هشاماً أرسل مدداً كبيراً من جند البصرة[9] .

وقد بلغ خطر ترك خاقان أوجه لما هاجم أسد بن عبد الله — أخو عامل

---

(١) نفسه ، ٤ ص ١٨٤ س ٢١ ؛ انظر « شعيرة ، ممالك ، ص ٢٣ وهامش (١) .

(٢) نفسه ، ٤ ص ١٧٨ س ١٠ ؛ نفسه ، ص ٢٣ وهامش (٢) .

(٣) نفسه ، ٤ ص ٢٠٤ ؛ معجم البلدان ، ٧ ص ٢٧٩ ؛ انظر . شعيرة ، ممالك ، ص ٢٣ وهامش (٣) .

(٤) الكامل ، ٤ ص ٢٣٧ س ١٧ .

(٥) نفسه ، ٤ ص ١٧٨ — ١٨٥ .

(٦) نفسه ، ٤ ص ١٩٤ — ١٩٠ .

(٧) نفسه ، ٤ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٨) نفسه ، ٤ ص ٢٠٦ .

(٩) نفسه ، ٤ ص ٢٠٨ وما بعدها .

العراق السابق خالد بن عبدالله - الخُتل على تخوم السند الشمالية فى سنة ١١٩/٧٣٧ ، وهى بلاد لم يكن قتيبة يعرض لها فى فتوحه(١) ؛ وإن كان أسد نفسه قد أغار عليها فى ولايته الأولى لخراسان سنة ١٠٨/٧٢٦(٢) . عندئذ جاء خاقان بنفسه ومعه الثائر الحرث بن سريج فى جيش كبير مدعياً أنها أرض آبائه وأجداده ، وعمل خاقان على الهجوم أولاً على العجم فى جيش أسد ، فتمكن من قتل صغان خداه(٣) . وبعدها نزل خاقان عند جبنوبة فى طُخارستان، ومد غاراته إلى فارس؛ فانسحب أسد إلى بلخ ، وقد كتب إلى الخليفة يستمده ؛ إلا أن خاقان الذى فرّق جنوده لحقه فى عدد قليل من جنده ، فتمكن أسد من إنزال هزيمة منكرة به ، وأجبره على الرجوع إلى بلاده(٤) . ولم ينقذ العرب من عودة خاقان لقتالهم إلا حدوث نزاع داخلى فى مملكته ؛ فقد حقد عليه قائده كورصول وقتله(٥) . وقد مهّد هذا النصر على خاقان، أن عاد أسد إلى الختل ففتحها نهائياً، وغلب على القلعة الكبرى وقتل الملك(٦) ، وهو الذى وصف على أنه كان أكثر الملوك محاربة للمسلمين(٧) . فلما علم هشام بقتل خاقان لم يصدق النبأ ، وسجد شكراً لله تعالى(٨) .

وبعد وفاة أسد فى سنة ١٢٠/٧٣٧ ، ولى هشام على خراسان نصر بن سيار ؛ وكان هو الآخر قائداً نشيطاً ، استعمله عليها عامل العراق يوسف بن عمر كما ذكرنا ، وبقى فيها إلى أيام بنى أمية(٩) وقد كان لحسن تصرف نصر بن سيار

(١) نفسه ، ٤ ص ٢٢٦ ؛ انظر . شعيرة ، ممالك ، ص ١٧ .
(٢) نفسه ، ٤ ص ١٩٨ — ١٩٩ .
(٣) نفسه ، ٤ ص ٢٧٧ .
(٤) نفسه ، ٤ ص ٢٢٨ .
(٥) نفسه ، ٤ ص ٢٢٩ .
(٦) نفسه ، ٤ ص ٢٣٣ .
(٧) نفسه ، ٤ ص ٢٢٩ س ٨ ؛ انظر . شعيرة ، ممالك ، ص ١٧ .
(٨) نفسه ، ٤ ص ٢٢٩ س ٢١ — ٢٢ .
(٩) وفيات ، ٢ ص ٥٤٠ ؛ انظر
Ency. de l'Isl, (art Nasr B. Sayâr) t3, p. 933 sqq

نحو الموالي ، وأهالي هذه النواحي ، أن جلب له أعوانا كثيرين[١] ؛ بحيث أنه كان يخرج في غزواته ومعه أهل بخارى وسمرقند وكش ونسف[٢] . وقد تمكن من أن يكيل لترك وسط آسيا صفعة أخرى هائلة ، حينما هزم كورصول وهو في الشاش سنة ١٢١/٧٣٩ ، وتمكن من أسره وقتله وإحراقه . وبعد هذا النصر المؤزر صالح ملوك أغلب بلاد ما وراء النهر بخاصة الصغد[٣] ، التي كانت قد ثارت على المسلمين ، واستعانت بالترك ، وضيق بذلك الخناق على الثائر الحرث بن سريج . وبذلك تمكن العرب من وقف خطر الترك ، الذين لا يلبث الإسلام أن يغزوهم ، فيكونون ساعده وحماته

أما في جبهة الأندلس ، فإن الحوادث هي التي جر بعضها بعضاً ؛ فالعرب منذ أن فتحوا هذه البلاد ، تطلعوا إلى الغارة في الأراضي الواسعة ، الواقعة شمال جبال البرنيوه[٤] « Pyrenaei » ـ الحاجز أو الفاصل أو البرت ـ التي أطلقوا عليها اسم الأرض الكبيرة ، لأنها تمتد من المحيط حتى القسطنطينية[٥] ؛ وهي عبارة عن أمم كثيرة ، فوصفت لهم : بأنها ذات الألسن الكثيرة[٦] .

ولكن غارات العرب فيها تركزت في البلاد الواقعة شمالي بلاد الأندلس المعروفة باسم: بلاد أفرنجة العظمى — على اسم أمة — أو أفرانسة[٧] ؛ وهي

---

(١) أنظر . قبله .
(٢) الكامل ، ٤ ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .
(٣) نفسه ، ٤ ص ٢٥٠ .
(٤) تقويم البلدان ، ص ١٦٩ ؛ معجم البلدان ، ١ ص ٣٥٠ ؛ انظر . قبله ، ص ١٩٨ .
(٥) ابن صاعد الأندلسي ، ص ٦٤ .
(٦) المقري ، نفح الطيب ، ١ ص ٢٥٨ .
(٧) ابن صاعد ، ص ٦٤ .

جزء من بلاد أفرنجة ، التي كانت قبل الإسلام تمتد جنوباً حتى رودس ، وشرقاً إلى رومية مقر البابا[1] ؛ وإن عرفت للأوربيين باسم: بلاد غالة «Gallia»[2].

وكانت تسكنها عناصر نصرانية من أصول مختلفة ، مثل : اللجيير والكلت القديمين ، واللاتين الذين غزوها وضموهـا إلى أمبراطورية الرومان ، والتبربرين الذين قضوا على دولة الرومان ، ومنهم : الهون والوندال والقوط ، ومخاصـــة الفرنجة « Franks » .

وكان يوجد في هذه البلاد عدة ممـالك ؛ وإن كان العرب لايميزونها جميعها بأسمائها مثل : مملـكة واسعة تقع شمال اللوار ، تعرف باسم الأسرة الميروفنجية « Merovingiens »، التي أسسها كلوفيس « Clovis » وامتدت حتى ألمانيا؛ وإن سيطر عليها أمراء القصر « Majordomes » ؛ بحيث أصبح ملوكها لاقيمة لهم « Rois Fainéants »[4] . أما جنوب اللوار فوجدت أمارة أقطانيـة (أكويتانيا) « Aquitaine » ، المستقلة ، التي كان يحكمها أمراء « ducs » من نسل كلوفيس[5] ، وسبتمانيا « Septimanie » ، التي سميت هـكذا لأنها تشتمل على سبع « Septa » مدن ملاصقة لجبال البرينيه ، ويبدو أنها كانت خاضعة لدولة القوط ؛ ولنجدوك « Languedoc »،أى أرض القوط « Land Got »؛ لأنها كانت خاضعة لدولة القوط ، فقد كانت تسمى « Gothie » والبروفنس «Provence»، المجاورة للبحر الأبيض، وكانت خاضعة إما للقوط وإما للبيزنطيين[6] .

---

(١) معجم البلدان ، ١ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ . هي مجاورة لروميه .

(٢) أنظر Brémond, p. 282

(٣) أنظر . Ibid, p. 247 sqq

(٤) أنظر . Ibid, p. 251 ؛ Halphen : Les Barbares, 4 éd, p. 151.
نسبه إلى جده Mérovée .

(٥) أنظر Id. : Ibid, p. 256

(٦) أنظر . Brémond, p. 256-7 ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص ٦٩ هامش (١)، Reinaud:
Invasions des Sarrazins en France, Paris, 1836, introd p. XI; 1.4

وفى أول الفتح العربى للأندلس، كانت معظم غارات العرب فى البلاد المجاورة لجبال البرنيوه، فاستولوا على حصنى قَرقَشُونَة[1] « Carcassonne » وأربُونَة[2] « Narbonne »، ويبدو أن سيطرة العرب عليها كانت تامة، حتى أننا نجد عمر بن عبد العزيز يُرسل الفقهاء إلى قرقشونة لتعليم أهلها الإسلام[3].

ولكن فى عهد يزيد وهشام توغل قواد العرب بغاراتهم فى بلاد أفرنجه؛ حيث قوبلوا بمقاومة شديدة، وقُتل معظمهم: فالسمح بن مالك الخولانى توغل فيها وقتل سنة ١٠٢ / ٧٢١، واضطرت فلوله إلى التراجع بقيادة عبد الرحمن الغافقى، المعروف للمسيحيين باسم « Abderame »[4]. ولما عُزل عبد الرحمن وجاء بعده عنبسة بن سحيم « Anbeza »، أخذ يغير فى بلاد الفرنجة منذ سنة ١٠٣/٧٢٢[5]، ولكنه ربما يكون قد قتل على ضفاف نهر رَدونة (الرون) سنة ١٠٧ / ٧٢٥[6]. ولما عاد عبد الرحمن الغافقى فى سنة ١١٢/٧٣٠[7]، عاد إلى الغزو والتوغل، وخصوصاً أنه تتبع أحد زعماء البربر ويسميه الأوربيون منوسة « Munuza »[8]، وكان قد هرب إلى أمير أكويتانيا المسمى إيد « Eudes »،

(١) البيان، ٢ ص ١٢. عنها، انظر. معجم البلدان، ٧ ص ٥٩.

(٢) عنها: معجم البلدان، ١ ص ١٧٦؛ انظر. Op. Cit, p. 13. : Reinaud

(٣) معجم البلدان، ٧ ص ٥٩.

(٤) نفح الطيب، ٢ ص ١٣٨؛ انظر. Brémond, p. 262-263

(٥) نفسه، ٢ ص ١٣٨؛ البيان، ص ٢٧.

(٦) البيان، ٢ ص ٢٧؛ الكامل، ٤ ص١٩٧؛ Cron.:52:53.: Isidoro؛ انظر. فجر الأندلس، ص ٢٤٧ وما بعدها؛ Brémond, p. 263-264

(٧) البيان، ٢ ص ٢٨؛ انظر. Ency. de l'Isl. (art 'Abd al-Rahmân B. 'Abd Allâh. Ghâfiqî) t I, p. 55.

(٨) عن هذه الغزوة، انظر. Cron. 58.: Isidoro ؛ Brémond, p. 266 sqq. ؛ Reinaud, p. 20 sqq ؛ Lévi-Provençal ؛ Arab. p. 311.: Well. =

فقتله عبد الرحمن ، وهرب أمير أكويتانيا إلى قارلة (كارل) « Karl » ، سيد القصر فى المملكة الميروفنجية . فتابع عبد الرحمن غارته حتى وصل إلى بلدة فى جنوبى غربى باريس اسمها تور « Tours » ، فوجد فى انتظاره جيش الفرنجة بقيادة كارل ، ومعه النمساويون والبرغنديون والبلغار [١] ؛ وهى عناصر من الفرنجة فقاتلوا العرب بشدة فى سنة ١١٤/٧٣٢ ، واستشهد عبد الرحمن ، واضطرت فلوله إلى التراجع [٢]. وقد كان وصول العرب إلى هذه النواحى ، هو أقصى ماوصلت إليه غاراتهم .

وبالغ الأوربيون فى وصف انتصار كارل على المسلمين ، والنتائج التى ترتبت عليه ؛ بحيث أن بابا رومية ، منحه لقب : مطرقة الله « Martel » ؛ فقد اعتقدوا أنه لولا انتصاره لانساح الإسلام فى أوربا وحل محل المسيحية . ولقد كانت هناك نتيجة ملموسة لهذا الانتصار المسيحية ، فقد قوى من شأن كرسى البابوية فى رومية ، التى كانت تسعى إلى التخلص من خضوعها للقسطنطينية . فاستفاد كارل من انتصاره ، وهاجم أملاك المسلمين فى أربونة فى عدة غارات بخاصة فى سنة ١١٩/ ٧٣٧ ، ولكن المدينة اومته ، واضطر إلى رفع الحصار ؛ بسبب أن بقية أمراء الفرنجة لم يكونوا يرضون عن توسعه .

أما العرب ؛ فإنهم لم يتكلموا كثيراً عن هذه الموقعة أو عن غيرها من الغارات ، وكل ماقالوه هو أن عبد الرحمن استشهد ، وأن الموقعة اسمها : « بلاط الشهداء » [٣]. ومن الجائز أيضاً أن تكون قلة كلامهم عنها بسبب أن انسياحهم نحو الشمال لم يكن بقصد الغزو والفتح ؛ وإنما للغارة ؛ ولاسيما أن مشاكل

= (1) Hist. de l'Esp, p. 60;n ؛ عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، ص ٨١–٨٠ .

(١) عن ذلك ، انظر . Halphen : Les Barbares 4ed, p. 151.

(٢) البيان ، ٢ ص ٢٨ .

(٣) نفح الطيب ، ٢ ص ١٣٩ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٢٥ ؛ انظر . Ency. de l'sl, 2ed (art Balât al - Shuhadâ') t I, p, 1019—1020.

كلمة بلاط كلمة لاتينية أو يونانية تعنى طريق .

الأندلس الداخلية وقتئذ لا تسمح بالقيام بالفتح ؛ لنزاع القبائل العربية من ناحية ، والبربر والعرب من ناحية أخرى . ويؤيد ذلك أن العرب عادوا إلى الغزو حتى بعد المعركة مباشرة ، فقام عبد الملك بن قطن بالغزو فى السنة التالية ١١٥/٧٣٣[١] ؛ وقام عقبة بن الحجاج بغارة شديدة فى سنة ١١٦/٧٣٤[٢] . كذلك نسمع عن لقب صاحب أربونة[٣] ؛ مما يدل على أن هذه المدينة أصبحت ثغراً هاماً للغزو .

هذه هى ظروف الخلافة فى عهد هشام ، تميزت بثورة الشعوب المفتوحة ، وبتفاقم الخطر الخارجى ؛ وإن استطاع هشام المحافظة على دولة الإسلام كاملة .



(١) نفح الطيب ، ٢ ص ١٤٠ .
(٢) البيان ، ٢ ص ٢٩
(٣) أنظر . قبله .

الفصل الثانى

سقوط الدولة العربية

صراع بنى أمية — اندلاع الفتن بين العرب — دعوة آل البيت — الشعوبية — سقوط الدولة العربية .

يبدو أن نظام الوراثة الذى أقامه معاوية ، لم يعد حلاً لمسألة خلافة النبى الشائكة ؛ حتى أن أفراد بيت بنى أمية أنفسهم تكالبوا على منصب الخلافة فى أخريات أيام الدولة العربية ، دون احترام للمبدأ الوراثى ؛ مما أدى بدولتهم إلى السقوط .

*

فبعد وفاة هشام بن عبد الملك ؛ تولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى ربيع الآخر سنة ١٢٥/فبراير ٧٤٣[١] ، بعهد سابق من أبيه . وقد حاول هشام أن يعزل الوليد عن ولاية العهد ، ويوليها لابنه مسلمة ؛ فطالبه هشام بأن يخلع نفسه ؛ وحرمه من العطاء هو وسائر مواليه ، وجفاه جفاءً شديداً ؛ بحيث كان يكثر من تنقصه أمام الناس ، ويسمح بسبه فى حضرته ، وعمل سراً فى البيعة

---

(١) صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٥٧ . يقول ابن قتيبة تولاها سنة ٧٤٣/١٢٦ (الإمامة ، ٢ ص ٢١٠) ، وهو لم يتول الخلافة مباشرة بعد أبيه لأنه كان صغيراً ؛ ابن خمس عشرة سنة.

لمسلمة ، فأجابه بعض الناس . ولكن مسلمه توفى قبل أبيه ؛ مما هيّأ للوليد الفرصة فى أن يلى الخلافة بعد هشام[(١)] .

وكان الوليد[(٢)] مثل غيره من خلفاء بنى أمية يحب البادية ، وزاد شغفه ببناء القصور الهائلة فيها : فحينما كان أميراً بنى قصر عمرة[(٣)] ، وبعد توليته الخلافة نُسب إليه بناء قصر المشتى[(٤)] ، وكلاهما من أكبر عواصم الصحراء فى شرق الأردن ، كما عرفت له بالبلقاء عدة قصور أخرى ، وردت أسماؤها فى كتب المؤرخين ، مثل : الأزرق[(٥)] ، والأغداف[(٦)] ، واللؤلؤة[(٧)] .

ولقد شابه الوليد أباه ؛ فطلب اللذات وشُغل عن أمور الدولة[(٨)] ؛ ولاسيما أنه تولى الخلافة فى أوج الشباب فى سن الخامسة والثلاثين[(٩)] ؛ فكان يجمع فى عواصم البادية الندماء والشعراء والمغنين ؛ كما أنه أحب الصيد[(١٠)] . ولكنه انفرد عن سابقيه من الخلفاء بإجادته الشعر والغناء[(١١)] . ومن الجائز أن أعداءه هم الذين ألصقوا به تهمة الكفر والتهاون بالدين[(١٠)] ، فأورد المؤرخون

---

(١) الأغانى ، ٦ ص ١٠٢ — ١٠٣ ؛ الكامل ، ٤ ص ٢٥٦ .

(٢) عن سيرته ، من بين عدة مصادر : الأغانى ، ٦ص ١٠١ وما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art al-Walîd B. Yazîd) t 4, p. 1171—1172.

(٣) عن هذا القصر ونقوشه وطبوغرافيته ، انظر .
Ency. de l'Isl, (art 'Amra) t 1, p. 341 sqq.

(٤) أنظر . Ibid, (art Mashatta) t 3, p. 653 sqq
وهو ربما يكون بناه أبوه يزيد بن عبد الملك أو الوليد .

(٥) الكامل ، ٤ ص ٢٥٧ س ٨ .

(٦) نفسه ، ٤ ص ٢٦٧ س ٥ .

(٧) الطبرى (Annales)، ٢ : ١٨٠٢ .

(٨) الكامل ، ٤ ص ٢٥٦ س ١٩ .

(٩) نفسه ، ٤ ص ٢٥٦ .

(١٠) نفسه ، ٤ ص ٢٦٤ .

(١١) الأغانى ، ٦ ص ١٠١ .

(١٢) الكامل، ٤ ص ٢٦٩ س ٢٠ وما بعدها.

أنه كان يفرّق بين زوجات أمراء بيته وأزواجهن ليتخذهن لنفسه ، ويَنكح أمهات أولاد أبيه[1] : وأنه حمل الكلاب وأراد أن يقيم فوق سطح الكعبة قبة يشرب فيها الخمر ، لولا أن خوّفه أصحابه مغبة هذا العمل[2] ؛ لذلك كان عمه هشام يراه غير جدير بولاية عهده[3] .

أضف إلى ذلك أن الوليد أظهر حباً فى الإنتقام والتشفى : فما أن ولىّ الخلافة حتى حجز أموال هشام بالرصافة ، وقبض على أولاده وجَلَد بعضهم[4] ، وأخذ سليمان بن هشام — الذى اشتهر فى حرب الثغور — فضربه بالسوط ، وحلق رأسه ولحيته وسجنه[5] . وكذلك أساء معاملة خالد بن عبد الله القسرى عامل الأمويين السابق على العراق ؛ إرضاءً ليوسف بن عمر الثقفى من أقرباء الحجاج ، الذى كان يعاند خالداً وولىّ بعده العراق ؛ والوليد نفسه كان زوج أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى[6] . وقد كان هشام عزل خالداً عن عمل العراق وولاه يوسف ، ثم استدعاه إلى الشام لما أراد يوسف قتله ، وأطلق سراحه . فلما توفى هشام وتولى الوليد الخلافة ، نصح أهل خالد له بالفتنة فى دمشق ، أو بالتوارى لقرابة الحجاج للوليد ؛ ولكنه كره الاثنين ؛ حتى لا تحدث فتنة . فسعى يوسف بن عمر إلى الوليد ليسلمه خالد ، واشتراه منه ؛ مع أن خالداً كان شيخاً لا يقوى على المشى ، وإنما يحمل على كرسى ؛ فقدم به يوسف إلى العراق وعذّبه وهو لا يتأوه ، وقتله فى سنة ١٢٦/٧٤٣ ؛ كما أن الوليد نفسه أخذ ابنه

---

(١) نفسه ، ٢٦٤ س ٨ وما بعدها .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٢٥٦ .

(٣) الطبرى (Annales) ٢ : ١٧٤١ .

(٤) الكامل ، ٤ ص ٢٥٨ س ٨ .

(٥) نفسه ، ٤ ص ٢٦٤ .

(٦) نفسه ، ٤ ص ٢٦٨ .

يزيد بن خالد وحبسه[1] . وفى عهد الوليد قُتل أيضاً يحيى بن زيد ، الذى فر بعد قتل أبيه فى العراق إلى خراسان؛ فطارده عمال الوليد ، وقتلوه هو الآخر ، وصلبوه بجوزجان فى سنة ١٢٥/٧٤٣[2].

هذه التصرفات جعلته يثقل على رعيته وجنده[3] ، وبخاصة اليمانيـة منهم لبغض الخلفاء لهم منذ يزيد ، وتقريبهم للقيسية[4] ؛ كما كرهه أفراد بيته ؛ وكانوا مدفوعين إلى ذلك إما باحتقار تصرفاته ، أو بسبب طمعهم فى السلطة . فثارت اليمانية لأول مرة ضد أحد الخلفاء الأمويين وعلى رأسها قضاعة ، حيث كانوا وقتئذ أكثر جند الشام[5] ، وحرضوا ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك على البيعة لنفسه[6] . فاستولى يزيد على دمشق وأرسل جيشاً إلى الوليد ، الذى كان يقيم فى البادية هرباً من الطاعون ، وهاجموه فى قصره بالأغداف . وقد أراد الوليد التفاهم مع مهاجميه ؛ فأحضر يزيد بن خالد من محبسه، وطلب منه التدخل فى رد اليمانية ، ولكن يزيد بن خالد هرب وانضم إلى مهاجميـه[7] ؛ فتوسل الوليد بخلع نفسه دون جدوى ؛ عندئذ أخرج الوليد راية مروان فى الجابية وقاتلهم بمن معه من مضر فهزموه ، فدخل إلى القصر وأخذ مصحفاً فنشره ؛ وأخذ يقرأ فيه وقال يوم كيوم عثمان ؛ فدخلوا عليه وذبحوه فى سنة ١٢٦/٧٤٤ ،

---

(١) عن ذلك : نفسه ، ٤ ص ٢٦٢ — ٢٦٣ ؛ الإمامة، ٢ ص٢١١ — ٢١٣؛ وفيات، ١ ص ٢٣٩ ، ٢ ص ٥٤١؛ انظر .

Ency. de l'Isl, (art Khâlid B 'Abd al-Allâh al-Kasrî) t 2, p. 930.

يقول الدينورى محمد بن خالد . الأخبار الطوال ، ص ٢٣٢ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٦ ؛ معجم البلدان ، ٣ ص ١٦٧ . يبدو أنه أمنه فى أول الأمر .

(٣) الكامل ، ٤ ص ٢٦٤ س ٤ .

(٤) الدينورى ، الأخبار الطوال ، ص ٣٢٥ .

(٥) الكامل ، ٤ ص ٢١٢ س ١٤ — ١٥ .

(٦) نفسه ، ٤ ص ٢٦٥ .

(٧) نفسه ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨ ؛ الإمامة ، ٢ ص ٢١٥ — ٢١٦ ؛

وحملوا رأسه إلى دمشق ؛ وأخـذوا ابنيه الصغيرين عثمان والحـكم وليّ عهده ، وسجنوهما(١) .

* * *

وبعد قتله ، بايع يزيد بن الوليد بالخلافة لنفسه فى جمادى الآخرة سنة ١٢٦/٧٤٤(٢) ؛ نخطب الناس خطبة برر فيها قتله للوليد بن يزيد ؛ وأنه ما فعل ذلك إلا غضباً لله ودينه . وقد كان يزيد على خلاف الوليد ذا دين وورع ، يُظهر النسك ويتواضع(٤) ؛ فهو صاحب مذهب القدرية(٥) ، أى الذى يقول بقدرة الإنسان فى عمله وأنه خالق الأفعال ، وبالقدر شره وخيره ؛ وهو نفسه مذهب المعتزلة حيث كانوا يلقبون أيضاً بالقدرية ؛ فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه ؛ مع أن مثل هذه الأقوال حوربت فى عهد هشام(٦) ، وأُعتبر معتنقوها من المجوس(٧) ، لنفى العمل الإلهى أو ما عرف بالجبرية(٨) .

ولـكن اعتماد يزيد على تأييد اليمانية جره إلى العمل على إخمـــاد فتنة القيسية فى أماكن متعددة فى الشام ؛ فإن أهل حمص من القيسية لـمـا قتل الوليد لم يرضوا بيعة يزيد ، فأرسل إليهم وحاربهم وهزمهم وأخذ بيعتهم ؛ وهزم أيضاً أهل فلسطين لما وثبوا على عاملهم(٩) . كما حبس يوسف بن عمر عامل العراق وقريب

---

(١) الـكامل ، ٤ ص ٢٦٩ .

(٢) صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٥٨ ؛ الإمامة ، ٢ ص ٢١٦ .

(٣) العقد ، ٢ ص ١٧٦ .

(٤) الـكامل ، ٤ ص ٢٦٤ س ١٠ ؛ الذهبى ، تاريخ الدول ، ١ ص ٦٠ .

(٥) الذهبى ، تاريخ الدول ، ١ ص ٦١ . عن هذا المذهب ، انظر الشهرستانى ، الملل والنحل ، ١ ص ٢٩ — ٣٠ ؛ انظر .

Ency. de l'Isl, (art Kadarîya) t2, p. 644—5.

(٦) الطبرى (Annales) ٢ : ١٧٧١ .

(٧) الشهرستانى ، الملل ، ١ ص ٣٠ .

(٨) نفسه ، ١ ص ٥٩ — ٦٠ .

(٩) الـكامل ، ٤ ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

الوليد ، الذى كان قد أقره بعد هشام ؛ فلما قتل الوليد هرب يوسف وهو فى زى النساء ، وبلغ يزيد استخفاؤه فجاءوا به فى وثائق ، فحبسه يزيد مع الحكم وعثمان [١] ؛ وولى على العراق بدله عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى سنة ١٢٦/٧٤٤ [٢] . وبذلك استتب الحكم لهذا الخليفة المغتصب مدة ستة أشهر إلى وقت وفاته فى ١٩ من ذى الحجة سنة ١٢٦/٧٤٤ [٣] . وقد وصفه أعداؤه بالناقص سباً له ؛ وإن كان يبدو أن هذه التسمية بسبب أنه أنقص أعطيات الجند ، التى كان الوليد زادها [٤] .

* * *

قام بالخلافة بعده أخوه إبراهيم بن الوليد بعهد منه [٥] . ولكن بيعته لم تتم ؛ أو أن خلافته لم تمتد إلى أكثر من أربعة أشهر أو أربعين يوماً ، ثم خلع نفسه لما ظهر له منافس من أهل بيته [٦] ؛ لذلك كان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالأمارة ، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما [٧] .

وقد كان منافسه اسمه مروان بن محمد الجعدى ، خرج بحجة المطالبة بدم الوليد المظلوم [٨] . ويتبين من سيرة مروان أن أباه محمداً كان من أشد ولد

---

(١) نفسه ، ٤ ص ٢٧١ ــ ٢٧٢ ؛ وفيات ، ٢ ص ٥٤١ ــ ٥٤٤ .

(٢) أنظر . الكامل ، ٤ ص ٢٧٤ . عنه ، انظر .
Ency. de l'Isl, (art 'Abd-Allah B. 'Omar) tI, p. 29.

(٣) صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٥٨ ؛ العقد ، ٢ ص ٢٤٧ ؛ انظر . Lavoix :
Cat, 1, p. 128

يقول ابن عبد ربه سمى بالناقص لفرط كماله. العقد ، ١ ص ٣٠ ؛ انظر. جبور، ابن عبد ربه، ص ٥٧ ــ ٥٨ وهامش.

(٤) الكامل ، ٤ ص ٢٦٩ ؛ الطبرى (Annales) ٢ : ١٨٣٧ ، ١٨٧٩ .

(٥) وفيات، ٢ ص ٥٤٢ . على أن يتولاها بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبدالملك.

(٦) صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٥٨ .

(٧) الكامل ، ٤ ص ٢٧٨ .

(٨) نفسه ، ٤ ص ٢٧٧ ؛ الطبرى (Annales) ٢ : ١٨٧٠ عنه ، انظر .
Ency. de l'Isl, (art Marwân II) t3, p. 355.

مروان وأشجعهم ، حتى كان عبد الملك يحسده على شجاعته ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير بالعراق [(١)] ، أما أم مروان فكانت كردية ، وسبب تسميته بالجعدى فنسبة له إلى مؤدبه [(٢)] . وقد ولى مروان نفسه الجزيرة وأرمينية لهشام والوليد بن يزيد [(٣)] ، وقاتل خلالها القبائل الشديدة المراس ؛ فعُرف لصبره بالحمار [(٤)] ؛ وكان يوصف بأنه شيخ بنى أمية وكبيرهم [(٥)] .

ويروى فى خروج مروان ؛ أنه لما قتل الوليد بن يزيد ترك بلاد الخزر وانصرف إلى بلاد الجزيرة واستولى عليها [(٦)] . ويرى المؤرخون أنه هو أول من سمى يزيداً بالناقص سباً وشتيمة [(٧)] ، وتلكأ فى بيعته ، ثم بايعه بعد أن أبقاه فى عمله [(٨)] . إلا أنه لما ولىَّ إبراهيم ، طالبه مروان بدم الوليد الذى قتله أخوه ، وسمى الوليد كعثمان بالخليفة المظلوم [(٩)] . فسار مروان فى جند الجزيرة متوجهاً إلى حمص ؛ التى كان أهلها قد رفضوا بيعة يزيد وثاروا عليه ، لولا أنه أرسل إليهم جيشاً وهزمهم ؛ فلما مات يزيد امتنعوا عن بيعة إبراهيم ، فأسرع مروان ودخلها وساروا معه [(١٠)] . فلما سمع إبراهيم بسير مروان ضده ارتعدت أوصاله ، وأرسل جيشاً من دمشق هزمه مروان ، فأرسل إبراهيم

---

(١) أنساب ، ٥ ص ١٨٥ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ٣٣٢ ؛ انظر . حسن إبراهيم ، تاريخ الاسلام السياسى ، ١ ص ٢٥٦ . وهو الجعد بن درهم .

(٣) أنساب ، ٥ ص ١٨٧ .

(٤) الكامل ، ٤ ص ٣٣٢ ؛ انظر . Well : Arab. p. 371

(٥) الأخبار الطوال ، ص ٣٤٤ .

(٦) الكامل ، ٤ ص ٢٨٢ .

(٧) نفسه ، ٤ ص ٢٦٩ ؛ الطبرى (Annales) ٢ : ١٨٢٥ .

(٨) الكامل ، ٤ ص ٢٨٢ .

(٩) أنساب ، ٥ ص ١٨٧ ؛ الطبرى (Annales) ٢ : ١٨٥٠ ، ١٨٥٢ ، ١٨٧٠ .

(١٠) الكامل ، ٤ ص ٢٨٣ س ٢٢ .

إليه جيشاً آخر كبيراً بقيادة سليمان بن هشام ، الذى كان الوليد قد حبسه وهرب بعد قتله مع عدد كبير من اليمانية ، وأهل بيت القسرى[1] . ولكن مروان قابل هـذا الجيش عنـد عينَ الجرّ (عنجر) بين بعلبك ودمشق ، وهزمه فى معركة قاسية دامت أياماً ؛ فهرب سليمان وعدد كبير من اليمانيـة إلى دمشق[2] .

بعد هذه الهزيمة أسرعت اليمانية بقتل ولدى الوليد الحكم وعثمان ، كما قتل يزيد بن خالد ومواليه يوسف بن عمر ، الذى قتل أباه من قبل ؛ حيث جروا جسد يوسف فى الشوارع[3] . ولكن مروان دخل دمشق وأخمد فتنتها ؛ التى قتل فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ولى عهد إبراهيم ، واضطر إبراهيم وسليمان إلى الهروب ؛ ونُبش قبر يزيد وصلبت جثته[4] . فبايع أهل دمشق مروان بالخلافة فى سنة ١٢٧ / ٧٤٤ . ولكنه لم يأمن على نفسه الإقامة فى دمشق لكثرة اليمانية ؛ فانتقل إلى حرّان قصبة ديار مضر ؛ وأتاه إبراهيم وسليمان فأمّنهما ؛ حيث خلع الأول نفسه من الخلافة[5] .

وقد لازم هـذا التطاحن على منصب الخلافة صراع شديد بين المضريـة (القيسية) واليمانية ؛ وبخاصة أن هذه الأخيرة رأت فى تولية مروان الخلافة انتصاراً للمضرية عليها ؛ وهو صراع امتد حيث توجد المضرية واليمانيـة فى جميع أجزاء الخلافة العربية ؛ فعـادت أيام العصبية القـديمة[6] ؛ كما قامت الفتن من كل لون .

(١) عن ذلك ، انظر . نفسه ، ٤ ص ٢٧٠ .
(٢) أنظر . Denys, p. 40—41 ؛ الكامل ، ٤ ص ٢٨٣ . عن عين الجر ، انظر . معجم البلدان ، ٦ ص ٢٥٤ .
(٣) وفيات ، ٢ ص ٥٤٢ ؛ الطبرى (Annales) ٢ : ١٨٧٩ .
(٤) الكامل ، ٤ ص ٢٨٣ .
(٥) نفسه ، ٤ ص ٢٨٤ . عن حران ، انظر . معجم البلدان ، ٣ ص ٢٤١ — ٢٤٢ . يقول الدينورى إنه قتل إبراهيم بن الوليد وولى عهده عبد العزيز . الأخبار الطوال ص ٣٣٤ .
(٦) الكامل ، ٤ ص ٢٨٦ .

فى الشام نفسها ؛ ثارت الكلبية فى حمص وما يجاورها ، بعد انتقال مروان إلى حرّان ؛ فاضطر مروان إلى الرجوع لقمعها ، ومعه فى الأسر إبراهيم المخلوع وسليمان بن هشام؛ ثم أرسل مروان جيشاً إلى الغوطة فقتل يزيد بن خالد الذى ثار بها ، وجيشاً آخر إلى فلسطين أنهى فتنتها .

ولكن لما ترك مروان سليمان بالرصافة رضية له ، جاءت اليمانية هذا الأخير وألحت عليه بالخروج وأعلنته خليفة فى ١٢٧/٧٤٤ ؛ فعسكر سليمان بقنسرين قرب حمص ، وكاتب أهل الشام منها فأتوه من كل مكان . فسار عليه مروان وهزمه ، فهرب إلى حمص ومن أفلت معه فحاصره بها ؛ وأخيراً هرب إلى تدمر ومنها إلى العراق [1] .

كذلك كان العراق نفسه يتأجج بالعصبية والفتن ؛ فلما بويع ليزيد ابن الوليد تحرك أحد العلويين يدعو لنفسه ، وهو : عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب [1] ، الذى كان جده عند معاوية لما ولد أبوه ، وطلب أن يسمى ابنه باسمه ففعل [2] . فقد انتهز عبد الله بن معاوية اضطراب أحوال البيت الأموى ، ودعا أهل الكوفة إلى بيعته فى سنة ١٢٧ / ٧٤٤ ، فاجتمع إليه نفر منهم ، وإن اعتزله أغلبهم لكثرة من قتل منهم فى الفتن ، ولسوء سيرته وقسوته حتى أن بعض الشيعة سموه بالزنديق ، فنصحوه بأن يقصد فارس [4] . ولكن قبل أن يخرج قاتلة عامل يزيد بن الوليد ، وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وهزمه ؛ حيث ترك الناس ابن معاوية وبقى يقاتل وحده ، ثم ولى ابن معاوية منهزماً الى فارس ، فتمكن من التغلب

---

(١) نفسه ، ٤ ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٢٨٤–٢٨٥ ؛ مقاتل الطالبيين ، ص ١١٨ وما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art, Abd-Allâh B. Mu'âwiya) t 1, p. 27

(٣) الكامل ، ٤ ص ٣٠٧ .

(٤) مقاتل ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

عليها ، بعد أن أتاه أنصار كثيرون حتى من العراق ، فأرسل إليه مروان جيشاً قوياً ، فهرب عبد الله بن معاوية إلى خراسان ، طمعاً فى شخص اسمه أبو مسلم ، كان يدعو إلى الرضا من آل محمد .

ولكن مروان لم يترك العراق لابن عمر - عامل يزيد - وإنما أرسل عاملاً آخر بدله اسمه النضر بن سعيد الحرشى[1] ، فانضمت اليمانية إلى ابن عمر بالحيرة ، ومعه سليمان بن هشام ، الذى هرب إليه من الشام ، والمضرية مع ابن سعيد الحرشى بالكوفة ؛ فأخذوا يقتتلون ؛ حتى ظهر خطر الخوارج ؛ مما جعلهم يوقفون القتال ويتفقون على قتالهم . فقد تزعم الشراة فى الجزيرة أثناء هذه الفتن بالشام شخص اسمه الضحاك بن قيس الشيبانى[2] وزحف بهم على العراق فى سنة ١٢٧/٧٤٥ ؛ واستطاع الاستيلاء على الكوفة ؛ وهرب ابن سعيد الحرشى إلى واسط وما لبث أن لحق به ابن عمر . ولكن عادت العداوة بينهما لأن ابن سعيد الحرشى تسلل دون ابن عمر وتركه يقاتل الضحاك ، فعاد الضحاك إلى الهجوم على الاثنين فى واسط ؛ فانسحب ابن سعيد الحرشى إلى الشام ، أما ابن عمر فاضطر إلى عقد اتفاق مع الضحاك ، وحرضه على أن يذهب إلى قتال مروان . فتمكن الضحاك ، من السيطرة فى العراق ؛ ومد نفوذه حتى أطراف الجزيرة فى الموصل ، التى سقطت بين يديه ، وطرد عامل مروان منها[3] .

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٢٨٥ ، ٣٠٦ — ٣٠٢ .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٢٨٨ — ٢٩٠ ؛ انظر .

Ency. de l'Isl, (art al-Dabhâk B. Kaïs al Shaibanî) t 1, p. 915 - 916.

(٣) نفسه ، ٤ ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

ولكن عادت الأمور إلى نصابها فى العراق بتولية يزيد بن عمر بن هبيرة الأزدى من قبل مروان فى ١٢٨ / ٧٤٦ [1] ، الذى كان أبوه عاملاً على العراق أيام الوليد بن يزيد ، وكان هو نفسه ولى قنسرين له ، وسار مع مروان يوم أن غلب على دمشق. لحارب عامل مروان الجديد خوارج الضحاك بن قيس بالكوفة وهزمهم ، ثم اجتمع الخوارج بالبصرة فهزمهم أيضاً ؛ كما هرب سليمان إلى الجزيرة . فاستولى يزيد بن عمر على العراق ، وأخذ ابن عمر من واسط وأرسله إلى الجزيرة ، وحبسه فى حرّان إلى أن مات [2] .

أما فى الجزيرة ؛ فإن مروان كان يقاتل فى الشام لما اندلعت فتنة الضحاك واستولى على الكوفة ، ومد نفوذه إلى الموصل بالجزيرة . فجاءه مروان والتقى بالضحاك فى نصيبين وقتله فى سنة ١٢٨ / ٧٤٦ [4] . فولى الخوارج عليهم ابن الخيبرى خلفاً له ؛ وكان معه سليمان بن هشام الذى هرب من العراق ؛ فتمكن ابن الخيبرى من هزيمة جند مروان ، ودخل خيمته ، إلا أن موالى مروان تمكنوا من قتله على غرة [5] . فتزعمهم بعده شيبان الحرورى وكان معه سليمان أيضاً ، فقاتله مروان ، وخندق بإزائه فى الموصل ، واستمرت المناجلة بينهما عشرة أشهر ؛ إلى أن تمكن مروان من هزيمته بفضل خطط الكراديس بدلاً من حرب الصف . فاضطر شيبان بعد هزيمته إلى الهروب إلى بلاد فارس ثم عُمان ؛ حيث قُتل هناك فى سنة ١٣٤/٧٥١ [6] ، أما سليمان فإنه هرب إلى السند وبقى فيه إلى أن ولى العباسيون الخلافة .

---

(١) عنه ، انظر . وفيات ، ٢ ص ٤١٢ — ٤١٧ .
(٢) الكامل ، ٤ ص ٢٨٨ .
(٣) نفسه ، ٤ ص ٢٩٨ .
(٤) نفسه ، ٤ ص ٢٩٦ .
(٥) نفسه ، ٤ ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .
(٦) نفسه ، ٤ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

وفى خراسان وقعت العصبيه بين المضرية واليمانية ، وخصوصاً أنها كانت بلاداً ثغرية أتتها قبائل عربية عديدة ، مثل : اليمانية من الأزد التى انتقلت من عمان على يد المهلب وابنه يزيد (١) ، وقبائل مضر وربيعة من الجزيرة . وقد رأينا أن هذه القبائل كانت فى قتال مستمر ، بسبب تعصب الخلفاء ، حتى أن هشاماً كان يبغض اليمانية فى خراسان ؛ وإن كان همه هوسد الثغر ضد أعداء الإسلام ؛ ولذلك اختار له نصر بن سيار الليثى : العفيف المجرب الباسل المحنك (٢) . ولكن نصراً كان مثل خلفاء الأمويين متعصباً على اليمانية مبغضاً لها ، فكان لا يستعين بأحد منهم فى عمله ، وعادى أيضاً ربيعة لميلها إلى اليمانية (٣) ؛ ولوجود حلف قديم بينهما يرجع إلى أيام الجاهلية (٤) . لذلك عاتبه زعيم اليمانية جديع بن علىّ الأزدى ، المعروف بالكرمانى لأنه ولد بكرمان ، وكان أبوه مع المهلب عند محاربته الأزارقة ؛ ولكن نصراً لم يقبل عتابه وحبسه فى القلعة « القهندز (٥) » . وقد تمكن الكرمانى من الهروب ، فاجتمعت إليه الأزد وسائر من بخراسان من اليمانية ، وانحازت أيضاً ربيعة إليه . فعرف نصر خطأه ، وحاول أن يصلح الأمور ، ولكن اليمانية قررت أن يكون السيف وحده بينها وبين المضرية التى انضمت إلى نصر ؛ وكان هذا الخلاف عام ١٢٦ / ٧٤٤ .

فى ذلك الوقت قدم الحرث بن سريج ، الذى دعا من قبل إلى تخليص المضطهدين ، وكان قد هرب إلى الترك وأمضى فى بلادهم اثنتى عشرة

---

(١) الطبرى (Annales) ٢ : ١٢٩٠-١٢٩١ ؛ انظر . Well : Arab, p. 427
(٢) الأخبار الطوال ، ص ٣٣٥-٣٣٦ .
(٣) نفسه ، ص ٣٣٤ .
(٤) نفسه ، ص ٣٣٦ ؛ الكامل ، ٤ ص ٢٧٥ .
(٥) الأخبار الطوال ، ص ٣٣٥-٣٣٦ .

سنه [1] ، وقاتل معهم المسلمين . فنجد يزيد بن الوليد وقتئذ يأمر نصراً بمنحه الأمان ؛ فاسرع نصر بحسن استقباله ؛ خوفاً منه ؛ وتقرباً ليزيد ، الذى تردد فى فى عزله عن عمله [2] . ولكن لما ولى مروان ، خاف ابن سريج ألا يؤمنه ، وعاد إلى مطالبة نصر بالشورى والإصلاح كما كان الحال من قبل . وقد عظم شأن ابن سريج بانضمام الجهمية إليه ؛ وهى فرقة دينية نسبت إلى شخص كان مع ابن سريج اسمه جهم بن صفوان ، تقول إن الإمامة يستحقها كل من قام بها ؛ إذا كان عالماً بالكتاب والسنة ، وأنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة كلها . ومع أن نصراً الذى خاف أن ينضم الكرمانى إلى ابن سريج ، طمأن ابن سريج من ناحية مروان ، وعرض عليه أن يوليه ما وراء النهر ؛ إلا أن ابن سريج رفض وصمم على أن يعتزل نصر عمله ، واستعد للحرب [3] .

عندئذ خاف نصر واضطر إلى الخروج من مرو [4] ؛ بحيث غلب عليها الكرمانى وهدم دور المضرية . ولما دعا ابن سريج الكرمانى إلى دعوته ، أبى الكرمانى الاستماع اليه ، وحدث بينه وبين أنصاره قتال انتهى بقتل ابن سريج فى سنة ١٢٨ / ٧٤٦ . عندئذ أرسل الكرمانى إلى نصر كتاباً يناديه بالقتال ؛ فنادى نصر فى جنوده ، فعسكر فى ناحية من الصحراء وحفر خندقاً ، وفعل الكرمانى ذلك وخندق ، وسمى المكان لذلك بالخندقين . فمكثوا كذلك عشرين شهراً ، ينهض بعضهم الى بعضهم كل يوم يتقاتلون [5] ؛ إلى أن دهمهما أنصار الدولة العباسية .

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٢٧٦–٢٧٧ .
(٢) نفسه ، ٤ ص ٢٧٢ .
(٣) نفسه ، ٤ ص ٢٩٢ – ٢٩٤ .
(٤) نفسه ، ٤ ص ٢٩٣ – ٢٩٤.
(٥) الأخبار الطوال ، ص ٣٢٧–٣٣٨ .

وفى الجزيرة العربية ظهرت فى الحجاز فرقة من الخوارج الأباضيه بزعامة شخص اسمه أبو حمزة الخارجى، استولت على المدينة، وكانت تدعو إلى خلاف مروان. وفى اليمن ظهر رجل آخر اسمه عبد الله بن يحيى الحضرمى المعروف بطالب الحق — لعله خارجى — ودعا إلى خلاف مروان أيضاً. وقد حدث اتفاق بين الاثنين بحيث أن الأول بايع الثانى على الخلافة[1]؛ ولكن مروان هزم جيش أبى حمزة وقتله؛ لما تطاع إلى مد نفوذه إلى الشام عام ١٣٠ / ٧٤٧.

وعلى خلاف ذلك، لم تحدث اضطرابات بين عرب مصر أو قبطها فى أول الأمر، بسبب رضاهم عن عاملهم منذ هشام: حفص بن الوليد الحضرمى[2]؛ حتى أنه لما أرسل مروان والياً عليها من قبله، ثار الجند ضده وطردوه، وولى مروان حفصه على كره منه. ثم أرسل من جديد الحوثرة بن المجلان الباهلى فى سنة ١٢٨ / ٧٤٥، فتمكن من قتل حفصة؛ وبعدها اضطربت البلاد وتتابع الولاة، وثارت القبط[3].

وفى المغرب كان عاملها منذ هشام حنظلة بن صفوان الكلبى؛ يعمل على تهدئة العصبية بين العرب. ولما تولى الخليفة الوليد بن يزيد، خرج عليه رجل من القيسية، كان أبوه قد قتل مع كلثوم بن عياض فى سنة ١٢٢/٧٤٠، اسمه عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع. وكان حنظلة لا يرى القتال إلا لكافر أو خارجى، فلذلك تنازل له عن طيب خاطر عن عمله ورحل هو إلى الشام[4]. ولقد لقى حبيب معارضة من القبائل اليمانية والبربر؛ وإن استطاع التغلب عليها.

(١) الكامل، ج٥ ص ٢٩٧، ٣٠٧، ٣١٤.
(٢) نفسه، ج٤ ص ٣١٥.
(٣) الخطط، ج٢ ص ٨٧ — ٨٨.
(٤) الكامل، ج٤ ص ٢٧٨ ومابعدها.

وفى الأندلس خلع العرب أميرهم أبا الخطار فى سنة ١٢٧ / ٧٤٥ (١) ، الذى كان قد جمع الكلمة فى عهد هشام ؛ ولكنه بعد ذلك تعصب لليمانية على مضر ، وأخذ ينعى على خلفاء بنى أمية إبعاد اليمانية ، مع أنه بفضل تأييدهم عادت إليهم الخلافة فى يوم مرج راهط (٢) . وقد ظهر له منافس من أشراف مضر فى شخص الصُّميل بن حاتم ، الذى دخل الأندلس مع بلج . ولكى يقبض الصميل على زمام السلطة فى الأندلس وينتزعها من اليمانية ، حرض على أبى الخطار ثوابة بن سلمه ، الذى كان عامل أبى الخطار على إحدى مدن الأندلس وعزله ، على أن تكون له الأمارة إذا انتصر على أبى الخطار ، فحارب ثوابة والصميل أبا الخطار وانتصرا عليه ، وأسراه وسجناه ؛ بحيث أصبح لثوابة اسم الأمارة وللصميل الحكم (٣) .. فلما توفى ثوابة فى سنة ١٢٩/٧٤٧ ، أختلف عرب الأندلس : فالمضرية أرادت أن يكون الأمير منهم ، واليمانية أرادت أن يكون الأمير منهم ، فخاف الصميل الفتنة وضياع السلطة من يده ، فاختار لهم والياً من قريش ، وهو يوسف بن عبد الرحمن الفهرى . ولكن أبا الخطار ، الذى كان قد فر من سجنه جمع اليمانية وزحف بهم إلى يوسف ، فتقابل الطرفان بمكان قرب قرطبة ، وتقاتلا أياماً بشده ؛ فكانوا يرمون بالتراب فى وجوه بعض ، حتى شُبهت المعركة بصفين . ولكن دارت الدائرة على اليمانية ،

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٢٩٠ — ٢٩١ .

(٢) أنظر شعره ، بقوله :

أفادت بنو مروان قيساً دماءنا ... وفى الله إن لم يعدلوا حكم عدل

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضل

وقيناكم حر القنا بنحورنا ... وليس لكم خيل تعد ولا رجل .

أنظر الكامل ، ٤ ص ٢٦٠

(٣) عن الصميل ، انظر مصادر الهامش ؛

Ency. de l'Isl, (art Sumaïl) t IV, p. 575–76

وأسر أبو الخطار وقتله الصميل . وقد بقي يوسف فى الإمارة له الاسم وللصميل الحكم ، إلى سقوط دولة بنى أمية [1]

*

هذه الاضطرابات الخطيرة فى الدولة الأموية ، لم تغب عن أعين منافسيهم من بنى هاشم ، الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر : فنشطوا للاستفادة منها هذه المرة بزعامة فرع آخر هو بنو العباس من نسل العباس عم النبى ؛ بقصد المطالبة بحق آل البيت فى الخلافة . ونحن إذا تتبعنا تاريخ بنى العباس الأوائل ، لا نجد أنهم كانوا يسعون إطلاقاً إلى الخلافة مع علو مركزهم كسادة لبنى هاشم ؛ وإنما كان كل همهم هو تعضيد بنى علىّ فى المطالبة بها ؛ فهم إذن كانوا يؤمنون بأحقية بنى علىّ ؛ ويعترفون بجرأتهم فى طلبها .

فالعباس [2] — رأس هذا البيت — لم يثبت أنه طالب بالخلافة ، وربما بسبب أنه لم تكن له سابقة فى الإسلام ؛ فقد تأخر إسلامه إلى ما قبل فتح مكة [3] . ومع ذلك تحرص روايات المؤرخين على إظهاره بمظهر المؤيد للدعوة الإسلامية منذ ظهورها ، وأنه لم يحمل لها الحقد مثل غيره من أعمام النبى كأبى لهب : فهو الذى خرج مع النبى عند بيعة العقبة ليمهد له الأمر [4] ، وكان يكاتبه سراً

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٣٠٨ ؛ البيان ، ٢ ص ٣٣ وما بعدها ؛ أخبار مجموعة ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) عن سيرته : ابن سعد ، ٤/١ ص ١ وما بعدها ؛ أسد الغابة ، ٣ ص ١٠٩ وما بعدها ؛ انظر . Ency. de l'Isl, (art 'Abbâs. B. 'Abd al-Muttalib) 1, p. 9-10

(٣) ابن هشام ، ٢ص ٨١٤ ؛ انظر قبله : ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ص ١٢٢ .

(٤) ابن سعد ، ٤/١ ص ٣ .

وهو بالمدينة ، وربما كان أسلم قبل بدر[1]. وقد كان العباس شديد الرغبة فى أن تكون رئاسة المسلمين لعلىّ ؛ فنى أثناء مرض النبى كان يقول لعلىّ اذهب بنا إلى رسول الله ، فإن كان هذا الأمر فينا ، وإلا أوصى بنا الناس[2] ، كما كان دائم السؤال عمّا إذا كان النبى أوصى بها لغير علىّ . ولكن عليًّا لم يذهب خوفاً من أن النبى إذا رفضها لهم لم يصلوا إليها إطلاقاً ؛ وكان يقول : « ياليتنى كنت أطعت عباساً[3] » . كذلك بعد موت النبى أقبل العباس على ابن أخيه علىّ ، وقال له : « ابسط يدك ولنبايعك » ؛ ولكن عليًّا تباطأ أيضاً ، وانشغل بدفن النبى[4] . وعلى الرغم من أن العباس لم يُظهر طموحاً للرئاسة ، فإن عمر بن الخطاب لم يكن يغيب عنه مركزه فى بنى هاشم ؛ فكان ينظر إليه على أنه رأس أسرة النبى ؛ ففرض له فى الديون وبدأ به ؛ وقد توفى العباس فى خلافة عثمان سنة ٣٢/٦٥٢[5] .

وابنه عبد الله بن العباس ، كان غير طامح للخلافة هو الأخر ؛ لعله بسبب تأخره فى الإسلام أيضاً ؛ وإن كان يبدو أنه أسلم قبيل أبيه[6] . ولكنه مثله آمن هو الآخر بحق علىّ فى الخلافة ، وحرص على تأييده : فحارب معه وكان أحد أمرائه ، كما أراد على أن يختاره للتحكيم ، ولما أنجب ولداً سماه باسم علىّ ، أحب الناس إليه[7] . وبعد مقتل علىّ وتسليم الحسن ، اعتزل عبد الله الفتنة

---

(١) نفسه ، ٤/١ ص ٥ .

(٢) نفسه ، ٤/١ ص ١٨ ؛ النزاع والتخاصم ، ص ٢٤ — ٣٠ .

(٣) النزاع ، ص ٦ ؛ انظر ، قبله ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٤١ .

(٤) الكامل ، ٢ ص ٣٥٠ .

(٥) ابن سعد ، ٤/١ ص ١٠ .

(٦) عن سيرته : أسد الغابة ، ٣ص ١٩٢ وما بعدها ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art 'Abd Allâh B. al-'Abbâs) t 1, p. 19—20: 2ed, tl, p. 41-42 ؛ انظر ما قبله ، ص ٨٢ ـ ٨٤ .

(٧) الكامل ، ٣ص ٢٠٩ .

وأقام بمكة، واهتم بجمع الحديث حتى نبغ فيه؛ فعُرف بالبحر لعلمه [1] . وفى فتنة ابن الزبير رفض مبايعته ، فلما أساء معاملاته خرج مع ابن الحنفية — وهو ابن علىّ — إلى الطائف ، وبقى فيها إلى أن توفى فى حوالى سنة ٦٨ / ٦٨٧ . ولعلو مركزه هو أيضاً كان معاوية ينظر إليه بعد موت الحسن ، على أنه سيد بنى هاشم [2] .

ولا نعرف أن علىّ بن عبد الله بن العباس سعى إلى الخلافة أو طالب بها — وكان يتكنى بالسجاد لتعبده — وقد ولد فى الليلة التى قُتل فيها علىّ فسماه أبوه عليًا . وقد قدم الشام على عهد عبد الملك ، وكان يقيم فى قرية الحُمَيْمة فى أطراف الشام من شرق الأردن ، ربما بأمر الأمويين ليكون تحت رقابتهم ، وعاش فيها إلى وقت وفاته فى سنة ١١٨/٧٣٦ [3] .

ولكن فجأة ظهر طموح بنى العباس للخلافة على يد محمد بن علىّ ؛ وإن ذكر المؤرخون أن ذلك كان بمحض الصدفة ، لما جاءه أبو هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية ،وريث الدعوة الشيعية المعروفة : بالكيسانية [4] ، أو باسمه : الهاشمية [5]، وأوصى له بها. فقد كان أبو هاشم فى زيارة سليمان ليقضى حوائجه، فلما رأى سليمان علمه وفصاحته خافه ؛ فوضع له من سقاه السم فى اللبن ، فلما أحس أبو هاشم بالسم ، قصد الحميمة وكان بها محمد بن علىّ ، فأوصى له بأن يرثه فى إمامة الشيعة ؛ وخصوصاً أن أبا هاشم لم يكن له عقب . كذلك تذكر

---

(١) أسد الغابة ، ٣ ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٢) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٦٨ .

(٣) الكامل ، ٤ ص ٢٢٦ ، ٢٥٣ ؛ النوبختى ، ٣٣ ، ٣٩ .

(٤) النوبختى ، ص ٢٧؛ انظر ، قبله ، ص ١١٨ وهامش (٤) .

(٥) الشهرستانى ، الملل ، ١ ص ١١٢ ، الكامل ، ٤ ص ١٥٩ ، ابن سعد ، ٥ ص ٢٤٠ وما بعدها ؛ انظر . Il Testamento di Abù Hashim : Moscati (R.S.O.) 1952, p. 28 sqq. ؛

Ency. de l'Isl, (art Abû Hashim) t 1, p. 94; 2éd. t 1, p. 128.

رواية أخرى أن الوصية دفع بها أبو هاشم إلى علىّ بن عبد الله بن العباس ، وذلك لأن محمد بن علىّ كان صغيراً ، وأمره أبو هاشم أن يدفعها إلى محمد إذا بلغ ، فهو الإمام (١) . ولم يكتف أبو هاشم بتوريث محمد الإمامة ، وإنما نقل إليه أيضاً العلم اللدنى الخاص بالتأويل ، الذى ورثه عن أبيه محمد بن الحنفية (٢) . ومع ذلك يرى بعض الشيعة أن الإمامة كانت خرجت من أبى هاشم ، وانتقلت إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر أو إلى غيره من العلويين وليس إلى محمد بن على (٣) .

ومهما يكن كانت هذه الدعوة التى ورثها محمد بن على من أقوى الدعوات وأكثرها إيجابية وتنظيماً : فمنذ أن قامت بالدعوة لابن الحنفية بعد تسليم الحسن أو قبل ذلك ، كانت قائمة على قدم وساق فى ستر وكتمان ، بإرسال الدعاة وجمع الزكاة ليوم الوثوب (٤) . ولما تسلمها المختار وأظهرها ، أعلنها حرباً شعواء على الأمويين ، وكل من وقف أمامها . كذلك ظلت الكيسانية بعد المختار ترى إلى قتل آل أبى سفيان ، وهدم دمشق (٥) . فلما آلت الدعوة إلى محمد بن على أبقى على إيجابيتها ، وجعل قصدها القضاء على دولة بنى أمية ، وإعلان الخلافة فى بنى هاشم ؛ وذلك بالدعوة الغامضة : للرضا من آل محمد (٦) ، دون أن يذكر الدعاة المقصود أهو فرع آل علىّ أو آل العباس ؛ وإن كان عليهم أن يبينوا فضلهما ، وظلم بنى أمية ؛ وإشاعة أحاديث نبوية ، تؤيد ذلك (٧) . كذلك استمر محمد بن على فى إرسال الرجال والدعاة ؛ وكان أبو هاشم طلب من الدعاة الطاعة له (٨) ، وأصبحت الدعوة أكثر تنظيماً على يديه . فجعل لها مجلساً (٩) يشرف عليها يتكون

(١) النوبختى ، ص ٣٣ .
(٢) الملل ، ١ ص ١١٢ .
(٣) نفسه ، ص ١١٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٨ ؛ النوبختى ، ص ٣٣ .
(٤) ابن قتيبة ، الإمامة ، ٢ ص ٢٠٧ — ٢٠٨ ؛ انظر . قبله ، ص ١١٩ .
(٥) النوبختى ، ص ٤٢ .
(٦) الكامل ، ٤ ص ٣٠٧ س ٤ .
(٧) نفسه ، ٤ ص ٣٢٣ .
(٨) نفسه ، ٤ ص ١٥٩ ؛ مروج الذهب ، ٥ ص ٨٩ ؛ الطبرى (Annales) ١٢٢١
(٩) عن تفسير العدد ، انظر ماجد . نظم الفاطميين ، ١ ص ١٨٤ وهامش (٤) .

من أثنى عشر نقيباً ، لعله على نسق الاثنى عشر نقيباً من بنى إسرائيل المذكورين فى القرآن (٥:١٢)، أو عدد الاثنى عشر رجلاً من الأوس والخزرج، الذين عاهدوا النبى على الولاء فى العقبة (١) ، أما الدعاة فكان عددهم كبيراً بلغ السبعين، وكانوا يذهبون فى زى التجار مستبضعين . وكان محمد يجتمع بهم فى موسم الحج ويأتون إليه بالمال ويأخذون الأوامر (٢) .

وقد وجدت هذه الدعوة آذاناً صاغية عند الشعوب المفتوحة ، الذين كانوا قد أسلم بعضهم ؛ إلا أن العرب لم يهتموا بإسلامهم ، وإنما همهم أخذ خيراتهم ، وألا تنقص ايراداتهم ، فاستمروا فى فرض الجزية والخراج عليهم ؛ بل أطلقوا على من أسلم منهم اسم : الموالى مفردها مولى (٣) ، وهى كلمة لها معان متعددة ؛ وإنما أصبحت فى عهد دولة العرب تعنى الخاضعين لقبائل العرب، وكان هذا هو كل حظهم من المساواة . ولقد حاول عمر بن عبد العزيز — كما بينا – أن يصلح الأمور بين العرب والموالى ، وينفذ الاتفاقات الأولى بينهم أثناء الفتوح ، فمنحهم المساواة فى كل شىء ؛ ثم عاد عمال الأمويين بعده إلى ما كانوا عليه ؛ فكانت محاولة عمر بن عبد العزيز تلبيهاً لهم إلى حقوقهم .

لذلك ظهرت بين الموالى فى أواخر عهد الدلة العربية الحركة التى عرفت

---

(١) نفسه ، ٤ ص ٣١٠ س ٩ .

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٣٥٧ .

(٣) لسان ، ٢٠ ص ٩ / ٢ وما بعدها ؛ انظر. النجار ، الموالى والعصر الأموى، ص١٤؛ : Kremer ; Ency. de l'Isl, (art Mawlâ) t 3, p. 479. Kulturgeschichte des Islams unter des Califen 2, p. 154 suiv.:

بالشعوبية [(١)] ، أى المطالبة بحقوق الشعوب التى أسلمت فى المساواة ؛ وهى كلمة من أصل شعوب بلفظ الجمع لتعنى غير العرب ؛ لأن العرب يُطلق عليهم القبائل [(٢)] . وهناك اسم آخر يظهر منه هدف الموالى من هذه الحركة ، فقد سموا أنفسهم: بأهل التسوية [(٣)] ؛ لأنهم كانوا يطالبون بالمساواة وهذه الحركة فى المطالبة بالمساواة امتدت إلى شعوب مختلفة من عجم وعراقيين وفراعنة وروم ويهود [(٤)] ؛ مما يدل على أنها كانت عامة فى أركان الخلافة العربية .

وهى حركة بدأت كلامية فى أول الأمر ، اعتمدت فى تأييد حقها فى المساواة على آيات القرآن؛مثل:﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وجعلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتقَاكُمْ ٤٩ : ١٣ ﴾ ، وعلى أحاديث نبوية ، مثل : ﴿ ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى ﴾. وقد وُجد بين أتقياء العرب من كانو يعطفون على هذه الحركة ؛ فقد شاهدوا بفزع سوء معاملة العرب من أفراد الطبقة الحاكمة لإخوانهم المسلمين من غير العرب ؛ مما لا يتفق مع شريعة الله ومبادىء الرسول. ولكن العرب المتعجرفين ، لم يعترفوا بسوء سياستهم؛ بحيث تطورت هذه الحركة ، وأصبح الحكام والمحكومون يتقاذفون بالكلام ، ويُظهر كل فريق احتقاره للآخر فالعرب فى الزواج كانوا يميزون بين الصريح والدخيل [(٥)] ، وكانوا يقولون : « لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة : حماراً أو كلب أو مولى » [(٦)] . أما الموالى فأخذوا يصغرون من شأن العرب ؛ ويفتخرون بعلوكهم

(١) العقد ، ٢ص ٨٥ وما بعدها؛ انظر .
Eucy. de l'Isl, (art Shùbīyâ) t4, p. 410.
(٢) أنظر. لسان، ١ ص ٤٨٢ س ١٥ ؛ العقد ، ٢ ص ٥٥.
(٣) العقد ، ٢ ص ٨٦ .
(٤) عن ذلك ، انظر . نفسه ، ٢ص ٨٥ — ٨٨ .
(٥) أنظر . Kremer : Kult, I p. 69. ؛ Khuda Bukhsh : Essays, p64.
(٦) العقد، ٢ ص٩٠ ؛ انظر. النجار ، الموالى ، ص ٣٨ .

وتاريخهم [1] ، وخصوصاً أنهم كانوا عماد العلوم — التي اعتبرها العرب من الصنائع التي لا تليق بهم [2] — بحيث أصبحت كلمة شعوبي بمعنى الذي يصغّر من شأن العرب، ولا يقيم لهم فضلاً [3] .

ولكن هذه الحركة لم تظهر بقوتها مثلما ظهرت بين الفرس ؛ حيث أن كلمة شعوب بلفظ الجمع ، أصبحت تعني قبائل غير عربية أي عجم ، وهو الاسم الذي أطلقه العرب بلغة الجمع على الفرس خاصة [4] . فهؤلاء مع أنهم أعتبروا أهل كتاب [5] ، وقد دخلوا الإسلام في أعداد كبيرة دون إجبار منذ عهد مبكر ، قبل بقية الشعوب الأخرى ؛ ولأن الدهاقين وهم كبار الملاك الفرس ، أرادوا الاحتفاظ بأملاكهم [6] ، فاتخذوا أسماء عربية ، كما أن بعض قبائلهم صاروا موالي لبعض قبائل العرب [7] ، ولكن الأمويين لم يهتموا باسلامهم ، فأطلقوا عليهم باحتقار اسم : العجم أو العلوج [8] ، أي الذين يتكلمون لغة غير مفهومة . لذلك ومنذ عهد مبكر ، اعتنق الفرس المبادىء التي تناوىء الأمويين ، بخاصة المبدأ الشيعي ، الذي كان يدعو إلى

(١) فمن قول أحد شعراء الفرس :

أصلي كريم ومجدي لايقاس به ... ولي لسان كحد السيف مسموم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا ... والهرمزان الفخر أو التعظيم

أنظر . الأغاني ، ٤ ص ١٢٥ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٥١ — ٤٥٣ .

(٣) لسان ، ٢ ص ٤٨٢ ؛ النزاع والتخاصم ، ص ٦٥ — ٦٦ .

(٤) لسان ، ١ ص ٤٨٢ ؛ انظر .
Ency. de l'Isl, (art 'Adjam) II, p. 143.

(٥) عن ذلك ، انظر . فتوح البلدان ، ص ٧٩ ؛ أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٠ .

(٦) أنظر Les Zoroastriens de Perse. R.M.M. vol 3, :Menant
Oct. et Nov. 1907, p. 196—197.

(٧) فتوح البلدان ، ص ١٤٠ ؛ انظر. : Muh. Stud, I, p. 104 suiv.:Gold
فان فلوتن ، السيادة العربية ، ترجمة حسن إبراهيم وزكي إبراهيم ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ٣٧ .

(٨) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢٩ — ٣٠ ؛ انظر . قبله ، ص ١٦١ .

ولاية أسرة النبي الخلافة ، ولا سيما أنهم نظروا لهذه الأسرة نظرة كسروية ؛ حيث كان الحسين قد تزوج بابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين [١] ؛ فكان معظم الشيعة من الفرس . أضف إلى ذلك أن مناطق كثيرة فى فارس ، مثل كرمان وسجستان ، كانت وكراً للخوارج الثائرين على الأمويين [٢] .

وقد هيأ هذا الإستياء بين الموالى فى فارس على الخصوص ، فرصة نادرة لدعوة آل البيت . فمنذ أن انتقلت الدعوة للعباسيين ، وهم يوجهون نشاط دعوتهم إليها ، وبخاصة إلى منطقة خراسان النائية عن مركز الخلافة الأموية ؛ فاستجاب لهم بها أناس كثيرون [٣] . وقد ساعد على ذلك أن أهل خراسان أسلموا قبل غيرهم فى أعداد كبيرة ، وأظهروا حماساً للدين الجديد بالاشتراك مع العرب فى الجهاد كما فعل البربر ؛ إذ كانت خراسان ثغراً لقتال الترك . ولكن العرب لم يحسنوا معاملتهم ولم يسووا بينهم وبين أنفسهم فى العطاء ، بل كانوا أحياناً يحملونهم يغزون دون عطاء ولا رزق [٤] ؛ إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز وقرره لهم . لذلك كان محمد بن على ، يوصى دعاته بالخراسانيين ، فيقول لهم [٥] : « فإن هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ،

(١) النوبختى ، ص ٥٣ (آخر الصفحة) ؛ انظر قبله ، ص ٧٧ .
(٢) أنظر قبله ، ص ١٣٤ وما بعدها
(٣) الأخبار الطوال ، ص ٣١٩ س ١٠ .
(٤) الكامل ، ٤ ص ١٥٨ س ٨ ؛ انظر قبله .
(٥) معجم البلدان ، ٣ ص ٤١٠ .

وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل، ولم يقدم عليهم فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب، وأصوات هائلة ولغات فخمة ... ». ويبدو أن بنى أمية كانوا يخافون من حدوث انقلاب فى خراسان، فكانوا يرون أنهم يقدرون أن يرتقوا أى فتق إلا من خراسان (١).

غير أن محمد بن على مات قبل أن ينال غرضه من الدعوة فى سنة ١٢٤/٧٤٢ أو ١٢٦ / ٧٤٤، فعهد بالإمامة إلى ولده إبراهيم، الذى عرف بالإمام (٢). وقد استمر إبراهيم فى الدعوة بحماس فى خراسان، فأرسل إليها أكبر الدعاة، مثل بكير بن ماهان، الذى كان من المجاهدين فى ثغر الهند، أرسله إليها ليعلن موت محمد وولايته (٣). ولما مات بكير فى سنة ١٢٧/٧٤٥، عين إبراهيم مكانه أبو سلمة الخلال (٤)، الذى كان من الرقيق وأعتق، وجعل له سيطرة تامة على الدعوة، فعرف: بوزير آل محمد، وكان كثير التنقل بين خراسان والحميمة مركز الإمام. ويبدو أن ابراهيم قرر أمراً حاسماً للدعوة فى خراسان، لما اختار لها قائداً شاباً يبلغ التاسعة عشرة، من أصل لاشك أنه إيرانى من أصبهان، اسمه عبد الرحمن بن مسلم (٥)؛ وإن تكنى بأبى مسلم بناء على طلب إبراهيم؛ إذ كان مملوكاً لأحد الدعاة فى سواد الكوفة، ثم اشتراه أبوه

(١) الكامل، ٤ ص٣٢٣ س ٤ - ٥.

(٢) نفسه، ٤ ص ٢٥٣؛ الأخبار الطوال، ص ٣٢٤؛ انظر.
Ency. de l'Isl, (art Ibrâhîm B. Muhammed) t 2, p. 462

(٣) الأخبار الطوال، ص ٣٠٩ — ٣٢٠؛
انظر Ency. de l'Isl, (art Bukair B. Mâhân) t1, p. 794-5. يقول الدينورى إن الذى أعلن وفاة محمد هو أبو مسلم أنظر، ص ٣٢٤.

(٤) الكامل، ٤ ص ٢٩١؛ انظر Ency. de l'Isl, (art Abû Salama al-Khalâl) t 1, p. 108.

(٥) الكامل، ٤ ص ٢٥٢ وما بعدها؛ الأخبار الطوال، ص ٣٢٢ — ٣٢٣؛ وفيات، ١ ص٣٩٧ — ٤٠١؛ انظر. Ency, de l'Isl, (art Abu Muslim Arab, p. 518 sqq. : Well: t 1, p. 103-104, 2éd t1, p.145 فتلاً قيل. إنه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس. الكامل، ٤ ص٣٥٣.

محمد وآل إليه وأعجب به . فجعل إبراهيم لأبي مسلم سلطة تامة على الدعوة بخراسان فى سنة ١٢٨ / ٧٤٦ ، وأمر بقية الدعاة بطاعته ؛ وقد زوّده بنصائح فى سبيل نصرة آل البيت ، بأن يفرّق بين طوائف العرب ؛ باستمالة اليمانية ومعاداة المضرية ؛ حتى يقتل بخراسان من يتكلم العربية [١] . فشمر أبو مسلم للدعوة ، ووجه كل رجل من أصحابه إلى ناحية فى زىّ التجار [٢] ، بحيث انضم إليه فى ليلة واحدة أهل ستين قرية من نواحي مرو [٣] .

فلما اشتدت شوكته ، أظهر الدعوة فى شهر رمضان ١٢٩ / ٧٤٧ [٤] ، بناء على أمر الإمام ، بأن تكون الطاعة لبنى العباس . فعقد اللواء والراية ، اللذين بعث بهما الإمام ، ويدعى الأول الظل والثانى السحاب ، ومعناهما أن خلفاء العباسيين يظلون الأرض إلى آخر الدهر ، وكان يتلو : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٢٢ : ٣٩ ﴾ ؛ واتخذ أبو مسلم السواد شعاراً ، فعرف جيشه بالمسودة ، نسبة إلى شعار العباسيين الأسود ، حزناً على الشهداء من بنى هاشم ونعياً على بنى أمية فى قتلهم . كذلك أوقدوا النيران ، وأضاءوا المشاعل الكبيرة على قمم الجبال ؛ فأخذ ينضم إليه عدد كبير من الموالين .

ومع ذلك ؛ فإن أبا مسلم بقى شهوراً دون أن يستولى على مرو عاصمة خراسان ؛ وإنما أخذ يحتل الأماكن المحيطة بها ؛ وساعده على ذلك انشغال نصر والكرمانى بالقتال فيما بينهما منذ عدة شهور [٥] . وكان أبو مسلم إذا كتب لنصر يكتب للأمير نصر ، فلما قوّى بمن اجتمع إليه بدأ بنفسه [٦] . وقد كتب نصر إلى ربيعة

(١) الكامل ، ٤ ص ٢٩٥ .
(٢) الأخبار الطوال ، ص ٣٢٧ .
(٣) الكامل ، ٤ ص ٣٠٠ س ١٢ .
(٤) نفسه ، ٤ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ س ١٢ .
(٥) أنظر . قبله
(٦) الكامل ، ٤ ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

واليمن في مرو يحضهم على ترك العصبية ، التي أدت إلى قتل كثير من الطارفين، والاتحاد في قتال أبي مسلم ، فمن قوله إليهم :

أبلغ ربيعة في مرو وفي يمن   أن أغضبوا قبل ألا ينفع الغضب [1]

ولكن الكرماني رفض الصلح ، وصمم على عزل نصر [2] ؛ مما جعل هذا الأخير يكتب إلى مروان يطلب منه مدداً ضد الكرماني ، وقال له هذه الأبيات :

أرى بين الرماد وميض نارٍ   ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى   وإن الحرب أولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري   أأيقاظٌ أمية أم نيام [3].

ولكن مروان كان مشغولاً عن نصر بمقاومة الخوارج [4] ، وأرسل إلى نصر يقول له اضبط ثغرك بجندك ؛ واهتم هو بالقضاء على رأس الدعوة إبراهيم بالحميمة ، فأرسل إليه من أوثقه وزج به السجن ، ثم أمر به أن يخنق أو تلف رأسه في داخل جراب [5] ، كما أن عامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة لم يتمكن من أن يمده نصراً ، وقال له ليس عندنا رجل [6] .

وكان أبو مسلم يذكي العداء بين نصر والكرماني ، ويكاتب الاثنين ، كما أنه نزل في خندق ثالث بين خندقيهما . ولما لم يجد نصر فائدة مع الكرماني ، دس إليه ابن الحرث بن سريج ، الذي تمكن من قتل الكرماني غيلة . عندئذ خرج ابنا الكرماني ومعهما جمع كثير وانضموا لأبي مسلم لقتال نصر ، فتمكن

---

(١) نفسه ، ٤ ص ٣٠٤ .

(٢) الأخبار الطوال ، ص ٣٣٨ — ٣٣٩ .

(٣) وفيات ، ١ ص ٣٢٩ ؛ الكامل ، ٤ ص ٣٠٣ ؛ الأخبار الطوال ، ص ٣٤٠ (يكتبها بكلمات مختلفة) ؛ انظر . فإن فلوتن، السيادة العربية، ص١٢٨ وحاشية (٣).

(٤) وفيات ، ١ ص ٣٩٩ .

(٥) الأخبار الطوال ، ٢ ص ٣٤٠ . أو أنه هدم على إبراهيم بيتاً فقتله . الكامل ، ٤ ص ٣٢٩ .

(٦) نفسه ، ص ٣٤٢ .

أبومسلم من دخول مرو أثناء قتال العصبيتين فى ربيع الآخر سنة ١٣٠ / ٧٤٨ ؛ حيث اعترفا ابنا الكرمانى لأبى مسلم بالأمارة[١] . ولكن أبا مسلم ما لبث أن قتل ابنى الكرمانى خوفاً من أن تتفق اليمن مع نصر[٢] ، كما قتل ستمائة إنسان[٣] ، من بينهم عبد الله بن معاوية ، الذى كان قد استولى على فارس ، وهرب إلى خراسان وبها أبو مسلم ، حينما علم بدعوته للرضا من آل محمد طمعاً فيها ، فدس أبومسلم له السم[٤] ؛ كذلك قتل أبو مسلم الخوارج التى اجتمعت على قتله[٥] . فلما رأى نصر ما جاء به أبو مسلم من اليمانية والربعية والعجم ، خرج هارباً إلى نيسابور ، فلما لحقه جند أبى مسلم بقيادة الداعية قحطبة هرب نصر إلى الرىّ (طهران) ، حيث توفى بجوارها سنة ٧٤٨/١٣١[٦] . وبذلك غلب أبومسلم على خراسان وسك العملة بها ، باسم أمين آل محمد ، وعيّن العمال[٧] .

وبعد ذلك زحف جيش الداعية قحطبة ، الذى أرسل وراء نصر ، فدخل نيسابور ثم الرىّ ، ثم استولى على أصفهان وقتل عامل مروان بها ، ثم حارب فى نهاوند ، ثم فى فارس[٨] . فخرج يزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان على العراق لمنعه من دخوله ، بأن عسكر فى جلولاء واحتفر الخندق الذى كان العجم احتفروه أيام وقعة جلولاء . ولكن قحطبة لم يسر على جلولاء وسار رأساً إلى الكوفة فعسكر قريباً منها فجاءه يزيد بن عمر بن هبيرة، فهزمه قحطبة؛ إلا أن قحطبة غرق فى سنة ١٣٢ / ٧٤٩ ، فقام الحسن بن قحطبة مقامه ، واضطر

---

(١) الكامل ، ٤ ص ٣٠٢، ٣٠٩ — ٣١٥ .
(٢) نفسه ، ٤ ص ٣١٢ .
(٣) النزاع ، ص ٥١ .
(٤) مقاتل الطالبيين ، ص ١٢٣
(٥) الكامل ، ٤ ص ٣١١ .
(٦) نفسه ، ٤ ص ٣١٠ — ٣١١، ٣١٣ — ٣١٧ .
(٧) أنظر . Guest:
A Coin of Abu Muslim, J.R.A.S. July 1932, p. 555 — 9.
(٨) الكامل ، ٤ ص ٣١٧ وما بعدها .

يزيد إلى الهروب إلى واسط، التي كان هرب إليها الحجاج من قبل [1] . كذلك ما لبث عامل الكوفة محمد بن خالد بن عبد الله القسري من قبل يزيد بن عمر ابن هبيرة أن سلّم المدينة للعباسيين ، حيث كان أغلب أهلها من الشيعة يرحبون بالقضاء على الدولة الأموية . فلما دخلها عبد الله أبو العباس ، الذي بقى مستخفياً خارجها أربعين ليلة بعد أخذ أخيه إبراهيم بن الحميمة وقتله ، نجد أن وزير آل محمد أبو سلمة الخلال يعلن خلافة أبي العباس، ويبايع له في ربيع الثاني ١٣٢/٧٤٩، وقد تسمى أبو العباس بأمير المؤمنين؛ وكان أخوه أبو جعفر المنصور يأخذ البيعة له . وقد خطب أبو العباس في هذه المناسبة ، فبين حق أسرته في الخلافة، وكيف أن بني حرب وبني مروان تواثبوا عليها وتداولوها .

بعد ذلك أرسل أبو العباس نحو مروان بالجزيرة عمه عبد الله بن عليّ على رأس جيش بلغ عدده ثلثمائة ألف ، جمع من أطراف بلاد الفرس [2] ؛ مما يدل على الحقد ضد الأمويين فخرج مروان فى عشرين ومائة ألف من قبائل قضاعة وبني سليم والسكاسك والسكون ، فلقيهم على نهر الزاب الأعلى قرب الموصل في أرض مملوءة بالأوديه والجبال ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٣٢ / يناير ٧٥٠ . فدارت معركة رهيبة مدة يومين هزم فيها مروان ، وغرق كثير من جيشه منهم إبراهيم بن الوليد المخلوع ؛ إذ كانت القبائل المشتركة ترفض النزول فى المعركة . ولما أرسل عبد الله بن عليّ خبر النصر لأبي العباس ، صلى أبو العباس ركعتين ، وأمر لمن شهد الواقعة بخمسمائة دينار .

---

(١) نفسه ، ٤ ص ٣٢٠ وما بعدها .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٣٢١ — ٣٢٩ عنه ، انظر .
Ency. de l'Isl, (art 'Abd Allâh B. 'Alî) t 1, p. 44.
عن الزاب ، انظر . معجم البلدان ، ٤ ص ٣٦٤ .

ولكن أبا العباس أمر بمطاردة مروان ، الذى احتار وفكر فى الهروب إلى ملك الروم ، لولا أن أصحابه أبوا عليه ذلك ؛ عندئذ قرر أن يهرب إلى مصر لكثرة ما لها وخيلها ورجالها ، وإن غلب فيها ذهب إلى إفريقية (١) . فهرب نحو دمشق وترك عاملاً بها ليقاتل ويؤخر زحف العباسيين ؛ فلحق به عبدالله واستولى على دمشق بعد حصار أيام (٢) ؛ فلما دخلها قتل بها ألوفاً كثيرة من الجند والأمراء كما نبش قبور بنى أمية (٣) . ولما وصل عبد الله إلى فلسطين عند نهر أبى فطرس قرب الرملة نادى بالأمان فى بنى أمية (٤) ، فاستأمن له بضعة وسبعون رجلاً منهم (٥) . فأدخلوا فى سرادق عقد لهم مع بنى هاشم ، الذين كانوا على الكراسى وبنو أمية على الوسائد قد ثنيت لهم ، مع أنهم كانوا أثناء دولتهم يجلسون مع الخلفاء على السرير ويجلس بنوهاشم على الكراسى . فأمر عبد الله بقتلهم ، فعجلت الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم ؛ فلما قتلوا دعا عبد الله بالغداء ، وأمر ببسط ، فبسطت عليهم ، وجلس فوقهم يأكل ؛ وهم يضطربون تحته ، فلما فرغ من الأكل قال : ما أعلمنى أكلت أكلة قط أهنأ ولا أطيب لنفسى منها . ثم جروهم من أرجلهم ، وعليهم سراويلات الوشى ، ثم حفر لهم بئراً ألقاهم فيها (٦) . أما من لم يستأمن منهم ، فقد هرب إلى كانم بأقصى المغرب (٧) ، وحتى إلى الحبشة (٨) ، أو إلى الأندلس (٩) . وبذلك أصبح اسم عبد الله مرهوباً ، فسماه أبو قتيبة : بالسفاح (١٠) .

---

(١) الأخبار الطوال ، ص ٣٤٧ .
(٢) الكامل ، ٤ ص ٣٣٠ .
(٣) الذهبى ، تاريخ الدول ، ١ ص ٦٤ .
(٤) النزاع والتخاصم ، ص ٥٣ . عنه ، انظر معجم البلدان ، ٦ ص ٣٨٦ .
(٥) أخبار مجموعة ، ص ٤٧ .
(٦) عن ذلك . بالتفصيل ، انظر . الأغانى ، ٤ ص ٩٢ وما بعدها (يقول إن أبا العباس هو الذى فعل ذلك) .
(٧) معجم البلدان ، ٧ ص ٢١٠ .
(٨) الكامل ، ٤ ص ٣٣٢ س ٥ .
(٩) نفسه ، ٤ ص ٣٦٠ وما بعدها .
(١٠) الإمامة ، ٢ ص ٢٣٢ س ٣ تؤيد رواية ابن قتيبة . ا قاله المرحوم أستاذنا الجليل

ولكن مروان لما دخل مصر عن طريق الفرما ، لحقته الجنود الخراسانية ؛ كما قاتلته اليمانية من أنصار العباسيين ، بزعامة أحد أبناء بنى هشام الحاقدين على مروان . وفى قرية بوصير بالأشمونين فى ذى الحجة سنة ١٣٣/٧٥٠ ، قُطعت رأس مروان وهو نائم[١] ؛ بعد أن تعب من المطاردة . فلما حُملت الرأس بين يدى أبى العباس خرّ ساجداً[٢] .

وقد تم انتصار بنى العباس، باخماد بعض فتن متفرقة : فقد ثارت قبيلة كلاب فى دمشق وقنّسرين[٣] ؛ وبيضوا أى جعلوا أعلاماً بيضاً ، دلالة على ثورتهم ضد بنى العباس ، الذين اتخذوا اللون الأسود ، ودعوا إلى السفيانى أحد الأمويين ؛ ولكنهم هُزموا . كذلك قضى أبو العباس على فتن الموصل ؛ حيث أرسل إليهم ابن أخيه يحيى بن محمد مع الخراسانيين ، فاستباحها ثلاثة أيام بعد دخولها ؛ فقتل جمعاً كبيراً من العرب ، وحتى الديكة والكلاب . وفى العراق أجبر أبو جعفر المنصور — أخو الخليفة — يزيد بن هبيرة على التسليم بالأمان بواسط ، ولكن لم يلبث المنصور أن غدر به وقتله[٤] .

← عبد الحميد العبادى، من أن الملقب بالسفاح هو عبد الله بن على، وإن تلقب أبو العباس بالسفاح خطأ (أنظر . مثلا : الكامل ، ٤ ص ٣٢٥ س ١٢) . فمن سيرة الأول يظهر الجور ، على عكس سيرة أبى العباس (أنظر . مثلاً عن سيرته: الأغانى ، ٤ ص ٩٢ ؛ النزاع ، ص ٥٥) ؛ وخصوصاً أن هذه التسمية لأبى العباس بالسفاح ، لم ترد إلا فى كتب المتأخرين . أنظر . مقالة العبادى ، صور وبحوث من التاريخ الإسلامى (عصر الدولة العباسية) ، ص١-٥.

(١) الإمامة ، ٢ ص ٢٨٨ وما بعدها ؛ الأغانى ، ٤ ص ٩٢ . عن بوصير ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٣٠٦ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ٣٣٢ س ٢ .

(٣) نفسه ، ٤ ص ٣٣٤ — ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ؛ النزاع ، ص ٥٤ .

(٤) وفيات ، ٢ ص ٤١٥ .

والخلاصة أن بنى العباس أزالوا بعجم خراسان خلافة بنى أمية [1] ، بعد أن حكم منهم أربعة عشر خليفة ، وتملك العجم كل شيء فى دولتهم ؛ لذلك لاحظ المؤرخون قيام عصر جديد فى تاريخ المسلمين ، فقالوا : إن دولة بنى أمية عربية ، ودولة بنى العباس أعجمية [2] .

* * *

(١) النزاع ، ص ٥٠ س ١٥-١٦ .
(٢) البيان ، ٣ ص ٦٤ س ٤ .

الخاتمـة

مما سبق يتبيّن أن دراسة تاريخ الدولة العربيــة لم يقف عند التفتيش عن روايات العرب وحدهم ، بل أصبح يعتمد بالضرورة على الاطلاع على وجهة نظر مؤرخين من غير العرب ، مثــل : اليونان والأرمن والمصريين ، وأيضاً المصادر التي أوجدها البحث الحديث من وثائق وآثار ونقوش ومسكوكات .

ومن المحقق أن العرب لم يستطيعوا أن يـكوّنوا دولة إلا بفضل رســالة الإسلام ، فالرسول جعلهم أمة واحدة تسودها الرابطة الدينية ، فهى وحدها التى استطاعت كما لاحظ ابن خلدون أن تخلق منهم جماعة قوية ، زادها تأكيداً قضاء أبى بكر على حركة الردة ، وجمع العرب حول خلافته ، كما قوّى من وحدتها التنظيمات ، التى وضعها عمر بن الخطاب ، ومن جاء بعده من الخلفاء .

ونحن لا نعرف دولة كتبت لها صفحة خلو ومجد فى التاريخ مثل الدولة العربية ، التى أقامت الفتوحات العظيمة ، وعرّبت لغــة الدواوين ، وجمعت للمسلمين القرآن فى نص واحد ، وأنشأت بذور الحضارة الإسلامية .

والذى هيأ لهذه الدولة القيام بـكل هذا ، هو أن خلفاءها من الراشدين والأمويين ، لم يذهبوا مذهب البطالة والـكســل كما لاحظ ابن خلدون ، ولـكنهم كانوا خلفاء متحركين للعمل لصالح أمتهم؛ كأنما خُلقوا للملك .

ولـكن الاهتمام بجنس العرب وحده ، وإغفال حقوق الشعوب المفتوحة ، التى تحولت إلى الإسلام ؛ كان السبب الرئيسى فى القضاء على دولتهم ؛ بحيث يمـكننا أن نقول إن سقوط هذه الدولة هو بسبب عدم مجاراتها لتطور الزمن ، وإغفالها حقوق الشعوب .

الجداول

(١) جداول المصادر والمراجع

(ا) الكتب العربية

القرآن الكريم

الأبشيهى ، المستطرف فى كل فن مستظرف ، جزءان ، بولاق ١٢٦٨ هـ .

ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، تصحيح عبد الوهاب النجار ، مصر ١٣٤٨ هـ وما بعدها (أجزاء ١ — ٤) .

، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ٥ أجزاء ، طبعة مصر ١٢٨٤ هـ .

أحمد الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، الجزء الأول ، من الفتح حتى قيام الدولة المغولية ، من الألف كتاب (١٥٨) ، القاهرة .

أحمد السباعى ، تاريخ مكة ، مكة ١٣٧٢ هـ .

أحمد أمين ، فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٢٨ .

أحمد الحوفى ، أدب السياسة فى العصر الأموى ، القاهرة ١٩٦٠ .

أحمد بن خالد ، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الجزء الأول ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .

أخبار مجموعة فى تاريخ الأندلس ، وذكر أمرائها رحمهم الله ، والحروب الواقعة

بها بينهم ، تحقيق La fuentey Alcantara ، فى مجموعة Obras Arabigas ، طبعة Madrid ، ١٨٦٧ .

الإدريسى ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب : نزهة المشتاق ، تحقيق de Goeje ، طبعة Leyde ، ١٨٦٦ .

أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمه إلى العربية حسن إبرهيم وعابدين والنحراوى ، القاهرة ١٩٤٧ .

راضي آل ياسين ، صلح الحسن ، بغداد ١٩٥٣ .

الريس ، النظريات السياسية الإسلامية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٢ (ظهرت طبعة ثالثة) .

الأزدى (أبو إسماعيل) ، كتاب فتوح الشام ، تحقيق وترجمة W.N.Lees ، طبعة Calcutta ، ١٨٥٤ .

الأزرق ، كتاب أخبار مكة شرفها الله ، وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق Wustenfeld ، طبعة Leipzig ، ١٨٥٨ .

ابن اسحق ، كتاب فتوح مصر وأعمالها ، القاهرة ١٢٧٥ هـ .

، سيرة ابن اسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازى ، تحقيق حميد الله ، الجزء الأول ، الرباط ١٣٩٦/١٩٧٦ .

الإصطخرى ، المسالك والممالك ، تحقيق de Goeje ، طبعة Leyden ، ١٨٧٠ (B G.A.) ، وتحقيق جابر الحينى ، القاهرة ١٩٦١ .

الأصفهانى ، كتاب الأغانى ، ٢٠ جزءاً ، بولاق ١٢٨٥ هـ ، وطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٧ (لم تتم) .

، مقاتل الطالبين ، النجف ، ١٣٥٣ هـ .

أغابيوس ، العنوان ، تحقيق وترجمة Vasiliev ، Paris ، ١٩٦١ .

الألوسي ، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ٣ أجزاء ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ .

أمير على ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ، ترجمة رياض رأفت ، القاهرة ١٩٣٨ .

، مركز المرأة فى الإسلام .

نستاس الكرملى ، النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ .

أنيس صايغ ، الأسطول الحربى الأموى فى البحر الأبيض ، بيروت ١٩٥٦ .

أومان ، الأمبراطورية البيزنطية ، ترجمة طه بدر ، القاهرة ١٩٥٣ .

أى شير ، تاريخ كلد وأشور ، فى جزءين ، بيروت ١٩٣٢ .

بتلر ، فتح العرب لمصر ، عرّبه فريد أبو جديد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ .

البحترى ، الحماسة ، القاهرة ١٩٢٩ .

البخارى ، صحيح ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٢٧٨/١٨٦١ ، وبولاق ١٣١٤هـ .

بدر الدين الصينى ، العلاقات بين العرب والصين ، القاهرة ١٩٥٠ .

براون (إدوارد) ، تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، نقله إلى العربية الشوربى ، القاهرة ١٩٥٤ .

بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه فارس والبعلبكى ، فى جزءين ، بيروت ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

البغدادى ، الفرق بين الفرق ، علّق عليه محمد بدر ، مصر ١٣٢٨/١٩١٠ .

بــل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ترجمة عواد وعبد اللطيف ، القاهرة ١٩٥٤ .

البـكرى ، معجم ما استعجم ، تحقيـق مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٥٤ ، (الجزء الأول) .

البلاذرى ، فتوح البلدان، تحقيق de Goeje ، طبعة Brill ، ١٨٦٦.
، أنســاب الأشراف ، تحقيق de Goitein ، الجزء الأول ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩، الجزء الرابع (١و٢) تحقيق Max ، طبعة القدس ١٩٣٨ و ١٩٧١ ، الجزء الخامس ، ولعل منه جزء : مصنف مجهول ، تحقيق Ahlwardt (الجزء الحادى عشر)، طبعة Greifswald ، ١٨٨٣؛ وترجمة جزء خاص منه بمعاوية بقلم Pinto و Levi dela Vida بعنوان : Il califo, Moawiya I, secondo il Kitàb Ansàb la Asrâf, tradottoe annotato. Roma 1988.

بنيامين فارنجتون ، مدنية الإغريق والرومان، ترجمة أمين تكلا، القاهرة ١٩٤٨ .

بيهم (جميل) ، المرأة فى حضارة العرب ، والعرب فى تاريخ المرأة ، بيروت ١٩٦٢ .

البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، جزءان ، بولاق ١٢٨٢ — ١٨٦٥/٣ — ١٨٦٦ .

البيرونى ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، تحقيق Sachau ، طبعة London ، ١٨٨٧ .

، الآثار الباقية من القرون الخالية ، تحقيق Sachau ، طبعة Leipzig ، ١٩٢٣ .

تاريخ النسطوريين ، (لمؤلف مجهول) نشره وترجمه Scher (في مجموعة Pat. Or.) ، أجزاء ٤ و ٧ و ١٣ .

ترتون ، أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٤٩ .

الثعالبي ، غرر وأخبار ملوك الفرس وسيرهم ، تحقيق وترجمة Zotenberg ، طبعة Paris ، ١٩٠٠ .

الثعالبي (محمد بن إبراهيم)، كتاب قصص الأنبياء ، مصر ١٣٤٤ هـ .

الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزءان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣١١ و ١٣١٣ هـ / ١٨٩٣ – ٥ .

، البخلاء ، القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ .

، المحاسن والأضداد ، القاهرة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ .

، التاج في أخلاق الملوك ، حققه أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩١٤ .

، كتاب الحيوان ، تحقيق محمد هارون ، ٧ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨ .

، في معاوية والأمويين ، رسالة عني بنشرها عزت العطار ، القاهرة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ .

، العثمانية ، تحقيق محمد هارون ، القاهرة ١٩٥٥ .

جاد المولى ، أنصاف عثمان ، القاهرة ١٩٤٤ .

، محمد المثل الكامل ، مصر ١٣٥٦ هـ .

الجارم ، أديان العرب فى الجاهلية، الطبعة الأولى، ١٣٤١/١٩٢٣.

جبرائيل جبور ، ابن عبد ربه وعقده ، بيروت ١٩٣٣ .
، عمر بن أبى ربيعة ،فى جزءين، بيروت ١٩٣٥ـ١٩٣٩.

جروهمان ، أوراق البردى العربية بدار الكتب ، ترجمة حسن إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٣ .

جلال مظهر ، محمد رسول الله ، القاهرة .

جلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ،تعريب وتعليق خيرى حماد، القاهرة ١٩٦٣ .

جمال الدين سرور ، قيام الدولة العربية الإسلامية ، ١٩٥٢ .

جمال عياد ، نظم الحرب فى الإسلام ، القاهرة ١٣٧٠ هـ .

جواد على ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ١٩٥٠ وما بعدها .
، تاريخ العرب فى الإسلام، السيرة النبوية ، بغداد ١٩٦١.

ابن الجوزى ، تاريخ عمر بن الخطاب، صححه حسن الهادى حسين ، القاهرة.
، مناقب عمر بن عبد العزيز ، تحقيق Becker ، طبعة Leipzig ، ١٨٩٩ .

حاجى خليفة ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، فى جزءين، استانبول ١٣١١ هـ .

حامد غنيم ، انتشار الإسلام حول [illegible] القاهرة ١٩٧٥.

حتى ، العرب (تاريخ موجز) ، بيروت ١٩٤٦ .

ابن حجر ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، ٤ أجزاء ، مصر ١٣٥٨ / ١٩٣٩ ، ١٩٠٧ .

ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ٥ أجزاء القاهرة ١٣١٧هـ.

، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق Lévi-Provençal ،
القاهرة ١٩٤٨ .

حسن إبراهيم ، النظم الإسلامية ، بالاشتراك مع على إبراهيم ، القاهرة ١٩٣٩ .
، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ، الدولة العربية ،
الجزء الأول ، الطبعة الثانية ١٩٤٨ .
، اليمن ، مجموعة اخترنالك ، رقم ٥٥ ، القاهرة .

حسن پيرينا ، إيران قديم ، طهران ١٣١٣ هـ .ش

حسن محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية ، الجزء الأول ،
القاهرة ١٩٥٨ .

الحلبى (على بن برهان الدين) ، السيرة الحلبية ، القاهرة ١٣٢٠ هـ .

حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ،
جمعت وترجمت حواشيها إلى العربية ، القاهرة ١٩٤١ .

الخثعمى ، الروض الأنف فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة
النبوية لابن هشام ، جزءان ، القاهرة ١٣٣٢/١٩١٤ .

الخربوطلى ، تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى ، دار المعارف ، القاهرة .

الخطيب البغدادى ، تقييد العلم ، حققه يوسف العش ، دمشق ١٩٤٩ .

ابن خلدون ، مقدمة ، القاهرة ١٣٢٢ هـ .
، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ،
وطبعة أخرى ، القاهرة ١٣٥٥/١٩٣٦ (الجزء الثانى) .

خلف الله ، الفن القصصى فى القرآن الكريم ، القاهرة ١٩٥٠-١٩٥١ .
، صاحب الأغانى أبو الفرج الأصفهانى الراوية ، القاهرة ١٩٥٣ .

ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان ، بولاق. ١٢٧٥ / ١٨٥٩ .

الخوارزمى ، (الموفق بن أحمد ، ت ٥٦٨ هـ) ، مقتل الحسين ، فى جزءين ، النجف ١٩٤٨ .

د جيلي ، فرقة الأزارقة ، النجف ١٩٧٢ .

دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، الجزء الأول ، بدون تاريخ .

دراز ، الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، القاهرة ١٣٧١ / ١٩٥٢ .

درمنجهام ، حياة محمد ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، ١٩٤٥ .

دكسن ، الخلافة الأموية ٦٥-٨٦ / ٦٨٤-٧٠٥ ، دراسة سياسية ، ط ١ ، بغداد ١٩٧٣ .

الدورى ، مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ، بغداد .

دونالدولبر ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم ، ومراجعة الشواربى ، القاهره ١٩٥٨ .

ديومبين ، النظم الإسلامية ، نقله الشماع والسامر ، بغداد ١٩٥٢ .

دينية وسليمان الجزائرى ، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم ومحمد عبد الحليم ، القاهرة ١٩٥٩ .

الدينورى ، الأخبار الطول ، طبعة مصر ؛ وتحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦٠ (لم تستخ .

الذهبي ، دول الإسلام ، وهو مختصر على ترتيب السنين ينتهى إلى سنة ٧١٥ هـ ، الطبعة الثانية ، حيدر آباد ١٣٦٥ هـ . (الجزء الأول) .

، سير أعلام النبلاء، تحقيق، ترجمة المنجدوغيره، فى ثلاثة أجزاء ، القاهرة .

الرازى (فخر الدين)، التفسير الكبير، ٦ مجلدات ، القاهرة ١٢٧٨ / ١٨٦٢ .
، إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تحقيق النشـار ، القاهرة ١٣٥٦ / ١٩٣٨ .

ابن رشيق ، العمدة، حققه محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٥٣/١٩٣٤.

الريس (ضياء الدين) ، عبد الملك بن مروان ، موحد الدولة العربية ، سلسلة أعلام العرب، الكتاب رقم ١٠ ، القاهرة ١٣٨١/١٩٦١.

الزاوى ، تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، دار المعارف .

الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود شاكر ، القاهرة ١٣٨١ هـ .

الزركلى ، الأعلام ، قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين فى الجاهلية والإسلام والعصر الحاضر، جزءان ، القاهرة ١٩٢٧ .

الزمخشرى ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ .

زيدان ، كتاب العرب قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٠٨ .
، أنساب العرب القديمة، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٢١ .
، تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤أجزاء، الطبعة الثانية، ١٩٢٤ .

ساويرس بن المقفع ، تاريخ المجامع (فى مجموعة P.O.) ، ترجمة وتحقيق Leroy ، الجزء السادس .

، سير البيعة المقدسة ، (فى مجموعة P.O.) ، حققه وترجمه Evetts ؛ الجزء الأول والخامس والعاشر : ١٩٠٨ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥ .

سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، الجزء الأول ، القسم الأول ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٣ .

ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق Sachau ، ١٥ جزءاً ، طبعة Leiden ، ١٩٠٥ — ١٩٢٨ .

سعد زغلول (عبد الحميد) الترك والمجتمعات التركية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد العاشر ، ديسمبر ١٩٥٦ ، ص٥٩ . وما بعدها .

سعيد الأفغاني ، أسواق العرب ، دمشق ١٩٦٠ .

سعيد بن بطريق ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جزءان ، بيروت ١٩٠٥ – ١٩٠٩ .

ابن سلاّم ، طبقات الشعراء ، طبعة Leyden ، ١٩١٣ .

السمعانى ، كتاب الأنساب ، تحقيق وتقديم Margoliouth ، طبعة Leyden ، ١٩١٢ (W. Gibb. Mem. XX) .

سيد الجميلي ، تاريخ العرب فى الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية ، بغداد ١٩٧٠

سيدة كاشف ، مصر فى فجر الإسلام القاهرة ١٩٤٧ .

السيوطى ، تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، مصر ١٣٥١ هـ .

، كتاب الإتقان فى علوم القرآن ، الطبعة الثالثة ، فى جزءين ، مصر ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ .

، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، فى جزءين ، القاهرة ١٣٢٧ / ١٩٠٩ .

، كتاب الشماريخ فى علم التاريخ، تحقيق Seybold ، طبعة Leyden ، ١٨٩٤ .

الشابستى ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥١ .

ابن الشحنة ، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، حققه مركيس، بيروت ١٩٠٠ .

شعيرة ، الممالك الحليفة ، أو ممالك ما وراء النهر ، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب جامعة فاروق، المجلد الرابع ، ١٩٤٨ .

شكرى فيصل ، حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ، القاهرة ١٣٧١ / ١٩٥٢ .

شكيب أرسلان ، الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، الجزء الأول ، مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ .

شلبى ، التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية (الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٦٠ .

الشهرستانى ، الملل والنحل، تحقيق Cureton ، طبعة London ، ١٨٤٦ .

شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى ، العصر الجاهلى ، القاهرة ١٩٦٠ .

شيخو ، شعراء النصرانية ، جمع وتصحيح ، بيروت ١٨٩٠ .

، شعر الأخطل ، بيروت ١٨٩١ .

ابن صاعد ، طبقات الأمم ، نشره وذيله شيخو ، بيروت ١٩١٢ .

صالح أحمد العلي ، محاضرات فى تاريخ العرب ، الجزء الأول ، طبعة بغداد ، ١٩٦٤ .

صالح ، ضرار ، الحجاج بن يوسف الثقفى، بيروت ١٩٦٦.

الصاوى (عبد الله) ، شرح ديوان جرير ، بدون تاريخ .

الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق de Goeje ، بعنوان : « Annales » ، ١٥ جزءاً ، طبعة Leyden ، ١٨٧٩-١٩٠١ ؛ وطبعة القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٩ ؛ وطبعة دار المعارف ، من تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٢ (لم تستخدم).

، جامع البيان فى تفسير القرآن ، ٣٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٣٠ هـ ؛ وطبعـة دار المعارف ، ظهر منها جزءان ، تحقيق محمود شاكر .

ابن الطقطقى ، الفخرى فى الآدب السلطانية ، تحقيق Derenbourg ، طبعة Paris ، ١٨٩٥ .

الطماوى ، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة ، دراسة مقارنة ، ١٩٦٩ .

طه حسين ، فى الأدب الجاهلى ، ١٩٢٧ .

، على هامش السيرة ، القاهرة ١٩٣٥.

، الفتنة الكبرى ، طبعة دار المعارف .

، على وبنوه ، طبعة دار المعارف ١٩٥٣ .

عبادة ، كتاب سفن الأسطول الإسلامى ، مصر ١٩١٣ .

العبادى (عبد الحميد)، صور وبحوث من التاريخ الإسلامى (العصر العربى) ، الإسكندرية ١٩٤٨ ؛ (عصر الدولة العباسية) ، القاهرة ١٩٥٣ .

العبادى (مختار) ، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، مدريد ١٩٦٥ و ١٩٦٦ . فصله من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الثالث عشر .

ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، تحقيق Torrey ، طبعة New-Haven ، ١٩٢٠ .

عبد الحليم ، دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، القاهرة

أبو عبدالله الكاتب ، الوفقيات ، تحقيق Wust ، ط . Gottingen ، ١٨٧٨ .

ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣ أجزء ، القاهرة ١٢٩٤ هـ .

عبد الملك الأصمعى ، (١٢٣ — ٢١٧ هـ) ، تاريخ العرب قبل الإسلام [عن نسخة كتبت عام ٣٤٣هـ] ، تحقيق المكتبة العلمية ببغداد .

ابن عبدالمنعم الحميرى، صفة جزيرة الأندلس ، تصحيح وتعليق Lévi-Provençal ، القاهرة ١٩٣٧ .

ابن العبرى ، (Barhebraeus) تاريخ مختصر الدول ، تحقيق صالحانى، بيروت ١٨٩٠ .

العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، القاهرة ١٩٥٣.

، الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، القاهرة ١٩٥٧ .

ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، نشر وتحقيق Lévi-Provençal و Colin ، فى جزءين ، طبعة Leiden ١٩٤٨ – ١٩٥١ .

ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، المجلدة الأولى ، ١٣٧١ / ١٩٥١ .

، التاريخ الكبير ، الجزء الأول ، دمشق ١٣٣٢ هـ .

العقاد ، معاوية بن أبى سفيان فى الميزان ، الطبعة الأولى ، كتاب الهلال ، عدد ٥٥ .

علىّ إبراهيم ، عمرو بن العاص، القاهرة .

، التاريخ الإسلامى العام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٩ .

علىّ الجندى ، تاريخ الأدب الجاهلى . بيروت ١٩٦٦ .

على عبد الرازق ، الإسلام وأصول الحكم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٤ / ١٩٥٢ .

علىّ مظهر ، العصبية عند العرب فى الجاهلية والإسلام حتى زوال دولة بنى أمية من الشرق ، مصر ١٣٤٢/١٩٢٣ .

عمر أبو النصر ، عبد الملك بن مروان ، الموسوعة التاريخية ، بيروت ١٩٦٢ .

عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ١٩٦٤ .

عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس من الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة ، القاهرة ١٩٤٣ .

العينى ، عمدة القارىء فى شرح صحيح البخارى ، ١١ جزءاً ،

طبعة القسطنطينية ١٣٠٩—١٣١٠ / ١٨٩١ـ ١٨٩٣.

ابن غالب البلدى ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، القاهرة ١٩٥٦ .

ابن غلبون ، تاريخ طرابلس الغرب، المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الزاوى، القاهرة ١٣٤٩هـ.

غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ، بغداد ١٩٣٦ .

ڤازيليف ، العرب والروم ، ترجمة شميرة ، القاهرة .

ڤان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية . ترجمه من الفرنسية حسن إبراهيم وزكى إبراهيم ، القاهرة ١٩٣٣ .

فتحى رضوان ، محمد الثائر الأعظم ، كتاب الهلال ، العدد ٣٨.

فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية البزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، القاهرة .

أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، الجزء الأول ، مصر ١٣٢٥هـ.

، تقويم البلدان ، تحقيق Reinaud و de Slane ، طبعة Paris ، ١٨٤٠ .

ابن الفراء ، كتاب رسل الملوك ، ومن يصلح للرسالة والسفارة ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٤٧ .

فضيلة ، تاريخ الفرقة الزيدية ، النجف ١٩٧٤.

ڤلهوزن ، أحزاب المعارضة الدينية — السياسة فى صدر الإسلام ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ١٩٥٨ .

فنسك ، مفتاح كنوز السنة ، معجم مفهرس عام تفصيلى ، نقله إلى العربية فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ١٩٣٣/١٣٥٣ .

ابن قتيبة ، المعارف، تحقيق Wust ، طبعة Gottingen، ١٨٥٠ .

، عيون الأخبار ، حققه Brockelmann ، ٤أجزاء ، طبعة Berlin ، ١٩٠٠ .

، الشعر والشعراء ، صححه وعلق على حواشيه أبو فراس النعسانى ، ١٣٢٢ هـ .

، الإمامة والسياسة ، صححه محمد محمود الرافعى ، القاهرة ١٣٢٢ / ١٩٠٤ .

، الميسر والقداح ، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٤٢ هـ .

قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج ، طبعة Leyden، ١٩٠٦ .

القرشى أبو الخطاب ، كتاب جمهرة أشعار العرب ، الطبعة الأولى ، بولاق ١٣٠٨ هـ .

قطب الدين ، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق Wust ، طبعة Leipzig ، ١٨٥٧ .

القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزءاً ، القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٧ ، وطبعة جديدة لم تستخدم .

إبن القوطيـة ، تاريخ إفتتاح الأندلس ، تحقيق Ribera ، طبعة Madrid ، ١٩٢٦ .

كامل سليمان ، الحسن بن علىّ ، بيروت .

كحـالة ، معجم قبائل العـرب القديمة والحديثة ، دمشق ١٩٤٩/١٣٦٨ .

كريمر ، الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، تعريب مصطفى بدر ، الجيزة ١٩٢٧ (عن الترجمة الإنجليزية المؤرخ الهندى خدابخش) .

ابن كثير القرشى ، البداية والنهاية فى التاريخ ، مطبعة السعادة ، ١٣٥١/١٩٣٢ .

الكلبى ، كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكى ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣/١٩٢٤ .

الكندى ، كتاب الولاة والقضاة ، تحقيق Guest [أنظر Gibb. Mém. S.] ، طبعة London ، ١٩١٢ .

لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، تحقيق Lévi-Provençal ، بيروت ١٩٥٦ .

لينبول ، تاريخ العرب فى أسبانيا ، ترجمه إلى العربية علي الجارم القاهرة ١٩٤٤ .

ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧١ .

، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٥٥ ، والطبعة الجديدة .

، الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، بالإشتراك مع على البنا ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٧ .

مالك بن أنس ، الموطأ ، طبعة كلكتا ، ١٣٠٧ هـ .

المالكى (أبو بكر عبدالله) ، رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥١ .

الماوردى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

المبرد ، كتاب الكامل فى اللغة والأدب ، جزءان ، مصر ١٣٦٥ هـ .

محب الدين ، شرح القاموس المسمى تاج العروس ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ١٣٠٧ هـ .

محمد رضا ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، القاهرة ١٣٥٣/١٩٤٣.

محمد توفيق ، الإمام علىّ بن أبى طالب ، مصر ١٣٥٨/١٩٣٩ .

أبو مخنف ، فى مقتل الحسين عليه السلام ، ورسالة أخذ الثأر وانتصار المختار على الطغاة الفجار ، تحقيق محمد الشيرازى ، طبعة عباى ١٣٦١ هـ .

محمد بن يحيى ، (٦٧٤ـ٧٤١) ، التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان ، تحقيق يوسف زايد ، بيروت .

محمود إسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع ، [illegible] الدار البيضاء ١٩٧٦ .

مراد كامل ، تاريخ الأدب السريانى ، من نشأته إلى الفتح الإسلامى ، بالإشتراك مع حمدى البكرى ، القاهرة ١٩٤٩ .

المراكشى (عبدالواحد) ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، حققه سعيد العريان والعربى ، القاهرة ١٩٤٩ .

مردم ، الجاحظ ، دمشق ١٩٣٠ .

المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجواهر (les Prairies d'Or) ، نص وترجمة Barbier de Meynard و Pavet) ، ٩ أجزاء ، طبعة Paris ، ١٨٦١ – ١٨٧٧ .

، التنبيه والإشراف ، حققه de Goeje ، طبعة Leiden ، ١٨٩٤ (B.G.A.) .

مسلم ، الجامع الصحيح ، طبعة القاهرة ١٩١١-١٩١٤ ؛ بولاق ١٢٩٠/١٨٧٣ .

مصعب الزبيرى ، كتاب نسب قريش ، تحقيق Lévi—Provençal ، القاهرة ١٩٥٣ .

مجهول ، فتح الأندلس ، نشره دون خوان جنثالث ، الجزائر ١٨٨٩ .

مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، القاهرة ١٩٧٧

مصنف مجهول ، (لعله جزء من كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى) ، تحقيق Ahlwardt ، طبعة Greifswald ، ١٨٨٣.

، العيون والحدائق وأخبار الحقائق ، نسخة De Gooje ، ط – Brill ، ١٨٦٩ ، وقد حقق Anspach Juynb ، الجزء الخاص بالوليد وسليمان .

، أخبار العباس وولده ، حققه الدورى والمطلبي ، بيروت ١٩٧٢ .

المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق أحمد فريد رفاعى ، ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٩٢٦ .

المقريزى ، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

، النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ، تحقيق Vos ، طبعة Leyden ، ١٨٨٨.

، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق زيادة والشيال ، طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٥٧ .

، الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ .

، النقود الإسلامية ، طبعة قسطنطينية ، ١٢٩٨ .

ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٠ جزءاً ، بولاق ١٣٠٠ هـ .

موزل ، شمال الحجاز ، نقله إلى العربية عبد المحسن الحسينى ، الإسكندرية ١٩٥٢ .

مؤنس (حسين) ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧ .

: فجر الأندلس ، دراسة فى تاريخ الأندلس ، من الفتح الإسلامى ، إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ – ٧٥٦ م) ، القاهرة ١٩٥٩ .

الميدانى (النيسابورى) ، مجمع الأمثال، وبهامشها جمهرة الأمثال لأبى هلال النحوى، جزءان ، ١٣١٠ هـ .

النجار ، الموالى فى العصر الأموى ، ومذيل ببحث عن الرق والولاء فى الإسلام ، القاهرة ١٩٤٩ .

النجيرمى ، إيمان العرب فى الجاهلية ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

ابن النديم ، كتاب الفهرست ، تحقيق Flugel ، طبعة Leipzig، ١٨٧١ – ١٨٧٢ .

نظام الملك ، سياسة نامه ، ترجمة Schefer ، طبعة Paris ، ١٨٩١ .

النعمان بن محمد ، دعائم الإسلام ، تحقيق آصف فيظى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥١ .

نقولا زيادة ، صور من التاريخ العربى ، القاهرة ١٩٤٦ .

، برقة ، بيروت ١٩٥٠ .

نالينو ، علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ، طبعة Roma ، ١٩١١ .

النمر ، تاريخ الإسلام فى الهند ، القاهرة ١٩٥٩ .

النوبختى ، كتاب فرق الشيعة ، صححه ، محمد صادق ، النجف ، ١٩٣٦/١٣٥٥ .

نولدكه ، أمراء غسان ، ترجمة بندلى جوزى وقسطنطين زريق ، بيروت ١٩٣٣ .

النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ١٤ جزءاً ، طبعة دار الكتب ١٩٢٣ ، وطبعة جديدة لم تستخدم .

ابن هشام ، كتاب سيرة سيدنا محمد رسول الله ، تحقيق Wust ، فى جزءين ، طبعة Gottingen ، ١٨٥٨ — ١٨٦٠ .

هارون ، اليسر والأزلام ، القاهرة ١٩٥٣ .

الهمدانى (ابن الحائك)، صفة جزيرة العرب ، تحقيق Müller ، فى جزءين ، طبعة Leiden ، ١٨٩١ .

، الإكليل ، تحقيق نبيه فارس ، الجزء الثامن ، طبعة Princeton ، ١٩٤٠ .

هومل وغيره ، التاريخ العربى القديم ، ترجمة فؤاد حسنين ، القاهرة ١٩٥٨ .

هونيرباخ ، البحرية العربية وتطورها فى البحر المتوسط فى عهد معاوية ، طهران ١٩٥٠ .

هيكل ، حياة محمد ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٤٧ .

، الصديق أبو بكر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٦٢ هـ .

، الفاروق عمر بن الخطاب ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

، عثمان بن عفان ، القاهرة .

، فى منزل الوحى ، دار المعارف .

واصف ، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية ، تحقيق أحمد زكى باشا ، القاهرة ١٩٢٦ .

الواقدى ، فتوح الشام ، تحقيق M.N.Leee ، طبعة Calcutta ، ١٨٥٤ .

، مغازى النبى ، تحقيق Kremer ، ط Calcutta ، ١٨٥٦ .

، فتوح إفريقية ، طبعة أولى ، تونس ١٣١٥ هـ .

وداد القاضى ، الكيسانية فى التاريخ والأدب ، بيروت ١٩٧٤.

ولفنسون ، تاريخ اليهود العرب ، القاهرة ١٩٢٧ .

ولكن ، الأمومة عند العرب ، ترجمة صليبا الجوزى .

وهب بن منبه ، كتاب التيجان ، طبعة حيدر آباد ، ١٣٤٧ هـ .

ياقوت ، معجم البلدان ، تحقيق أمين الخانجى ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٣ / ١٩٠٦ .

، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، طبعة فريد رفاعى ٢٠ جزءاً ، القاهرة ١٩٣٦ .

يحيى نامى ، أصل الخط العربى وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام (مستخرج من مجلة كلية الآداب) ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، القاهرة ١٩٣٥ .

، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، القاهرة ١٩٤٣ .

، نقوش عربية جنوبية ، مجلة كلية الآداب ، المجموعة الأولى ، المجلد الأول ، مايو ١٩٤٧ ؛ المجموعة الثانية ، العدد السادس عشر ، ديسمبر ١٩٥٤ .

، نقوش خربة معين ، القاهرة ١٩٥٢ .

أبو يزيد ، وثيمة الوشاء (ت ٢٣٧ هـ) ، قطع من كتاب الردة مأخوذة من كتاب الإصابة لابن حجر العسقلانى ، تحقيق وترجمة Horenbach ، ١٩٥١ .

اليعقوبى ، تاريخ ، تحقيق Houtsma طبعة Lug-Bat ، فى جزءين ، ١٨٩٣ ، طبعة بيروت ، ١٩٦٠ ، فى مجلدين ، لم تستخدم .

أبو يوسف ، كتاب الخراج ،القاهرة١٣٤٦هـ ، ترجمة وتعليق Fagnan طبعة Paris ، (فى جزءين) ١٩٢١ .
يوسف أحمد ، الإسلام فى الحبشة ، القاهرة ١٩٣٥ .
يوسف عبد الهادى ، ثمار المقاصد فى ذكر المساجد ، تحقيق وتذييل محمد أسعد أطلس ، بيروت ١٩٤٣ .

(ب) الكتب الأوروبية

Akkouch (Mahmoud) : Contribution à une étude des origines de l'architecture musulmane : La Grand-mosquée de Médine, dans Mém. Inst. Fr. Arch. Or. t 68, 1935.

'Ali Fahmy : Muslim Sea — Power in the East Mediterranean, from the Seventh to the Tenth Century. Alexandria, 19?0.

Amélineau : Etude sur le Christianisme en Egypte au septième siècle. Paris, 1887.

André (Pierre) : L'Islam et les Races, 2 tomes. Paris, 1922.

Arnold (T) : The Caliphate. Oxford, 1924.

Arnold von Gennep : L'Etat actuel du problème totémique. Paris, 1920.

Barbier de Meymard : Dictionnaire géographique historique et littéraire de la Perse et des contrées adjacentes. Paris, 1861.

Barthelemy : Mohamed et le Coran Paris, 1865.

Barthold : Turkestan down to the Mongol invasion. 2 ed. London, 1928, (Gibb. Mém).

: Histoire des Turcs d'Asie centrale. Adap. franc, par Mme Donskis. Paris 1945.

Becker : Studien zur Omajjadengeschichte : Omar II, dans. Z. F. Ass., lxv 1900, p. 1–36.

: Christentum und Islam. Tübingen, 1007.

: The Expansion of the Saracens (The Cambridge Medieval History, vol. 2). Cambridge, 1913.

: Islamstudien, 2 vols. Leipzig, 1924.

Bel : Coup d'oeil sur l'Islam en Berbérie Paris, 1917.

: La religion musulmane en Berbérie, Paris, 1938.

Bell : The origin of Islam in its Christian environment. London, 1926.
: The Administration of Egypt under the Umayyad Khalifate, in Byzant, Zeitschrift XXVII, 1928, 278–299.
: The Qur'àn. Translated with a critical re-arrangement of the Surahs. 2 vols. Edinbourg. 193?–39.

Benveniste : The persian religion according to the chief greek Texts. Paris, 1929.
: Les Mages dans l'ancien Iran. (Publ. de la Soc des Et. Iran). Paris, 1938.

Berger : l'Arabie avant Mahomet d'après les inscriptions Paris, 1885.

Bertram (T) : Les Arabes, traduit de l'Anglais, par Huret. Paris, 1946.

Bichr Farès : L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam. Etude de Sociologie. Paris, 1932.

Blachère : Introduction au Coran Paris, 1947.
: Le Problème de Mahomet. Paris, 1952.
: L'allocution de Mahomet lors du pélerinage d'adieu Mélange Louis Massignon I, 1956, pp. 223–249.

Blochet : Le Messianisme dans l'Hétérodoxie Musulmane, Paris, 1903.
: Christianisme et Mazdéisme chez les Turks-Orientaux. Paris, 1930 (Extrait de la Revue de l'Orient Chrétien).

Bonet-Maury : L'Islamisme et le Christianisme en Afrique. Paris, 1906.

Bousquet : Observations sociologiques sur les origines de l'Islam. Stvdia Islamica. t2. Paris, 1954, p. 61 sqq.
: Observations sur la nature et les causes de la conquète arabe. Stvdia Islamica. Paris, 19?6, p. 4? sqq.

Brémond : Berbères et Arabes. Paris, 1942.

Browne : A Literary History or Persia 4 vols. Cambridge, 1920—1930.
: Some account of the Arabic Work entitled Nihâyatu' l'Arab fi akhbâri l-Fursi wa-l'Arab. J.R.A.S., 1900, pp. 195—294.

Brunnow : Die Charidschiten unter den ersten Ommayyaden. Leiden, 1884.

Brunnow; Domaszewski : Die Provincia Arabia. Strasbourg, 1904.

Brunschvig : Ibn Abdalhakam et la Conquète de l'Afrique du Nord par les Arabes, Etude critique. in A I.E.O VI, 1942-47, p. 108 sqq.

Buhl : Das Leben Muhammeds. Leipzig. 1930.

Burton : Pilgrimage to Mecca and Medinah, 2ed. 1857.

Combe, Sauvaget et Wiet : Répetroire chronologique d'épigraphie arabe. Le Caire, 1931.

Caetani : Annali dell'Islam, 10 vols., Milano 1905-26.
: Studi di Storia Orientale. Milano, 1911.
: Chronographia islamica, 5 vols. Paris, 1912.

Cahun : Introduction à l'histoire de l'Asie : Turcs et Mongols, des origines à 1405. Paris, 1896.

Canard : Les expéditions des Arabes contre Constantinople dans l'histoire et dans la légende. J.A janvier—mars, 1926, t 208, p. 61 sqq.

Carra de Vaux : Les penseurs de l'Islam. 5 vols. Paris, 1921—1926.

Caton-Thompson : The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut), Oxford, 1944.

Candel : Les premières invasions des Arabes dans l'Afrique du Nord. J. A. 1900.

Caussin de Perçeval : Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme. 3 vols. Paris, 1847—8.

César, E. Dubler : Los asedios Musulmanes de Constantinopla en la "Primera Crónica General" Al-Andalus, vol. IX, 1944, p. 141.

Charles : Le Christianisme des Arabes nomades sur les limes et dans le désert Syro-mesopotamien aux alentours de l'Hégire. Paris, 1936.

Chelra : La lutte entre Arabes et Byzantins. Alexandrie, 1947.

: La Documentation papyrologique de l'époque arabe. Catalogue des papyrus grecs publiés d'époque arabe concernant l'Egypt. Alexandrie, 1948.

: Les Status des pays de 'Ahd aux VIIe et VIIIe siècles.
(حوليات كلية الآداب_جامعة إبراهيم_العدد(١) ١٩٥٠)

Christensen : L'Iran sous les Sassanides. Copenhague et Paris, 1936.

Cohen : Documents Sud-arabiques. Paris, 1934.

Constantelos D.J. : The Moslem Conquests of the Near East, as revealed in the Greek Sources of the VIIth and VIIIth centuries, Byzantion t XLII, 1972, fasc 2, p.225 sqq.

Cooke : Text Book of North Semetic Inscriptions. Oxford, 1903

Coppée : History of the conquest of Spain by the Arab-Moors. 2 vols Boston, 1881.

Corpus Inscriptionum : Semiticarum. Paris. t 4 vol. 1. 1889, 1892, 1900, 1908, t 4, vol. 2. 1911, 1914.

Creswell : Early Muslim Architecture I. Umayyads, A. D. 622—750. Oxford, 1932, 2 ed. Oxford, 1969.

Cronica Mozàrabe de 754, attribueda a Isidero Pacence par el. P. Florey, 1885.

Darmester : Le Mahdi depuis les origins de l'Islam jusqu'à nos jours. Paris, 1885.

Davies : Buddhist India, London, 1903.

De Goeje : Mémoire sur la conquête de la Syrie 2éd. Leyde, 1900.
: Mémoire sur les Migrations des Tsiganes à travers l'Asie. Leyde, 1903.
: L'encensement des morts chez les Arabes. Ext. des Actes du XIV. Congrès Inter, des Orientalistes. t LLI.

De Lafont : Le Mazdéisme: L'Avesta, Paris, 1897.

Dennett : Conversion and Poll-Tax. Harvard, 1950.

Denys de Tell-Mahré : Chronique, publ. et traduite par Chabot. Paris, 1895.

Derenbourg : Le Dieu Allah dans une inscription minéenne. J. A. 1892.

Desvergers : Histoire de l'Arabie. Paris, 1847.

Diehl : L'Afrique Byzantine. Paris, 1896.
: Justinien. Paris, 1901.
: Histoire de l'Empire Byzantin. Paris, 1934.

Diehl el Marçais : Le Monde Oriental de 305 à 1081, dans Histoire Genérale, t 3. Paris, 1936.

Diodorus of Sicily with an English translation by Oldfather, in 10 vols. London, 1946.

Doughty : Travels in Arabia Deserta. 2ed. London 1921.

Dozy : Etudes sur la conquête de l'Espagne par les Arabes. Leyde, 1881.
: Essai sur l'Histoire de l'Islamisme. trad. Chauvin. Leyde, 1887.
: Histoire des Musulmans d'Espagne, revue et mise à jour par lévi-Provençal 3 tomes. Leyde, 1932, t I.

Driotion et Vandier : Les Peuples de l'Orient Méditerranéen. Paris, 1946.

Drapeyron : L'empereur Héraclius et l'empire byzantin en VIIe siècle. Paris, 1869.

Dubler : Survivance de l'ancien Orient dans l'Islam t VII, 1957, pp. 47—75.

Dulaurier : Chronologie arménienne. Paris, 1859.

Dunlop : The history of the Jewish Khazars. Princeton, 1951.

Durkheim : Les Formes élémentaires de la vie religieuse, 2ed. Paris, 1925.

Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam. Paris, 1907.

له ترجمة عربية من الدواحلي، مراجعة زيادة . القاهرة ١٩٥٩ .

: Le Temple de Jupiter Damascènien et ses transformations aux époques chrétiennes et musulmanes, dans Syria, 1926.

: Topographie historique de la Syrie antique et medièvale. Paris, 1927.

Duvol : Histoire d'Edesse. Paris, 1892.

: La litterature Syriaque. Paris, 1900.

Eldon : The Holy Cities of Arabia. London, 1928.

Essad Bey : Mahomet, 571—632. Paris, 1948.

Février : Essai sur l'histoire politique et économique de Palmyre. Paris, 1931.

Flügel : Mani. Leipzig, 1862.

: Concordantiae Corani Arabicae. Lipsiae, 1842.

Fournel : Etude sur la Conquête de l'Afrique par les Arabes. Paris, 1881.

Frend : The rise of the Monophysite movement : Chapter in the history of the Church in the fifth and sixth centuries. Cambridge, 1972.

Friedänder : 'Abdallah b. Saba ZA. Bd, 23 (1909) 24 (1910).

Gabrieli : al-Walid ibn Yazid : il califfo e il poeta. R.S.O. t. XV, 1934, 1—64.

: Il Califato di Hishâm. Mem de la société R. d'archéologie d'Alexandrie. t. VII/I, 1955, pp. 141.

: Muhammad ibn al-Qasim ath-Thaqafi and the Arab conquest of Sind. E AW, 15, 1965, p. 281—95.

Gagnier (jean) : La Vie de Mahomet, traduite et compilée de l'Alcoran, des Traditions authentiques de la Sonna et des meilleurs auteurs. Amesterdam, 1732.

Gaudefroy-Demombynes : Le Pèlerinage de la Mekke. Etude d'Histoire Religieuse. Paris, 1923.

: La Syrie. Paris, 1923.

Gaud et Platanev : La Monde Musulman et Byzantin jusqu'aux croisades. Paris, 19 1.

Gautier : L'Islamisation de l'Afrique du Nord : Les siècles obscurs du Maghreb, 2éd. Paris, 1937.

Ghévond (C) : Histoire des guerres et des conquètes des Arabes en Arménie, traduite par Garabed Chah-Nazarian. Paris, 1856.

Gibb : The Arab Conquest in Central Asia. London, 1923.

: La Structure de la Pensée Religieuse de l'Islam, trad, de l'Angl, par Félix Arin. Paris, 1950.

: The fiscal rescript of Umar II. Arabica janv. fasc. 1. t 2, 1955, pp. 1-16.

: Arab-Byzantin Relations under the Umayyad Caliphate, in Dumbarton Oaks Papers, XII, 1958, pp. 219-2[illegible].

Gibbon : The decline and fall of the Roman Empire. ed. Smeaton, 6 vols. London 1950.

Glaser : Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens. Berlin, 1890, 2 vols.

Goldziher : Culte des Ancêtres et le Culte des Morts. Paris, 1885.

: Le dogme et la loi de l'Islam, trad. de l'Allemand par Félix Arin. Paris, 1902.

: Etudes sur la tradition islamipue, extraites du tome 2, des «Muhammed anische Studien», traduites par Bereher Paris, 1952.

Grimme : Muhammed. 2 vols. Münster, 1892-1895.

Grohman : The problem of dating early Qur'aans der Islam, 33, 1958, pp. 213-231.

Guest : A coin of Abu Muslim. J.R.A.S. July, 1932 p.555-6.

Guidi : L'Arabie antéislamique. Paris, 1921.

Guillou : les Monnayages Lation-brabes. p. 51 sqq.

(مجلة المعهد المصري في مدريد، المجلد الثالث، ١٩٥٥).

Halphen : Les Barbares. 4 ed Paris, 1940.

Hamidullah : Les Champs de Bataille au tempe du Prophete. R. I. S. Année 1939; cahier I, p. 1 sqq.

: La lettre du Prophète à Héraclius. Arabica, Janv. 1955, p. 97. 11o.

: Le livre des genéalogie d'al-Baladuruy, B.E.O. de l'Inst. F. de Damas, t XIV, 1952-1954, pp. 197-221.

: The Christians of Pre-Islamic Mecca. Karachi, 1958.

: Le Prophète de l'Islam. 2 vols. Paris, 1959.

Hell : The Arab Civilisation, transl, by Khuda Baksh, Lahore, 1943.

Herodotus : History, transl by Godley. London, 1920.

Hill : Catalogue of the Greek Coins of Arabia. London, 1922.

Hitty : History of the Arabs. London, 1937.

: History of Syria. 1951.

(له ترجمة عربية من جورج حداد وغيره ، لم تستخدم).

Hogarth : Arabia. Oxford, 1922.

Hommel : Explorations in Arabia. Philadelphia, 1903.

: Grundriss der Geog und Gesch des Alten Orients, t 1-2, München, 1904; 1926.

Homo : Roman Political Institutions. London, 1929.

Houdas : L'Islamisme. Paris, 1904.

Huart : Selmân du Fars. Derenbourg. 1909.

: Nouvelles Recherches sur la lègende de Selmân du Fars. Paris, 1913.

: Hist. des Arabes. 2 vols. Paris, 1912-3.

Huart et Delaporte : L'Iran Antique. Paris, 1943.

Hughes : A Dictionary of Islam. London, 1885.

Huzayyin : Arabia and the far-east : Their commercial and cultural relations in greco-roman and irano-arabian times. Cairo, 1942.

Jackson : Zaroaster, the Prophet of Ancient Iran. New York, 1899.

Jaussen : Coutumes des Arabes au pays de Moab. Paris, 1908.

Jaussen et Savignac : Les Chateaux Arabes de Qeseir 'Amra, Kharâneh et Tùba. (Miss. Arch. en Arabie 3) Paris, 1920.

: Coutumes des Fuqara. Miss. Arch. en Arabie 2) Paris, 1920.

Jean, Evêque de Nikiou : Chronique Texte Ethiopien. Publié et traduit par Zotenberg (Notices et extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale et autres bibliothèques) t 24. Paris, 1879.

Josephus : Jewish Antiquites, transl by Thackeray (Books 1-IV), in 8 vols London, 1930.

Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, de la conquête arabe à 1830, 2éd. Paris, 1952.

Irfan Shahid : The Martyrs of Najrân : Neuo. documents. Bruxelles, 1971.

Ivring : Lives of Mahomet and his successors Paris, 1850.

Kammerer : Essai sur l'histoire antique de l'Abyssinie, Paris, 1926.

: La Mer Rouge. L'Abyssinie et L'Arabie depuis l'Antiquité Le Caire, 1929.

Kennedy : Petra ; its history and monuments. London, 1925.

Khuda Bukhsh ; Essays indian and Islamic. London, 1912.

Koelle : Mohammed and Mohammedanism London, 1889.

Krehl : Ueber die Religion der Vorislamischen Araber. Leipzig, 1863.

Kremer : Kulturgeschichte des Islams unter den Chalifen. 2 vols. Wienne, 1875-1877.

Le Beaume : Le Coran analysé. Paris, 1878.

Lambert : Les origines de la mosquée et l'Architecture religieuse des omeiyades. Stvdia Islamica. Paris, 1956. p. 5 sqq.

Lammens : Etudes sur le règne du calife omaiyade Mo'âwia Ier. Leipzig, 1908.

: Le berceau de l'Islam. Rome, 1914.

: Les Ahâbîch et l'organisation militaire de la Mècque au siècle de l'hégire J. A. 1916, p. 425–182.

: La Syrie. Précis-Historique, prémier volume. Beyrouth, 1921.

: La Cité arabe de Taïf à la veille de l'hégire. Beyrouth, 1922.

: La Mècque à la veille de l'Hégire. Beyrouth, 1924

: L'Islam, croyances et institutions, Beyrouth, 1926.

: L'Arabie occidentale avant l'Hégire. Beyrouth. 1928.

: Etudes sur le siècle des Omeyyades. Beyrouth, 1930.

Lamairesse et Dujarric : Vie de Mahomet d'après la Tradition 2 vols. Paris, 1897–98.

Langlois (Victor) : Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie, publiée en français sous les auspices de son Excellence Nubar Pacha. 2 vols. Paris, 1867–9.

Lagrange : Etudes sur les religions sémitiques. 2éd. Paris, 1905.

Lane-Poole : The Mohammedan Dynasties London, 1895.

Laurent : L'Arménie entre Byzance et les Arabes, depuis la conquète arabe jusqu'en 886. Paris, 1919.

Lavoix : Catalogue des monnaies Musulmanes de la Biblioithèque Nationale, t 1, Khalifes Orientaux. Paris, 1887.

Lecerf : Note sur la famille dans le monde

arabe et islamique. Arabica, t 3, Janv. 1956, p. 31 sqq.

Leczinsky : Die Juden in Arabien zur Zeit Mohammeds. Berlin, 1910.

Legendre : Nouvelle Histoire d'Espagne Paris, 1922.

Le Strange : Palestine under the Moslems. London. 1890.

: The Lands of the Eastern Caliphate 2ed. Cambridge, 1930.

ترجمة عربية من بشير وسركيس ، بعنوان: بلاد الخلافة الشرقية ، بغداد ، (لم تستخدم) .

Lévi-Provençal ; Inscriptions arabes d'E'spagne. Leyde-Paris, 1931.

: La civilisation arabe en Espange. Paris, 1948.

: Histoire de l'Espange. Musulmane. La conquête et l'Emirat Hispano-umaiyade (710 – 912) t I, Nouvelle édition. Paris – Leiden, 1950.

Lewis (Bernard) : The Arab in History, 3ed. London, 1955, trad. franc. Paris, 1958.

وترجمة عربية من نبيه فارس ومحمود يوسف، بيروت ١٩٥٤ (لم تستخدم) .

Littmann : Entzifferung der Safa Inschriften. Leipzig, 1901.

: Eutzifferung der Thamudenischen Inschriften, 1904.

Loisy : Essai historique sur le Sacrifice, Paris, 1928.

Lokegaard : Islamic Taxation in the Classic Period. Paris, 1950.

Louis de la Vallée : Bouddhisme. Paris, 4éd.

Macdonald : The Religious Attitude and life in Islam. Chicago, 1909.

Mac Michael :A history of the Arabs in the Sudan. Cambridge, 1923.

: Development of Muslim Theology. New-York, 1926.

Marçais (G) ; La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age. Paris, 1946.

: L'Art de l'Islam. Paris, 1946.

Margoliouth : Mohamed and the Rise of Islam. London, 1905.

: The early development of Mohamedanisme. London, 1914.

: The relations between Arabs and Israelites prior to the rise of Islam. London, 1924.

: Origins of Arabic Poetry. J.R.A.S. 1925.

Marquet Yves : Le si'isme de Txe siècle à travers l'histoire de Ya'qûbî. TXIX, Juin 1972 p. 101 sqq.

Massé : L'âme de l'Iran. Paris, 1951.

Massé et Grousset :La civilisation iranienne. Paris, 1952.

Mercier :Histoire de l'Etabliseament des Arabes dans l'Afrique septentrionale. Paris, 1915.

Mercier et Séguin : Charles Martel et la bataille de Poitiers. Paris, 1944.

Michel le Syrien : Chronique, ed. et trad. Chabot. Paris, 1899–1910. 4 vols.

Miller : Mappae arabicae, 5 vols. Stuttgart, 1926, suiv.

Minorsky : The Khazars, and the Turks in Akâm al-Morjân. Reprinted from the Bull. of S.O.S. vol IX. Part I, 1937.

: Caucasica III. The Alân capital.

Magas and the Mongol campaigns. Reprinted from the Bull. S.O.S. vol. XIV/2, 1952.

: Studies in Caucasian history. London, 1952.

: A new Book on the Khazars Oriens vol II Leiden, 1958.

Moncaut : Histoire des peuples et d'états pérénéens, ed. 1873.

Montogomery : Arabia and the Bible. Philadelphia, 1934.

Mordtmann : Beitrage zur Minaïshen Epigraphik. Weimar, 1896.

Mordtmann und Mittwoch : Sabaïsche Inschriften. Hamburg, 1931.

Moscati : Il testamento di Abû Häsim (R.S.O.) 1952. 585 sqq.

Moulton : Early Zoroastrianism. London, 1913.

Muir Annals of the Early Caliphate London, 1881.

: The life of Mohammed and History of Islam, 4 vols. London, 1858–61.

: The Caliphate, its rise, decline and fall. A new and revised edition by Weir. Edinburgh, 1924.

Musil : Arabia Petraea. 3 vols. Vienna, 1907.

: Arabia Deserta. New-York, 1927.

: North Negd. New-York, 1928.

: Palmyrena. New-York, 1928.

: The Manners and customs of the Rawala Bedouins New-York, 1938.

Nallino : La litterature arabe des origines à

l'époque de la dynastie umayyade. trad. Pellat. Paris, 1950.

Nau : Les Arabes chrétiens de Mesopotamie et de Syrie du VIIe au VIII siècles (Cahiers de la Société Asiatique.) Paris, 1933.

Nicholson : A literary History of the Arabs. London, 1923.

Noldeke : Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden. Leyde, 1879.

: Geschichte des Qorâns. Gottingen, 1860.

O'hsson : Les peuples du Caucase, 1828.

Ockleys :The History of the Saracens London, 1847.

O'Leary : Arabia before Mohammed. London, 1927.

Palencia : Historia de la Espana mulumana. Bercelone—Buenos Aires. 4éd 1940.

Paret :Mohammed und der Koran. Stuttgart, 1957.

Périer : Vie d'al-Hadjàdj ibn Yoûsof al-Taqafi. Paris, 1904.

Periplus of the Erythraean Sea :

Travel and Trade in the Indian Ocean, by a Merchant of the first Century, translated from the Greek by Schoff, N. York, 1912.

Perron : Femmes Arabes avant et depuis L'Islamisme. Alger, 1856.

:L'Islamisme, son institution, influence et son avenir. Paris, 1877.

Petersen E.E. : Ali and Muawiyya Copenhague, 1964

Philiby : Heart of Arabia. London, 1922.

Philips (H) : India. London, 1947.

Playfair :History of Arabia Felix. Bombay, 1859.

Pliny : Natural History, transl, by Rackham London, 1949. 10 vols.

Procopius : History of the Wars, transl, by Dewing 7 vols. London, 1954.

: Of the Buildings of Justinian, transl by Stewart. London, 1886

Quatremère : Mémoire sur le Kitâb al-Agâni, ext. J. A. Paris, 1837.

: Mémoire sur les Asiles chez les Arabes. Paris, 1845.

: Observation sur le feu grégeois, ext. du J. A. Paris, 1850.

: Mém Hist. sur la vie d'Abd Allah Ben Zobair, ext J. A. Paris, 1852.

: Mém. Hist. sur la dynastie des Khalifes abbassides, ext J. A. Paris, 1852.

Rehatsek : Some Beliefs and Usages among the Pre-Islamic Arabs. Bombay, 1876.

Reinaud : Invasions des Sarrazins en France. Paris, 1836.

: L'Art Militaire chez les Arabes. Paris, 1884.

Reinaud et Favé : Feu Grégeois. Paris, 1845.

René Grousset : Histoire de la Chine. Paris, 1947.

: Répertoire d'épigraphie Sémitique (Publ, par la commi, du Corpus Inst. Semit.) 1900 sqq.

Ricciotti :Histoire d'Israel, trad franc, par Paul Auvray. 2 vols. Paris, 1948.

Roth : 'Oqba Ibn Nafi' el Fihri. Gottingen 1859.

Rothstein : Die Dynastie der Lakhmiden in al-Hira. Berlin, 1899.

Runciman : La civilisation byznatine, 330–1453, trad. Lévy. Paris, 1952.

Ryckmans : L' Institution monarchique en Arabie Meridionale avant l'Islam (Ma'in et Saba.) Louvain, 1951.

Saavedra : Estudio Sobre la invasion de los Arabes en Espana. Madrid, 1892.

Sacy : Nouveau aperçu sur l'Histoire de l'Ecriture chez le Arabes du Hedjaz, Paris, 1827.

Saurat : Histoire des Religions, II éd. Paris

Sauvaget : Les Monuments Historiques. de Damas. Beyrouth, 1932.

: L'Architecture Musulmane en Syrie. Ext. de la Rev. des Arts Asiatiques. Paris, 1934.

: Esquisse d'une Histoire de la ville de Damas, ext. R.E.I. Année 1934. Paris, 1935.

: Introduction à l'Histoire de l'Orient Musluman. Paris, 1946.

: La Mosquée omeyyade de Médine. Etude sur les origines architecturales de la Mosquée et de la Basilique. Inst. F, de Damas. Paris, 1947.

Sauvaire : Matériaux pour servir à l'histoire de la numismatique et de la métrologie musulmanes. Paris, 1882.

Schacht : New sources for the history of Muhammadan Theology .S.I, Paris, 1953, p. 23 sqq.

Schmidt : Origine et Evolution de la Religion. Paris, 1931.

Schwally : Geschichte des Qorâns. Die Sammlung des Qorâns. Leipzig, 1919.

Scott : In the High Yemen. 2ed. London, 1947.

Sébéos : Histoire d'Héraclius, traduite de l'arménien et annotée par Macler. Paris, 1904.

Seligman : Les Races de l'Afrique, trad. Franc. Payot. Paris, 1935.

Sell : Faith of Islam, 2 ed. London, 1896,

Shedd : Islam and the Oriental churches. Philadelphia, 1904.

Smith : Kingship and Marriage in early Arabia, 3 ed. London, 1903.

Snouck Hurgronje : Mekka Haag, 2 vols, 2ed, 1888-1889.

Sprenger (Aloys) : Das Leben und die Lehre des Mohammed. 3 vols. Berlin, 1861-69.

: Die alte Geogrephie Arabiens. Berne, 1857.

Strabo : Geography, transl. by Horace Jones 8 vols. London, 1949.

Streck : Die alte Landschaft Babylonien nach den arabischen Geographen. Leyde 1900 – 1.

Theophanes : Chronographia in Patrologia Graeca de Migne t 108 ; éd Carl Boor. vol. I Leipzig, 1883.

Theophrastus : Enquiry into Plants, transl. Hort, London, 1948.

Thonmin : Histoire de Syrie, 2éd. Paris, 1929.

Tor Andrae : Mahomet, sa vie et sa doctrine, trad. de l'Allemand, par Gaud-Demom. Paris, 1945.

Toufic Fahd : Le Panthéon de l'Arabie contrale à la veille de l'hégire Paris, 1968.

Tousaint et Favé : Histoire de l'artillerie. lère partie. Du feu grégeois, des feux de guerre et des origines de la poudre à canon. Paris, 1845.

Trimingham : Islam in the Sudan. London, 1949.

Tyan : Histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam. 2vols. Lyon-Beyrouth, 1938-1943.

Usener, editor, : Weihnachtspredigi des Sophronios, in Rheinisches Museum für Philologie, neue Folge vol 4 1886, pp. 500-516.

Van Berchem : La propriété terriotoriale et l'impôt foncier. Thèse de Leipzig, 1861.

: Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (Inst. F. d'Arch. Or. t 44) Le Caire, 1927.

Van Gelder : Mohtar de Valsche Prafect. Leiden, 1888.

Van Nieuwenhuijze : The Ummah an analystic approach. S. I, X, 1959, p. 5 sqq.

Vasely (Rudolf) : Die Ansâr im ersten Burgorhiegl (36, 40. d.h.) Archiv orientalni, 26/1, 1958, pp. 36-58.

Vogué : Inscriptions sémitiques. Paris, 1868-77.

Waddington : Inscriptions grecques et latines de la Syrie. Paris, 1870.

Walker : A Catalogue of the Arab Byzantine and Post Reform umaiyad Coins. London, 1955.

Warmington : The Commerce between the Roman Empire and India. Cambridge, 1928.

Washington : A History of the lives of the successors of Muhammad. London, 1850.

Watt : Muhammed at Mecca. Oxford, 1953.

Weil : Geschiche der Chalifen, 3 vols. Mannheim, 1846-51.

Wellhausen : Reste arbischen Heidentums, zweite Ausgaze, 1897.

: Skizzen und Vorarbeitin, Berlin, 1899.

: The Arab Kingdom and its Fall «Das Arabische Reich und sein Struz» Berlin, 1902., transl. by M. Weir. Calcutta, 1927.

: Die Kampfe dei Araber mit den Rômaern, in der Zeit der Umaijaden, Nachrichten der Kônig, Gesellschaft der Wissenschaften. Phil-hist. Klasse. Gottingen, 1901, p. 414 sqq.

Wensinck : Mohammed en de joden te Medina. Leiden, 1908.

: A handbook of early Muhammadan tradition, alphabetically arranged. Leiden, 1927.

: The Muslim Creed. Cambridge, 1932

Westermarck : Survivances paienness dans la civilisation Mahometane, Trad,Franc par Robert Godet. Paris, 1935.

Wilson : The Persian Gulf : An historical sketch from the earliest times to the beginning of the XII the cent, Oxford, 1928.

Winnet : A Study to the Libyanite and Thamudic Inscriptions. Toronto, 1937.

Zaayer : Het Mekkaansche Feest Leiden, 1880.

Ziegler : Church and State in Wisigothic Spain. Washington, 1903.

Xenophen : Anabasis, transl. Todd. London, 1947.

(ج) المجلات ودور المعارف والمجموعات

Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae. Budapest.

al-Andalus : Revista de las Escuelas Estudio Arabes de Madrid y Granada. Madrid-Grenande.

Annales de l'Institut d'Etudes Orientales. Alger (A.I.E.O).

Arabica. Revue d'Etudes Arabes. Paris.

Archiv Orientalni.

Ars Islamica, 1934.

Bibliotheca Geographorum Arabicorum. Leiden.

Bibliothek Arabischer Historiker und Geographen. Wien.

Boletin de la Real Academia de la Historia de Espana. Madrid. (Bol. R. Ac. Esp.)

Bulletin of the American School of Oriental Research (Boasoor).

Bulletin of the Royal School of Oriental Studies (B.S.O.S) London, 1917.

Byzantion. Paris et Bruxelles, 1924 (Byz.)

Byzantinische Zeitschrift (Bys. Zeitschr). München.

Der Islam : Zeitschrift für Geschichte und Kultur des Islamischen Orients. Strasbourg, 1910-19 : Berlin, 1919, etc.

Encyclopedia Britannica. Cambridge, 1910-1911.

Encyclopaedia of Religion and Ethics, ed by Hastings. Edinburgh, 1908-1921.

Encyclopédie de l'Islam, léd Leyde, 1913-1942 ; 2éd Paris, 1954 sqq.

Hespéris. Paris, 1921.

Islamic Culture an English Quarterly. Hyderabad, 1927.

J. of the econonic and Social History of the Orient.

J. As : Journal Asiatique. Paris, 1822 sqq.

J. Am. O. S. : Journal of American Oriental Society.

J. Soc. Or. Res : Journal of Society of Oriental Research.

J. R. A. S. : Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland. London, 1834 sqq.

Mémoire de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire (M.I.F.A.O.)

Mitteilungen der Vordersiatischen Gesellschaft (M.V.G.)

Museon.

Orientalische Litterature Zeitung (O.L.Z.) Leipzig.

Patrologia Orientalis. (P.O.).

Revue des Etudes Islamiques (R.E.I.)

Revue des Etudes Juives. Paris.

Revue de l'Histoire des Religions (R.H.R.)

Revue du Monde Musulman (R.M.M.)

Rivista degli Studi Orientali (R.S.O.)

Stvdia Islamica (S.I.) Paris.

Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen. Gesellschaft (Z.D.M.G.) Leipzig.

Zeitschrift für Assyriologie und verwandte. Gebiete (Z.F.Ass)

صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد

حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس .

(٢) جدول الأسماء

(١) أسماء الأشخاص

(ب) أسماء قبائل وشعوب وممالك

(ج) أسماء الفرق

(د) أسماء جغرافية